رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظار في غرائب الأمصار

وعجائب الأسفار

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

(فهرست الجزء الاول من كتاب رحلة ابن بطوطه)

صحيفه		صحيفه	
٢	خطبة الكتاب	٦٠	ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم
٧	ذكر سلطان تونس	٦٣	ذكر حمامى بدمشق ومن أجازنى من أهلها
٨	ذكر أبواب سكندرية ومرساها	٦٦	طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
٩	ذكر المنار	٦٦	ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفه
٩	ذكر عمود السوارى	٦٧	ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم
١٠	ذكر بعض علماء الاسكندريه	٦٩	ذكر المنبر الكريم
٢١	ذكر نيل مصر	٧٠	ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١	ذكر الاهرام والبرابى	٧٠	ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به
٢٢	ذكر سلطان مصر	٧١	ذكر المجاورين بالمدينة الشريفه
٢٣	ذكر بعض امراء مصر	٧٢	ذكر أمير المدينة الشريفه
٢٣	ذكر القضاة بمصر	٧٢	ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفه
٢٤	ذكر بعض علماء مصر وأعيانها	٧٦	ذكر مدينة مكة المعظمه
٢٥	ذكر يوم المحمل بمصر	٧٧	ذكر المسجد الحرام
٣٢	ذكر المسجد المقدس	٧٧	ذكر الكعبة المعظمة الشريفه زادها الله تعظيما وتكريما
٣٢	ذكر قبة الصخره	٧٩	ذكر الميزاب المبارك
٣٢	ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف	٧٩	ذكر الحجر الاسود
٣٣	ذكر بعض فضلاء القدس	٧٦	ذكر المقام الكريم
٥٠	ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بنى اميه	٨٠	ذكر الحجر والمطاف
٥٣	ذكر الائمة بهذا المسجد	٨٠	ذكر زمزم المباركه
٥٤	ذكر المدرسين والمعلمين به	٨١	ذكر أبواب المسجد الحرام وما داريه من المشاهد الشريفه
٥٤	ذكر قضاة دمشق	٨٢	ذكر الصفا والمروة
٥٥	ذكر مدارس دمشق		
٥٦	ذكر أبواب دمشق		
٥٦	ذكر بعض المشاهد والمزارات بها		
٥٨	ذكر رياض دمشق		
٥٩	ذكر قاسيون ومشاهده المباركه		
٥٩	ذكر الزبوة والقرى التى توالبها		

صحيفه	
٨٣	ذكر الجبانة المباركه
٨٤	ذكر بعض المشاهد خارج مكة
٨٤	ذكر الجبال المطيفة بمكه
٨٧	ذكر أمير مكه
٨٧	ذكر أهل مكه وفضائلهم
٨٧	ذكر قاضي مكه وخطيبها وامام الموسم وعلمائها وصلحائها
٨٩	ذكر المجاورين بمكة
٩٤	ذكر عادة أهل مكه في صلواتهم ومواضع أئمتهم
٩٤	ذكر عادتهم في الخطبة وصلاة الجمعه
٩٥	ذكر عادتهم في استهلال الشهور
٩٦	ذكر عادتهم في شهر رجب
٩٧	ذكر عادتهم في ليلة النصف من شعبان
٩٨	ذكر عادتهم في شهر رمضان المعظم
٩٩	ذكر عادتهم في شوال
٩٩	ذكر احرام الكعبه
٩٩	ذكر شعائر الحج واعماله
١٠١	ذكر كسوة الكعبه
١٠٣	ذكر الانفصال عن مكه شرفها الله تعالى
١٠٤	ذكر الروضة والقبور التي بها
١٠٥	ذكر نقيب الاشراف
١٠٨	مدينة واسط
١١٠	مدينة البصره
١١١	ذكر المشاهد المباركه بالبصره
١١٥	ذكر ملك ايذج وتستر
١٢٣	ذكر سلطان شيراز
١٢٧	ذكر بعض المشاهد بشيراز
١٣١	مدينة الكوفه
١٣٣	مدينة بغداد

صحيفه	
١٣٤	ذكر الجانب الغربي من بغداد
١٣٥	ذكر الجانب الشرقي منها
١٣٥	ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها
١٣٦	ذكر سلطان العراقين وخراسان
١٣٨	ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان ابي سعيد
١٤١	مدينة الموصل
١٤٣	ذكر سلطان ماردين وفي عهده تحولي اليها
١٤٨	ذكر سلطان جزيرة سواكن
١٤٨	ذكر سلطان حلي
١٥٠	ذكر سلطان اليمن
١٥٣	ذكر سلطان مقدشو
١٥٥	ذكر سلطان كلوا
١٥٨	ذكر القنبول
١٥٩	ذكر النارجيل
١٦٠	ذكر سلطان ظفار
١٦١	ذكر ولي اقيناه بهذا الجبل
١٦٤	ذكر سلطان عمان
١٦٥	ذكر سلطان هرمز
١٦٧	ذكر سلطان لار
١٦٨	ذكر مغاص الجوهر
١٧١	ذكر سلطان العلايا
١٧٢	ذكر الاخية الفتيان
١٧٣	ذكر سلطان انطاكية
١٧٤	ذكر سلطان اكريدور
١٧٤	ذكر سلطان قل حصار
١٧٦	ذكر سلطان لاذق
١٧٧	ذكر سلطان ميلاس

صحيفه	
١٧٨	ذكر سلطان اللارندة
١٨١	ذكر سلطان بركى
١٨٥	ذكر سلطان مغنيسيه
١٨٦	ذكر سلطان بلى كسرى
١٨٧	ذكر سلطان برصى
١٩١	ذكر سلطان كردى بولى
١٩٣	ذكر سلطان قصطمونيه
١٩٧	ذكر الجهات التى يسافر عليها حضره السلطان محمد أوزبك بهذه البلاد
٢٠١	ذكر السلطان المعظم محمد أوزبك خان
٢٠٣	ذكر الخواتين وترتيبهن
٢٠٥	ذكر نفقات السلطان المعظم أوزبك
٢٠٦	ذكر ولدى السلطان
٢٠٦	ذكر سفرى الى مدينة بلغار
٢٠٦	ذكر أرض الظلمه

صحيفه	
٢٠٧	ذكر ترتيبهم فى العيد
٢١٠	ذكر سفرى الى القسطنطينيه
٢١٣	ذكر سلطان القسطنطينيه
٢١٤	ذكر المدينه
٢١٥	ذكر الكنيسة العظمى
٢١٦	ذكر الماستارات بقسطنطينيه
٢١٦	ذكر الملك المترهب جرجيس
٢١٧	ذكر قاضى القسطنطينيه
٢١٧	ذكر الانصراف عن القسطنطينيه
٢٢٣	ذكر بطيخ خوارزم
٢٢٤	ذكر أولية التتر وتخريبهم بخارى وسواها
٢٢٦	ذكر سلطان ماوراء النهر
٢٣٥	ذكر سلطان هرات
٢٤٢	تتمة هذا الجزء
٢٤٢	تذييـــــل

أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

AIBMUJOO
ƎƎLLIOO
Y.MYIA9IL

كتاب رحلة ابن بطوطه

المسماة

تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

٢

(الطبعة الاولى)

بقاعدة حروف مطبعة وادى النيل الجديدة

في مطبعة وادى النيل بمصر القاهرة بالموسكى
سنة ١٢٨٧

Ibn Battutah

COLUMBIA COLLEGE N.Y.

(كتاب)

(رحلة ابن بطوطه)

المسماة

تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الاثير وفد الله المعتمر شرف الدين المعتمد فى سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ثم الطنجى المعروف بابن بطوطة رحمه الله ورضى عنه بمنه وكرمه آمين

الحمد لله الذى ذلل الارض لعباده ليسلكوا منها سبلا فجاجا وجعل منها واليها تاراتهم الثلاث نباتا واعادة واخراجا دحاها بقدرته فكانت مهادا للعباد وأرساها بالاعلام الراسيات والاطواد ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد واطلع الكواكب هداية فى ظلمات البر والبحر وجعل القمر نورا والشمس سراجا ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد الممات وأنبت فيها من كل الثمرات وفطر أنظارها بصنوف النبات وفجر البحر بن عذبا فراتا وملحا أجاجا وأكل على خلقه الانعام بتذليل مطايا الانعام وتسخير المنشأت كالاعلام لتمتطر امن صهوة القفر ومتن البحر ثباجا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذى أوضح لمتعلق منهاجا وطلع نور هدايته وهاجا بعثه الله تعالى رحمة للعالمين واختاره خاتما للمنبيين وأمكن صوارمه من رقاب المشركين حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وأيده بالمعجزات الباهرات وأنطق بتصديقه الجمادات وأحيا بدعوته الرمم البواليات وفجر من بين أنامله لهماء ثجاجا ورضى الله تعالى عن المتشرفين بالانتماء اليه أصحابا وآلا وأزواجا المقيمين قناة الدين فلا تخشى بعدهم اعوجاجا فهم الذين أزروه على جهاد الاعداء وظاهروه على اظهار الملة البيضاء وقاموا بحقوقها الكريمة من

الهجرة

الحجرة والنصرة والايواء واقتحموا دونه نار اليأس حامية وخاضوا بحر الموت عجاجا
وتستوهب الله تعالى لمولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد
في سبيل الله المؤيد بنصر الله أبي عنان فارس ابن مولينا الائمة المهتدين الخلفاء الراشدين
نصرا يوسع الدنيا وأهلها ابتهاجا وسعدا يكون لزمانة الزمان علاجا كما وهبه الله بأسا وجودا
لم يدع طاغيا ولا محتاجا وجعل بسيفه وسيبه لكل ضيقة انفراجا وبعد فقد قضت العقول
وحكم المعقول والمنقول بأن هذه الخلافة العلية المجاهدة المتوكلية الفارسية هي ظل الله
الممدود على الانام وحبله الذي به الاعتصام وفي سلك طاعته ينجب الانتظام فهي التي
أبرأت الدين عند اعتلاله وأخمدت سيف العدوان عند انسلاله وأصلحت الايام بعد
فسادها ونفقت سوق العلم بعد كسادها وأوضحت طرق البر عند انهاجها وسكنت أقطار
الارض عند ارتجاجها وأحيت سنن المكارم بعد مماتها وأماتت رسوم المظالم بعد حياتها
وأخمدت نار الفتنة عند اشتعالها ونقضت أحكام البغي عند استغلالها وشادت مباني
الحق على عمد التقوى واستمسكت من التوكل على الله بالسبب الاقوى فلها العز الذي
عقد تاجه على مفرق الجوزاء والمجد الذي جرأ باله على بحر السماء والسعد الذي رد
على الزمان غض شبابه والعدل الذي مد على أهل الايمان مديد أطنابه والجود الذي قطر
سحابه اللجين والنضار واليأس ابرى قبض غمامه الدم الموار والنصر الذي نفض كنانه
الاجل والتأييد الذي بعض غنائمه الدول والبطش الذي سبق سيفه العذل والاناة
التي لا يمل عندها الامل والحزم الذي يسد على الاعداء وجوه المسارب والعزم الذي
يقل جموعها قبل قراع الكتائب والحلم الذي يجني العقوبة من ثمر الذنوب والرفق الذي
جمع على محبته بنات القلوب والعلم الذي يجلو نور رديا جي المشكلات والعمل المقيد
بالاخلاص والاعمال بالنيات ولما كانت حضرته العلية مطمح الامال ومسرح هم
الرجال ومحط رحال الفضائل ومثابة أمن الخائف ومنية السائل توخى الزمان خدمتها
ببدائع تحفه وروائع طرفه فاتتال عليها انتيال جودها على النصفات وتسابق
اليها الادباء تسابق عزماتها الى العدات وجج العارفون حرمها الشريف وقصد السائحون
استطلاع معناها المنيف ولجأ الخائفون الى الامتناع بعز جنابها واستجارت المأمول بخدمة
أبوابها فهي القطب الذي عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل
الجاهل والعالم وعن مآثرها الفائقة يسند صحاح الآثار كل مسلم وباكمال محاسنها
الرائقة يفصح كل معلم وكان ممن وفد على بابها السامي وتعدى اوشال البلاد الى بحرها
الطامي الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق جواب الارض ومخترق الاقاليم بالطول

298087

والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين وهو الذي طاف الارض معتبرا وطوى الامصار مختبرا وباحث فرق الامم وسبر سير العرب والعجم ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها من مزية الفضل دون شرط ولا تأبيا وطوى المشارق الى مطلع بدره بالغرب وآثرها على الاقطار ايثار التبر على الترب اختيارا بعد طول اختبار البلاد والخلق ورغبة في الحاق بالطائفة التي لا تزال على الحق فعمر من احسانه الجزيل وامتنانه الحفي الحفيل ما أنساه الماضي بالحال وأغناه عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه بستعظمه وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه فنسي ما كان ألفه من جولان البلاد وظفر بالمرمى الخصيب بعد طول الارتياد ونفذت الاشارة الكريمة بأن يملي ما شاهده في رحلته من الامصار وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار وعلمائها الاخيار وأوليائها الابرار فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر من كل غريبة أفاد باجتلائها وعجيبة أطرف بانتحائها وصدر الامر العالي لعبد مقامهم الكريم المنقطع الى بابهم المنشرف بخدمة جنابهم محمد بن محمد بن جزي الكلبي أعانه الله على خدمتهم وأوزعه شكر نعمتهم ان يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملا ولتيل مقاصده مكملا منوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه معتمدا ايضاحه وتقريبه ليقع الاستماع بتلك الطرف و يعظم الانتفاع بدرها عند تجريده عن الصدف فامتثل ما أمر به مبادرا وشرع في منهله ليكون بمعونة الله عن توفية الغرض منه صادرا ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها موضحة للمعاني التي اعتمدها ورب ما أوردت لفظه على وضعه فلم أخل بأصله ولا فرعه وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والاخبار ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار على انه سلك في اسناد صحاحها أقوم المسالك وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الالفاظ بذلك وقيدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح والضبط وشرحت ما أمكنني شرحه من الاسماء العجمية لانها تلتبس بهجتها على الناس ويخطئ في ذلك معناها معهود القياس وأنا أرجو أن يقع ما قصدته من المقام العلي أيده الله بمحل القبول وأبلغ من الاغضاء عن تقصيره المأمول فعوايدهم في السماح جميلة ومكارمهم بالصفح عن الهفوات كفيلة والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتمكين و يعرفهم عوارف التأييد والفتح المبين

قال

قال الشيخ أبو عبد الله كان خروجي من صحنة مسقط رأسي في يوم الجمعة من أشهر
شهر الله المحرم أول عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا بيت الله الحرام وزيارة قبر
الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام سائرا على ركب قيس وركبا أكون في جملته
لباعث من النفس شديد العزائم وشوق إلى لقاء المشاهد الشريفة كامن في الجوانح
فحرمت أمري على شعر الأحداث من الأنام واللذات كور وطويت دوني مفازة العسور
للوكور وكان راسي قيد الله فحملت بعدهما وعدت كما يأتي بيانه وسني يومئذ ثلاث وعشرون
سنة إلا ثلاثة أشهر وكان خروجي أعزبا لم أعقد على عرسة ولا تأهلت بسرية ولا مولدة
صحبة في يوم الاثنين لست بقين من المحرم سنة ثلاث وسبعمائة

(رجع) وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين
أبي الربيع أحد ملوك دولة الأشراف بني مرين وهو يومئذ بمدينة فاس حضرة ملكه وعاصمة
الأشهاد وقطب الأرض الذي عليه مدار أمرها ومرجع الأنام في حل عقدها وإبرامها
سعيد الله مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي هي حد ترك سيفه عرقه وأصاب بأثر
الكفر حد أول صوارمه وقد كان عقد لصاحب تلمسان يومئذ وزمم في الخلاص إليها مراكبه
الإمام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق حد الله عليهم رحمته وسقى صراط الجنة
من صوب الحياة طلله وتهتانه وحاصرها أعظم الحصار فمنعها من الميرة والسلاح وأبقى الله
في عقبهم في يوم بين فوصلت عند ارتحالي وبعد بها بأشهر عبد الرحمن
موسى بن عثمان بن عمر بن يغمراسن بن زيان وراودت سهام سوء القدر نفسه أن يحمي
رحله فلم يرض لنفسه بغير الله وهو الذي لا تكعكعه تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن إبراهيم
الأنصاري والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله القرشي الريسوني (ومنهم
الرئيس الذي مرية ساحل المهدية) وهو أحد من صحبته من أهل مرسية ومن
تلمسان خرج عن الوطن لأن الكوراني قد استأثر على بعض الأحرار بما أوجب عليه الفرار
عن وطن فيه ولد وفيه تأثل وفيه قضى أعز أهله وأحب أحبته وأسر في آثارهما
فوصلت مدينة قسنطينة وأقمت بها في أثناء العشر الأخير من شهر ربيع الثاني
عشر عام فتحلب وقد اشتد المرض بالعاصي منها فمات بعد أيام قلائل
من مقامي بها ثلاثة وهي التي قضى نحبه فيها يوم الرابع عشر منه وأقمت بعده أربعة أيام
إلى الرسل التي من عادتها أن تسير بأوراكهم عند ارتحال ركب تونس منها
الحاج مسعود المستشير وعلي العدوي ومحمد بن الخير فوصلت عند ارتحالهم
بجاية بعد أيام قلائل أن قدم الشيخ أبو عبد الله والي قضي فتوجهنا جميعا على مرحلة إلى

حسن براك ثم وصلنا الى مدينة تحيه قبل الظهر أدركنا عبد الله بدارق صهر أبي عبد الله
الرداوي ومن أبناء العباس الفاسي بدار المعسكر أبي عبد الله المعسكر وكان أمير بحاية
الدولة عبد الله محمد بن سيدنا سليمان الخاجب وكان قد توفي من تجار تونس الذين مع
من طليانة محمد بن الحرايدي تقدم ذكره ولم يخلف الا ثلاثة آلاف دينار من الذهب وأوصى بها
لرجل من أهل حرثر يعرف بابن حمدة فأبوصلها اليه ورثته تونس فانهى خبره لابن سيد
الناس المذكور فأرسل عليه وهذا أول ما ظهر لي من الاخلاق الحميدة في تلك الوجهة الخبيثة
وسرنا الى أن وصلنا الى مدينة قسنطينة فوجدنا حاكمها الصهر حمودة صهر ابن الحرش
عن الاخبار أن الحسين بن رشيد الذي كان من بعد ثلاثة حاكم المدينة وهو من الشرفاء
المعروفين بني أبي الحسن قد راسل ابن وذنوه المصرف من رسله في داره وكان الاحترام
منهم جاريا على مكانه احتراما تاما لا يجلس في أحد صدره من البيت فكان بذلك
أول ما لفت عيني وجهني وزملائي أن وجدنا معتنى به ويدبر بنا احتياطا لقتلنا أو أسرنا
ثم تركنا بها ثلاثة أيام كان في بعضها نام العجار لأجل الخوف في الطريق وتعذر السير وواصلنا
الجد واصلنا حتى وصلنا أسفل جبل تمدوف الصرح خوف السقوط من صعب الصعب
ولا يمكن النزول من الخوف الى أن وصلنا مدينة بونة فنزلنا عند الشيخ أبي عبد الله
الرشدي ولقينا أبن الصباغ الفاسي أبي عبد الله البراوي فأقبل عليهم علي بعض
بالسلام والسؤال ولم يسلم على أحد لعدم معرفتي بهم فوجد من ذلك في النفس ثم مشى
معهم سوايا الى الغرفة وأشار بمكان فسحة حتى يعس الحجاج فأقبل علي بالسلام والايناس
وقال يؤنسني بحديثه حتى دخلنا المدينة ونزلت ثم عند سيدنا الكبير قال ابن حزي
أحد من شيخي فاسي الجامعة أحد الخطباء أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي
هو ابن الحاج السلمي الذي له مثل هذه الحكاية قال صدقت مدينة بونة من بلاد
الاندلس بن ليد عبد الرحيم وابن الحديث المسلسل بالعيد عن أبي عبد الله ابن الحكماء
وحضر الجمعة مع سيدنا فلما رفع بعد الصلاة وخطبة أقبل يسلم على بعض
بالسلام وأنا جالس معه لا يسلم على أحد فتعجبت من شيخ من أهل المدينة المذكورة فلما على
بالسلام

بالسلام والاستاس وصل نظرت اليك فرأيتك مستدعا عن الناس لا يسلم عيب أحد فعرفت انك غريب فأحببت ان يسعد جزاءك الله خيرا (رجع)

(ذكر سلطان تونس)

وكان سلطان تونس عند دخول الافرنج اليها أبا يحيى أبا بكر بن أبي بكر يحيى بن السلطان أبي اسحق ابراهيم ابن السلطان أبي بكر يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص رحمه الله وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الانصاري المعروف بابن السبتي الاصل ثم السوسي هو ان الجماعة ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حسين بن عبد الرفيع المعروف بابن رحيل وولي أيضا قضاء الجماعة بعد قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن أبي عمران موسى بن أبي قداح الهواري وولي أيضا قضاء الجماعة وكان من اعلام العلماء ومن عوائده الجميلة كل يوم جمعة بعد صلاة الظهر في جامع الزيتونة الجامع الاعظم بمجمع الزيتونة ويستفتيه الناس في المسائل فلم أقف في أثناء سؤاله الناس في مجلسه هذا واحدا من جلوس عبدا غير شريف الا مصغيا وقد احتشد الناس لذلك اليوم وعبيدهم وزوارهم في أحسن هيئة وأكمل شارة وولي السلطان أبو يحيى المذكور رحمه الله وجمع أمره وخواصه وخدام مملكته مشاقة على أقدامهم في زيّ غريب وحلية عجيبة وانصرف الناس الى مقار لهم بعد مدة فعبر لركب المحمل الشريف شيخ يعرف بأبي دعوب السوسي من أهل أدمى من بلاد هرمية وأكثر اقامته فيها وهو من أعيان علمائهم ومن جلة تونس في أواخر شهر ذي القعدة فسلك في طريق الساحل فوصل الى مدينة سوسة وهي صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر بها ومن مدينة سوسة أبو العباس أحمد المعروف بالمكي مؤلف كتاب المقصد في الفقه وهو الذي يقول في نظم صفاقس يقول على لسان حب السوسي (كامل)

سقيا لأرض صفاقس * دار الفضائل والعلى
محيى العصير الى الحلى * فعصيرها الحامي المنى
طب يكاد يقول حين * يزوره أهلا وسهلا
وكأنه والخير يحسن * زوره عجلا ويعجلا
صب يريد زيارة * فاذا رأى ارضاءه ولى

وفي عكس ذلك يقول الاديب البارع أبو عبد الله محمد ابن أبي تميم وكان من المجيدين المكثرين (رجز)

فما قلبي لاصفو عيش لذاكرها * ولا سلوي أرضي بسلوان فسكنا
ذاك لما من بلدة من حل ساحتها * عاد به العيد من الروم والعرب
كم سل في العرصات ما صنعه * وبات في التحريك كوا بالسر والعطب
قد عاين الحرص لو عاينا طاقتها * فما لهم ان يدنو لها هاربا

(رجع) ثم وصلنا الى مدينة فاس ونزلنا بخانها عشرا لتوالي نزول الامطار قال ابن جزي في كرنامجه يقول بعضهم (رجز)

فسقى على طيب ليال حلت * بحسب المصنعة من فاس
كأن قلبي عند ذكراها * حمد و بر يبتدي قاس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة فاس قاصدين مراكش ونحن في بعض المراحل الى نحو عائلة فارس أو يزيدون وكان بالركب قوم رماة فهابتهم العرب وتحامت مكانهم وعصمهم الله منهم وأصف عيد الاضحى في بعض تلك المراحل وفي رابعه وصلنا الى مدينة طرابلس فأقمنا بها مدة وكنت عصمت عصاس على نية أن أقيم بفاس وعزمت على طرابلس ثم خرجت من طرابلس أواخر المحرم من عام ستة وعشرين ومئة وألف في سبعة عشر رجلا من المسلمين ونحو ثلاثين نفسا من اليهود وأقام الركب في طرابلس حولا من الدهر وتجاوز بالمسلمين ومصر انه وتصور بصورة وهيئة أدب ظرائف العرب الى قصر رصيص العماد اي عليه سلام وأركبه ذلك الركب الذي تجاوز به طرابلس ووقع بيني وبين صاحب المحمل وحشة فراق بعدها وتزوجت بنت البعض طلبة فاس وبنيت بها قصر رعاعة وأقمت وليمة حسنة لها الركب يوما وأطعمتهم ثم وصلنا في أول جمادى الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله وهي الاغر المحروس والقطر المأنوس الجميل الحسن الاصيل الذي بهاماتها من محاسن ومحامد وما آثرته دنيا ودين كرمت معالمها وشرفت معاهدها وجمعت بين الله تعالى ومعه الحكام فيها فهي الزاهدة على سواها والغرة تحجل في حلاها اذا استقبلك طالع المغرب أو معه لمشرق الخلائق الموصوفين المشرق والمغرب فكل بدعة بالحسنى تأهلوها وكل طريقة في الهدى انتهجوها وكل وصف من المكارم عاطلوا وصفوا في محاسنها فأعربوا وحسب المشرق الى ذلك مفخرا أو عندي كتاب ماء ب

(ذكر أبياتا وصفها)

ولما سقنا الاسكندرية أربعة أيام نزلنا الدور وابتدأ يتسرع طرق العرب وبدأ

وبات

أحد بن أبي حفص المعروف بالحصائي وأمر أمير الناصر بالرحيل بدار السلطنة من الاسكندرية وأجرى له في كل يوم وكان معه ألف عبد أو خدم مصري واسكندري وحبشي وأبركي يعرب وغيرهم ألف عبد سوى من يخدمه من ولد الاسكندري وولده الاسكندري وهي المصري ما دام اليوم وإن جرى من العرب ما اتفق من عدم الوفاء أعني ولدي الحصائي الاسكندري والمصري فمات الاسكندري وعاش المصري دهرا طويلا وهي من الاسكندرية (رجع) وتحول عبدا واحد لبلاد الاندلس والمغرب وفريقية وقوي فساد بحيرة حرية

(ذكر من عمر الاسكندرية)

وهم قاصيها فالذي اسكندي اسم من أقدم من عمر البلدان وكان يعتم عمامة تحرقت المعتاد للعرب ثم أدرى مشارق الارض ومغاربها فأقامة أعظم منها وأعمرها عدادا صدر محرب وتدكيرها عمر بعد نمرود الجبار وهم من حمير الذين كانوا باليمن وهو أصح من القصاص

بالاسكندرية فاضل من أهل العلم

(حكاية) وكان حدادا ماهرا في الحرف الذي كان من أشرف الصنعة وانتهى بالعلم ثم ترك ذلك وسكن الاسكندرية وتعبد فيها وقال ان الله عز وجل أمرني أن لا أعبده حتى أعلم ما هي حق العلم ولا أحسن فعلم فقيل له ان حق العلم أن تعلم جميع العلوم وهيهات أن يبلغ أحد جميع العلوم فقال لا بد من ذلك فاشتغل بالعلوم كلها حتى بلغ في كل علم منها مبلغا عظيما وصنف في كل علم منها كتابا وكان يقول ما من علم من العلوم الا وقد نظرت فيه ونظرت في كتبه وصنفت فيه كتابا ما خلا علم الطب فانه لم يكن يعرفه وكان يقول ما من علم من العلوم الا وقد نظرت فيه ونظرت في كتبه وصنفت فيه كتابا ما خلا علم الطب فانه لم يكن يعرفه وكان يقول ما من علم من العلوم الا وقد نظرت فيه ونظرت في كتبه وصنفت فيه كتابا ما خلا علم الطب فانه لم يكن يعرفه

)

(كرامة له) أخبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ حسنية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا خليفة روحي ان المدرسة سريعة وأبي المسجد الكريم فرحن من باب السلام وحيا المسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدا الى بعض سواري المسجد ووضع رأسه على ركبته ونام فجيء عمامته الشريفة فلما رفع رأسه وجد رأسه معممة فبهت ان وعمامته عرف كل شيء وأصحابه وانصرف الى الاسكندرية وبلغ ذلك السلطان وعلماء الاسلام فراجعوا الشيخ ورجع الخبر شهرة بين الناس من كبير الى صغير والفقراء الصعاليك أيام مقامي بالاسكندرية وأنا في صباه ثلاثا

(كرامة له) سمعته يقول لي أريد تحب السياحة والخروج من البلاد فسألته لم أحب ذلك يا سيدي وما خاطرك الشريف في ذلك فقال لي أحب ذلك لأن ذلك من سيرة الأنبياء والمرسلين وأخر كل الى زكريا عليه السلام وأن الله تعالى بعث الأنبياء بالسيف الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه بعث من قوله وألقى في روعي التوجه الى هذه البلاد وأمرني أن أدعو الى الله تعالى بها فقلت لهم سلامه وأطاعته وأجابوني وراسلهم من عندي محمود قوم أخبرني عدة من الناس الذين كانوا يعهدون هذا الشيخ وهم شيوخ يذكرون انه كان من أفراد الرجال وكبرائهم وأن العباس المرسي وأبا العباس المرسي يشيدون الله تعالى أبي الحسن الشاذلي بالكرامات العالية والعلامات العالية

(كرامة له في حسن الشاذلي) أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسي ان أبا الحسن كان يجيء في كل سنة ويحضر نذره على صعيد مصر ويحضر مكة شهر رجب وشعبان ويعتمر ويحج ويزور السيد الشريف ويعود على المدينة الكبرى المدة فكان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها الى الحجاز سحب فاسوقة وخصوصا ويجيء به الى مدينة قفص الحديد يوم الاثنين فقال لي جيء اسوق تري وجيء اسوق تري وجيء اسوق صعيد مصر في الحجاز عيدان وهو عين ماء عذب وفي كثيب الصنع فلما وصل الشيخ أبو الحسن الى وصوله ركعتين وتبعهما ركعتين في آخر سجدة من صلاته وفي تلك الركعتين توفي قدس الله سره في سجوده فكانوا فيما يتحدثون عنه صلاة أبي الحسن على وجهي الله عنه

(كرامة له في الحج المنسوب اليه) كان يسافر في كل سنة كما ذكرناه على صعيد مصر وبحر جدة وكان يركب السفينة يقرؤه في كل يوم وتلاوته الى الآن يقرؤنه في كل يوم وهو هذا

([illegible]
[illegible] في الحركات والسكنات
[illegible]

[illegible]

أمر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)

(حكاية)

الواعظ وسألني عن بلادي وعن عجائبها فأخبرته أن بحيرة لوب نور التي عشر ألف ميل مربع
وبحيرة بلخاش ثلاثة وسبعون ألف ميل مربع وأن بحيرة لوب نور تجتمع فيها مياه
بحيرات كثيرة لأن جميع الأنهار التي تأتي من الغرب وصلت منها
وهي مسافة كذا وكذا يوما كثيرة ومحاذيرا أكثر أهلها نصارى
وقسيسهم الذي على رأسهم (وهو الذي هم معتقدون به كالبابا
عندهم) كان في زمن الخليفة المعتضد من خلفاء بني العباس
وتوفي في زمن الخليفة المكتفي بالله علي ابن المعتضد وأخبرني
الواعظ أن ملكا عربيا يقال له عمرو بن عدي ملك مدينة صور
على ساحل البحر الشامي ثلاثمائة سنة وكان له ألف وثمانمائة
فيل وكان له جيش كثير وكان يغزو بلاد الروم ويأسر منهم
ويجعلهم عبيدا له وكان يأخذ الجزية من الروم وكان
عبد الله بن طاهر بن الحسين الذي ولاه المأمون
(أمير المؤمنين) العراق وخراسان وغيرها
حين أراد الرحيل عن بغداد إلى خراسان
وكان عالما عاقلا حكيما
الواعظ
الزاوية
(كرامة
يطير
ناحية
من

وفي لاد العاجين وبها [illegible] من روق صاحب الكاشفات [illegible] [illegible]
[illegible] واتفار [illegible]
[illegible]
المعروفة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (—)

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (— —)

[illegible] * وآخرون لهم ورد يقومون
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الامام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الخروج
[illegible]
[illegible] مقتضى الشمس

ومنها

قهوة [illegible]

[illegible]

وفيها

وديوانه بمصر له نسخ بخاصة (رح)

شاعرٌ مفرطه * فاضلٌ ماهرٌ
لاسمه مفردت * بالإمارة انفرد
ولقد جاء وقته * سيوفٌ من ذهب
مصر وقد صفا لها * داود فيها تزهد
سار بالعدل فيها * وبه حكم وانتقد
والعدا لاذ بالذ * ل حذار الحتف

(رجع) وقد كان عدد من استخدمهم الخليفة العزيز ألف سقاء وثمانية آلاف
وكان يأمر كل سقاء منهم أن يسقي كل يوم عشرة أرطال من الماء فيكون
ذلك مائة ألف رطل من الماء كل يوم وكان يأمر بتفريق ذلك الماء
على المساجد والجوامع والمدارس والربط والحمامات والأسبلة
وغير ذلك من المواضع التي يحتاج الناس إلى الماء فيها وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان
يأمر بتفريق ذلك الماء في أوقات الصلوات الخمس وكان

ابن

[illegible] محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها
[illegible] رضى الله عنه مساعدة الجد فى نفسه واتباعه
[illegible] (الكامل)

[illegible] معلق

(ذكر نهر مصر)

[illegible] والترى
[illegible] على النيل [illegible] فى
[illegible] وهو
[illegible]
[illegible] عليه
[illegible]
[illegible] شمال
[illegible] لجميع الانهار [illegible]
وابتداء [illegible] واول ابتداء
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الخمسة الكبر وهى النيل
[illegible]
[illegible] وهو
من الجنة ونهر جيحون بالهند [illegible]
بأرض الخطا وعلى ضفته [illegible] مدينة [illegible]
[illegible] مصر
[illegible] كل [illegible]
[illegible]

(ذكر الاهرام [illegible])

وهى من العجائب [illegible] كلام كثير [illegible] فى شأنها
[illegible] جميع العلوم التى [illegible] الاول

الناكر ذكر عيد مصر الذاعي وتسمى حتوح وهو اسريس عليه السلام وانه أول من تكلم في الحركات الفلكية واخواهما العزيزة وأول من بنا الهياكل ومجد الله تعالى فيها وانه أنذر الناس بالطوفان وصف هذا الاله وصور له الصانع في الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها وبنى مدينة أخميم وسماها باسم ابنه مصر مدينة مسوف وبنى على يد من الفسطاط المدينة المسماة بالاسكندرية التي انشأها وضرب دار العلم والمدارس وان الاسلام فاتحة عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي فاعلم ذلك الى هذا العهد وهو عام ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة المحمدية منتهى السنوم مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالبناء المخروط ولا أبواب لها ولا نوافذ كبيرة ولا صغيرة ولا درج في شأنها وانما كان مدخل مصر قديما من أعلاها وهو رأسها وهو الآن عند [illegible] الأهرام ما [illegible] من أين يكون [illegible] من المحصين من [illegible] وعلم الأوفاق في [illegible] واستولى على [illegible] وكتب عليها [illegible] من [illegible] ثم [illegible] ثلاثة وثلاثين [illegible] الأمور التي [illegible] عليه بعض من [illegible] أن [illegible] الثقلين في [illegible] السنة التي [illegible] الى اليوم وهو [illegible] من [illegible] في [illegible] فوجدها سواء فسبحان من [illegible] عشر ذراعا

(ذكر سلطان مصر)

وكان سلطان مصر على عهد مولى اليه انتهت امرة [illegible] محمد بن [illegible] سيف الدين قلاوون الصالحي وكان قلاوون هذا في أول أمره من الصالحية [illegible] دهشا وأسره من [illegible] ثم [illegible] شرفا الله [illegible] من [illegible] الى [illegible] في [illegible] شامة وأمراء [illegible] وكان [illegible] الفرض من الجهاد [illegible] أو عسى أن [illegible] في [illegible] بحارح حضرته العلية المدينة [illegible] الله [illegible] المعمور في [illegible] وحسن

البناء

البناء والنقش في الجص بحيث لا يقدر أهل [illegible] على مثل [illegible]
المدارس [illegible] ملكه

(ذكر [illegible])

[illegible]

[illegible] في المسجد وعاد

[illegible]

([illegible])

[illegible]

وعرفهم وهو الذي لا يعلم ما في ضمائرهم واسع فضل شرائهم متولي ذلك
ومهمهم وهي التي [illegible] الخير والشر وهم وهي [illegible]
الخيرية الامر بما [illegible] الشر [illegible] في [illegible]
وكانت الامراء [illegible] الأخص من [illegible]
الامر بمعنى الخبري وهم وهي [illegible] الشر [illegible]
بعرابين

(ـــــ)

كان الملك الناصر رحمه الله [illegible] كل يوم [illegible]
وخمس ويعد الصلاة [illegible] أن يصلي
الصبح [illegible] مولانا [illegible] الله [illegible]
الله ولاه في الحين وشرفه على [illegible] الكبرى [illegible]
من يد الخليفة أبي [illegible] وأمره أن [illegible]
أن يكون أحد [illegible] وهي التي [illegible]
وهي التي [illegible] الخبرية [illegible] شهاب الدين بن عبد الرزاق المالكي
[illegible] الامراء [illegible] وكان [illegible] وان العادة جرت
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

(ـــــ)

[illegible] شمس الدين [illegible] مولانا منهم شرف الدين الرواوي المالكي
وهم [illegible] [illegible] [illegible]
الفرع [illegible] [illegible] الشافعية وهم
[illegible] [illegible] [illegible] وهو
وهو أعلمهم [illegible] [illegible] وهم شهاب الدين
الصفدي وهم [illegible] [illegible] [illegible]
جماعة من [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

وأما

والاراغات منه رداعن أخيه ومنهم السيد الشريف شمس الدين ابن سيد الصاحب تاج
الدين بن حنا ومنهم شيخ شيوخ العرب ناصر محمد بن ثعلبان سيد قبائل عرب الصوالحة
بلاد الروم وسكنه سرياقوس ومنهم الشيخ حسن الدين الحوراني والحوراني مسيرة ثلاثة
أيام من البصرة ومنهم نقيب الاشراف بمصر السيد الشريف المعتصم بالله الحسيني
من كبار الصالحين ومنهم وكيل بيت المال المرحوم بقية السلف السيد محمد بن حرمي
ومنهم الجمسي عصر نجم الدين السروجي من كبار الصالحين وله عصر رياسة عظيمة ووجاهة

(ذكر يوم المحمل عصر)

وهو يوم وراث الحمل ومشوره وكيفية ترتيبه وما يركب قدامه من الاربعة وكيل
بيت المال والمحتسب وغير ذلك من سائر ما يركب معهم أعلام الطبلخانات وأعلام الرؤساء
وأرباب الدولة ويصحبون جميعهم الى باب الاسطبل السلطاني حيث يخرج اليهم المحمل على جمل
واسمه الامير الامير الكبير حاجي من السنة بمعه عسكر والسعاؤون على جمالهم ويجتمع
لذلك أصناف الناس من رجال ونساء فيقيمون بالمحمل وجميع من كان بمعه عدة في البصرة
ومصر والجدايين يحضرون امامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تتوجه العربات وتبعث
الاشواق وتتحرك الاشواق ويرق المحب لما تعانيه من تعريج الى نعت من شيء من عدده
وأعدوه في أيام قلائل ولاستعداد ثم كان سيرهم من مصر على طريق الصعيد برسم
الحجاز الشريف فيتخلى بدجوة من بلاد الصاحب تاج الدين بن حنا بدير
الجمس وهو رباط عظيم بناه على مدة جرعة منه وآثار كريمة أودعها فيه وهي قطعة من
قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وماء الذي كان الجمس يتوضأ منه وهو الاشقاوي
كان يحضر به لعين ومن خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي تخصه به رضي الله عنه
ويقال ان الصاحب اشترى بذكر اهل المدينة النبوية بثلاثين درهما وهي
الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والحراية لحفظ الآثار الشريفة معه الله
تعالى بقصده المبارك ثم خرجت من الرباط المذكور وصرت به عامرة هي بلدة صغيرة على
ساحل النيل ثم سرت منها الى مدينة قوص (وهي بالدال المهملة الموحدة وآخرها سين مهملة)
وهذه المدينة أكثر لا مصر تجارة وهم يجلبون الى سائر اقليم مصر بتوابل افريقية ثم سافرت
منها ووصلت الى مدينة ادفو (وهذه المدينة تعرف بادفو الجديد وآخرها مهملة) وهذه
المدينة كبيرة ولها بساتين أيضا كثيرة ويجلب بضائعها الى ديار مصر وافريقية ثم
سافرت من هذه المدينة ووصلت الى مدينة اسوان (وهي مدينة كبيرة) ثم سافرت منها الى
مدينة عيذاب وهي مدينة كبيرة وكثيرة التجار (وهذه المدينة هي الموجد لسكان

الفاء وفتح الموحدة وياء) وتصغير بعد مدينة بالصعيد الأعلى من أعمال مصر وهي لقيطة بن عامر بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان يقال لها في الجاهلية قرية الحجر وبها عين ماء عذبة وأصل هذه التسمية أن حصيب وهي مدينة كبيرة لها ساحة متسعة المساحة مبنية على شط النيل وحق حقيق لها على بلاد الصعيد الاعلى بما تحتوي عليه من المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكان في القديم مسمى بخصيب عامل مصر

(حكاية خصيب)

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رد إلى أهل مصر قاطبة أن يولي عليهم أحد عبيده وأصغرهم شأنا فاختاروا لهم خصيبا وكان خصيب أحقرهم إذ كان يتولى تسخير الجند وحشد عامة وأمر دعي مصر وتسخيرهم سيرة سوء وقصدهم بالاذاية حسما هو المعهود ممن ولي عن غيره على الناس فخصيب تصدر في أهلها أحسن صدر وشهر بالكرم والجود فكان يقرب أحدا ويسرا ويتصدق عليه فيجزل العطاء لهم ويعود إلى بعد أشاكرين له وأثنوا عليه أحسن الثناء وعمت عليه مدة ثم ناله فشا عن معيشته فأخبره أحد خصيب بذلك فأعطاه خصيب وكان عطاء جزلا فعجب الخليفة أمر بعض عين خصيب وجراحه من مصر فاختاروا من بين أشرافها فيما يورد الأمر بالقبض عليه وبين يديه وبين يدي خصيب وكان عنده شاعر فأنشده وقد أعجبه وحسن موقعه من نفسه أبياتا وتمثل بأبيات من أشعار عدة من الشعراء فقال له يا خصيب إني سمعت قصيدتك من بعد ذاك من مادحيك فوجدت أنضر أقلها منها وأحسن سمعها فمن كيف سمعت وأين ما رأيت فيما قصدت به عبدك فأما العطاء فقد أعطيت الذي وأجزل جزاء الله خيرا قال فأنشده (كامن) أبدا خصيب وهذه مصر * قد ضاقت الا كحجر

فما أتى على آخرها قال له اقترح حاجة فمثل بين يديه وقد أقسم عليه أن يأخذها فأخذها وذهب بها إلى بيته وأخبر خصيبا بما كان فلم يطمع الخليفة فرفعوا أمرها إلى الخليفة فأمر الخليفة بحضور خصيب وأمر بتوليته على بعض الباقونة فأخبره بحضوره فأسف على ما فعله خصيب وأمر بتوليته بين يديه وأخبره بعجبه وحكمته فيما يريد فرعى أن يعينه عند الخليفة فمن ذلك وسكنها خصيب إلى أن توفي وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا وكان في هذه المدينة أيام دخول الفرنسويين لمالكي وإليها ينسب أمر جزيرة خصيب وهي قرية من قرى الجيزة على النيل بينها وبين بولاق ثلاثة فراسخ وهي على ضفة النيل الغربية وأمر بها خصيبا الكبرى للحمامات

وكثيت

وكثرت عليهم العقوبة حتى دخل أحد الحجاب دون مرور عليهم واحتجوا على ذلك واشتد عليهم أعدم الانقياد ثم انصرفت عنهم قاصداً من منية ابن خصيب إلى مدينة منلوى وهي صغيرة مبنية على بعد من النيل (وضبط اسمها بفتح الميم وإسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضيها الفقيه شرف الدين الدميري (بفتح الدال المهمل وكسر الميم) الشافعي وكبار أهلها قوم يعرفون ببني فضيل بنى أحدهم جامعاً أنفق فيه جميع ماله وبهذه المدينة إحدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم أنهم لا يمنعون فقيراً من دخول معصرة منها فيأتي الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها في القدر التي يطبخ فيها السكر ثم يخرجها وقد امتلأت سكراً فينصرف بها وسافرت من منلوى المذكورة إلى مدينة منفلوط وهي مدينة حسن رواؤها مونق مرآها على ضفة النيل شهيرة البركة (وضبط اسمها بفتح الميم وإسكان النون وفتح الفاء وضم اللام والواو وآخرها طاء مهمل)

(حكاية)

أخبرني أهل هذه المدينة أن الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم محكم الصنعة بديع الإنشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفاً وتعظيماً فلما تم عمله أمر أن يصعد به في النيل ليعدى إلى بحر جدة ثم إلى مكة شرفها الله فلما وصل المركب الذي حمل فيه إلى منفلوط وحاذى مسجدها الجامع وقف وامتنع عن الجري مع مساعدة الريح فعجب الناس من ذلك وأشد العجب وأقاموا أياماً لا ينفذ بهم المركب فكتبوا بخبره إلى الملك الناصر رحمه الله فأمر أن يجعل بجامع المدينة المذكورة ففعل ذلك وقد شاهدته بها وأهل هذه المدينة يصنعون العسل يستخرجونه من القمح يسمونه النيدة يبيعونه بأسواقهم وسافرت من هذه المدينة إلى مدينة أسيوط وهي مدينة رفيعة أسواقها بديعة (وضبط اسمها بفتح الهمزة وإسكان السين المهملة وياء آخر الحروف وواو وطاء مهمل) وقاضيها شرف الدين بن عبد الرحيم الملقب بحاصل ما ثم لقب شهر به وأصله أن القضاة بمصر والشام بأيديهم الأوقاف والصدقات لأبناء السبيل فإذا أتى فقير لمدينة من المدن قصد القاضي بها فيعطيه ما يليق به فكان هذا القاضي إذا أتاه الفقير يقول له حاصل ما ثم أي لم يبق من المال شيء فلقب بذلك ولزمه وممن بها من المشايخ الشيخ الصالح شهاب الدين ابن الصباغ أضافني بزاويته وسافرت منها إلى مدينة إخميم وهي مدينة عظيمة أصيلة البنيان عجيبة الشأن بها البربى المعروف باسمها وهو مبني بالحجارة وفي داخله نقوش وكتابة للأوائل لا تفهم في هذا العهد وصور الأفلاك والكواكب ويزعمون أنه بني والنسر في برج العقرب وفيه صور الحيوانات وسواها وعند الناس في هذه الصور أكاذيب لا يعرج عليها وكان بإخميم رجل يعرف بالخطيب أمر بهدم

بعض هذه البلاد التي ذكرتها مدينة وهو رجل موسر معروف بالبر ورغم جوده
انه استغاث بعد من المال من ملازمه له في السفر وورات من هذه المدينة الى بدأ شهر
العشرين عند العاشر وبه بريدة حدد عبد الظهر وله من الاخوة ناصر الدين ومحمد الدين
وواحد الدين ومن عشيرته كثير تجمعوا حوله بعد صلاة الجمعة ومعهم طبيب ووالد الدين
المذكور وابلاده وهي حتى المدينة الا ثلاثة محالس وسائر وجوه أهلها يجتمعون للدرس
ويذكرون الله تعالى بعد العصر فاستوطنا قرية وورد لكيف ثم البصرة وسافرت من
أجم الى مدينة هو مدينة كبيرة حسنة (وعدد سكانها الجم) اثنا عشر ألفا تقريبا في
الدين الى الجراح وزيتهم عزيز وباقي كثير ويوجد بها جمع جم من التجار ثم يقرأون
أورادا الشيخ أبي الحسن الشاذلي وحزبه البحر ويهدونها الى سيدنا الشريف أبي محمد عبد
الله الحسني من كبار الصالحين

(كرامة له) دخلت على هذا الشريف مرة كثيرة وهو السلام عليه فسألني عن قصدي
فاخبرته اني أريد بيت الحرام عن طريق حمد فقال لي لا تحضر الى هنا في هذا الوقت
وارجع وانت تحتاج عن قريب الى ما سوقت عنه ولم أعمل على كلامه وقصدت
في طريق حتى وصلت الى عيذاب وقد كنت لما سوقت راجعا الى مصر ثم الى الشام
وكل طريق في أربعين عن طريق أسوان حتى أخبرني بعض أصحابي أن الشريف المذكور
الصالح الولي صاحب البراهين الجلية والكرامات الشهيرة عند الجميع توفي رحمة
الله عليه ورأيت مدرسته التي بناها حديثا بالقرب من أحد وسافرت من هذا بعد الى
مدينة دنقلا (وهي اسم العلم) مدينة عظيمة لها حيران عليه بساتين كثيرة وسواقي
كثيرة وهي لصاحبها الكثير والدينار من الذهب وهي مدينة ولا أعلم بعدها مدينة تحتوي
على مثلها الى نهاية من عند مصر وهي الآخرة منها حتى السودان في شهر
ونصف من كل سنة ومن عظمها انه بني بها أحد الاغنياء مدرسة فاتقن بناءها وجلب لها
ان دقيق العدس أحد الحبوب التي لها ان حصل لم يسوس في سنين كثيرة أو من عدم
الحبوب بالمعهد الحرام بها مدرس اسمه عبد الله وحبيب مدينة حوار وهو حسام الدين المشاطي وسيقع
ذكرهما وهم الفقيه بها الدين من عند الفقير والمدرس بمدرسة الملك الكبير وهم الفقيه
الدين ابراهيم الاسلمي الزاوي بها ثم سافرت الى مدينة الاقصر (وضبط اسمها بفتح
الهمزة وضم الصاد المهملة) وهي صغيرة حسنة وبها الصالح العابد أبو الفتاح الاقصري
وسلام عليه وسافرت منها الى مدينة ارمنت (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وضم

مفتوحة وبين ساكنة وتاء معجمة) وهي صغيرة ذات بساتين مبنية على ساحل النيل أصفى
مياها وأحسن بقعة اسمها ثم سرنا منها الى مدينة أسوان (وضبط اسمها بالهمزة واسكان السين
المهملة وواو وتاء) مدينة عتيقة متسعة الشوارع عجيبة المنظر كثيرة الماء والمدارس
والجوامع لها أسواق حسان وبساتين ذات أشجار فاكهة وفي الجملة شهد الدين
ابن أكرم أصفى وأكرمي وكنت أراه أكرم من رأيت من العلماء مع الصلاح والدين
على وشيخ لنا مع عبد الواحد المكناسي وهو على هذا الطريق صاحب راوية توص ثم
سرت منها الى مدينة أرمو (وضبط اسمها بالهمزة واسكان الراء وضم الميم وواو)
وهي بين مدينة اسوان وقوص وبينها في البر ثلاثة أيام وفي النيل من مدينة اسوان الى مدينة
ارمو ومنها الى قوص يومان وهي مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة وأشجار فواكه
العنبر والموز وغير ذلك وبها جمال وبقر وغنم غالبة من العرب تعرف بعدي (بضم العين المهملة) في
غير اوقات عمارة بها الا انها آهلة انس وفي بعض مسارحها لها حاجز حيث قبر ولي الله
الحسن الشاذلي وقد ذكر كرامته في اخباره انه يموت بها وأرضها كثيرة الضباع ولهول ليلة
يبيتها بخارب الضباع ولقد قصدت رجلا صنع منها هرقت عدة لا كان به واحترت منه
حتى قرب وعيث به فوجدت في امعائه ما كولا معها كان فيه ثم سرت منها خمسة
عشر ميلا ووصلت الى مدينة قفط وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت والنار ويحمل اليها الزرع
والتمر من صعيد مصر وقفط هذه هي مدينة الاوان يطحنون بها الحب طحنا عسرا ويشدون على
رؤوسهم عصائب كون عرض عصابة منها أربعة اصابع وهم لا يورثون البنات بل طعامهم البنان
وهن يكسبن لهم بالتجارة ويسمونها الصعب وتحت المدينة بطن وادي قفط الذي ذكرناه قبل هذا وهو
معروف بالحجاج (بفتح الحاء المهملة واسكان الجيم وفتح الألف وجيم وألف) ومدينة
عيذاب مسجد بسيط الاسطلاق شهير الركة أنشأته وتركت به وبها الشيخ الصالح موسى
والشيخ المسن محمد المراكشي زعم انه ابن المرتضى منذ مراكش وان سنه خمس وتسعون
سنة ولما وصلنا الى عيذاب وجدنا الخذري في سفر فاتنا بحارب الاتراك وتحرق بالمراكب
وهرب الاتراك امامه فتوقر سفرنا في البحر فعبرنا عيذاب مع الزوار وعدنا مع معرب الدين
كريناه الجمال منها الى صعيد مصر فوصلنا الى مدينة قوص التي تقدم ذكرها واتخذ بها
في الدين وكان اوان مده فوصلنا عسيرة ثمان من قوص في مصر فسبت بمصر ليلة واحدة
ثم قصدت الاسكندرية ودخلتها في منتصف شعبان سنة ست وعشرين ووصلت الى مدينة بلبيس
(وضبط اسمها بفتح الموحدة الاولى وفتح الثانية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة) وهي
مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة ولم ألق بها من يحسن ذكره ثم وصلت الى الصالحية ومنها
رحلنا لرمان ونزلنا بمرج عيسى ابن مطرف ثم وردنا المطيعة والعريش والخروبة ونكل

منزل ذهب وسبق وهو سمرية الحمار يزاد المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية

تلك الدواوين الا من عالم يأتيها بخير وتجلس في كل يوم أمام الخطيب ولا يحضر
علم حضرة من الامراء في مصر ولا الى مصر الامراء قد اتخذ اختيارهم على أمور
الدين وعلماء من جوامع العرابين وريقها في صحن العرب قد وكلوا لحفظ
الذين مجاورا عن أمور من لا يخاف الامير صباحا فينظر الى الرمل
صاحب العرب حضار هو يزيد يحسن في غلته ولا يؤخذ من الامير ويعاقبه بما شاء
وكان في عهد يوسف ابن العرب قد اتخذ من كبار الامراء أصحابي وأكرمني
واتاح لجواد من كل معي وبين يديه عدد من العرب الزراف وهو يعرف المعاربة
والاشهر بينهم من ورعهم من أي الاوقاف ولا يدخل عليهم فان المعاربة لا يعترضون في
جوارهم عن أحد من الناس وهذا الصنف من العرب وهم الذين يلازمون الشام ومصر
الى قفار الرملة وهي حسنة الاخلاق وليست حسنة الصور على الجمال
جامع حسن المعمار في وسطه لان يدخل فيه الصلاة ويخرج وهو واسع
ابن محمد السعيد بن عبد الله بن ابي الحسن الشاذلي الحسني
وصلى العرابين ثم
سار من عند الشاذلين صلى الله عليه وسلم ثم
الحاكم امر الله العبيدي الفاطمي وهو مدينة صغيرة
ابن السعيد محكم العمارة وفي وسطه مسجد الجمعة
أحد اركان
الدواوين التي يعقوب ان يوسف عليه السلام امر ان يعمل له
الصحابة رضي الله عنهم ويعتوب صلوات الله
عليه وعلى ابيه وجده اسحاق وابراهيم عليهم السلام
وهو على شط بحر النيل
وهو الذي يسمى بحر مصر كما قال اهل العلم دليلا على صحة كون
البحر الذي بالقاهرة هو النيل
عن جده رضي الله عنه يصوت
عن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم لما أسري به إلى بيت المقدس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
السلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المسجد أيضا بئر يوسف عليه
السلام [illegible] منه غور الشام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] رسول الله
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] (بيت)

سكنت من [illegible] الأحداث [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible] كثيرة والمغارات [illegible]

المقدس شرفه الله تعالى المسجد الشرقي في رملة فلسطين وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر به في الإسراء المسجد الكبير مسقفة بالحجر المحرت وكان ذلك الصالح العادل صلاح الدين يوسف بن أيوب حرر الله به عن الإسلام خيراً فقد هدد المدينة هدم بعض سورها ثم استولى عليها الملك الناصر محمد صاحب قلعة الروم ثم عمرها وأحكم هذه المدينة بعد ما تهدم وجلب لها الماء في عهد الأمير سيف الدين بكتمر أمير دمشق

(ذكر المسجد المقدس)

وهو من المساجد العجيبة الرائقة البديعة الحسن بيت الله المقدس عز وجل وسماه الأرض مسجداً كما سماه رسول الله من شرق الى غرب سبعمائة وثمانين وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً وله أبواب كثيرة في حيز الثلاث وأمام الجوف قبلية مسقفة بأعمدة الا واحداً وهو الذي يحس سقف الامام والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الذي هو مسقف في الهيئة من احكام البنيان والصنعة موجودة هناك والاتساع الزائد وفي الجملة مسجد رائع مسقف

(ذكر قبة الصخرة)

وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً قد دوّر حيطانها من الخارج وأحدق من كل بديعة بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها أربعة أبواب والدائر بها مرمر وفرش الرخام تحتها الصنعة وسقفها الخارج وما يحيط بها من الرواق الذي في الصنعة مما يبهر الواصف وتكثر فيه المعاني للذهب الذي تتلألأ نوراً ويبهر بصائر الخلق بحار بصره أعلاها في محاسن وقصر اللسان والبيان عن تحليتها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي يذكر في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها الى السماء وهي صخرة عظيمة ارتفاعها نحو قامة ونهايتها وهي مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضاً يرتقي اليها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة شباك من ثمان محكماً عمل يعلق عليها حديدها وهو الذي لي الصخرة من حديد سبع الصنعة الذي هو حسب وفي الله قدرته كثير من حديد معلقة هناك والناس يزعمون انها سلسلة حرز بن عبد الله رضي الله عنه

(ذكر بعض المشاهد المباركة المقدسة الشريفة)

فمنها بعد وادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على نحو من ميل هناك بيت يقال انها مصعد عيسى عليه السلام الى السماء وهي صخرة راعة اليد وبه مسجد وفي ساحته وهي حجر رخام اعلاه وبالله التوفيق وفي بطن الوادي المذكور كنيسة معظمة عند النصارى يزورون ان مريم علقت بالمسيح عليهما السلام وهناك أيضاً كنيسة أخرى معظمة عند النصارى وهي التي

كذا ن

يكذبون على الله عز وجل في قتل عيسى عليه السلام فجازاهم على كل من يحبها ضربة مع رحمة للحسين وضرب من ذهب تحتها على رغم أنفه وهنالك موضع مهد عيسى عليه السلام

(ذكر بعض فضلاء دمشق)

ومنهم ما صنفه العالم الفاضل الدين محمد بن سالم المعروف (بابن العديم) وهو من أهل عزة وكبر بيوتهم حظوة لدى الملوك ما ضل عن محمد بن سالمي وسيم المحسنين بيت بالدين مشهور ومعلوم ومن مصنفاته وهي أحاسن ما كتبه وعندما شدد من مدة بعد طي ربيل مدين ومنهم الشيخ الزاهد وعلي حسن معروف بالمحبوب من كبار الصالحين ومنهم الشيخ الصالح الكامل ذو الدين الزاهي ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل زرزار وهو من عدة مشايخ الدين الزاهي حسنة وعدة مدينة المعروف بالمحبوب من القدماء سير مدارسهم بمدينة عسقلان وهو من قدماء الرجال من مدة واحدة الإدارسة وقد اجتمع من تحاسن مجتمعة عسقلان الشدة وحسن وسع وأصحابه مكان وجماعة من فوق بحر وبحر وهب المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليه السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة وهو مشهد عظيم مشاهي المعروف حتى للماء أمر بسائله بعمارة المشهد وكتب على باب وقف هذا المشهد المبارك محمد كبير يعرف بمحمد عمارة الذي عمله لأجله وهو أيضا يزيد من الأمثلة حسانا في أحد وهي ما تم من مصيدة ومن حسانا المعلوم والكتابة وعدات بن ان المصري اختفى هذا المشهد فوجد في مواد من الذهب والفضة في هذا المشهد فترفع بشراء الشهيد عليه السلام بدراهم في درج مقصورة وبعض منها ذهب وفي كل حجة من حجاج الأرض عن محرم من أمراء معروف عدد من الناس بالمعروف بيد كرات من ذهب فيها كبار وصغار عسقلان الذي ان ذكر في كتاب العزيز وبحسب عسقلان من ذكور الشهداء الذين ذكرهم الله عليهم في الذكور وأخرجها من ظهر مع بعض أيضا من عدد من زوار ثم ذكر من مدينة ذكر وهي فلسطين من مدينة كبيرة حسنة الذي ان حسنة الأسواق، بها الجامع الأبيض وبيت المال في ثلاثة أبواب: من الشمال عند قبر عليهم السلام وبها من آثار نبينا محمد الذين اتصلوا بها ثم حجت بها مدينة بيت المقدس وهي مدينة عتيقة كثيرة الخير معمورة بالناس من أكثر الأيام يزورها من الشرق من مصر ومن دمشق وبها تصنع حلواء الجوز وبحلب الذي دمشق وغيرها وكيفية عملها أن يؤخذ الجوز ثم يدق حتى يصير منه مثل الرمل فيصنع منه

الحلوة ومحلب ذلك الرب أحد الى مصر والشام وبها الطيب المسوك اليها وهو طيب تحكم
والمسجد الجامع في نهايه من الاتقان والحسن وفي وسطه ركيه عذب ثم سافرت منها الى
مدينة تجارين (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وبساتين
حسنة ذوات ثمار وماء عذب ثم سافرت منها بقصد المدينة فمررت بالغور وهو وادٍ بين
جبلين رأى عيد بن الخرج أمير هذه الامة رضي الله عنه وراءه وعليه رواء وطيب فتطعام
الاسماعيل وشاهدناه عليه ثم وصلنا الى القصر وبه قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه
تبركت أبصارنا برؤيته ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكة وهي حراب وكانت
عكة قاعدة بلاد الافرنج ولها ميناء وهي بيد سلطانهم وتسمى قسطنطينية العظمى وهي مدينة
معروفة عند الافرنج يقال ان الله تعالى أخرج منها الغراب لادم عليه السلام ويدخل اليها
في درج وكان عليها مسجد بني منه محرابه وبهذه المدينة قبر الخضر عليه السلام ثم سافرت
منها الى مدينة صور وهي حراب وخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها الرماس ولهذه البلدة
مآثر على نهر الماء يأتي اليه الوارد من بعض العيون تحت القرية ليتوضأ فيه الناس رجاله
ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فاحدث عليه في وقته وقال لي
ان الساعة لم تكون ابدا وهذه من الاساس ومدينة صور هي التي ضربت بها المثل في الحصانة
والمنعة لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها لسان أحدهما بالبر والثاني للبحر ولبابها
الذي شرع فيه أربعة وسبعون كابا في سائر محيطة بلسان وأما باب البر فله برجان
برجين عظيمين وبينهما في رأس السور مسافة نحو ثلاثين ذراعا ولا يعرف بناؤه من البحر محيط بها من
ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور قد حمل البحر تحت السور وترسوه فيه السفن فيما
تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لتسد الى الداخل هناك ولا الى الخارج الا بعد
حلها وكان عليها الحراس والامناء فلا يدخل داخل ولا يخرج من خارج الا على علم منهم وكان
لعكة أضعاف اضعافها ولكنهم تركوا تحمل الاسعار ثم سافرت منها الى مدينة صيدا
وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها الى وارد بيت المقدس
رأيت عندها صيهب كان ابوه الاشتري المصري وهو حسن الاخلاق كريم النفس ثم
سافرت منها الى مدينة بيروت وكان فيها مصبي مدينة كبيرة حصينة ولها سور الاسوار
تبنى على ساحلها وعلى ذلك ثلاث الحصن لها بابان أحدهما بالبر والثاني للبحر
للساء وما زهد شديد احراره لها لبحيرة شهيرة عرضها نحو ستة فراسخ وطولها أربعة فراسخ
ثلاثة فراسخ وبقرية مسجد يعرف بمسجد الاثنين وبه ضريح شعيب عليه السلام وبقرية
موسى الكليم عليه السلام وبقرية سليمان عليه السلام قبر هود وقبر روبيل صلوات الله

وسلامه

وسلامه على محمد وعليهم وتقدم إليهما بالرفق الذي أتى به يوسف عليه السلام وهو في محفل صغير وعليه أبوه في محفل كبير عن قرب من شرفات المجتمع من ناظر وأحضر به من الماء يتبع منه أيضاً ثم يرد إلى مدينة بروت وشي غير حسنة لا سراق وجامع يديع لحسن وتحلب منها إلى دار مصر أنواع الكتان والحديد وتصدر منها بضائع إلى أن يعقوب يوسف لدى بر عون الذي من ملوك العرب وهو موضع يعرف كرك نوح من موضع العرب وعليه راوية يصعب الوارد والصادر وسمان من السلطان صلاح الدين وقف عليها الأوقاف وليس السلطان نور الدين ولكن من الصالحين ويذكر به كان يسمع الحضر ويقتات منها

(حكاية أن يعقوب يوسف المذكور)

يحكى أنه لما خرج من مدينة دمشق فرض بها مرض صاعد به أوان مرض وحد لا سراق لم يزل في مرضه حتى خرج أن ناظر دمشق للطب من سار يكون حارساً له وحراسة سنين للطب نور الدين وأقام في حراسته ستة أشهر فما كان في أوان إفاقته في أحد الأيام ستة وأمر وكيل البيمارستان أن يعقوب أن في كل مسلم أن فأمره برمس فوجده حاضراً فأمر أن يأخذ فعل ذلك فوجده أصح فما فعل له الوكيل أن تكون في حراسة هذا البيمارستان مدة ستة أشهر ولا تعرف حقوق الحمى فعل ذلك أن أحرسني على الحراسة لا على لا أكل فأن وكيل أن أبيت عنده وعلى الباب وكان فيه أن في الليل أن يجتمع مع أن يعرض بعض أمره فما عرض أن فعل له أن أبو يعقوب أن ثم قام أن فعل وأخذ أن جميع ما كان عنده ثم خرج أن فعل فقد من الحلال المستحب كيف يكون ثم عاد إلى أياماً ثم خرج من دمشق في أوان الحر الشديد فأتى قرية من قراها وكان نهاراً من أسواء وعرض على أهل القرية عند فعل وصنع له حرفة وبيع حاجته فأقام بها وحصر شعيراً فأكل من ثمنه وعاد إلى حمل وكان عنده حمل أولاد منهم ست قدر سعر وجيء عليها ومن عزيزهم في بيت السلطان البيت يحيرها أرضاً ويكون معظم أحوال الناس وبيتقرحون وبيعاً يعقوب فعمل أو يعقوب الرحل هن عندك شيء من الكتان حمل هو فاشترى منه لحمير هذه البيت فأتى بيعه فعمل له أسعر من حيرانه ما أكثر فعل وأحضر الذي بيعه فأوقد عليه النيران وأخرج صرة كانت عندهم لا كثير فطرح منه على الكتان فعاد كله ذهباً وركب في بيت مصر وكتب كتاباً نور الدين ملك دمشق يعلمه ذلك ويسمه على ما عمر بيمارستان المرضى من الغرباء ويقف عليه الوقوف ويأتي الزوار بالطرق ويرضى

من الوليد سيف الله ورسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر كسوة وسدانة وقاضي هذه
المدينة من أشهر الناس شيء من أمر الدين صورة واحدهم سيرة ثم صارت مدينة
هذه الحالة الحالية أمانات تسلم بوديعة وهذه الديعة بأيدي خسيس الأراذل والجهال
الطغاة يحبهم الشيطان ويحبهم الله ويحب الأبرار يشقى بهم الأخيار
يعلم الله ما هي ولماذا هي على ما هي صورة يأخذ منها من المدينة به لا سوى الخدمة
والخدمة لسان وجهاه بقرة كما وهي مقدسة أورث الكبرياء والخيلاء
في قلوبها وتحجر من أن جرى في شعبة بدينة وهي راعية وهي بدينة يقول
لا يدخل الجنة راعي ولا خائن على من موتى من سعد هنا أهل الحرمين
(شعر)

حتى الممات شقاي عنك مصبرا • وقدت على بالدمع والذكرى نارا
ثم ي جهنم أوردت من جدثي • وهي مثلي تبغي الماء زلالا
يا موتى ال عيون راعي • وأسمع الناس واردا وصادرا
ذرني فيك الرياض وكفلا • بمنك بعصاب أثير باسر
وأنت بذي تبت شراعرش وهو • وأنت بها رصت وأنت هو
تبكي وأذري دمعها وتنحب • بهم عراها وأنت منها

وهنهم؟ شراء هذه الشقة بوديعة
(شعر)

وعوير رحب لعسم بدمائي • وقد رت قصدي من سراة بني
كم رحمة لي ذا صاحب فضوحه • وحسبت من حسب بكى عن غاصبي

وهنهم الشاعر وهو أسامر الدين
(كامل)

بدأ دفعكم وجا وحدكم • مدحات عن سري وعن أحلاصه
والدرب عاكم ذكرانها • عرى البيت سعد بن سعد كعبي

(وجه) ثم سافر الى مدينة المعز بن باديس الصنهاجي الشاعر أبا الحسن علي بن رشيق المعروف
بالقيرواني ابن عبد الغني بن رشيق العريان من سبط الأنصاري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رشيق جد أبيه شاعرا فعرفت له
وكانت له منزلة عظيمة وهي ان المنصور وبين ان المعز من جيل مطل على جميع ما
(وجه) الجزيرة بصعيد مصر وهي أكبر مرافئها التي ترد عليها السفن وتنطلق ومنها يحمل الى مصر والشام
والحجاز جميع ما يخرج من أقاليم الصعيد من الغلال والحبوب والفواكه والأخشاب
ولهذا السبب كان يقع في كل سنة من وقت وفاء النيل بعض الغلاء من الحجاز وهي

الله عليهم ولعن معتنهم ومعصوبين كل من اتبعه عمر وخصوصا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعميم علي رضي الله عنه ثم سيره منها الى مدينة قسرين وهي حصنة كثيرة الساتين وأكثر متحرش بريتون و يسمع النصارى الاحرى و تحلب الى مصر والشام ويصنع بها أيضا النصارى لما يلبس لا ي و يصبغونها بالحمرة والصفرة ويصنع بها ثياب قصيرة جدا بنحو شبر أو شبرين يلبسها الروم يسمونها العشرة ومن اتخذ منهم لا يذكرون لفظ العشرة ويسمونها خمسة عشر لما يسرق على الدابع ويقولون للعشرة ثلاثة واحد وحصر بعض الارمل لما يصنع بها ايضا ثوب واحد قصير يلبسونه على رأسه ويقال له عشرة لما يسرق فيها وفيها مسجد مع فيه قصب قباب ولم يجعلوها عشرة فيما عدها بها القاضي ثم سيره الى مدينة حلب المدينة الكبرى والمدينة العظمى قال أبو الحسن بن حمدون وصفها فقال حلب حصير وذكر في كل مدينة حصارها من الحصير وحصارها من الحصون ثم قال حلب من كسح وقال بعضهم من بين الصفاح لما نالته شهرة الامتناع فانه الارتفاع فرشت حصر بدار روم وتصنع منسوجة الاحراء موضوعة على نسبة عدن واستواء فصوت لأنام وأعوام ووسعت الخواص والعوام أين أمراؤها الجاليون وشعراؤها من جعيسه وليق الانس وهما في بحبوحة البلاد تبقى ويذهب أملاكها ويهلكون ولا تفنى هلاكها وتحسب بعدهم فلا تعتبر أملاكها وام فيتيسر شاعرون أي ار كرا فيه حلب كما دمت ملوكها في حين كان وسحت صرف ارمان بامكان أنث اسمها فحلت تحلية الحوال وانت بعدهم على دين وانحلت عرى ما بعد سيف دولتها ان حمدان هرت سيرهم شهرتها ويعدم حصانها ويسرع فيها بعد حين حرابه وقلعة حلب تسمى الشهباء وعليها حصن يرتفع منها الماء فيتخلف الضباب ويطيف بها سوران وعليها حصن عظيم يرتفع منه ماء وسورها مشتمل الارباح وقد اتسعت بها العلالي المرتفعة المتصلة بالسحاب وكل برج منها مسكون واطعام لا يتغير بها لطافة على طول العهد وبها بيد عتيقة بعض الناس يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد وهذا سمعته نسبة قلعة حلب من طرق الناس على الفرات من الشام والعراق ولما قصدت دار بناءه التي مدينة حلب حاضرة هذه البقعة أبدا وتتكون عجبها ما قال ابن حرق وقد ذكر قلعة نقوس الخاندي شاعر سيف الدولة

(صوبين)

وحمراء تدنو من علي من رومها * عمرتها بعدي وحسب الصعب
يحرعلها الحواجب غمة * ويلقى عندار تحته الذهب

ا اماسرى برق بدت من حلاله * كما لاحت اعمر من حلب لنصب
وكم بس حسود قد اماتت غصة * وى سعوات قد اماتة على عصب

وهو من قصيدة يصف بها وزمن بديع الشام (سنة)

وناعمة عانق العنقاء سافلها * وجاز منقطفة الجوزاء عاليها
تعرف عطارد كان عام لها * أرسا رطة قاريه مواشيها
اذا الغمامة راحت غاض ساكبها * حياء واقبل ان تهمى عرانيها
يعد من النجم الافلاك مرقبها * لو انه كان يعزى فى محاربها
رد مكايد اقوام مكايدها * وردت مداهم دواهيها

وهو يمدح جمال الدين على بن ابى المنصور (كامل)

كادت لبوس حموشها وعبورها * تسوى مضاء حد الحتيف الدارا
وردت قوائمها الخمر مهملا * ورعت سوانح الحوم واحرا
وتعص صرف الدهر وهو عاتها * وحملا وهو عص لها عاصرا

(رجع) ويقال فى مدينة حلب حلب ابراهيم لان الخليل عليه السلام وسلامه على سيدنا وعليه كان يسكنها وكانت به النعم كثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والواردين والصادرين اليها فكانوا يقولون ويسألون حلب ابراهيم سميت بذلك وهى من أعمر المدن التى لا تصبر على حصر اوصافها لكثرة محاسنها وانتشاح الالسن بذكر مفاخرها لعظم مبانيها وحصانة اسوارها وهى مدينة عتيقة وهل اتيتها فى طس عمرو وقد بنيت بالاعتناء حسنا وكبرا وهى تحيط بها سور واحد وكل سماط منها محاذى لسماط من أسواق المسجد ومسجدها الجامع من أحسن المساجد فى بنيته ركبه ربط بعضه بعضا لا تجد عيبا تتسع وصحنه واسع أحسن من صحن جامع دمشق والجوامع وهو جامع مفرد ليس فى صحنه ولا فى حسن اوضاعه واتقان صنعته نظير الا جامع بنى حمدان وبانيه سواه ثلاث مدارس وبها ارستان وأما خارج المدينة فهو بستان واسع عريض به مراتع عظيمة ونضرات الاعناب يحيط بها البساتين على شاطئ نهر قويق وهو النهر الذى عن يمينه وادى العقيق ووبس الذى سمى بذلك لياضه وان جريه من أسفل الى علو لعله من تحدى خارج من حلب نهر جوبر وان شاء الله تكون فى سواعها وهى من المدن التى تسع للخليفة فمن اين جرى أطنبت الشعراء فى وصف محاسن حلب وذكر داخلها وخارجها وهو يصف وعيد الحبرى (كامل)

نازف أسهر عن فؤادى مقلتى * حلب فى على اعصر من بابس
عن مدمت اورد المعصر صفحه * فى كل ساحية ومحيى لاتس

ا ص اذا استوحشتم سدكر * حشت عى ما كثرت يسى

وقال فيه شاعر محيد ذكرا لصورى (متقارب)

سقى حلب ارض بعى حمات * فكم وحمات لطرباللطرب

وكم مستطاب من العيش لذ * بها ، بعيش لم ـــعاب

ا نشر الزهر اعلامه * بهاوسرفه انعسب

عدا وحواشيه من فضة * بروق اوساطه من ذهب

وقال ويذكر الاعلاء صورى (خفيف)

حلب لو رأيت بعضى * وهى بعد دورى بارسعير

والعصر العشيرى كى عد * يه سهاقمر لسعر انصعير

فعوتى فى خمس يوم حر * وحضـــــان ان غير

وقال وهو بالقسطنطينية ان حمرس (سريع)

ياصاحبى ـ اعيا كما يعى * فيـــــــ ـــ لح من حلب

من البلاد التى كان النعـــ ـــكا * فيها رب الهوا عصرتى من رب

وقال عبد الواحد بن كـــ ـــم (متقارب)

وما نعت حرها لمنه * كما أنعت حلب حرها

بها مجمع ما تشتهى * فزرها فطوبى لمن زارها

وقال فيها أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربى الاندلسى (رجز)

يا حبذا الحسن كما انتابا * حلب ربوعى من عدمتها سابا

حلب انها مصر عصرى * ومرابى وانسى وسرورى

الخصب وانس وانتعاش وا * عيشى وعمرى كل وا عيشان

كم بها من رفع عيش ولذ * وبهجة فى اى مكان حل

ونعمتى طيبة وعيشى * وعمرى عيشى ناعمى

وعمر الدهر حيث سرت * حيثما فى حوطك كنت

رجع حلب عبد الامراء ارغون الدوادار الكبير امرا بمدينة الناصرية وهو من الفقهاء موصوف بالعقل كثير المحسن والصدقات وله فى ذلك الاثر الجميل بها وفى كل من اقام بها وكان يقوم فى اليوم الثانى من الجمعة كثيرا من المحسن حسن الاخلاق متعبد ناسك وكان يقيم بالناصرية ويعاد اليها وتوفى بها وحمل منها الى حلب فصلى عليه الشعراء من دمشق وسواها

وكان

وكان فيمن قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين ابي عبد الله محمد بن بابه العرضي الاموي المعروف بابن قاضي شهبة وله (كامل)

أسعد لقصدك بالمنى الخضراء * وسعت لقصدك بالمنى البيضاء
وعلاء مشق وقد رحلت كآبة * وعلاء ما حلت سناء وبهاء
قد أشرقت دار سكنت فناءها * حتى غدت ولنورها لألاء
ياسائرا نحو المكارم والعلى * من نحن عبده الكرماء
هذا الكمال بنى له * بسعود ع الحسن والنعماء
قاضي القضاة ماجن من به * تعنى به الايام والشعراء
قاض ركى اصلا وفرعا عنصرى * شرفت به الاباء والابناء
من الاله على بنى حلب به * سدوضع مثل حيث شاء
كشف الغمى فرموسه * وكان بدا لكه دكه
ياحاكم الحكام دونك منطق * عن ان تشرفه تنبة شعر
ان المشاهد دون هذا الباب * في المنصبين من شمل الحورا
لك في العلوم فضائل مشهورة * كتسع شرق بالسلام سماء
ومن شهدا لعلم فضل * وا قص منشهد بالعداء

وهي أرجوزة طويلة وأشار بقوله أكثر من ذا الى ما تقدم ذكره من الشعر الذي أنشده قال ابن حجر ولي كلامه في شيخنا هذا وفي اقدمهات أو منه في التصاعد واليه انتهت الرياسة في الشعر على شيخنا في جميع بلاد الشرق وهو من ذرية الخضر أي يحيى عبد رحمن بن عبد منشي احد مشاهير الصوفية ومن بديع ما سمعت له في الوزير قوله (كامل)

علقت اعيد اعد ابه انني * بحر عن عن الحمد ولا له
خلت الوزير هو عن دائم * فعدت مدرية عد خلت به

(رجع) ومن نظمه حلب وهي احدى قصبات الدنيا المشهورة بالعلم حسن الصور واسيرتا بين مدينة حلب (كامل)

تراد اما حاشه متهلا * كتب تعد هدى أت مائه

ومنهم قاضي القضاة الذكي بلا كر وكان من اولياء عصره وأحد الخفة عن عبر المتحف في ومنهم قاضي القضاة الحنفي بلا كر اسمه وهو من أش صاحة ومشق وعين لاشراف بحلب سراج الدين ابن وشراء ومن فضائله شرف الدين ابن النجمي والي بر ده حكمه امدينة حلب

ثم سافرت منها الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين (وصفة احمها بناء معلوة مكسورة وياء مدورة مكسورة وياء مثناة وون) وهي حديثة اتخذها الاتراك وأسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الاتقان وقاضيها سراج الدين العسقلاني وكانت مدينة قنسرين قديمة كبيرة ثم خربت ولم يبق الا رسومها ثم سافرت الى مدينة نصاكية وهي مدينة عظيمة حصينة وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام وقد هدم الملك الظاهر هدم سورها ونصاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الانهار والمياه وتحرجها نهر العاصي وبها تربة حبيب النجار رضي الله عنه وعليها مزار يزار وفيها انعام واردية وصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سمعه يقول على المنبر وهو يتكلم وقد حلت عمامته فتناولها ليلفها ورفعه على كاهله ليأتي بمنزلة المدينة ورأسه مكشوف وأنا على الثماني الآية محذوف بالصور لا يستطيع النهوض ومن يراها يظن انها حامل وانها ولدت ولدا ثم سافرت الى حمص نعراس (وصفة اسمها موحدة مضمومة وعين مهملة مفتوحة وراء وآخره سين مهملة) وهو حصن منيع لا يرام عليه النواحي والمزارع وهو يحرس الى لاذقية وهي لاذكفار الارمن ووهم رعية بلاد الناصر يؤدون اليه جزية رؤسهم وفي لصة عرف بالاعلية وبها تصنع الثياب الفاخرة وأمير هذا الحصن صارم الدين ابن الاتابكي وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وأخ اسمه حسام الدين قاضي كرك وكان الموضع المعروف بالرصص (سهل الرا والصاد المهملتين الاولى) ويحيط الخراب الى بلاد الارمن

(حكاية)

شكى الارمن عند الملك الناصر للامير حسام الدين وروا عليه امورا لا تليق فنفذ أمره للامير الامراء يجلب ان يختفه فلما توجه الامير يلقاه حاجب حديقا من كبار الامراء فدخل على الملك الناصر وقال يا خوشداش الامير حسام الدين هو من خيار الامراء ينصح للمسلمين ويحفظ الخراب وهؤلاء الارمن يريدون الفساد في بلاد المسلمين فيمنعهم ويقهرهم وانما أرادوا اضعافه سوكة مسيره عنه وازالته حتى تقدم امر النائب بسراحه واخلاع عليه وردملوضعه وقال الملك الناصر يا عرب يا خوشداش وكان لا يسمي احدا في مهم وامر به الاسراع والجد في السير فرحل منصرفا الى حلب في حمص وهي مسيرة شهر فوجد أمير حلب قد احضر حسام الدين وأخرجه الى الموضع الذي يحق به الناس فحسبه الله تعالى وعاد الى موضعه ولبث هذا الامير ومعه قاضي نعراس شرف الدين الحموي موضعا يعمل له اسمه متوسطين انطاكية وتزين ونعراس مرة لتركمان عوانيهم لحصنه وسعته ثم سافرت الى حصن البصير تصغير قصر وهو حصن حسن امير علاء الدين الكردي وقاضيه شهاب الدين

الارمني

الارمنتي من أهل الديار المصرية ثم سافرت الى حمص الشعر بكاس (وصفة اسمه بفتح الشين المعجمة واسكان العين المهملة وضم الراء وبالباء الموحدة وآخره سين مهملة) وشوصيع في رأس شاهق أمره سيف الدين الصفدي فاضل وفيه جمال الدين ابن نحرير من أعجب ابن تيمية ثم سافرت الى مدينة سهيون وهي حسنة بالانهار المطردة والاشجار المورقة ولها قلعة جيدة وأمرها يعرف بالابراشمي وقاضيها محيي الدين الحمصي وبحارحدار اوية في وسط بستان فيه النعم للوارد والصادر وهي على قبر الصالح اسمعيل عيسى الندوي رحمه الله وقدرت فيه ثم سافرت منها فمررت بحمص العذراء (وصفة اسمها بفتح العين واسكان الذال المهملة وضم الميم وآخره سين مهملة) ثم بحمص المليحة (وصفة اسمها بفتح الميم واسكان الياء وفتح الواو والقاف) ثم بحمص العليقة واسمها على بقعة واحدة العديق ثم بحمص مصياف (وصفة مهملة) ثم بحمص الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم الحداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سيوف المشرق التي يصيب من يقصدونه من اعدائه بالعراق وغيرها ولهم المزمار والدار الملقب ان بعث أحدهم الى انسان عدوك أعطاه دينه فان سلم بعد ذلك ما راده منه فهي له والا فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من يعثون الى قتله ورعما تمكن حيلهم فيه اكثر من الجيش مع الامير فراسقور فانه لما هرب الى العراق بعث اليه الملك الناصر جيشا منهم فقتلوه ولم يقدروا عليه لاحد منهم بالحزم

(حكاية)

كان فراسقور من كبار الامراء وممن حضر قتل الملك الاشرف أخي الملك الناصر وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وزيد الغرار واشتد أواخي سنة ست حمص تشتت احبه فيقتلهم واحدا واحدا واظهار الملاحة سارا حبه وحوطا ان يحاصروا عليه فاضمر واعلى احبه وكان فراسقور أمير الامراء بحلب فكتب الملك الناصر الى جميع الامراء ان يغدروا بعساكرهم ويجعل لهم ميعادا يكون فيه اجتماعهم بحلب ويرولهم عليها حتى يقبضوا عليه فلما وقعوا لذلك خاف فراسقور على نفسه وكان له ثمانية آلاف مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صنطافا حتى قهرهم وأكثرهم سيفا وكانوا في عشرين الفا وقصد مهرن أمير العرب مهمان عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهمان قد قصد بنته وبرز عن فرسه والقى العمامة في عنق نفسه ونادى الحوار يا أمير العرب وكانت هي التي أنقذت روح مهمان وقالت له قد جاءك مالك وأخربان معت فعل اعداء حلب اولادي ومالي فقالت له لا تخف فانزل في جوارنا وفعل ذلك وافى مهمان فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال اما الحب اعلى ومالي الدى

ركنه بحلب فدعى م[illegible] باحوتسوى [illegible] وزيرهم في أمره فمنهم من أشار عليه بالمسير الى مصر ومنهم من قال له كيف تحارب الملك الناصر وهو في بلاده وقد أقام قبل هذا الوقت سنين وأعوامًا فاقعد لهذا الوقت حتى يأتيك وأشار معه الى سلطان العراق وفي بلاد ديار بكر عليهم أحمد بن أوزبك فراسقور وأعلن الرسائل معه بالمسير الى أرزنكان لملاقيهم وأما سلطان العراق فجهز له عسكرًا فركب في أثره خمس هجن واستصحب من العرب نحو خمسة وعشرين ألفًا وقصدوا حلب فأخرجوا لهم تقدمة وقدموها واستخلصوا منهم مال فراسقور ومن معه ولم يعرضوا لسوى ذلك وقصد سلطان العراق وجيوشه أمر حمص الأقرم ووصلوا الى الملك محمد بن أيدمر سلطان العراق وهو نازل على [illegible] فأكرم نزلهم وأعطى كل واحد من المحمدة [illegible] فوصل الى العراق قرر لهم أكرم نزلهم وأعطى سلطان العراق العرب وأعطى فراسقور [illegible] من عرب الجزيرة التي مشرق الفرات وأعطى الأقرم هذا الى أن [illegible] وأقرهم وما منهم الى الملك الناصر بعد مواثيق وعهود أخذها منهم وفي فراسقور وعن جماعته الملك الناصر يعتذر له عما وقع منه ويتبرأ منه ويذكر له ما هم عليه داره [illegible] ومنهم من يرغبه في طاعته وهو راكب فسيره ومن معه من العساكر [illegible] لا يزال الدرع أبدًا ولا ينام الا في بيت العود والحديد فلما بلغ الملك الناصر [illegible] سعيد وقع ما تذكر من أمر الجوبان كبير أمراء العرب وابن عمه [illegible] الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين أبي سعيد ورغبه في أن يبعث [illegible] الناصر رأس فراسقور وبعث اليه الملك الناصر رأس [illegible] الناصر [illegible] أبي سعيد أن يبعث رأس فراسقور ويبعث اليه بما وعده به من المال فلما عرف فراسقور بذلك أحضر ما كان له محفوظًا في داخل سرادق [illegible] وقسمه [illegible] وعرف [illegible] سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأس فراسقور من حصون عانة [illegible] وهي ذات أنهار مطردة وأشجار والبحر يحيط بجميعها [illegible] وهو راكب في مراكب في البحر [illegible] وعواصف [illegible] الملك [illegible] حسبما [illegible] وركب براشم من بيت مال كما يصنعه الناس [illegible] الملك [illegible] وأعطاهم فكان من [illegible] الصالحين المتعبدين الزهاد [illegible]

(حكاية أرده)

يذكر أنه من [illegible] وتوعر أمر [illegible] الى حلها فاذا استقامة بحلها [illegible] فعن له الاحتراس [illegible] وقع في خاطره من ذلك وسواس فعزم على أن

يستحل

فسئل من صاحب البستان فقيل [illegible] فقال له ادع لي صاحب المنزل فقالت انه لامرأة فقال استأذني عليها فجعلت فأخبرته المرأة الخادمة فقالت له ان هذا البستان [illegible] وقصده السلطان [illegible] وهي [illegible] عشر من [illegible] ونخلتها [illegible] الى [illegible] فيه [illegible]
الخبر واشتغله [illegible] من العدو وكان [illegible] تحصنها [illegible]
الملوك [illegible] وحسنا [illegible] الصالحين [illegible]
[illegible] الى [illegible] ثم [illegible] من [illegible]
[illegible] الى [illegible] العدو [illegible] الأخذ الا
[illegible] عليها [illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible] الأخذ حتى [illegible]
[illegible]
في [illegible] ولكن [illegible]
وكان [illegible]
[illegible] الناس من [illegible]
[illegible]
[illegible] الآفاق [illegible]
وكل من [illegible]
[illegible]
لا [illegible] ولا [illegible]
كل [illegible]
و [illegible] على [illegible]
وعددهم [illegible]

(حديث)

ذكر [illegible] عليه [illegible]
البلاد [illegible] الامام [illegible] الخروج [illegible]
[illegible] أحدهم [illegible] امره
فيقول [illegible] لامام المهدي [illegible] الامر [illegible]

فيصرف ويحبس ثم انه أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وان يبدأوا بمدينة جبيل وأمرهم ان يأخذوا معهم السيوف تحت ثيابهم الى أن وعدهم انها تصير في أيديهم سيوفا عند القتال فعبروا مدينة حبة وأهلها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور وهتكوا الحريم ونار المسلمون من مسجدهم فاخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاءوا واتصل الخبر باللاذقية فاقبل أميرها مبادر عبد الله بعسكره وظفرت الجيوش الى قرب طرابلس فاتى امير الامراء بعساكره واتبعوهم حتى قتلوا منهم نحو عشرين الفا وتخلص الباقون بالجهد وراسلوا ملك الامراء والتمسوا ان يعفو عنهم فاشار كل رأس ان هو طاول اعناقهم وكان الخبر قد طير بسرعة الحمام الى الملك الناصر وصدر جوابه ان يحمل عليهم السيف فراسلهم ملك الامراء والتى لهم انهم عمروا المسلمين في جزيرة الارض وانهم ان قتلوا ضعف المسلمون لهذا السبب فلا يبقى عندهم ثم سافروا الى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون انها مدينة الملك اندف كان يأخذ كل سفينة غصبا وكنت انا قصدتها لزيارة اولى الصلاح عبد المحسن الاسكندري المدفون بها وجدته عائشا بالجهار الشريف وبقيت من أخباره الشيخ من الصالحين سعيد الحافي وتحيي السلاوي وهب مسجد علاء الدين بن البهاء حدث بمصر والشام وكبار المشايخ اصحاب المسندات والمكارم وكان قد عمر بها زاوية تقرب لمسجد وجعل بها للقمام للوارد والصادر وفيها الفقيه الفاضل حلال الدين عبد الحق الناصري المالكي فاضل كريم على نحو طيلان ملك الامراء فولاه قضاءها

(حكاية)

كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد شجاعا لا يسلم أحد من لسانه منهم في دينه مستخف بتكلم بالقبائح من الالحاد فعرضت لمصاحبة عند طيلان ملك الامراء فدخل بلاده وبعد مصر وقول عليه امورا شنيعة وعاد الى اللاذقية فكتب طيلان الى القاضي حلال الدين ان يحتال في قتله بوجه شرعي فدعا القاضي الى منزله وباحثه واستخرج كامن اعتقاده فتكلم بعظائم أيسرها يوجب القتل وقد اعد القاضي الشهود خلف الحجاب فكتبوا اعتقاده واثبت عند القاضي وسجن واعلم ملك الامراء بقصته ثم أخرج من السجن وحبس على بابه ثم لم يلبث ملك الامراء طيلان ان عزل عن طرابلس وولي الحاج قرطية من كبار الامراء ومن تقدمت له فيها الولاية وبينه وبين طيلان عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه اخوة ابن المؤيد شاكين من القاضي حلال الدين فامر به وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فأحضروا وأمر بحبسهم وأخرجوا الى ظاهر المدينة حيث يخنق الناس واحضر كل واحد منهم تحت خنقه ورعت عمائمهم ومن عادة أمراء تلك البلاد انه متى أمر أحدهم بقتل أحد من الناس يمر الحاكم

من

من مجلس الامير يستدعي فرسه الى حيث المأمور بقتله ثم يعود الى الامير فيكرر استئذانه يفعل ذلك ثلاثا فاذا كان بعد الثالث احد الامرين فعل احاكم ذلك قامت الامراء الى المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا أيها الامير هذه سنة في الاسلام من الماضي والشهود فقبل الامير شفاعتهم وعفى سبيلهم وتخارج للاقامة بدار العروف بدار البطارقة وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان ويقصده النصارى من الآفاق وكل من نزل بهذا المكان من المسلمين فالنصارى يصنعون وطعامهم الخبز واللحم والجبن والخس والكبر وميناء هذه المدينة عليها سلسلة قوية برجين لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحط له السلسلة وهي من أحسن المرسى بالشام ثم سافرت الى حصن المرقب وهو من الحصون العظيمة مثل حصن الاكراد ومبني على جبل شامخ وحوله جبال وعرة لا يرتقي اليها ولا يدخلون قلعته واستحكمه من أيدي الروم الملك المنصور قلاوون وعليه وال من الامراء وكان في صحبته برهان الدين المصري من الماضين الى ذكرهم ثم سافرت الى الحصن لاذرع وهو أعلى حصن بالشام وأول ما يطلع منه من البحر وسكانه الاكراد وفيه العيون والانهار وسائر منه الى جبل لبنان وهو من أحصن جبال الله ساقية أصناف المواكه يعيون الماء والظل الوافر ولا يحترس المتقدمين الى الله تعالى وارشاد الناس الخير وهو شهير بذلك ورأيت به جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشتهر اسمه

(حكاية)

اخبرني بعض الصالحين الذين لقيتهم بهذا الجبل المبارك مع جماعة من الفقراء انهم في الشتاء الشديد فاوتدوا اعظم واحد منهم وهو من الحاضرين يوم فحدد الاسرار بما يدور فيها فمن احد الفقراء ممن تردد بالاعين ولا يعلمه انه اي كنت عند صدر العصر متعبدا فراهم اذ دهمهم قرابة عشرة من حمار وحش قد احدق الجيش به من كل جانب واطبقه لا يقدر على الخروج منه فوثبوا عليه وشووا لحمه في هذه النار فاكل فعصا الدين في جملة رجال فالاعيد كما وصف ليا فقة صفاء وانهاء الاحاسيس بحثا واشوا لحمه في بيت النار وطبخا الفقير الذي نبه عليه فلم نجده ولا وقفنا على أثر فعدنا بحمامه ثم وصلنا من حمص لبنان الى مدينة بعلبك وهي حسنة تديمة من طيب مدن الشام تحدق بها البساتين الشريفة واصناف المبقة وتخترق ارضها الانهار الجارية وضاحي دمشق في حيراتها المشهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها وبها صنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ولهم تربة يصنعونها فيه يجمدون كبر الدبس الذي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيه المستق والنور ويسمون حلواء الملك ويسمونها أيضا جلد الفرس

وشى كثيرة الألوان وتحلب من [illegible] دمشق و [illegible] يوم الحصاد وأول الربيع فتحرز من بعلبك فيبتاعون [illegible] يتعرف بها كثير من القرا كدو يغدون منها الى دمشق ويصنع بعد ذلك الثياب المدورة التي من الاحرام وغيره ويصنع بها واو الحشب وملاعقه حتى لا تجد لها في البلاد وهم يسمون الحاف الذي يلبسونه ويباعونه الجمجمة وهو احجمة أخرى تسع في جوفها وأخرى في جوفها الى ان يبلغ العشرة يحمل الرابعة بحجمة واحدة وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرة واحدة في جوف واحد ويصنعون للنساء من حديد ومسكها الرجال في حرامهم واحسن ما يصنع منها أن تجعل في كل واحدة منها ثلاثة واحدة ثم تخرج من جوفها تسعا وكان يحول اليها عن ذلك بها وجوه من ارباحه ولا زال الشيخ في دمشق وولي يوم احد يوم الاحد من شهر رمضان سنة ثمان وستين وستمائة وعزل عن دمشق الى مدينة [illegible] ثم عاد الى دمشق في [illegible] وهي التي تفصل جميع الاراضي [illegible] ولا أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى في [illegible] دمشق وهي [illegible] الشرق وسلع [illegible] الشرق وسقة [illegible] ان [illegible] وتحلب في [illegible] من [illegible] الكاس المكلل [illegible] دمشق حين [illegible] وشرقيها [illegible] الى [illegible] وروضات زاهرة ومعاهد [illegible] الاراضي كل جميل ورياض يحيي [illegible] تسع العين [illegible] وتتسع [illegible] للحس ومعين [illegible] حتى اشتاقت الى الفناء فتكاد تناديك بها العين الا ان أكثر [illegible] وشراب [illegible] الاحداق [illegible] العمر والاكام [illegible] وكل موضع [illegible] ثم الاراضي [illegible] وبساتين [illegible] في الارض ودمشق [illegible] وان كنت [illegible] وتدسه من شعرائهم في هذا المعنى فقال (حذف)

ان تكن حمص الحسناء رض * فدمشق دار لا تكون سواها
ان تكن في اعيننا قرة غليرا * فدمشق قرة العيون سواها
اذ طيب ورب عصور * [illegible] عيشة وحبها

وذكر شيخنا المحدث الرحال شمس الدين [illegible] حسان العيسى الوادي اشي رحمه الله تعالى كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف منها واجاد وتوفى

الانفس

الانفس للتطلع على صورتها عما اعتاد هذا وان لم تكن له بها اقامة فيعرف عنها بحقيقة علامة ولا وصف ذهبيات أصيلها ولا حان من الشمس غروبها ولا ارخى حفوفها السوءات ولا أوقات سرورها المنبهات ولا احتضن من قال الضحى كما ضحك الاكمام وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين قال ابن جزي والدي رحمه الله كثيرا ما ينشدني وصفه محاسن دمشق لا تحصر كثرة وكان والدي رحمه الله كثيرا ما ينشدني وصفه هذه الابيات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى (طويل)

دمشق ما شوق اليها ممتع * وان لج واش او تلج عذول
تلذ بها العينان رؤية حسنها * غيورا وأعطاس النعيم شمول
تدلس فيها ماؤها وهو مستتر * وتخدع فيها الروض وهو عديل

وهذا من الغط العالي من الشعر وقال فيها عز الدين الدمشقي لكاتبه (كامل)

شام شامة وجنة سبحانه * انس مقلب بعضه حلق
من تمها جنة لا تبغي * ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال أيضا فيها (بسيط)

انا دمشق جنات محفه * تلك الانهار فيها ولدان والحور
ما صاح فيها على أوتار مزهر * الا يعيد مدى الايام والعمر
ما جبها ورد الماء مقبلها * الا مثل الربح الا انها زور

وله فيها أشعار كثيرة سمعت وسمعت فيها الوحش سجع من حلف الاسدي (رجز)

سقى دمشق المدجنا محسنا * من مسقين دمعه وهتنا
مدينة ليس يضاهي حسنها * في سائر البلدان ولا آمانها
تزهو وراء العين فيها منها * ولا يرى الى عراتها
وأرضها من الصفاء جنة * ورهرها كالدر في نراتها
نسيم روضها متى ما قد سرى * فاح الهموم من فؤاديها
قد رع الربيع في ربوعها * وسعف الصبا الى أسوقها
لا تسام العين والقلب من * رؤيتها ولا النفس عنها

ومما يناسب هذا الغاضي القاضي عبد الرحيم البيساني فيه من قصيدة وقد نسبها أيضا لابن المنير (كامل)

يا من يهون لك في احتمال تحية * عذبت فصارت مثل مائك سلسلا
يا كرسي دمشق يا سلام الحيا * زهر الرياض مرصعا ومكللا

واحر قلبي ممن قلبه شبم * ومن بجسمي وحاله سقم

حيث الحبيب الذي يحل به * وجدي وشوقي ولوعتي وغرامي

ومن هذه القصيدة (بديعية)

دمشق هل بالحمى من عودة لنا * فقد ضاق بعدكم الآفاق والنسم

القلب راعه منكم جفاوة * والدمع من مقلتي كالسيل منهدر

وقد تعلل بالسلوان أوهمه * كما يعلل بالتفاح ذو السقم

وكل يوم له دمعي مصوبة * وأنت عن حاله في غاية العدم

ومن أبياتها (بديعية)

[illegible]

ومنها

[illegible]

ومن قصيدة أخرى (بديعية)

[illegible]

وله أيضاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهذا البيت من أبيات

(ذكر جمع من تعرض لمدائحه النبوية)

وهو عظيم الاعتقاد [illegible]

رضي الله عنهم أجمعين [illegible]

ص

المقصورة الغربي التي يؤم فيها امام الشافعية وفي الركن الشرقي منها الرأس المحراب حراقة
كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الى الشام
وتضيء الحراقة كل يوم جمعة بعد صلاة العصر فيرى الناس على ثلم ذلك المصحف الكريم
وشماله يحلف الناس غرماءهم وما ادعوا عليه شيأ وعن يسار المقصورة محراب الصحابة
ويذكر اهل التاريخ انه اول محراب وضع في الاسلام وهو يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة
محراب الحنفية وفيه يؤم امامهم ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث
صوامع احداها شرقيه وهي من [illegible] الروم وبها صعد الى المسجد وباسفلها مطهرة ويوت
للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والمدرسون للمسجد والموظفون والمؤذنون والصومعة الثانية غربيه وهي
أصغر من صومعة الروم والصومعة الثالثة شرقية وهي من احدث وعدد الموذنين بها سبعون
مؤذنا وفي شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وفي الناحية الغربية الوان وفي
وسط المسجد مبرز كرسي عليه السلام وعليه بردان معترض من صوفين مكسوة بحرير
اسود معلم بحمرة وبها قضيب يارز كرسي عليه السلام اسفله نحاسي وهذا المسجد ذكره بعض
وقرأت في قصائد دمشقي عن سعيد بن المسيب ان الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة
وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند ذكره لمسجد دمشق انه يبنى بعين سنة
وقال ان الخضر الذي صحبه موسى عليه السلام وان عيسى عليه السلام وقد نزلت على مقربة
من مدينة دمشق بموضع قتل به الاخ اخاه في بيعة فيها اثر مكتوب عليه هذا قبر هابيل بن آدم
صلى الله عليه وسلم ومن محاسن هذا المسجد انه لا تنقطع عن رحابه قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من
الزمان كما سبق ذكره وان الناس يجتمعون به كل يوم اثر صلاة الصبح ويقرأون سبعا من القرآن
ويجتمعون بعد صلاة العصر فيقرأ فتى ان الكوثر ثم يقرأون فيها من سورة الكوثر الى آخر
القرآن والمجتمعون على هذه القراءة مرتبون بحسب تقدمهم وتأخرهم بحوسبة ثابتة يدور عليهم
كأس العيشة على ما رتبهم شيخه عبد الرزاق غير عيشه وفي هذا المسجد جماعة كثيرة
من المجاورين لا يخرجون منه معتكفون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك
ويتوضؤن من الاماكن التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل الخير يوافيهم
بالمطاعم والملابس من غير ان يسألوهم شيأ من ذلك وفي هذا المسجد ثمانية أبواب باب قبلي
يعرف بباب الزيادة وباب علاء قبلي من الرحبة الذي كان يدرس فيه الوليد رضي الله عنه
وهذا الباب دخل كثير متسع فيه حوانيت السقاطين وعن يمينه ذاهب الى دار الخيل
وعن يساره الخارج منه سماط الصفارين وهي سوق عظيمة محدثة مع جدار المسجد القبلي من
احسن اسواق دمشق وموضع هذه السوق كانت دارا لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فيدفنها سوالعباس رضي الله عنهم وصار مكانها سوقا وباب شرقي وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى باب جبرون وله دهليز عظيم يخرج منه الى بلاط عظيم صورة امامه حنية اواك طاستة اعمدة طوال وفي حنية يسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبإزائه مسجد صغير نسب الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ماء عذب وقد سمعت امام البلاط درج يخدر فيها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم تتصل بباب عظيم بارتفاع قامة اعمدة كالمدوع طول وتحاذي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين وغيرهم وعليها شوارع مستعينة فيها حوانيت الجوهريين والكتبيين وصناع اوانى الزجاج الجوزية وفي الزحبة المتصلة بباب الاول دكاكين لكبار الشهود منهم ثمانية عشر شاهدا وبه وسائر هذا الجانب كلهن في سكان منها الخمسة والستة من العدول والعاقد للاكحة من قبل القاضي وسائر الشهود مقترنون في المدينة وعقرنة من هذا المكان سوق الورادين الذين يبيعون الكاغد والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من ارخام كبير مستدير عليه قبة لا سقف لها تقام أعمدة رخام وفي وسط الحوض أسود نحاس رابض يصوب ويرفع في الهواء أربعة عشر قامة الانسان يسمونه بهوارة صورة نخيب وعن يمين الخارج من باب جبرون دهليز باب ساعات عرفة لها هيئة عاق كبير فيه حيتان صغار مفتحة لها ثقوب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا مضت ساعة من النهار انسلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا وبقال ان هذا الحيل العرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للصاغة ومنحط لسبع لغواكه وما علاه باب يصعد اليه في درج له اعمدة سامية في هواء وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الحولي يعرف بباب الصغير وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه صناعة تعرف بالشمعة في وسطها صهريج ماء ولها مصاطب يجرى فيها الماء ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعلى كل باب من ابواب المسجد الاربعة سوار وصومعة يكون فيها تحو ثمانية بيت تجرى فيها المياه الكثيرة

(ذكر ائمة مسجد دمشق)

وائمته ثلاثة عشر اماما اولهم امام الشافعية وكان في عهد دخول اليها امامهم قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كبار فقهائها وهو الخطيب بالمسجد وسكنه دار الخضراء ويخرج من باب الحديد الى المقصورة وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية

رضي الله عنه وتولى بعد ذلك قضاء الديار المصرية بعد ان ادى
عنه الملك الناصر محمد ثلاثمائة الف درهم كانت عليه بدمشق واسم امام
جلالة امام الحنفية امام مشهد ثم امام الحنابلة ثم امام الكلاسة ثم امام مشهد
أذكر ثم امام مشهد عمر امام مسجد علي رضي الله عنهم اجمعين ثم امام المالكية وكان
امامهم في عهد حروق ابو عبد الله محمد بن ابو القاسم بن خلف بن الحسين الغرطبي الاصل
الغرناطي المولد والدار المشرقي الوفاة المعروف بالابلي ثم امام الحنفية وكان
امامهم في عهد حروق الامام العلامة كمال الدين احمد المعروف بابن الزملكاني ثم امام
الصوفية وكان احد الاولياء الصالحين المشهورين بالصلاح والعبادة ثم امام الحنابلة
في تلك الايام الشيخ عبد الله المغربي الحريشي المراكشي الدمشقي ثم عشرة قاضية
لقضاء الديار المصرية وكان لقاضي هذا العصر من قبل الشام كما كان له ذلك
الديار وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك

(ذكر المدرسين والمفتين به)

ولهذا المسجد حينما يجلس المدرس في دور الغرب المعروف بدور ابن البيطار
مرتفعة وراء المحراب يجلس فيها سبعة وسبعون جماعة من المفتين الذين
ليس لهم مشتركين واحد منهم في دور من دوار المسجد من الشمال والجنوب
والغرب في الدواوين المذكورة لكن لهم حق في راتب مرتبين ومعلم الخط عشرة معلم
القرآن بمكتب الانوار وسواء يحضر الصبيان من معلم في المكتب ومنهم حد
حصة لان ابوه لا يعلم عندهم المدرسين والمسجد الذي كورة ثم الصباح برهان الدين
ابن الشيخ الرافعي وصيهم ثم الصباح برهان الدين ابن الشيخ من المشتهرين بالفضل
والصلاح وتولى عقد الشروط بعد الشروطي وحمار أن ليس المالكية والامر قضاء
دمشق وما تبع من نواحيها الامام العلامة شرف الدين ابن الشيخ [illegible]
[illegible] صاحب المختصر وصار قاضي دمشق بعد الشيخ الامام العلامة علاء الدين
القونوي وتوفي كذا بخط [illegible] لامام الفاضل بدر الدين محمد الشحاوي المالكي
رحمة الله عليهم أجمعين

(ذكر خطباء)

وقد كان قاضي القضاة [illegible] جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الزرعي والد قاضي
المالكية فخر شرف الدين ابن خطيب القرافة حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ

شيوخ

القبطي كان والده من كتاب الصد واسمه ومهم جمال الدين من جمله وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك وعزل لامر أوجب عزله

(حكاية)

كان بدمشق الشيخ الصالح طهير الدين الحجي وكان سيف الدين تذكر يعتقد الامراء يتردد له ويعظمه فحضر يوما دار العدل عند ملك الامراء وحضر القضاة الاربعة فحكى قاضي القضاة جمال الدين بن جمله حكاية فقال له طهير الدين كذبت فأنف القاضي من ذلك واستعظمه فقال للامير كيف يكذبني بحضرتك فقال له الامير احكم عليه وسلمه اليه وطلب الامير رضي بذلك ولم يشأ بسوء فأحضر القاضي بالمدرسة العادلية وضربه مائتي سوط وطيف به على حمار في مدينة دمشق ومنادي عليه فتى فرغ من هذا الضرب على ظهره وصدره وكذا العادة عندهم فبلغ ذلك ملك الامراء وذكر أسداء الانكار وأحضر القضاة واستفتاهم فأجمعوا على خطأ القاضي وحكمه بتعزيره فقال العز بن عبد السلام وهي لا يبلغ به الحدود فقاضي القضاة المالكية شرف الدين قد حكمت تقديره وكتب الى الملك الناصر بذلك فعزره والحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي قضاة الحنفية والمالكية بدمشق ثلاث مدارس احداها أعظمها مدرسة وبها يحكم قاضي القضاة المالكية وهو دار الاحكام والمدرسة الثورية عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكي والمدرسة الشرابشية عمرها شهاب الدين الشرابشي الخازن وبها مدارس كثيرة واعظمها المدرسة النحمية

(ذكر أبواب دمشق)

ولمدينة دمشق عامة أبواب منها باب الفراديس ومنها باب الجابية ومنها الباب الصغير وهو بين هذين البابين مقبرة فيها لعدد عظيم من الصحابة رضي الله عنهم استشهدوا في عهد هرقل محمد بن حرث لقد احسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوله (رجز)

دمشق في اوصافها * جنة خلد راضيه
أما ترى انوارها * قد جعلت ثمانيه

(ذكر بعض المشاهد والمزارات بها)

وبها مشهد يحيى بن الاب بين باب الخاصة وباب الصغير قبر فيه خمسة عشر نبيا ابن سعيد ابن ام المؤمنين وقبر أخيها أم المؤمنين معاوية وقبر ابن مودن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الاحبار رضي الله عنهما وحدث في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم بمعرفتي ان جماعة من الصحابة صحبهم اويس تعرفي من

المدينة

المدينة الى الشام فتوفي في أثناء الطريق في قرية لا عمارة فيها ولا ماء فتحير ولده وأمره [illegible] فوجدوا واحد [illegible] [illegible] [illegible] فوجدوه قبرًا [illegible] كيف [illegible] [illegible] بن كعب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] على قارعة الطريق [illegible] رسلان المعروف بالباز الأشهب

(حكاية في سبب تسميته)

يحكى أن الشيخ ولي الله [illegible] [illegible] رضي الله عنه [illegible] [illegible] [illegible] مدينة واحدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فقال ان كل واحد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان الشيخ أحمد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وترك عدقا منها وقال هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ومع الشيخ أحمد [illegible] رسلان [illegible] [illegible] [illegible] حكاية العدق [illegible] رسلان عن أمرك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أهل الزاوية انهم رأوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهواء [illegible] في دمشق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رضي الله عنهم أجمعين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رضي الله عنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أم [illegible] [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] وعلى [illegible] [illegible] [illegible] أم كلثوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليهم السلام ويقال ان اسمها [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم [illegible] [illegible] أم كلثوم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أهل دمشق قبر الست أم كلثوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على عليهم السلام وبجامع النيرب من قرى دمشق في [illegible] [illegible] [illegible] قبر [illegible] أم مريم عليها السلام وبقرية تعرف بداريا [illegible] [illegible] [illegible] أبي مسلم الخولاني [illegible] [illegible] [illegible] رضي الله عنهم ومن مشاهد دمشق الشهيرة [illegible] مسجد الأقدام وهو [illegible] دمشق على [illegible] [illegible] على قارعة الطريق الأعظم الآخذ الى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو

مسجد عظيم كبير التركيب وفي كل [illegible] تعجب شديد واوانه فخام التي بنت الخواص امام المنصور التي حفرها [illegible] عليه السلام وفي هذا المسجد من صغيره مختصر مكتوب عليه من عصر الصحابي رضي الله عنه وسلم في الوقت ويقال [illegible] مرض عام [illegible] هذا المسجد عن قريب في موضع يعرف [illegible] وأربعة مواضع يعرف أيضا بالكثيب الأحمر وهذا هو

(حد [illegible])

شاهدت امم شاعرون الاعتبار [illegible] تعظم في صدق الحديث [illegible] أمر مسارا [illegible] وأكثرا [illegible] كان آخر [illegible] أمر [illegible] وحرجوا [illegible] ذكورا واناصغارا [illegible] وعيالهم [illegible] وانا موالين [illegible] بعناء [illegible] ان أرفع عن [illegible] بين عجبي على [illegible]

([illegible])

[illegible] دمشق لان الصدق [illegible] عصمه [illegible] موقوفة على [illegible] كفيتهم من [illegible] وأهل بصالحيه [illegible]

)*

(ذكر [illegible] ومشاهده [illegible])

وفي [illegible] [illegible] لأنه مصعد الأنبياء عليهم السلام ومن مشاهده الكريمة [illegible] عليه السلام [illegible] [illegible] عليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا العراق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والسرج [illegible] [illegible] عليه [illegible] [illegible] عليهم السلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأنبياء والصالحين [illegible] [illegible] [illegible]

(ذكر [illegible] والقرى التي [illegible])

وفي آخر [illegible] [illegible] [illegible] عيسى وأمه عليهما السلام [illegible] [illegible] والمباني الشريفة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دمشق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في جهة

و عرف ذلك الموضع بالقدم وأكثر هذه الأنهار التي تتورد وهو يدق تحت الربوة وقد
تحت له مجرى في الحجر الصلد كالعار الكبير ورب أنهر
من أعلى الربوة واندفع في الماء حتى يدق مجراه ويخرج من أسفل الربوة وهي محفورة عدة
وهذه الربوة تشرف على الدور المذكورة وهذا من أحسن وأتقن مسرح الأبصار
ما يلي لسواد وبياض الأنهار الساعة يدهش في رق شيء الأعين في حسن اختلاطها
وتواريها واتباعها وانسيابها وحسن ترتيب الله سبحانه وتعالى من تحتها الأوقاف
الأوقاف الكثيرة من الأراضي والبساتين والرباع يقسم منها على المدارس والمكاتب
والواردين والمستحقين الرزق الجزيلة الكثيرة ومكاتب أيتامها ومكاتب ظاهرة وقد
أشجارها ولا يدخل من بابها الأشجار ارتفاعه ولله الحمد ملح وطاقات معجبة مفروشة بحصى
مخصوص الرخام وفيه سقاية واسعة الحوض وعمود فيها ماء يخرج عند يخرج منه ماء وفي
الغربي من هذا الدار بقرية تعرف بمرج وتعرف قرية كان نسبة إلى فيه كان من ولد من أعلام
حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكانت إقطاعهم وإليها نسب الإمام جمال الدين يوسف بن أركي الكلبي المزي وكثير سواه من العلماء وهي من أعظم قرى دمشق
بها جامع كبير مجيب وسقايه معمورة وأكثر قرى دمشق فيها الجامعات والمساجد الجامعة
والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم وفي شرقي البلد قرية تعرف بيت الأشعة
وكانت فيها كنيسة يقال أن آل كان يحت هم الأصنام فكسرها الخليل عليه السلام وهي
الآن مسجد جامع يدعى مرتفع عن الأرض بعدة درجات عليه ظلام وارين الشام

(ذكر الأوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم)

والأوقاف بدمشق لا تحصر أداء وأصنافها وأكثرها وقف على العاجزين عن الحج
يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ووقف على تجهيز الموتى في أكفانهم وهي
الموتى لا تقدر الأشياء على تجهيزها ووقف الكلاسة الأسارى ووقف لأيتام
المسلمين هم وقف منها أكثرون وأكثرون ووقف على الغرق
ووقف لأن أربعة دمشق لكل واحد منهما ديوان في ديوان عمر على المتولين وعمر
الركاب بين ذلك ومنها أوقاف لنوع من أفعال الخير

(حسنة)

مررت يوما ببعض أزقة دمشق فرأيت بها كثيرا من الفقراء من بقايا الغبار
التتري وهم يتعرون الحجر فتكسرت واجتمع عليه الناس فسألت بعضهم اجتمع شقيقان واحدا
معك لصاحب أوقاف الأيتام فجمعوا وذهب الرجل معه إليه فأراه ما يأخذ ودفع له ما اشترى به

مثل

مش للعجز وهذا من أحسن الأعمال فإن سيد الخلائق لا يليق به على كبر العجز
أو غيره وهو أيضا يكسر نفسه ويتعبها حتى سبب ذلك هذا الوقف حتى لقلوب حرى لله خيرا
من تسامت همته في الخير الى مثل هذا وأهل دمشق في هذه الأوقات في كثرة ما أحدثوا من الزوايا
والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الظن بالفقراء ويعينون أيتام الأموات والأحياء
ولا ولادهم كل من انقطع بجهة من جهات دمشق لأنه ان لم يجد ما يقوم به من المعاش من أمامه
مسجد أو مدرسة أو رباط أو زاوية يجيء اليه فيها رزقه أو يرى أحد منهم مشهد
من المشاهد المباركة أو كبيرا من كبرائهم أو عالما من علمائهم وكل واحد من هؤلاء
غريبا على جميعهم يرون معروفا عن كل وجه محمودا عند كل من رآه ومن كان من هؤلاء
المهمة واحدة وهي أمر من أمور الآخرة صحيحة أو كان الصبيان يعلمهم
القرآن العظيم ويروح ومن أراد منهم الفقه والتفرع يحضر عند واحد من العلماء المشهورين
ومن فضل أهل دمشق انه لا يخلو أحد منهم في ليلة من ليالي رمضان ومن كان من
الأمراء والقضاة والكبراء يدعو أحدا من الفقراء يفرون عنده ومن كل من التجار
وكبار السوقة صنع مثل ذلك ومن كل من الضعفاء والمساكين يأتون لبيت أحد
أحدهم أو في مسجد ويأتي كل أحد بما عنده ويجتمعون جميعا ويفرون دمشق وبيت بيتي
وبين نور الدين الشهيد مدرس المالكية فرغب مني ان أفطر عنده في ليلة من رمضان
فحضرت عنده أربع ليال فلما كان في الليلة الخامسة قلت في طلبي فاعتذرت بأمر ما
يسعني غير الرجوع الى بيتي وبت عنده وأردت الانصراف فلم يمكني من ذلك وقال لي
أحسن الله جزاك كلها أريك أو ترانا أخوك وأحبك وأمر بنصب الصينية وصنع لي بيده كل
ما يشتهيه الصبيان من حلوى وأطعمني وأخذت كتبي عنده في يوم العيد وحضرت المصلى وشفاني
الله تعالى مما أصابني وقد كان ما عندي من النفقة عند فقدت فاكتري لي بغلا وأعطاني
الزاد وسواه وزادني دراهم وقال لي تكون لما عسى ان يعتريك من أمر مثلهم جزاه الله خيرا وكان
بدمشق فاضل من كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصراني من عادته انه متى سمع ان
غريبا وصل الى دمشق بحث عنه وتعهده وأحسن اليه بأن عرف منه الدين والأفضل أمره
بملازمته وكان يلازمه جماعة وعلى هذه الطريقة أيضا كاتب السر الفاضل علاء الدين
بن غانم وجماعة غيره وكان مهما حاصل من كبرائها وهو والصاحب عز الدين الخلاطي لهما آثار
ومكارم وفضائل وأخبار وشهرة ومن غريب ما وقع لي انه لما قدمت دمشق أصابني
وجميع أهل الركب الذي كنت فيه حمى ثلاثة أيام متعاقبة فلما صح بدني وثوبت من
أحد هؤلاء الكرام الذين لم يرد بهم الموت أردت ان أبدأ قبله بالجامع المكرم وبقبر فيه

[illegible] الكرام في كل يوم [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] وسائر [illegible] البلاد
[illegible] المساجد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
امام الجنازة [illegible]
[illegible] قبالة المقصورة فان كان الميت من ائمة
الجامع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كمال وجمال
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان يظلل الناس
[illegible] ربعات الكرام
[illegible]
[illegible] ذكر فيها الميت ورثيه [illegible]
[illegible] اعيانه وعند ذكر السلطان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بالقاضي ومن يليه ثم يؤتى بالتنبول [illegible]

ويكرمون

الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ومولده في ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وستمائة ومنهم الامام الصالح عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ومنهم الامام الزاهد جمال الدين أبو الحسن يوسف بن زكي عبد الرحمن بن يوسف المزي الكلبي صاحب التصانيف ومنهم الشيخ عماد الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الحراني والشيخ الامام شرف الدين محيي الدين يحيى بن محمد بن علي العفوف ومنهم الشيخ الامام المحدث محمد الدين أبو البركات عبد الله بن أبي عبد الله بن أبي الحسن المطعني ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ الامام العالم شهاب الدين أحمد بن ابراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندري ومنهم الشيخ الامام ولي الدين أبو زرعة شمس الدين بن عبد الله بن عمار والشيخ الامام الاجل شمس الدين محمد وكمال الدين عبد الله ابنا الشيخ الامام العالم ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ الامام العالم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سالم الكازروني والشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن محمد بن منصور بن سلامة الحراني وشيخة الصدر جمال الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي كل هؤلاء أجاز لي جميع مروياتهم في سنة ست وعشرين بدمشق واما الذين شوفهت منهم بالسماع فذكور حرج بركات الخشوري الى خارج دمشق وزار القرية المعروفة بالكسوة وقد كنت في ركبه فمن جملة من لقيه ركب سيف الدين الحاج بن سنان الامير الذي صار بعد ذلك مقدم الالف بالديار المصرية وفي تلك السنة صار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري سلطانا بعد الملك المعز عز الدين أيبك التركماني فمن جملة من لقيه في ركبه الشيخ الامام العالم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ثم ارتحلنا الى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المقرئ المحدث أبو الفضائل مأمور بن شبل بن يوسف بن عبد الله الاسدي الموصلي ثم البغدادي الشافعي المعروف بالمؤتمن الساعاتي وقد اجتمعت به مرارا كثيرة في بغداد وسمعت عليه جملة من مسموعاته ثم رحلنا الى أذرعات وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عمان وهي صغيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة الكرك وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة غزة وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة نابلس وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عكا وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة صور وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة صيدا وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة بيروت وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة طرابلس وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة حمص وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة حماة وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة حلب وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة منبج وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة الرقة وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة الرحبة وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عانة وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة هيت وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة الانبار وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة بغداد وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة واسط وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة البصرة وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عبادان وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة الاحساء وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة القطيف وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة البحرين وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة هرمز وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة قلهات وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عدن وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة زبيد وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة تعز وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عيذاب وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة القصير وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة قوص وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة اسنا وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة ادفو وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة اسوان وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة عيذاب وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة القصير وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة قوص وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة اسنا وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة ادفو وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة اسوان وهي كبيرة ومن جملة من لقيه في ركب الخشوري الشيخ الامام العالم المحدث أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن عساكر المقدسي ثم ارتحلنا الى مدينة

بيبرس الشمشكير وهو أمير الطعام وتسمى بالملك المظفر وهو الذي بنى الخانقاة البيبرسية بقرية من خانقاة سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين ابن أيوب فقصده الملك الناصر بالعساكر ومر بيبرس الى الصحراء فتبعته العساكر وقبض عليه واوتى به الى الملك الناصر فامر بقتله وقبض على سلار وحبس في حب حتى مات جوعا ويقال انه اكل جيفة من الجوع نعوذ بالله من ذلك واقام الركب بخارج الكرك أربعة أيام بموضع يقال له الثنية وتحيروا لدخول البرية ثم ارتحلوا الى معان وهو آخر بلاد الشام ورأيت من عفة العوان الى الصحراء التي يقال فيها احلها معقود وحرجها مولود وبعد مسير يومين بالصحراء حوهي حسبان لا عمران بها ثم الى وادي المدح ولا ماء به ثم الى تبوك وهو الموضع الذي عراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تغيض شيئا من الماء فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها فجادت بالماء المعين ولم تزل الى هذا العهد ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عادة الحجاج الشامية اذا وصلوا منزل تبوك أخذوا سلاحهم وجردوا سيوفهم وجعلوا على المنزل وصرخوا الصيحة بسيوفهم ويقولون هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم ويقيمون أربعة أيام للراحة ورواء الجمال واستعداد المياه للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين انهم يدخلون على حوض هذه العين وهو أحواض مصنوعة من حجارة الحوامد من كالصوارع يسقون منها الجمال ويملأون الزيادا والقرب والكل ويكيل كيل حوض يسقي منه جماله وجمال أصحابه ويملأ زوادياهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقي جمله وملأ قربته شيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير لملاقاة بارا حوقاص هذه البرية وفي وسطها وادي الاخيضر كله ماء جار من عين هناك واصحاب الحجاج به في بعض السنين مشقة شديدة من ريح السموم التي تهب فتشعث المياه وانهب شربة الماء الى ألف دينار ومات عشرة بها وبنواحيه وكتب ذلك في بعض محاريب وادي وفي عين هناك يتزلون بركة المعظم وهي نخمة تنسب الى الملك المعظم من اولاد أيوب ويجتمع بها ماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخمس من ايام رحيلهم عن تبوك يصلون الى بئر الحجر حجر ثمود وهي كثيرة الماء ولكن لا يردها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها في غزوة تبوك فأسرع براحلته وأمر أن لا يستقي منها أحد ومن عجن به أطعمه الجمال وهناك ديار ثمود في حسبان من الصخر الاحمر منحوتة لها عتب منقوشة يطول ذكرها انها حديثة الصنعة وعظامهم بحرة في داخل تلك البيوت ان في ذلك لعبرة ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبلين هنالك وبينهما أثر مسجد يصلي الناس فيه وبين الحجر والعلا نصف يوم

اودونه وانعلا قربة كبيرة محسنة لها بساتين النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعا يتزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ويكون عندهم من فضل زادهم ويستجيبون قدر الكفاية وأهل هذه القرية أصحاب أمانة واليها ينتمي بحر نصارى الشام لا يتعدونها ويبايعون الحجاج بها الزاد وسواه ثم يرحل الركب من العلا فيمرلون في غدر حسيهم الوادي المعروف بالعصص وهو شديد الحر تهب فيه السموم المهلكة فحينئذ تعصر السنين على الركب فلا يحدس منهم الا اليسير وتعرف تلك السنة بسنة العصص ومنه يمرلون هدية وهي حسيان ماء غزار يجمعون به فتخرج الماء وهو رعاق وفي اليوم الثالث يمرلون نصر الله المقدس الكريم الشريف

(طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم)

وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف وانتهينا الى المسجد الكريم فوقفنا بباب السلام مسلمين وصليا داخل وسقة الكرمة بين القبر والمنبر الكريم واستلمنا الضعفة الشرقية من المدخل الذي من الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر على يمين مستقبل القبلة وأتينا حق السلام على سيدي الأولين والآخرين وشفيع العصاة والمذنبين الرسول النبي الهاشمي الأبطحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وشرف وكرم وحق السلام على صاحبيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي الله عنهم ونضر وجوههم الى جانب مسرورين بهذه نعمة عظمى مستشرين بهذه كرامة الكبرى حامدين الله تعالى على الوقوع الى معاهد رسوله سريعة ومشاهد ضريحه بقعة ومساجد ومشاهد بقعة ناعين ان لا يحرمنا ذلك الحرم عيدا ولا يجعلنا من جملة زائريه وكاتبه في سبيل الله سعوته

(ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفة)

المسجد الاعظم مستطيل تحفه من جهاته الاربع بلاطات ثلاثة وسطه صحن مفروش بالحصى والرمل وبه المسجد الشريف شارع سقط بالحجر المنحوت وبوسطه المقصورة صلوات الله وسلامه على ساكنها في الجهة الغربية منه على يسار السرق من المسجد الكريم وشكلها عجيب لا شيء عليه وهي مدور بالرخام المدمج بالجص وفوق الباب قد علاها صحن المسجد والطيب معطون الارض وفي المقصورة بيت مستطيل فيه هو وصاحبه لوجه كريم وهما لك يقف الناس للسلام من هذين الوجه الكريم مستدبرين القبلة يسلمون وينصرفون بميامن وجه أبي بكر الصديق ورأس أبي بكر رضي الله عنه عند قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند كتفي أبي بكر رضي الله عنهما وفي الحوض من الروضة المقدسة راحها الله طيبا حوض صغير مرخم في قبلته مشكل محراب يقال

له

انه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ويقال أيضا هو تبرة والله أعلم
وفي وسط المسجد الكريم دفة مصبغة على وجه الارض مقفلة على سرداب له درج يفضي الى
بئر أبي بكر رضي الله عنه تحت المسجد وعلى ذلك السرداب كان طريق بيت عائشة أم
المؤمنين رضي الله عنها الى دارها ولا شك انه هو الخوخة التي ورد ذكرها في الحديث وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم تسليما بسدها وسدما سواها وبنا دار أبي بكر رضي الله عنه ودار
ولده عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ما وشرقي المسجد الكريم دار امام المدينة أبي عبد
الله مالك بن أنس رضي الله عنه وعمر به من باب السلام سقاية يدير لها عليها درج مدوها
معين وتعرف بالعين الزرقاء

(ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم)

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء المدينة الشريفة دار الهجرة يوم الاثنين الثالث عشر
من شهر ربيع الاول فنزل على كلثوم بن عمرو بن عوف وأقام عندهم ثمانية وعشرين ليلة وقيل
أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه الى المدينة فنزل على بني النجار بدار أبي أيوب
الانصاري رضي الله عنه وأقام عنده سبعة أشهر حتى بنى مساكنه ومسجده وكان موضع
المسجد مربد السهل وسهيل اي راعيه من بني عمرو بن عامر بن تعلبة بن عامر بن مبذول النجار
وهو فيهم في حجر أسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين وعمل كان في حجر أبي أيوب رضي الله
عنه فابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما المربد من بني النجار وقيل أرضاهم أبو أيوب عنه
وقيل انهما وهباه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليما المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه حائطا ولم يجعل له سقفا ولا أبوابا وجعله
من بعاده مائة ذراع وعرضه من ذلك وقيل ان عرضه كان دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه
قدر القامة فلما اشتد الحر تكلم أصحابه في تسقيفه فأقام له أساطين من جذوع النخل وجعل
سقفه من جريد ثم أمرت لبنة وكف المسجد فكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسليما رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمله لبنين فعمل كلا عريش كعريش موسى
أو ظله كظلة موسى والامر أقرب من ذلك بين ومطر موسى فكان صلى الله عليه وسلم كان
اذا قام أصاب السقف رأسه وجعل للمسجد ثلاثة أبواب ثم سدها بعد وفي صحاح حولت القبلة
وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وحياة أبي بكر رضي الله
عنه فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسليما وقال لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقول ينبغي ان يزيد في
المسجد ما ردت فيه فأمر بأساطين الخشب وجعل مكانها أساطين اللبن وجعل الاساس بحجارة

الى القامة وجعل الابواب ستة منها فى كل جهة ما عدا القبلة ثلاثا وقال فى باب منها ينبغى ان ابرك هذا المسجد حتى يبلغ الحيطان لم يزل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وارا عمر ان يدخل فى المسجد موضعا للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورضى عنهما فبعه منه وكان فيه ميزاب يصب فى المسجد فرفعه عمر وقال له يؤذى الناس فرفعه العباس وحكما بينهما أبى بن كعب رضى الله عنهما فأبى وارادهما على أن يجعلا الامر ساعة ثم رجلا اليه فقال كانت جارية تغسل رأسى فدخلت عمر إذ تكلم فقال له أبى دع أبا الفضل يتكلم المكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال العباس حصة حصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبيتها معه وما وضعت الميزاب الا برجلاى على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فطرحه وأراد ان يدخله فى المسجد فقال أبى ان عندى من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقول أراد داود عليه السلام أن يبنى بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليتيمين فراوضهما على البيع فأبيا ثم راودهما وباعاه ثم وضع اللبن فرد اليتيمين فرد اليتيمين واسراه منهما ثم رداه كذلك فاستعظم داود الامر فأوحى الله اليه ان كيف تعنى من شئ هو لك فأنت أعلم وان كنت تعطيهما من رضا فأعظهما حتى رضيا وان أبى البيوت عن مسيرة يوم هو لى وقد حرمت عليك بناءه فقال يا رب فعند سليمان فأعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر ما لى ولك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فسر ح أبى الى قوم من الانصار فأتوه بذلك فقال عمر رضى الله عنه أما انى لم أحدث غدرا ولكنى أحببت أن أثبت ثم قال للعباس رضى الله عنه والله لا ردن الميزاب الا وقد صلى على عاتقى ففعل العباس ذلك ثم قال أما الآن فأنت فى حل فتصدق عليه بعد موته عمر وأدخله فى المسجد ثم زاد فيه عثمان رضى الله عنه وبناه بنوة وباشر وسعه فكان يصلى فيه نهارا ويبيت فيه وأذن محدث بالحجارة المنقوشة ووسعه من حيث لا جهة الشرق مما وجعل له سوارى حجارة منشورة بأعمدة الحديد والرصاص وسقفه بالساج وصنع له محراب وقيل ان مروان هو أول من بنى المحراب وقيل عمر ابن عبد العزيز فى خلافة الوليد ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك فى ذلك عمر بن عبد العزيز فوسعه وحسنه وبالغ فى اتقانه وعمده بالرخام والساج المدهب وكان الوليد بعث الى ملك الروم انى أريد أن أبنى مسجد نبينا صلى الله عليه وسلم تسليما فأعنى فيه فبعث اليه الفعلة وثمانين ألف مثقال من الذهب وأمر الوليد بادخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تسليما فيه فاشترى عمر من الدور ما زاد فى ثلاث جهات من المسجد فما صار الى القبلة امتنع عبيد الله ابن عبد الله بن عمر من بيع دار حفصة وطال بينهما الكلام حتى بذل عبد الله عمر على أن لهم ما بقى

منها

منها وغلى ان يخرجوا من باقيها طريقا الى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل عمر للمسجد أربع صوامع في اربعة اركانه وكانت احداها مطلة على دار مروان فلما جاء سليمان ان عبد الملك زيد فيها طن عليه المؤذن حين الاذان فامر بهدمها وجعل عمر للمسجد محرابا وقال هو اول من احدث المحراب ثم زاد فيه المهدي بن أبي جعفر المنصور وكان أوهم بذلك ولم يقض له وكتب اليه الحسن ان يزيد بزغه في الزيادة فيه من جهة الشرق ويقول له ان زيد في شرقيه توسعت الروضة المكرمة المسجد الكريم من تهمه فوجه عمر به انما اراد هدم دار عثمان رضي الله عنه فكتب اليه اني قد عرفت الذي اردت فاكفف عن دار الشيخ عثمان وأمر أبو جعفر ان يظل الصحن أيام الصيف بستور تمتد على حبال ممدودة على خشب تكون في الصحن لتكن المصلين من الحر وكان طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع فبلغه المهدي الى ثلاثمائة ذراع وسوى المنصورة ثلاثين ذراعا من كانت من بقعة عرضه اربعين ذراعا وكتب اسمه في مواضع من المسجد ثم أمر المنصور قلاوون بناء داره صوب عند باب السلام فتولى بناءها الامير الصالح علاء الدين المعروف بالخراز وافاموا مدة طويلة انتهت بتدبير بها البيوت والحرم الى ما هو اراه الى يومنا هذا رفعها الله تعالى من ذلك وزاد له وبناه ابنه الملك الناصر بين الصفا والمروة وسيذكر ان شاء الله وبناه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فيه قطع لانه صلى الله عليه وسلم تسليما انه مهاجر وميل اقامها جبريل عليه السلام وقيل كان جبريل يشير له الى سمتها وهو شيء اورى ان جبريل عليه السلام أشار الى الجبل فتواضعت فتحت حتى بدت الكعبة فكان صلى الله عليه وسلم تسليما يبني وهو يحرر لها عيانا وكل اعتبار فهي فيه قطع وكانت القبلة أول ورود النبي صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الى بيت المقدس ثم حولت الى الكعبة بعد سبعة عشر شهرا او قيل بعد سبعة عشر شهرا

(ذكر المنبر الكريم)

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب الى جذع نخلة بالمسجد فلما صنع له المنبر وتحول اليه حن الجذع حنين الناقة الى حوارها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما نزل اليه فاحتضنه فسكن وقال لو لم ألتزمه لحن الى يوم القيامة واختلفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم فروى ان تميم الداري رضي الله عنه هو الذي صنعه وقيل ان غلاما للعباس رضي الله عنه صنعه وقيل عدة لامرأة من الانصار وورد ذلك في الحديث الصحيح وصنع من طرفاء الغابة وقيل من الاثل وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد على عليا هن ويضع رجليه الكريمتين في وسطاهن فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجليه على أولاهن فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن

وجعل رحليه على الارض وفعل ذلك عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته ثم ترقى الى الثالثة ولما ان صار الامر الى معاوية رضي الله عنه اراد نقل المنبر الى الشام فصنع المسلمون وعصفت ريح شديدة وحسفت الشمس وبدت النجوم نهارا وأظلمت الارض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين منه فلما رأى ذلك معاوية تركه وزاد فيه ستة درجات من أسفله فبلغ تسع درجات

(ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولي الى المدينة بها الدين ابن سلامة من كبار أهل مصر ويسوب عنه القائم الصالح الزاهد نعمة المتابع عز الدين الواسطي نفع الله به وكان يخطب فيه ويقضي بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري

(حكاية)

يذكر ان سراج الدين هذا اقام في خطة القضاء بالمدينة واستقالها بعد أربعين سنة ثم انه اراد الخروج بعد ذلك الى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة ينهاه عن الخروج منها ويخبره بما يترتب على ذلك ويرجع فيقول له سويس على مسيرة ثلاث من مصر فمن اين يصل اليها نعوذ بالله من سوء الخاتمة وكان يسوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله والمجاور الاندلسي بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية وتوفي أحدهم وأبو عبد الله محمد وأصلهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصالة وتولى أحدهما بعد القضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الاسيوطي من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضيا بخاص الكرك

(ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به)

وخدام هذا المسجد الشريف وحدته ميامين من الاحابش وسواهم وهم على هيأت حسان وصور نظاف وملابس طراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء الكبار ولهم المرتبات بدار مصر والشام وتولى لهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المصري من مطرية تريه بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد العربي المعروف بالتراس قديم المجاورة وهو الذي يجب نفسه خوفا من الفتنة

(حكاية)

يذكر أن أبا عبد الله العربي كان حدثني الشيخ يسمى عبد المجيد النحوي وكان الشيخ حسن الطوي به ان يحدث الله بأهله وماله وبركه متى سافر يريد مصر فمر به وبركه على عادته بمنزله

فعلمت

عطف به روحة الشيخ عبد الحميد وراوته عن نفسه فقال انى احب الله ولا أحزن من اتقى
على اهله وماله فلم يزل يزوره ويتعاهده حتى خاف على نفسه الفتنة وحب نفسه وعنى عليه
ووجده الدا ن على تلك الحالة فحملوه حتى برئ وصار من خدام المسجد الكريم ومؤذنا به
ورأس الصفتيين وهو فى قيد الحياة الى هذا العهد

(ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة)

منهم الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق كثير العبادة والصوم والصلاة
عسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قسطا صار محتسبا وكان رعاه ورعكة المعظمة رأيته
بها فى سنة ثمان وعشرين وهو أكثر الناس عبادا وكنت أتحب من ملازمته الصراف مع
شدة الحر بالملاف والصوف مع توش بحار السو وتصير نحرا من كثرة العرق المتحدث
وتصير أرضا سقائين تصور ان له علم بالمجاور الموضع الذى يصب فيه الوضوء ويتجنب موضع
من حصره وأكثر الصالحين فى ذلك الوقت يلبسون الجوارب وكان أبو العباس بن مرزوق
يطوف حافى الرجلين ورأيته يطوف ما حسبت ان أطوف معه فوصفت الطواف وأرت
استلام الحجر الاسود بحقى لحبتى الحجر وارت رجوع عند تقبيل الحجر فما وصلته الا بعد
جهد عظيم ورجعت وهم أطوف وكنت أحمى بحادى على الارض وأمشى عليه حتى بلغت
الرواق وكان ذلك العهد كله زحام عظيم رأيت الفقيه العالم المحدث مجد الدين محمد بن يعقوب
الحسينى صاحب القاموس الازدى وكان يطوف كل يوم سبعا سبعا وكل يطوف فى وقت
القائلة شدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف فى شدة الحر فاشفقت عليه ومن المجاورين
بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد المراكشى الكفيف ومنهم الشيخ أبو مهدى
عيسى بن خزرون المكناسى

(حكاية)

جاور الشيخ أبو مهدى بمكة سنة ثمان وعشرين وسبع الى جبل حراء مع جماعة من المجاورين
فلما صعدوا الجبل ووصلوا المسجد النبى صلى الله عليه وسلم أسلموا وتركوا عنده أخا أبو مهدى
عن الجماعة وراى طريقا فى الجبل فصعد فاذا هو على غار ووصل الصحابة الى اسفل الجبل
فاستطرقوه وهو يأبى فتتبعوا أثر حوافهم فلم يروا له أثرا فعلموا انه سبقهم قصدا الى مكة شرفها
الله تعالى ومر عيسى على طريقه فى جبل آخر وبعد عن الطريق واجهده العطش
والحر وتمزقت نعله فكان يقطع من ثيابه ويلف على رجليه الى ان ضعف عن المشى واستظل
بشجرة أياما قلائل فبعث الله اعرابيا على حمر حتى وقف عليه فحمله فاركبه وأوصله الى
مكة وكان على وسطه هميان فيه ذهب فسلمه الله وأقام بحرشهر لا يستطيع القيام على قدميه

وذهبت جلدتها وبقيت لحما جلدة أخرى وقد جرى مثل ذلك لصاحبي الذكر ان شاء الله
ومن المجاورين بالمدينة الشريفة أبو محمد الشريفي من القراء المحسنين وجاور بمكة في السنة
المذكورة وكان يقرأ لها كتاب الشفا للقاضي عياض بعد صلاة الظهر وأم في التراويح بها
ومن المجاورين الفقيه أبو العباس الفاسي مدرس المالكية بها وتزوج بنت الشيخ الصالح
شهاب الدين الزرندي

(حكاية)

ذكر أن أبا العباس الفاسي تكلم يوما مع بعض الناس وانتهى به الكلام الى ان تكلم بعظيمة
ارتكب فيها بسبب جهله بعلم النسب وعدم حفظه للسانه من تكلم صبيا عفا الله عنه فقال ان
الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يعقب فسمع كلامه الى أمير المدينة صقيل بن
منصور بن جماز الحسني فأنكر كلامه ويحق لكل مؤمن انكاره وأراد قتله وكلم فيه وشفعاء عن المدينة
وذكر انه بعث من اعتقله وان الأمر لم يتيسر له أثر نعوذ بالله من عثرات اللسان وزلله

(ذكر أمير المدينة الشريفة)

كان أمير المدينة كبيش بن منصور بن جماز وكان قد تسمى عمه مهلا ويقال انه توصأ منه ثم ان
كبيشا خرج سنة سبع وعشرين الى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه وعساكرهم اللهم في
بعض الأيام فمر تحت ظلال الأشجار فصار راعيهم الأواسا معين في جماعة من عبيدهم
ينادون بالثارات مهلل فقتلوا كبيش بن منصور صبرا ولعموا دمه وولي بعده أخوه صقيل بن
منصور الذي ذكرنا انه نفى أبا العباس الفاسي

(ذكر بعض المشاهد المكرمة بحرم المدينة الشريفة)

فمنها بقيع الغرقد وهو شرقي المدينة المكرمة وبحرم الله على لسان يعرف بلسان البقيع فأول
ما يلقى الخارج الله على يساره عند خروجه من الثنية ثنية بنت عبد المطلب رضي الله
عنها وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبد المطلب وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه
وأمامها قبر امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة
البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة الممجدة السيدة الكريمة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسلما وعليه قبة بيضاء وعن يمينها بقيعة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما وهو المعروف بابن شحمة وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وقبر عبد الله بن
ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وبازائهم روضة يذكر ان قبور أمهات
المؤمنين بها رضي الله عنهن وبليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة عالية في الهواء بديعة

الاحكام

الاحكام عن يمين الخارج من باب البقيع ورأس الحسين الى رحلى العباس عليهما السلام وقبراهما مرتفعان عن الارض متسعان مغشيان بالواح مديدة الالصاق مرصعة بصفائح الصفر المديدة الحجم وما البقيع قبور المهاجرين والانصار وسائر الصحابة رضى الله عنهم الا من لا يعرف أكثرها وفى آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبى عمر عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم ثم على بن أبى طالب رضى الله عنها وعن ابيها ومن المشاهد الكريمة قباء وهو قرب المدينة على نحو ميلين منها والطريق بينهما فى حدائق النخل وبه المسجد الذى اسس على التقوى والرضوان وهو مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تصور على البعد وفى وسطه محراب اساقه النبى صلى الله عليه وسلم تسليما بترك الناس بالصلاة فيه وفى الجهة القبلية من صحنه محراب على سطحه هو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم تسليما وفى قبلى المسجد دار كانت لابى أيوب الانصارى رضى الله عنه وارضاه وبينه وبين دار ابى بكر وعمر وفاطمة وعائشة رضى الله عنهم وبار الله آثارهن وفى لى عادما وفاها عدد لما تقدم فيه النبى صلى الله عليه وسلم تسليما بعدان كان أحاط وبناه بالحجارة الكريمة عمر رضى الله عنه ومن الماء هذه بئر الربت تخارج المدينة غير مفيض ان ارتشح من بئر هيت التى صلى الله عليه وسلم تسليما والى جهة الشمال منه بئر صاعة وبارالهاس الشيطان حيث صرخ يوم أحد وقال قتل محمد وعلى شفير الخندق الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما عند ضرب الاحزاب حصن خرب يعرف بحصن العراب عمان ان عمر بن العراب المدينة واما معه الى جهة الغرب بئر رومة التى اشترى أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بعشرين الفا ومن المشاهد الكريمة أحد وهو لحبل المدرك الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ان أحدا جبل يحبنا ونحبه وهو بحوى المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها ورأيته الشهداء المكرمون رضى الله عنهم وهم سبعون قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورضى الله عنه وحوله الشهداء المستشهدون فى أحد رضى الله عنهم وقبورهم لجبل أحد وفى شرقى أحد مسجد يسمى بمسجد على بن أبى طالب رضى الله عنه ومسجد يسمى الى عمر رضى الله عنه ومسجد الفتح حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وكانت اقامته بالمدينة الشريفة فى هذه المرة أربعة أيام وفى كل ليلة يبيت بالمسجد الكريم والناس قد حفوا الى حجرته حلقا حلقا واوقدوا الشمع الكثير وبيدهم يتعاقبون القرآن الكريم يتلونه وبعضهم يذكرون الله وبعضهم فى مشاهدة التربة التى شرفها الله بضمها الحبيب كل حسب ما تيسر ممن عدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وهكذا دأب الناس فى هذه الليالى المباركة ويجودون بالصدقات

الكثيرة على المجاورين والمختاجين وكان في صحبتي في هذه الوجهة من الشام الى المدينة الشريفة رجل من أهل الغاص يعرف بمنصور بن سكل واصفاني عارا اجتمعنا به لك بحلب وبحماة وكان في صحبتي أيضا في هذه الوجهة الى المدينة الشريفة الفقيه أحمد بن حسان وصحبني أيضا أحد الصلحاء الفقراء من أهل عرباطة يسمى يعلى بن حيدرة الهوى

(حكاية)

لما وصلنا الى المدينة كرمها الله تعالى ساكنها أفضل الصلاة كر لي علي بن مجلي المذكور انه رأى تلك الليلة في النوم قائلا يقول له اجمع بي واحمد علي (طويل)

هنيأ لكم يا زائرين ضريحه * أتم به يوم المعاد من الرجس

وصلتم الى قبر الحبيب بطيبة * فطوبى لمن يحظى بطيبة أو يمسي

وجاور هذا الرجل بعد صحبته بالمدينة ثم رحل الى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة ثلاث وأربعين فمر في حواري وذكرت حكايته فأمر بإحضاره فحضر بين يديه وحكى له ما جرى بينه وبين صاحبه وأمر له كالعادة الجارية لأمثاله واعطاه ثلاثمائة سكة من ضرب تلك السكة من ذهب وورن السكة من ذهب المعروف بدينار وهو نصف دينار وهذه السكة تجوز في الطعام وغيره وعين له في كل يوم ولمن يصحبه طعام من أهل عرباطة وهو ما يعرف هناك بالمحمدي وهو الذي تسميه العرب الدرهم وأعطاه مع ذلك ثوبا من ثياب الهند وأمر له بدار خارج داره واشترى جارية وغلاما وكان يترك الهند يرى صغيرا ثم يولد عنده ولا يبيعه لأحد من الناس والجارية على أخذ ذلك الذهب واحدة وهو ما ذكر أن الدار لم يحرثها أثرا ولا ذهب قاطع من الدهر والسراب واشتد به المرض أشهرا على ما جرى عليه وحرمت عليه بين يدي الملك فأمر أن يخلى له دار واحدة من داره التي هو فيها واحدة قدمت له فيها طعام وكان رحيلنا من المدينة قاصدين مكة شرفها الله تعالى ثم نزلنا بمسجد ذي الحليفة الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة شرفها الله تعالى وهو مسجد حسن به أشجار وهو على جزء من المدينة قريب منه وادي العقيق وهناك تجردت من ملابسي وتطيبت وتهيأت لأحرامي وصليت ركعتين وأحرمت بالحج معتمرا ولازمت ما يلزم في كل من يحج ويعتمر وهو أن يلبي شعار عليه السلام وهو بالبيداء ثم رحلنا منه ونزلنا بمنزل وهي ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له عسفان ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له خليص ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له رابغ ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الجحفة ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له قديد ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له المشلل ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له السقيا ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الأبواء ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له ودان ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الصفراء ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له بدر ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الروحاء ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له المنصرف ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له مضيق ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له العرج ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الأثاية ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له بئر الماشي ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له وعلان ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له ذو الحليفة وهو الذي أحرمنا منه أولا ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له العقيق ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له ذات عرق ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له غمرة ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له بطن نخلة ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له قرن المنازل ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له السيل الكبير ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الشرائع ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الزاهر ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له نخلة ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الحرم ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له السلم ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له قرن ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له الزيمة ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له المليح ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له قديد ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له خليص ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له عسفان ثم رحلنا ونزلنا بمنزل يقال له مر الظهران وهو وادي مجنة وفيه منازل ونخل وعيون وقصر بمكة لأسرى بني العباسيين وسواقيهم وفيها حصن كبير وتراتيبه حصون كثيرة وقرى متصلة ثم رحلنا منه ونزلنا بمكة حيث نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وانجز وعده الكريم

واستأصل

وستأصل صناديد المشركين وهي قرية فيها حدائق نخل منسلة وبها حصن منيع يدخل اليه من بطن وادين جبل وسد وعين غزيرة تجري ماؤه وموضع الطيب الذي سحبته اعداء الله المشركون هو الى رحبة بنات وموضع الخباء رضي الله عنهم حلته وحسن الرحلة الذي نزلت به الملائكة عن يسار الداخل منه الى الحمراء وبازائه حسل الصبول وهو شبه كثيب الرمل ممتد وزعم اهل تلك البلاد انهم يسمعون عند مشي اصوات الصبول في كل ليلة جمعة وموضع عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يوم بدر يا شديد يا محل وتعالى منصل يسمع حين الصبول وموضع اوثبة ناقته رضي الله عنه حين حل القليب مسجد يقال له مبرك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وبين بدر والعقنقل تحوير في وادي حمل تظاهر به العيون وتتصل حدائق النخل وحلنا من بدر الى الحمراء المعروفة بالعروة وهي بريئة يضل بها الدليل ويذهل عن خليله الخليل مسيرة ثلاث وقد سمعنا واديا رابعا يكون فيه المطر عدوان في بلاد عرضاء وبلاد مجيرة تتاخم مصر والمغرب وهو دون الحفة وبرابر من ريع ثلاثا الى خليص ومن رابغة السوق وهي على مسافة نصف يوم من خليص كثيرة الرمل والحجارة يقصدون شرب السويق بها ويستجيبونه من مصر والشام برسم ذلك ويسقونه الناس على طعامهم السكر والامراء يرونه من الاحراص ويسقونه الناس ويذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم شربه وكان معه في الجيش الذي سار معه من رملة يلملم عدادهم اياه اشتراه سويقا ثم نزلنا بركة خليص وهي في بسيط من الارض كثيرة حدائق النخل لها حصن منيع في قنة جبل وفي البسيط حصن خرب وبها عين غزيرة تدفعت بالماء في الارض وشربت الى الضياع وبساتين حائطة حولها وعن قرارة تلك العين الى الساحية يقيمون هنالك سوقا عظيمة يجلبون اليها الغنم والتمر والادام ثم رحلنا الى عسفان وهي في بسيط من الارض بين جبال وبها آبار معين تنسب احداها الى عثمان بن عفان رضي الله عنه والمسرح المنسوب الى عثمان الى عسفان مسافة نصف يوم من خليص وهو ضيق بين جبلين وفي موضع منه بلاط على صورة المحراب ذكر عمارة تنبئ وهناك تنسب الى علي عليه السلام ويقال انه احدثها وبعسفان حصن عتيق وبرج مشيد وهو اخراب وبه سور شهير المنقل كثير ثم رحلنا من عسفان ونزلنا بطن مر وهي أخصب مرا الظهران وعروا مخصب كثير النخل ذو عين قرارة في الساحية ومن هذا وادي تحلب انهواكه والمخضر الى مكة شرفها الله تعالى ثم أودية المر الوادي المبارك والحوس مستبشر ساوع آهالها مسرورة تحالها وما تلها فوصلنا الى ذي طوى وادي الامين مكة شرفها الله تعالى مورد نامها على حرم الله تعالى ومبوأ خليله ابراهيم ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه

وسلم وحلسا البيت الحرام الشريف الذى من دخله كان آمنا من باب بنى شيبة وشاهدنا الكعبة الشريفة قرأ الله تعظيما وهى كالعروس تجلى على منصة الجلال وتزفل فى برود الجمال محفوفة بوفود الرحمان موصولة الى جنة الرضوان وطفنا بها طواف القدوم واستلمنا الحجر الكريم وصلينا ركعتين بمقام ابراهيم وتعلقنا باستار الكعبة عند الملتزم بين الباب والحجر الاسود حيث يستجاب الدعاء وشربنا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسبما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم صلينا ركعتين بعد الصفا والمروة وبتنا تلك الليلة بدار بقرية من باب ابراهيم والحمد لله الذى شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم وجعلنا ممن بلغته دعوة الخليل عليه الصلاة والسلام ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر الكريم وزمزم والحطيم ومن عجائب صنع الله تعالى انه طبع القلوب على النزوع الى هذه المشاهد المعيدة والشوق الى المثول بمعاهد الشريعة وجعل حب مكة فى القلوب لا تحلها أحد الا أحدث بمجامع قلبه ولا يفارقها الا استدعاها منزلها لعوده عنها شديد الحنين اليها دواما تكرار الوفادة عليها فارضها المبارك تقصر الأعين وتحيرها حسنا القلوب حكمة من الله بالغة وتصديقا لدعوة خليله عليه السلام والشوق يحسرها وهى ماثية ويمثلها وهى عاشة ويهون على من عندها ما يقاسيه من الغربة ويعانيه من العناء وكم من ضعيف يرى الموت عيانا دونها ويشاهد التلف فى طريقها فراجع الله بها سالما قد تلقاها مسرورا مستبشرا كأنه لم يلق فى سفره مرارة ولا كابد مجاعة ولا قاسى انه لا مر الاهى وصنع ربانى ودلالة لا تشوبها لبس ولا تعتريها شائبة ولا يعرفها من يعرفها الا من تعرف فى تصريف المقلبين وتبدو فى فكر المتفكرين ومن وفقه الله تعالى لحلول بيت الارحام والمثول بذلك المقام فقد أتم الله عليه النعمة الكبرى وحوله خير الدارين الدنيا والاخرى فحقق عليه بان يكثر الشكر على ما حوله وسيم الجد على ما ولاه جعلنا الله تعالى ممن أتيحت زيارته ورضيت فى قصدها تجارته وكتب فى سبيل الله آثاره ومحيت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه

(ذكر مدينة مكة المعظمة)

وهى مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة فى بطن واد تحف به الجبال عن يمين قاصدها حتى يصل اليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمرتفعة اشموخ والاحشبان من جبالها جبل أبى قبيس وهو فى جهة جنوب منها وجبل يعنعان وهو فى جهة منها وفى الشمال منها الجبل الاحمر ومن جهة أبى قبيس أجياد الاكبر وأجياد الاصغر وهما شعبان والخندمة وهى جبل وستذكر والمسلك كل ما مى وعرفة والمزدلفة شرقى مكة شرفها الله ولمكة من الابواب ثلاثة باب المعلى باعلاها وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضا بباب الزاهر

وباب العمرة وهو فى جهة المغرب وعنده طريق المدينة المنورة ومصر والشام وحده وقبله بوجه ان التنعيم وسيذكر ذلك وباب المسفلة وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم الفتح ومكة شرفها الله كما اخبر الله فى كتابه العزيز بناها ابراهيم خليله الخليل وارغد ورزق ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فكل طرفة تجلب اليها وثمرات كل شئ تجبى اليها ولقد أكلت هنا من الواكه العجب والتين والخوخ والرطب مالا نظير له فى البلدان وكذلك احضر المجلوب اليها الا بانه سواء طيبا وحلاوة والعموم بها سيان لدا بدت العموم وكل ما يغرق فى البلاد من السلع فيها اجتماعه وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادى نخلة وبطن مر الظهران من البلدان التى كان حرمه الامين ومجاورى بيته العتيق

(ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه)

والمسجد الحرام فى وسط البلد وهو متسع المساحة طوله من شرقى الى غرب اربعمائة ذراع حكى ذلك الازرقى وعرضه يقرب من ذلك والكعبة العظمى فى وسطه ومنظره بديع ومرآه جميل لا يتعاطى المتكلم وصف بديع ولا يحيط الواصف بحسن كماله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسمكه على اعمدة طول مصنفة ثلاثة صفوف تختلف صناعه وأجلها وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كل بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية اربعمائة واحدى وتسعون سارية ما عدا العصية التى فى دار الندوة والمارسة فى الحرم وهى داخلة فى البلاط الاحدى العشر وبداخلها المقام مع الركن العراقى وفصلوها متصلة بدخل من هذا البلاط اليه وينفتح بجدار هذا البلاط مصاطب تحت قبى حنايا يجلس بها المقرئون والمساحون وغيرهم وفى جدار البلاط الذى يقابله مصاطب عليها وسائر البلاطات تحت جدار لها مصاطب بدون حنايا وبباب ابراهيم مدخل من البلاط الغربى فيه سوارى حصبية والعريضة المهدى محمد بن الخليفة أبى جعفر المنصور رضى الله عنهما آثار كريمة فى توسيع المسجد الحرام واحكام بنائه وفى أعلى جدار البلاط الغربى مكتوب أمر عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين اصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته فى سنة سبع وستين ومائة

(ذكر الكعبة المعظمة المشرفة زادها الله تعظيما وتكريما)

والكعبة مبنية فى وسط المسجد وهى بنية مربعة ارتفاعها فى الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا ومن الجهة الرابعة التى بين الحجر الاسود والركن اليمانى تسع وعشرون ذراعا وعرض صحن الحجر الذى من الركن العراقى الى الحجر الاسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك

عرض الصحة التي تقابلها من الركن اليماني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من
الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا وكذلك عرض الصحة
التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارج الحجر فمائة وعشرون شبرا
وانصاف اعلاه وخارج الحجر وهو جدار السمت المستدير المسمى بدع الالصاق واحكامه
واشده فلا يعرضها الانهدام ولا تؤثر فيها الارضة وباب الكعبة معلق في الصفح الذي
بين الحجر الاسود والركن العراقي وبينه وبين الحجر الاسود عشرة أشبار وثلثا الموضع هو
المسمى بالملتزم حيث يستحب الدعاء وارتفاع الباب عن الارض احد عشر شبرا ونصف شبر
وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي ينطوي عليه مجنة أشبار
وهو مصفح صفائح الفضة بديع الصنعة وعمارته وعتبته العليا مصفحان بالفضة وله
غلافان كبيران من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح
في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لعمارتهم في العشر يصعد اكرسي اشبه المنبر
المدرج وتوائم خشب ثم أربع دكات تحري اكرسي عليها ويسحبونه الى جدار الكعبة
الشريفة فيكون درجه الاعلى مقابلا لعتبة الباب ثم يصعد كبير الشيبيين وبيده مفتاح
الكعبة الكريم ومعه اثنان يمسكون بشعر الملتثم على باب الكعبة المسمى بالمزاحم خلال ما يفتح
رئيسهم الباب ويدخله من العشرة الذين يسودون البيت وحده ويسد الباب وهو قائم
فيركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيبيين ويسدون الباب عليه ويركعون ثم يفتح الباب ويبادر
الناس فيدخلون وفي اثناء ذلك يقفون صفين على الباب فكلما صار حاشية وثلث صارعة
وأيد منبسطة الى الله تعالى فاذا تم كبروا وهللوا ثم يسألون رحمته ومغفرته
يا ارحم الراحمين واحسن الكاشفين يا مغفرة الذنوب يا رحيم يا حليم يا كريم ولهذه الاعمدة
ثلاثة فوق مقرصة الدور من حشو الساج من كل عمود منها وبين الاحجار نصف حطا وهي
متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة بين الاوسط منها ونصف عرض الصفح الذي
بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة من الحرير الاسود مكتوب عليها الاخلاص
وهي ثلاثة الاعمدة وارتفاعها كسوتها من الاعلى الى الارض ومن عجائب الآيات
في الكعبة المكرمة ان بابها يفتح والحرم غاص بأممه لا يحصيها الا الله الذي خلقهم ورزقهم
فيدخلونها أجمعين ولا تضيق عنهم ومن عجائبها انها لا تحارص طائر البتة ولا نهارا ولم
يذكر أحد انه رآها قط دون صائف ومن عجائبها ان حمام مكة على كثرته وسواد الطير
لا يبرز عليها ولا يعلوها في الهواء وتجد الحمام يطير على الحرم كله عدا الكعبة
الشريفة فرح عنها الى احدى الجهات ولم يعلها ويقال انه لا يبرز عليها طائر الا اذا كان

به مرض فاتا ان يموت لحينه أو يبرأ من مرضه فحصل الذى خصهما التشريف والتكريم وجعل لهما المهابة والتعظيم

(ذكر الميزاب المبارك)

والميزاب فى الشمع الذى على الحجر وهو من الذهب وسعته شبر واحد وهو مدرر بقدار دراعين والموضع الذى تحت الميزاب مفروش بالرخام الدهان وتحت الميزاب فى الحجر هو قبر اسماعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب منصوبة رخامة خضراء مستديرة وكلتاهما اسعها مقدار شبر ونصف شبر وكلاهما غربية الشكل رائقة المنظر والى جانبه مما يلى الركن العراقى قبر هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أمتار

(ذكر الحجر الاسود)

وأما الحجر فارتفاعه عن الارض ستة أشبار والعوين من الناس يطلعون لقبيله والصغير يتطاول اليه وهو ملصق فى الركن الذى جهة المشرق وسعته ثلث شبر وطوله شبر وعقد ولا يعلم تحريك حجر فى الركن وفيه أربع قطع ملتصقة ويقال ان القرمطى لعنه الله كسره وقيل ان الذى كسره سواء صربه بدبوس فكسره وبادر الناس الى قتله وقتل بسببه جماعة من المعاربة وحوت الحجر مشدود بفضة بلوح مستطيل على سواد الحجر الكريم فتتلى منه أعوذ بحسن الله وبقدرته من شر جميع ما أخاف وأحذر ولا شك ان لا يفارق للخاصية مودعة فيه وعلى ما يشاء وكما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يبعث الله فى أرضه فيقال الله باستلامه ومصافحته والوقوف عليه كل شيء اليه وفى الصفحة المتصلة من الحجر الاسود مما يلى جانبه المراقى بين مسمار فضة يصغر مشرقة كالهلال فى ثلث الصفحة الوسطى وترى الناس اذا طافوا بها تتقبل بعضهم على بعض ارادة تقبيله فلم يتمكن أحد من ذلك الا بعد المزاحمة الشديدة وكذلك يصنعون عند حول البيت الكريم ومن عند الحجر الاسود مبتدأ الطواف وهو أول الاركان التى لهذا البيت المعظم قدرا اسمه وشرفه عنه تميلا وجعل الكعبة عن يساره ومضى فى طوافه تمام الى بعد ركن العراقى وهو الى جهة الشمال ثم يلقى الركن الشامى وهو الى جهة الغرب ثم يلقى الركن اليمانى وهو الى جهة الجنوب ثم يعود الى الحجر الاسود وهو الى جهة المشرق

(ذكر المقام الكريم)

اعلم ان بين باب الكعبة المشرف وبين الركن العراقى موضعا طوله اثنا عشر شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام فى مدة ابراهيم عليه السلام

ثم صرفه النبي صلى الله عليه وسلم الى الموضع الذي هو الآن مصلى ويقي ذلك الموضع شرقيه الحوض واليه ينصب ماء البيت الكريم اغتسل وهو موضع مبارك يزدحم الناس بالصلاة فيه وموضع المقام الكريم يقابل ما بين الركن العراقي والباب الكريم وشواذ الباب أمين وعليه قبة تحتها شباك حديد تحجب عن المقام الكريم وهو متصل أصابع الناس مما يخرج منه من ذلك تشتمل الى الصندوق والثياب مقفل ومن ورائه موضع محجور وقد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد اتى البيت فطاف به سبعا ثم اتى المقام فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى امام الشافعية في الحطيم الذي هو مالك

(ذكر الحجر والمطاف)

وهو جدار الحجر تسع وعشرون خطوة وهي أربعة وثمانون شبرا من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المخرج المحكم الالصاق وارتفاعه خمسة أشبار ونصف شبر وسعته أربعة أشبار ونصف شبر وداخل الحجر بلاط واسع مفروش بالرخام المخرج المنتظم الفرش الصنعة البديع الاتقان وبين جدار الكعبة الشريفة الذي تحت الميزاب وبين هذا الجدار المشروع على هذه الصفة أربعون شبرا والمقصد مدخلان أحدهما يمين الركن العراقي وسعته ستة أذرع وهذا الموضع هو الذي ركبه قريش من البيت حين بنته كما جاء في الآثار الصحيحة والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أحد عشر ذراعا وبين المدخلين ثمانية وأربعون شبرا وموضع الطواف مفروش بالحجارة السود متكئة الالصاق وتباعد عن البيت مقدار تسع خطا الا في الجهة التي بين المقام الكريم وبابه فانها امتدت به حتى احاطت به وسائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل أبيض وطواف النساء من الحجارة مفروشة

(ذكر زمزم المبارك)

وهو قبالة زمزم بعد الحجر الاسود وبينهما أربع وعشرون خطوة والمقام الكريم على غير القبة ومن ركنها اليه عشر خطا وداخل القبة مفروش بالرخام لا بيض وتسمى المباركة وسعة القبة من الحائط الى احد الحائطين المقابلين لشرقيه وغربيه من الرخام البديع الالصاق مفروش بالرخام وبدورها أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر وعمق الماء أحد عشر ذراعا وهم يذكرون ان عمقها تسعة أذرع في كل ليلة جمعة وهب انبعثت الى جهة الشرق وقد استدارت داخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها عن الأرض نحو خمسة أشبار للأماء للوضوء ونحوها مسطبة دائرة يقعد الناس عليها للوضوء وبلى قبة زمزم قبة الشراب المنسوبة الى العباس رضي الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلال

تسعة وسبعين الدوارق وكل دورق به مقصف واحد وتترك بها ليلة ويباح للناس وبها احتران المصاحف الكريمة والكتب التي لحرم الشريف وبها حجرة تحوي على ثلاثين مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط ريحان رضي الله عنه مسجل بستين عشر درهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم قليب وأهل مكة يتصاهم تعهد وشدة حرصوا شديدا المصحف الكريم ويحوا ان الكعبة شريفة ويصعود على العتبة الشريفة ويوضع معه مقام ابراهيم عليه السلام واجتمع الناس كاشفين رؤسهم اعين مصرعين متوسمين بالمصحف العزيز والمقام الكريم فلا يصلون الا وهذا كريم الله رحمه وتمدشه بلطفه وبلي قدمه العباس رضي الله عنه على الحراف من عتبة المقروة نفسه ابو يه

(ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة)

وابواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر بابا وكثرة مفضية الى أبواب كثيرة منها بباب الصفا وهو مفتح على خمسة أبواب وكان قديما يعرف بباب بني شيبة وهو أكبر أبواب المسجد ومنه يخرج الى المسعى ويستحب للوافد على مكة ان يدخل المسجد الحرام شرفه الله من باب بني شيبة ويخرج عند فراغه من باب الصفا على طريقه بين الصفا والمروة ليكون ان موفقا اميرا لمؤمنين المهدي رحمه الله على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى الى الصفا ومنها باب احياد الاصغر مفتح على يمين ومنها باب الحناطين مفتح على يمين ومنها باب العباس رضي الله عنه مفتح على ثلاثة أبواب ومنها باب النبي صلى الله عليه وسلم قليب مفتح على يمين ومنها باب بني شيبة وهو الذي يدخل منه اذا شرفي من حجة فاول امر ان الكعبة المشرفة فتحت بيده وهو مفتح على ثلاثة أبواب وهو باب بني عبد شمس ومنه كان دخول الخلفاء ومنها باب صغير الباب بني شيبة لا اسم له ويسمى باب بريه لانه يخرج منه لرباط السدرة ومنها باب الندوة ويسمى بذلك لثلاثة أبواب أبواب منصفان والثالث في الركن الغربي من دار الندوة دار الندوة وقد جعلت مسجدا شارعا في الحرم مصلاه الله وهي بين الباب ومنها باب صغير لدار الحديث ومنها باب السدرة وهو واحد وهو باب أخر واحد وهو من أجل أبواب الحرم ومنها باب ابراهيم واحد وناس يختلفون يسمونه ويعضهم يسميه باب ابراهيم الخليل عليه السلام وأصح انه منسوب الى ابراهيم الحوري من بني جحم ومنها باب الحزورة مفتح على يمين ومنها باب احياد الاكبر مفتح على يمين ومنها باب يسمى باب احياد الاصغر مفتح على يمين وباب ثالث يسمى اليه مفتح على يمين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من يسمي الباب من هذه الثلاثة المنسوبة لاحياد الى الدور وجميع ابواب المسجد الحرام حين احداق على ركن الى تسعة عشر باب السدة والحرى على ركن [illegible]

باب دار الندوة والرابعة على ركن باب الندوة والخامسة على ركن الحجارة وتعرف من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية باليمن وهو كان يكسو الكعبة الى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون ويخارج باب ابراهيم زاوية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو محسن وعلى باب ابراهيم قبة عظيمة معرضة السعوة تصدع في داخلها من عرائس صنع أبيض ما يقصر عنه الوصف ودار ابن عبد الواحد الذي الى كان بعده الشيخ العالم حلال الدين محمد بن احمد الاشهري وخارج باب ابراهيم بئر تنسب كذلك وعند أبيار الشيخ الصالح دانيال العجمي الذي كانت صدقات العراق في أيام السلطان أبي سعيد بأيدي عدول بتقريره مع رباط الموفق وهو من أحسن الرباطات سكنه أيام مجاورتي بمكة المعظمة وكان به في تلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الدار واوي المغربي وسكن بعده الشيخ الصالح ابو بكر بن معالة الحوالي وحول بوسط بيته بعد صلاة العصر فوجد ساجدا مستقبل الكعبة الشريفة ميتا من عام ثمان عشرة وسبعمائة رضي الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحو ثمان أو نحو ست سنة وسكن به شيخ الصالح شعيب المغربي من كبار المجاورين رحمه الله عليه وبه مع صغر في بنيته عين ماء حلو يشرب منه كثير من الناس فقال لي أستاذ علي مار أيت وحول الحرم الشريف دورا كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها الى سطح الحرم واهلها في مشاهدة الصلاة الشريفة على الدوام وورائي أبيات تنسب الى الحرم منها ما رآه سيدنا الرشيد أمير المؤمنين ومنها ما رآه بعض الوزراء ومن مشاهد الكرمة عقربة من المسجد الحرام تنسب الى وحشي في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها عقربة من باب النبي صلى الله عليه وسلم الى باب بنت صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام وعقربة منها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبقربها اجدار مبارك فيه حجر مبارك مدور طوله من الحائط يسمه الناس ويقال انه كان مسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم تسلم منه يوما فرأى أبو بكر الصديق ولم يكن حاضرا فسأل النبي صلى الله عليه وسلم قد سلمت عليه فأخبره ان رسول الله ليس بحاضر

(ذكر السعي والمروة)

ومن باب الصفا الذي هو أول المسجد الحرام الى الصفا ستون وسبعون خطوة وسعة الصفا سبع عشرة خطوة وطوله أربع عشرة رحبة عظيمة وبين الصفا والمروة اربعمائة وثلاث وسبعون خطوة ومن الصفا الى الميل الاخضر الذي هو أول المسجد الحرام في الصفا ستون وسبعون خطوة ومن الميل الاخضر الى الميلين الاخضرين الى

المروة ثلاث مائة وخمس وعشرون خطوة وللمروة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروة سبع عشر خطوة والميل الاخضر هو سارية خضراء مثبتة مع ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعي الى المروة والميلان الاخضران هما سارية خضراء او باب على من أبواب الحرم احداهما في جدار الحرم عن يسار الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميل الاخضر والميلين الاخضرين يكون الرمل داخلا وعاشا وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة تباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الاقوات والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الصاغة وليس بمكة سوق معظمة سوى هذه الا ما يمر ون والعطارون عند باب بني شيبة وبين الصفا والمروة دار العباس رضي الله عنه وهي الآن رباط يسكنه المجاورون عمره الملك الناصر رحمه الله وبني أيضا ما بين الصفا والمروة ستة ثمان وعشرين وجعل هذا بين أحدها في السوق المذكورة والآخر في سوق العطارين وعليها بيع يسكنه خدامها ويتولى ذلك الامير علاء الدين بن هلال وعن يمين المروة دار أمير مكة سيف الدين عطيفة ابن أبي نمي وستذكره

(ذكر الحبابة المباركة)

وبحبابة مكة خارج باب المعلى ويعرف ذلك الموضع بالحباب والحبابة هي الحارث بن مضاض الجرهمي بقوله (طويل)

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العوائر

وبهذه الحبابة مدفن الحبر العبقري من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاولياء الذين شاهدهم دثرت وهمت عن أهل مكة علمها فلا يعرف منهم الا القليل فمن المعروف منهم أم المؤمنين ورزيرة سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم أولاده صلى الله عليه وسلم تسليما كلهم من عدا ابراهيم وحده السبعين الذكر من صلوات الله وسلامه على النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وعليهم أجمعين وبمقبرة منه بالحبابة أمير المؤمنين ابن جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم أجمعين وفيها الموضع الذي صلب فيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وكان يقابله من هذه الجهة أهل بيته فلم يعرف منهم ما كان يلحق بجاههم المبرور من اللعن وعن يمين مستقبل الحسنة مسجد حرب يقال أنه المسجد الذي بايعت الجن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وعن هذه الحبابة طريق تصاعد الى عرفات وطريق الذاهب الى الطائف والى العراق

(ذكر بعض المشاهد خارج مكة)

منها الحجون وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجون هو الجبل المطل على الجبانة ومنها المحصب وهو أيضا الابطح وهو الذي ذكرناه فيما تقدم وفيه حيث بنى كنانة الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحالفت هي وهو وطوف وهو واد يهبط على قبور المهاجرين التي بالمحصب دون ثنية كداء ويخرج منه الى الاعلام الموضوعة حذاء الحل والحرم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه اذا قدم مكة نزل به ثم أتى البيت من أعلاه ثم يغتسل منه ويعد والى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ومنها ثنية كدى (بضم الكاف) وهي باعلى مكة ومنها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحا فيما ذكر والى مكة ومنها ثنية كداء (بفتح الكاف) ومنها الثنية البيضاء وهي باسفل مكة ومنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما عام الوداع وهي بين حجون وفي مصيفها كوم حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرجمه حجرا وهو الذي يقال له أبي لهب وزوجه حالة الحطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط سهل يمر له الزائر اذا قصد واعلم ميلا وعمرة من هذا الموضع على تحويل من مكة شرفها الله محدد رأس حجر موضوع على الطريق كأنه مسنة يعني حجرا آخر كان فيه نقش هذا رسمه ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما عند ذلك الموضع مستدبر عند مجيئه من عمرة الجعرانة ليلا مستقبل واستقبل وجهه ومنه التنعيم وهو على فرسخ من مكة ومنه يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل الى الحرم ومنه اعتمرت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما في حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه وأمرها ان يعمرها من التنعيم وبيت هناك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب كلها الى عائشة رضي الله عنها وطريق المعتمرين من مكة طريق مشي وأجر من يقصرون خطاه في كل عمرة في الاجر والثواب لان من المعتمرين من يمشي وهو محرم وفي هذا الطريق الآبار العشرة التي تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على تحويل من مكة على طريق التنعيم وهو موضع عليه جاسي الطريق فيه آثار دور وبساتين واسواق وعلى جانب الطريق ذكر مسطبين تصف عليه كيزان الشرب واوانيه الموصوفة بها هذا حديث ذلك الموضع من آثار الزاهر وهي بعيدة التعهد حذاء والحديث من الفقراء المجاورين وأهل الخير يعودون على ذلك بما معه من المرافقة للمعتمرين من العسل والشرب والوضوء وطوى يتصل بالزاهر

(ذكر احوال المطبقة بمكة)

منها جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو أحد الاخشبين وادنى الجبال من مكة شرفها الله وقيل ركن الحجر الاسود وباعلاه مسجد وأثر رباط وعمارة

وكان

وكان امير الصاهر رحمه الله اراد ان يعمره وهو مطل على الحرم الشريف وعلى جميع البلد
ومنه يصور حسن مكة شرفها الله وجلال حرم واتساعه الكعبة المعظمة وسكان حصن أبي
قبيس هو اول حصن حده الله تعالى وفيه اسواع الحجر يقال الصوص وكانت قريش تسميه
الامين لانه هو الذي استودع فيه الحجر الذي استودعه ابو الخليل ابراهيم عليه السلام وهو ان تعراهم عليه
السلام به وفي حصن أبي قبيس موضع مرقب النبي صلى الله عليه وسلم حين انشق له فقرر منها
بمعان وهو أحد الاحشبين وهو الحصن الاحمر وهو في جهة الشمال من مكة شرفها الله
ومنها الخندمة وهو حصن عند المعيبد المقابل من ناحية الاكمة واحية الاصغر ومنها حصن
الطير وهو على أربعة عن جهتي طريق المعلى انما الحصن التي وضع عليها الخليل عليه
السلام اجزاء الطير تدعا ما حصن ابي قبيس الذي كانه العرب رفعا بها اعلام من تجار ومنها جبل
حراء وهو في الشمال من مكة شرفها الله تعالى على نحو فرسخ منها وهو مشرف على منى ذاهب
في الهواء على الجنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كثيرا قبل المبعث وفيه
أتاه الحق من ربه وهو الوحي وقد ابدى الخبر فجئه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت هذا علي ذاك وصديق وشهيد واحد عشر من كان معه يومئذ
وروى ان العشرة كانوا معه وقد روى أيضا ان حصن ثبير احد رفعا صار من حصن ثور وهو على
مقدار فرسخ من مكة شرفها الله تعالى على طريق اليمن وفيه نعار الذي وقع به رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما حين خرجه من الحرم من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضي الله عنه
حسبما ورد في الكتاب انعار ورد ذكر الازرقي في كتابه ان الخليل ابن الله كوبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه ودخل الى بيت الله فصلى ركعتين قبل ان يخرج منها فلما خرج من رسول الله انعار
وا ما ان يدخل حسبه الصديق معه ثلاثة ايام مكث اهل مكة من حينهم على باب الغار وصنعت
امامة عشاء وفرحت فيه بدين الله تعالى فسمي المشركون ومعهم عبد ص الاثر الى الغار
فوجدوا على باب الغار الاثر وراوا العنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة فقالوا ما دخل
احد هذا وانصرفوا فمكث الصديق رسول الله ثلاثة ايام ثم خرجا منه ودل كما خرج من هنا واشار
بيده اليسار كذا في اصل الاخر ولم يكن فيه بار فاسقط وهو ان للحين بقدر ذلك الوهاب
والناس يقصدون زيارة هذا الغار وذلك غير وهو من الاماكن التي دخله منه النبي
صلى الله عليه وسلم بركاته عليك وهم من يأتي له وهم من لا يأتي له ويشرب فيه حتى يتناول
بالحسف العيف ومن الناس من يصلي امامه ولا يدخله واهل تلك البلاد يقولون انه من
كان لرشدة دخله ومن كان لريبة لا يقدر على دخوله وقد ابتحنه كثير من الناس لانه محل
فاصح جاء ان خرق احد في بعض أشياخنا الخرج الناس ان سبب صعوبة الدخول اليه هو

ان يداخله عما لى هذا الشق الذى ينحدر منه حجرا كبيرا معترضا فمن رحمن ذلك الشق مستطاعا على وجهه وصدر رأسه الى ذلك الحجر فيلزمه كذلك الزحف ولا يمكنه ان يستوى على العلو ووجهه وصدره يلتصقان بالارض فمنهم الذى يتسلل ولا يخلص الا بعد الجهد والجهد الى خارج ومنهم من حمل منهم مستلقيا على ظهره وذلك لانه اذا وصل رأسه الى الحجر المعترض رفع رأسه واستوى قاعدا فكان ظهره مستندا الى الحجر المعترض وأوسطه فى الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم قائما بداخل الغار رجع

(حكاية)

ومما اتفق لهذا الحبر لصاحبين من أصحابى احدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد الله بن مرحال الافريقى التورزى والآخر أبو العباس احمد الاندلسى الوادى آشى انهما قصدا (الغار) فى حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى فى سنة ثمان وعشرين وسبع مائة وهى منفردين لم يستصحبا دليلا عارفا بالطريق فقصداها وصلا طريق الغار وسلكا طريقا سواها مقطعة وذلك فى اوان اشتداد الحر وحمى القيظ فمات عند هما من الماء ما كان عندهما من الماء وهما لم يصلا الى الغار احدا فى الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجدا طريقا فاتبعاه وكان يفضى الى جبل آخر واشتد بهما الحر واجهدهما العطش وعايناه الهلاك وكان الفقيه أبو محمد من فرط المشى جهده والقى بنفسه الى الارض ونجا الاندلسى بنفسه وكان فيه فضل قوة ولم يزل يسلك الجبال حتى افضى به الطريق الى اجياد فدخل الى مكة شرفها الله تعالى وقصدنى واعلمنى بهذه الحادثة وعما كان من امر عبد الله التورزى وانقطاعه بسهيل وكان ذلك فى آخر النهار ولعبد الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو من سكان وادى محيد وكان ابن ذلك بمكة فاعلمته عما جرى على ابن عمه وقصدت الشيخ الصالح الامام المعمر عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بخليل امام المالكية نفع الله به فاعلمته بخبره فبعث جماعة من أهل مكة عارفين تلك الجبال وانتشروا فى طلبه وكان من أمر عبد الله التورزى انه لما فارقه رفيقه لجأ الى حجر كبير فاستظل بظله وأقام على هذا الحال من الجهد والعطش والعرى تطير فوق رأسه وتنتظر موته فلما حرم النهار وأتى الليل وجد فى نفسه قوة وبعثه برد الليل فقام عند الصباح على قدميه وزل من الجبل الى ارض واسعة فمشى الى عين الشمس ثم زل ماشيا الى ان بدت له دابة فقصدها فوجد جمعة تعرف بالمراعى فوقع الى الارض ولم يستطع النهوض مر أنه صاحبة الجمعة وكان زوجها قد ذهب الى ورد الماء فصادفه من كان عندهما من الماء فلم يرووه وجاء زوجها فسقاه قربة ماء فلم يروا وأركبه حمار له وقدم به مكة فوصلها عند صلاة العصر من اليوم الثانى متغيرا كأنه قام من قبر

)*

(ذكر أمراء مكة)

وكانت امارة مكة فى عهد دخولى اليها للشريفين الاخوين أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة ابنى الامير أبى سن أبى سعد بن على بن قتادة الحسنيين ورميثة أكبرهما سنا ولكنه كان قد سلم اسم عطيفة فى الدعاء له بمكة لعدله ولرميثة من الاولاد أحمد وعجلان وهو أمير مكة فى هذا العهد وثقبة وسعد وأم هاشم ولعطيفة من الاولاد محمد ومبارك ومسعود ودار عطيفة عن يمين المروة ودار أخيه رميثة رباط الدراى عند باب بنى شيبة وتصرف الطول على باب كل واحد منهم ما عدته ثلاثة امرب من كل يوم

(ذكر أهل مكة وفضائلهم)

ولاهل مكة الافعال الجميلة والمكارمات الحسنة والاخلاق الحسنة والايثار الى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ومن مكارمهم انهم متى صنع أحدهم وليمة سد أبوابها باطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ويستدعيهم بلطف ورفق وحسن خلق ليطعمهم وأكثر المساكين المنقطعين كوبون بالامران حيث يعلم الناس أحيارهم فان أحدهم خبره واحتمله الى منزله ويتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يردهم خائبين ولو كانت له حمولة واحدة فانه يعطى ثلثها أو نصفها ما طيب النفس سالما من غير ضجر ومن افعالهم الحسنة ان الايام اسعار معدودة لكل واحد منهم قفتان كبرى وصغرى وهم يسمون القفة مكتلا فاى الرجل من أهل مكة فى كل يوم فيشترى الحبوب واللحم والخضر ويعطى بعض الحبوب فى احدى قفتيه واللحم والخضر فى الاخرى ويوصل ذلك الى الرجل ويأله طعامه منها ويذهب الرجل الى عياله وعائلته فلا يذكر ان احدا من الصبيان حال الامانة فى ذلك قط من يؤدى ما حمل على انهم الوجوه ولهم على ذلك أجرة معلومة من عرس وأهل مكة لهم ظرف وعفاف فى الملابس وأكثر لباسهم البياض ترى نساءهم ابدا ناصعة نظيفة ويستعملون الطيب كثيرا ويكثرون وكثرون السواك بعيدان الاراك الاخضر ونساء مكة وافدت الحسن ورعان الجمال وات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب حتى ان احداهن لتبيت طيبة وتشترى بعوتها طيبا وهن يعتنين النوم بالليل فى كل ليلة جمعة ويأتين فى أحسن زى وعلى على الحرم رائحة طيبة ويذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابهم عنه وأهل مكة عوائد حسنة فى الموسم وغيره سنذكرها ان شاء الله تعالى اذا فرغنا من ذكر فضائلها ومحاوريها

(ذكر قاضى مكة وخطيبها وامام الموسم وعلمائها وصلحائها)

قاضى مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محيى الدين الصعدى وهو فاضل

كثير الصدقات واسع الجود حسن الاخلاق سير الصوفي والمشاهد للكعبة الشريفة يطعم الطعام اكثر في المواسم المعظمة وخصوصا في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فانه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان سلطان مصر الملك الناصر رحمه الله يعصمه كثيرا ويجمع صدقته وصدقات امراء الله تحرق على يديه وولده شهاب الدين احمد والآن قاضي مكة شرفها الله وخطيب مكة الامام مقام ابراهيم عليه السلام الشيخ المصنع رشيد عبد رشيد الدين الطبري وهو أحد الخطباء الذين ليس بالمجمور مثلهم بلاغة وحسن بيان وتركت انه يشتي كل جمعة خطبة ثم لا يكررها ما عدا امام الموسم وامام المقام لكنه يخرج الشريف هزاع السيد الجليل العالم الصالح الخاشع الشهير أبو عبد الله محمد بن السيد الامام الصالح الورع أبي زيد عبد الرحمن وهو المشتهر بتحنين مع البشاشة والتواضع وعهدي بلاد الحرمين الشريفين ومعروفون بها يحيون وهم من كبار وموده مولد أبيه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من أهل مكة وأحدهما وتمهما بالجميع الخواص عن الناس مستغرق الهم في جمع أوقاته مشتغل كريم النفس حسن الاخلاق كثير الصدقة لا يرى من يسأله شيئا

(حديث ابن مباركة)

رأيت أمام مجاورين بمكة شرفها الله وأنا بالمدرسة الصفرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى في اليوم وشوى عند جلوس المدرس من المدرسة المذكورة بعد انقضاء الشيباني في الكعبة الشريفة يقول من يبايعوني فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وبعد القرفصاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وجعل يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول أبايعك على كذا وكذا وعدد أشياء منها أن لا أفر من بين يديك مكيسا حاسبا وكان من آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي كيف يقول هذا ويعد عليه مع كثرة فقراء مكة وأهل وافدة الهند والعراق والعجم ومصر والشام وكنت أراه حين يدخل لا يساحة المسجد يصير دموعه من غير أن يحس المدعو بها فعلمت أن بعض الاوقات التي يصلي فيها الشيخ المدعو عليه واعتقدته وقلت في نفسي ويحك إلى ذلك الحبيب اهد هذا من الصالحين حدثني غير واحد من السمار كما ومر أنه بعد ثلاث سنين وكان بأمر خدامه يخبزون الخبز ويجعلون الصمام ويأتون به إلى عند صلاة العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم الا مرة واحدة بعد العصر ويقتصرون عليها فمن ذلك الوقت ومن أراد الاكل في غير النهار أكل التمر وذلك صحت الاجسام وقلت فيهم الامراض والعاهات وكان الشيخ خليل مروحا بين الحاوي نحو الدين الطبري وذلك في طلاقهما وتزوجها

وتزوجها

وتوحد بعده الفقيه شهاب الدين السوري من كبار المجاورين وهو من صعيد مصر واقامت عنده اعواما وسافر بها الى المدينة الشريفة ومعها أخوها شهاب الدين فمكث في يمن واطلاق وقرأ على صاحبنا مجاور الفقيه خليل بعض عدة ومن اعلام مكة امام المالكية شهاب الدين بن الرهان ومنهم امام الحنفية شهاب الدين احمد على من كبار أئمة مكة وفضلائها يضع تحت رجليه وتواضع فيها بمكة وسافر في كل سنة أربعين ألف درهم يحسن الى الفقراء بها وبمصر وغيرها لا يرد عن مصروفه ويحسن بعض به لانه امامهم ومنهم امام الحرم الشيخ تقي الدين محمد بن عثمان العدوي الاصل المكي المولد وهو ابن لعاصي نجم الدين واخو حسن عند نقي الدين المصري والناس يعتقدونه لصلوته

(حديث)

كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة وكان له دخول فيما يعنيه وفيما لا يعنيه فوقع في نفس السيد بن أمير الحاج حسني من دوي الاعتبار بمكة فسرق من الحاج فامر فقطع يده فقال له تقي الدين ان لم تقطعها يحضر تشفع فلم يلتفت اليه فأهل مكة حراك عليه فاستشفعوا ومنهم وجلسوا فامر بقطع يده فحضرت فقطعت وحقد ذلك في نفس ولم يزل يتربص به الدوائر ولا قدر له عليه حتى حسبما من الامير بن رميثة وعسيفة واحسن عندهم ان يهدي أحدهم هدية من عمامة او سبحة ليحضر الدرس تكون حوالي اعتنيه ولا تزول عن عمامته حتى يرسل الرحالة ويحول عن مكة فاقام تقي الدين بمكة عواما ثم عزم على الرحلة وودع الاميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب السلم فلقيه صاحبه الاقطع وشكى له ضعف حاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فانتهره تقي الدين ورجره فاستقل خجل الله يعرف عندهم بالحيلة وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه ومنهم النعمة لصالح بن الدين المصري شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والاحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان سؤولا عن الفقيه نجم الدين يعدوده الفقيه محمد بن عثمان المنبلي ومنهم الفقيه الصالح محمد بن الرهان راهد ورع مبتلى بالوسواس رأيته يوما ينوح أمام ركن المدرسة المصرية فيغسل ويكرر وما صح رأسه اعاد مسحه مرات ثم لم يفعله ذلك فمسح رأسه في التركة وكان اذا أراد الصلاة يصلي الامام الشافعي وهو يقول لو بت لوبت فيصلي مع غيره وكان كثير السواك والاعتمار والذكر

(ذكر المجاورين بمكة)

منهم الامام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليمني الشافعي الشهير باليافعي كثير الطواف آناء الليل وأطراف النهار وكان اذا صلى من الليل يصعد الى

سمع المدرسة المظفرية فيقعد مشاهد الكعبة الشريفة الى أن يعلله النوم فيجعل تحت رأسه حجرا ويسام يسيرا ثم يعود الوضوء ويعود لحاله من الطواف حتى يصلي الصبح وكان مروحة الفقيه العالم شهاب الدين بن الرشيدي وكنت صغيرا فكان يأمرني بذلك الى ان مرض مرضه التي مات معه على ذلك فحسبت ثم عرفت يوم الصالحين الذين الاصفون كل فاصلة الى السعيد ينفع الله تعالى وحرم سرت وكان يعتمر في كل يوم من شعبان ويعتمر رمضان مرتين في اليوم اعتمر اعتمر في اخر عمره الى صلى الله عليه وسلم وكان يعتمر في رمضان تعدل حجة وهم الشيخ العالم شمس الدين محمد الحلي كثير الطواف والمجاورة بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو بكر الشيري المعروف بالصغير كثير التردد الى مكة أعوام لا يقام فيها ومنهم الصالح حضر المحمي كثير الصوم والطواف ومنهم الصالح برهان الدين المحمي اواخر كان يصلي له كرسي تحت الكعبة الشريفة ويعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح وقلب خاشع أحد علماء المغاربة ومنهم الصالح المجذوب ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السدرة وقصده أهل مصر والشام يصدقهم ويعلمهم الاسلام كتاب الله تعالى وعلوم تهم وكسوتهم ومنهم الصالح العابد عرفان بن الزاهد من اهل الاموال الصالحة يحمل اليه من بلاد المال الكثير في كل سنة فيوزع على الفقراء والمساكين والمحتاجين حيث يعلم انه يسد خلتهم ويقوم بحاجتهم ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الاحرى من أهل بلدة من كبار الصالحين مجاور بمكة أعواما وبينه وبيني مودة قديمة منذ أيام بلدنا وكان له بيت بالمدرسة المظفرية يقيم العشر الاواخر من رمضان ويأوي بالليل الى مسكنه برباط ربيع وهو من أحسن الرباطات بمكة شرفها الله تعالى وبمكة صالحون واهل دار الخير يعظمون حق التعظيم شديد ويبرون له الصدور وأهل الصلاح يأتونه لعلو كعبه ومن عاد بهم ان كل من له لسان من الحبر والعبد والرسام وغيرهم والبيت وهم يسمونه احمد يحرسه لعشر هذا الرباط ويوصون ذلك اليه على حالهم ومسيرة ما بين مكة والصالح يوما ومن لم يعد سنة نقصت فواكهه في السنة الآتية وصاتها الحوائج

(حكاية في فصله)

اتى يوم عثمان الامير أبي بن داحب بمكة الى شد الرحل وحاجيين الامير وسقوها من تلك البئر فماتوا والحاجيين الى مراتبها اصابهم الاوجاع وضربت ما نصب الارض

وبرؤسها

[illegible] واعتذر الى المساكين
[illegible] وراقت ما كان في أجوافها
[illegible] ومنهم الصالح المبارك أبو
[illegible] ومنهم الشيخ أبو [illegible] كان حيا ما شيخين المذكورين فما وصار
[illegible] ومنهم الشيخ أبو [illegible] وغوث الحسنات ومنهم
الشيخ سعيد الحدي [illegible]

(حسنايه)

[illegible] الشيخ سعيد [illegible] عصاه لا عصيه [illegible] بمكة فحضره الامير
[illegible] رطليه باداء المال فامتنع فعذب بعصر رطليه فاعطى [illegible] وعشرين الف درهم نقرة
[illegible] الامير يوسف الدين [illegible] الدين عيسى ملك
أمير عرب الشام وكان [illegible] الحديدي وحدث ملكها وسيذكر أمره فاعطى
[illegible] الحديدي الشيخ سعيد [illegible] وجهه الشيخ سعيد [illegible] فوصل من ناس الامير غدا وجهه الامير
المذكور [illegible] وجهه أموالا [illegible] التي حلف عليها [illegible] فعذبه
[illegible] وفي من الحرير [illegible] وصفة ما وجد تحت الحصير لونها
[illegible] وعشرين الف [illegible] الشيخ سعيد
[illegible] وشل [illegible] الاموال [illegible] الحرير [illegible] وسوب اليها الامير
[illegible] المصري حرج عليهم الحوش الحديدي مراكب كبيرة [illegible] الاشد ما ت فيهم
[illegible] يقوس [illegible] وسيرا ميقول [illegible] عنهم [illegible] الذي راى عليهم وطعنوا وشلا طعنه
[illegible] واحدا [illegible] عشرة [illegible] الى
[illegible] وما [illegible] انهم [illegible] أحدا في حين القتال ولا يعرفونه
[illegible] ويكرون [illegible] يأخذون المماليك لانهم من جنسهم
[illegible] الحديدي [illegible] الدين ملك [illegible] الدين لما شل [illegible] (شيخ اللام الاولى واسكان
[illegible] وكسر الميم وياء مثناة تحت ساكنة ثم جيم) وولده ناصر الدين وشل الناس خلال الدين قرا وزشاه
والسلطان غياث الدين بلبن وكانت الخلع تاتي اليهم من بغداد [illegible] وشل قصد الشيخ
سعيد الى الخديعة أن العباس بن الخليفة أتى الربع سليمان لعساكر مصر وعلمه بالامر
وكتب له كتابا يخبره بذلك فلما وصل الكتاب الشيخ سعيد الكتاب وذهب الى اليمن

واشترى بها ثلاث خلع سوداء وركب البحر ان الهند فما وصل كنبايت وهي على مسيرة أربعين
يوما من دهلي حضر ذلك الهند كتب صاحب الخبر الى الملك فعند قدوم الشيخ سعيد ومن معه
أمر الخليفة وكاشف الامر عنه فلما حضر بين يديه كرما ما قرب من الحضرة بعث الامراء
والقضاة والفقهاء للقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فعانقه وسايفه ووضع له الامر فقبله ووضعه
على رأسه ودفع له الصندوق الذي فيه الخلع فاختار لبس عمامة كاشية حمراء ولبس احدى
الخلع وكسى الاخرى الامير عياث الدين محمد بن عبد الغافر بن يوسف بن عبد العزيز بن
الخليفة المستعصم العباسي وكان مقيما عند السيد وكسى الخلعة الثالثة الامير قبوله
المقدم بالملك الكبير وهو الذي يقوم على رأسه ويشد عمامته اذا ركب وأمر السلطان بخلع
على الشيخ سعيد ومن معه وأركبه على الفيل ورحل بستة كبابك والسلطان امامه على
فرسه وعن يمينه ويساره الامراء البدان كل واحد منهما أربعة مقدمين في كل طبقة
طائفة من المقدمين رجالة وفرسان والراجات كلهم بالسلاح والمدينة مزينة بأنواع الزينة وضع بها
احدى عشرة قنطرة من الخشب كل واحدة منها أربع صفف في كل طبقة
طائفة من المقدمين رجالة وفرسان والراجات كلهم بالسلاح والمدينة مزينة بأنواع
الحرير الملون أعلاها وأسفلها وداخلها وخارجها وفي وسطها لأنه طريق الخواص من حاشية
السلطان ممن يحضر ما قدمنا ذكره من الطبلخانات والكوسات والبوقات والصنوج لا يمنع منها أحد وكل من يشرف
منه على هذه الطبلخانات من عشرة أذرع فما فوقها من أرباب الدول والاعيان والامراء كالوزير وغيره
كهيئة وزير في حضرته ولا يمنع عنها الا الفقراء وهم يأكل من النعام والبقر والغنم
الشيخ سعيد على الفيل فرشه بثياب الحرير من الفيل الذي يأتي من باب المدينة
الى دار السلطان وأربع دارات من ارباب الدولة من أموالهم عليه وجميع الابواب المعلقة
والمفروشة بالقماش والموضوعة بين يدي الفيل لا يمر السلطان بأحد من أشراف
وأهل الصناعات الذين يمر على ابوابهم الا خرجوا مع بعضهم وهكذا على قدر
السلطان من مصر وأمر الملك كان احد يمشي عن يمين الخشبتين كل يوم جمعة
وأقام الشيخ سعيد شهرا ثم قال معه الملك ما الذي خلفته وعن كنبايت وأقام بها حتى
يدبر السلطان حركته في البحر وكان من الهند ثلاثة أصناف عند وصوله الى الخليفة
وهو الشيخ رحمه الله تعالى أحدهم من أحضره من عنده والثاني من جهز معه
معه عند الخليفة منهم جهزه والثالث من أكرمه وركب له فلما سمع السلطان بوصوله
الى بلاد الهند وانه يريد العود الى بلاده أمر بتجهيزه هكذا من عنده كما اعتقاده
منه في الخلافة وحسن سيرته وكان ذلك في سنة ثلاث وخمسين وستمائة في أيام الملك المعز سيف الدين
الكاشف فلما وصل رحمه الله الى الخليفة أقرأ الكتاب وقبل الهدية الا بحضرة الملك

الصالح

الصالح اسماعيل بن الملك الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رحمه الله بمنعه فلم يقبل منه وهو ثلاثمائة ألف درهم أربعة أحمال وحضر بين يدى الملك الصالح ودفع له الكتاب وأحد الأحمال ووقع سائرها لامرأته واتفق على أن ركب الملك الهند عما طلبه فوجدوا السهود الى الخليفة وأشهد على عمه انه قدمه نائبه على بلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح برد ولاء من قبله وهو شيخ لشيوخ عصر ركن الدين الحبى ومعه الشيخ رجب وجماعة من الصوفية وركبوا البحر وزرس من الاسكندرية وسلطانها يومئذ قطب الدين عمر بن طوران شاه وكرم مثواهم وجهزهم مركبا الى بلاد الهند فوصلوا مدينة كنبايت واشتد سعيد بها وأمر هيبو مئذ مقسوس بسكنى أحد حواصل مدينة الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الأمير وقال له ان الشيخ سعيد ممن لا يركن الى الدنيا ولا يخلع الى سائر ما أشرنا اليها بعد ويتمنى ان يقضوه ويعودوه خوفا عليه وهو السلطان وقال له الأمير الشيخ سعيد معظم عند السلطان ولا يفعل به هذا الأمر الا كبير أمره وهو السلطان رأيه وكتب الأمير بذلك كله الى السلطان وكتب له أيضا صاحب الاسكندرية وقع فى نفس السلطان تعزيز وانقباض عن السيد رجب لكونه تكلم بذلك على رؤس الاشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد من الاكرام ما صدر مع حمام الدجاج عليه ورد فى أكرام الشيخ سعيد ولما دخل شيخ الشيوخ على السلطان قام اليه وعظم أكرامه وكان ممن دخل عليه يقوم له وبقى الشيخ سعيد المذكور بارض الهند معظما مكرما وتم ركبه سنة ثمان وأربعين وكان مكثه أيام مجاورته بها خمس المعروف لحسن وأمره عجيب وشأنه غريب وكان قبل ذلك صحيح العقل جديدا لولى الله تعالى نجم الدين الاصبهانى أيام حياته

(حكايته)

كان حسن المجنون كثير الصواف بالليل وكان يركى فى طوافه بالليل وغيره أكثر الصواف ولا يراه أحد وهو يصلى فقال له بعض أصدقائه وسأله عن ذلك فقال له ياحسن ان أنت بكى عليك وهى مشتاقة الى رؤيتك وكان من ادعيته الى الله تعالى أن يريه اياها فقال له نعم ولكنى لا أقدر لى على ذلك وقال له اجتمع بها عند فى الليلة ان شاء الله تعالى فلما كانت الليلة المقبلة وهى ليلة الجمعة وجد حيث راعى ما كان يشاء الله تعالى فخرج وهو يقول أترانى بباب المعز فأمر بان يسد عينيه وعصب عليه وعلى ذلك ساعة ثم قال له قل نعم فقال ها هو هذا فتح عينيه فاذا هو على دار أمه فدخل عليها وتحدث معها شيئا كثيرا وأقام عندها نصف شهر وأطلق ان يمضى الى مدينة أسوق ثم خرج الى الحمام ووجد الفقير صاحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدى انى اشتقت الى رؤية شيخ يحمد الله وكنت خرجت على عادتى وغبت عنه هذه الأيام

واحب ان تردني اليه فقال له نعم وواعده الى ساعة ليلة ذلك واني فيها امر ان يفعل كفعله في مكة شرفها الله من تعميض عينيه والامساك عن فتحهما . فلما عاد اليه في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث بحم الذي بين عيني شاهرا ولا يحدث به عنه الى ان يحدث عن بحم الذي في رأسي كنت يا حسن في عينك فاني أن تحدث فهو محرم عليه فأخبره بحكايته فسأله الرجل فاتى معه ليلا وأتى الرجل عن عادته فسامر بهما قال له يا سيدي عوهد فسمعه الرجل فضرب يده على فيه وقال أسكت أسكت الله ضرس اسنانه واشتت عينيه وفي محرم مرطها بطرف ناليل والاظهار من عبر وضوء ولا صلاة والناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فاجتمع حرس على السوق التي بين الصفا والمروة فيقصد مطعوما من الحوانيت فيأكل منه ما احب لا يصده أحد ولا يمنعه من يشركل من أكل له شيأ وتقهره له التركة والتعدي في بيعه وشرائه ومتى أن لا وقف تداول أهلها عندهم اليه كل منهم يحرص على ان يأكل من عنده فلما حج سنة ست وكنت فيه مع السقائين متى احب ان شرب ولم ير أنه كذا في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة فيها الامير سيف الدين بلك فاستصحبه معه الى مصر فمضى فصح حجه ان شاء الله تعالى .

(ذكر عاداتهم في صلواتهم ومواضعهم)

من عادتهم أن يصلي اول الائمة امام الشافعية وهو المقدم من قبل أولي الامر وصلاته خلف المقام الكريم مقام ابراهيم الخليل عليه السلام في حجر اسماعيل عليه السلام وجميع الناس بمكة على مذهبه والجمع حسبان موصول ما بينه وبين مقام ابراهيم عليه السلام ثم يصلي على صفتهما وقد عتد على أرحل مخصصة وعرس عن أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق منها قناديل زجاج فيصلي الامام الشافعي صلاة المغرب امام الكعبة في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي امام الحنفية بجانبه في وقت واحد بعد الامام الحجر الاسود والركن اليماني ثم يصلي امام الحنفية بجانب الباب الكريم تحت خشبة له شعبتان يوضع بين ايدي الائمة في منابرهم اشمع وزنها هكذا في الليالي الاربع وأما صلاة العشاء فانهم يصلونها في وقت واحد كل امام يصلي لطائفته ويرحل على الناس من يسهو وتحمله فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي وتراهم منحنين كل احد الى صوت المؤذن الذي يسمع صلاته ليلا يرحل عليه لسهو

(ذكر عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة)

وعادتهم في يوم الجمعة ان يصعد المشد المسمى الى صحن الكعبة الشريفة فيما بين الحجر الاسود والركن العراقي وكون الخطيب مستقبلا مقام الكريم فاذا اخذ الخطيب في الصعود لبس السواد معتما بعمامة سوداء وعليه طيلسان اسود كل ذلك من كسوة بيت الله صر وعليه

لون والسكينة وهو تهادى بين رجلين سوداوين يتمسكان بمرجلين من المؤذنين وبين يديه أحمد لقوده في يده اليمنى وهي عوض في يده حضرة في مقول يتفضه في الهواء فيسمع له صوت عن يسمعه من داخل الحرم وخارجه فيكون اعلاما بخروج الخطيب ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر فيقف احد الاسودة ويدعوعه ثم يصعد المنبر والمؤذن الرمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يدي الاسود وعلى عاتقه السيف بحمالته مسدودة تركه ان تمس جانبي المنبر فاذا صعد أول درجة من درج المنبر تقدم المؤذن السيف فيضرب بحصن ضربة في الدرج يسمع بها الحاضرين ثم يضرب في الدرج الذي فوقه ثم في الثالث أخرى حتى يستوي على اعلى المنبر فيضرب ضربة بعد وقف داعيا بدعاء حتى مستقبل الكعبة ثم يجلس على المنبر ويسلم على يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم بعده يؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد ويفرغ الامام من خطب الخطبة خطبة يكثر فيها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في اثنائها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف وصلى بناصيته الى البيت الكريم مصل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما وقف بعرفة واقف ويرضى عن الخلفاء الاربعة وعن سائر الصحابة وعن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيده وأمه وخديجة بحدتهم ما على جميعهم السلام ثم يدعو للملك الناصر ثم للسلطان الملك الظاهر ركن الدين عبيبرس الملك المؤيد داود بن الملك المنصور يوسف بن عمر بن رسول ثم يدعو للسيدين الشريفين الحسنيين أميري مكة شرفها الله تعالى وهو اصغر الاخوين ويقدم اسمه بعد له وأسد الدين رميثة ابي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة ويدعو لعساكر العراق من ثم قدم لذلك ويفرغ من خطبته صلى وانصرف والراية عن يمينه وشماله والفرقعة امامه اشعارا بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر الى مكانه ايام المقام الكريم

(ذكر عادتهم في استهلال الشهور)

وعادتهم في ذلك ان امير مكة في اول يوم من الشهر وقوده محفوف به وهو لابس السياص معمم متقلد سيفا وعليه السكينة والوقار فيصلي عند مقام ابراهيم ركعتين ثم يقبل الحجر ويشرع في طواف أسبوع ورئيس المؤذنين على اعلى قبة زمزم وعند ما يكمل الامير شوطا واحدا ويقصد الحجر الاسود يدعو رئيس المؤذنين بالدعاء له والبسملة عند دخول الشهر واهله ذلك صوته ثم يذكر شعراء المدحو ويمتدح بعض الكرم ويدعو له كذا في السبعة أشواط فاذا فرغ سجد عند المقام ركعتين ثم ركع خلف المقام ركعتين ثم انصرف ومشى هذا سواء يفعل ذلك سفرا او اقام من سفر أيضا

(ذكر عادتهم في شهر رجب)

واذا هل هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الصول والدوقات اشعارا بدخول الشهر ثم يخرج في ثاني يوم منه راكبا ومعه اهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب وكلهم لابسة بالعصبي بين يديه والفرسان يجولون ويجرون والرجالة يواثبون ويرمون بحرابهم في الهواء ويلعبونها والامير رشيقة والامير عتيقة معهما اولادهما وانواعهم من محمد بن ابراهيم وعلي واحمد ابني صالح وعلي بن يوسف وشنادر بن عمرو وعمر اشرف ومنصور بن عمر وموسى المرزق وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجوه السواد ويثير أمامهم الرايات والصول والدبدب وعليهم السكينة والوقار ويسيرون حتى يمروا على اجياد ثم يتحدرون في الوادي على معهود تريبهم الى المسجد الحرام فيقوف الامير بالباب والمؤذن يؤذن على قبة زمزم يدعو له عند كل شوط على ما ذكرناه من عادته في الصف صلى ركعتين عند المقام وصلى عند الحطيم وتمسح به وخرج الى المسعى فسعى راكبا والقواد يعدون به والحرابة بين يديه ثم سار الى منزله وهذا اليوم عندهم عند من الاعياد ويلبسون فيه أحسن الثياب ويتنعمون في ذلك

(ذكر عمرة رجب)

وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله وهي متصيد الملاوم واوقات الشهر كله معمورة العادة وخصوصا اليوم منه واليوم الخامس عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لها قبل ذلك بايام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد عصبت بالجواوح عليها اكسية الحرير والكتان ارفع كل أحد بحسب قدر سعته وحاله من ربعة مقلدة بقلائد الحرير واسرار الجواوح صفيحة تكاد تمس الارض وهي كالقباب المضروبة ويخرجون الى ميقات التنعيم فتسيل أرض مكة بسيل الجواوح والسراة مشتعلة بحسن الطرق والشمع والمشاعل امام الجواوح والحمل يحرسهم اهل الجلد بين فارس الفرس وراجل الدموع وقد اقصروا العمرة وطافوا بالبيت وخرجوا الى السعي بين الصفا والمروة وقد مضى شيء من الليل والمسعى متقد المرج عاص بالناس والساعيات في هوادجهن والمسجد الحرام يتلألأ نورا وهم يسمون هذه العمرة العمرة المكية لانهم يخرجون بها من اكمة امام مسجد عائشة رضي الله عنها تقدم ذكرها على مقربة من المسجد المنسوب الى علي رضي الله عنه والاصل في هذه العمرة ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بناء الكعبة المقدسة خرج معتمرا حافيا معتمرا ومعه أهل مكة وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى الى الاكمة فاحرم منها وجعل طريقه على ثنية الحجون الى اعلى مكة حيث دخل المسجد يوم الفتح وهيئت تلك العمرة سنة عند أهل مكة الى هذا العهد وكان يوم عيد مشهود كثر الهدي فيه بها كثيرة

وأهدى

واهدى شرف مكة واهل الاستقامة منهم واذا هوا ايد ضعفوا ويضعفون شكرا لله تعالى
على ما وهبهم من الذي يرواما معونتي سا بيه الكريم على الصفة التي كان عليها في أيام الخليل
صلوات الله عليه ثم لما حان ان الزمن عين الحج الى الكعبة ورفض الى مالها في عيد قريش
وزاد الله شرفا وتعظيما وأمنا وبركة على يد نبيه صلى الله عليه وسلم على ما الحدث عليه من
الكرم أراد الخليفة الحج والمسير فاراد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
عن لا يؤمن على امير المؤمنين لا تجعل اليه سبيلا فلا يرضى أن أحدا من الناس يغيره فعن تركه
على حاله من سعة وأهل الجهات الذين يمكنهم من يجيء ويزار ويامن يدرون لا تصور
عمر فرحب وحملوا الى مكة الدقيق والسمن والعسل والزبيب والزيت والتمور فرخص
الاسعار بمكة ورغد عيش أهلها والوافدين ورفه على الناس بالبلد لكان أهل مكة في
سعة من المعايش ويذكرانهم من أمر الحج أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ووقع
الموت في موالهم وعلى اولادهم الذين احصنت بهم وبيوت فيها البركة وبيت اموالهم فهم
احسن وقت مقامهم وادركهم كبر عمر اضعفت بسببه قواهم فعاجزهم وهو امس لعنف صنع
الله به وعافيته بعد الامين وزاد سرورا في سكانها بعد دورها وبامنه وسواهم من
الفضائل شعشعة كثيرة لا تحصى واوصافا جلات واضحة الانس لهم صدق نية وحسن
اعتقاد وهم اذا قدموا لمكة يسرعون عام الأول حوائجهم ويعجلون بالمسير داعين
بعيدة عصر لقتهم الليلة وتبعها يوم بعد يوم حتى لا يمكن حولها بالسبي اليهم
مؤمنين على ادعيتهم ولا يمكن غيرهم وقت معهم وقد استلم الحجر الاسود عليه وهم
شعثان الحصاد ولباسهم احسن واذا دخل مكة شباب عراب اعرق في مقدمهم ويحسنوا
اعتراضهم ومن حجهم من الزوار حتى مروا كان النبي صلى الله عليه وسلم كرهم وانبي
عليهم خيرا وسأل عن احوالهم ليدعو لهم كما دعا وكف عنهم شرها حتى هوازن قوم خرجوا صلى الله
عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ثمان وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان
يجري وقت صوافيهم وهو حين في جلوسهم تركاتهم وشأنهم يحسب كله وقد حاء في أثر احوالهم
في الشراب من الرحمة ما عم عنهم سنا

وإذا كرهتهم فإنه لا يصف من سعة ،

وهذا يدور من الليالي بعد ثمان عشرة بقيت منه يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف
والصلاة عند الكعبة وأدبار الصلوات ويجتمعون في المسجد الحرام جماعات لكل جماعة امام
ويؤذنون للصبح والمشاعر ومن بمنى يصلون الصبح يوم التروية لا الا الزمن والضعفاء
ورأيت صلوا ثمانية ركعة يقرؤن في كل ركعة منها بعشر وسور الاخلاص يكررونها عشرا

وبعض الناس يصلون في أخر صفوف وبعضهم يقفون بالباب الذي قدامهم قد حوالي الاعمار

(ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم)

واذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة ويقع الاجتماع بالمسجد الحرام من بعد صلاة العصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى ينير الحرم نورا ويسطع بهجة واشراقا وتحضر الائمة فرقا وهم الحنفية والحنبلية والشافعية والزيدية وأما المالكية فيجتمعون على أربعة من ائمتهم يأتون وحدهم بدون شمع ولا يقفون في الحرم وانما يقفون خارجه ويصلي جماعة في صحن المسجد الحرام وترى الطبول وتحس القلوب وتهتز الاعين ومن الناس من يتضرع على السراف والصرف في الحرم ويقيم اكثر الائمة الحنفية وعاداتهم انهم اذا اكملوا التراويح المعتادة وهي عشرون ركعة يقوم امامهم وجماعته فاذا فرغ من الاسبوع صرخت الفرقة التي كانت بالحرم بالتكبير بين يدي الخطيب يوم الجمعة كما تقدم اعلاما لهم بالشروع في الصلاة فيصلي ركعتين ثم يصلون أسبوعا هكذا ان يتم عشرين ركعة اخرى ثم يصلون الشفع والوتر وكذلك يفعلون وسائر الائمة لا يزيدون على العشرة شيأ واذا كان وقت السحور يضربون الطبول الكبار التي تسمى الصومعة التي بركن الشرقي من الحرم ويقوم داعي الدور كل واحد في محل معين للسحور والمؤذنون في سائر الصوامع فاذا تكلم احدهم اجابه صاحبه وهكذا حتى يأتي كل صومعة حسب ما عين لها وكل معترض قد علق به فانوس من الرصاص كبير فاذا نادى المؤذن بالشفع هرع الناس بالطبول مرة بعد مرة حتى يعلم المتهجدون والنائمون بالاذان وجاء بعضهم بعد ما صلى بالحرم بمكة ثم رجع الى منزله سريعا من غير وداع لئلا يسمع الاذان بعض الناس فيظن انه اذان السحور حتى يأتي بعضهم أضيع الاكل في كل ليلة ومن باب السلام الذي يلي المسعى يخرج رمضان يحتفلون بختم القرآن ويحضر الختم القاضي وجماعة من الاكابر وكان يحضر ختم الكبار أهل مكة فاذا ختم نصب المختم بالحرم وأوقد الشمع وخطب الخطيب على مقامه المعتاد في أيام الناس الى صلاة العصر ثم الائمة الكبار والخلوات وكذلك يفعلون في جميع ليالي الوتر واعظم ختم الناس في عدهم ليلة سبع وعشرين وعدهم لها أعظم من احتفالهم بسائر الليالي ويختم بها القرآن العظيم حتى للعظم الكريم ويقوم الخطيب الشافعية خطبة عظيمة يوصي بالختم وتعرض فيها الاوراد في شوال وتحصى ثلاث ختمات وعليه الشمع وتشتعل الرحاب فيكاد يغشى الابصار سعاع الانوار ويتقدم الامام ويصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يبتدئ قراءة سورة البقرة والبيهكون يقرأ الائمة في الليلة الى قبل اوقات الساعة

يمسك جميع الرعية عن الزراعة بعض حصة المقام ويحضروها مبركين فيختم الامام في
تسليمتين ثم يقوم خطيبا مستقبل القبلة ماذا فرغ من دعائه انصرف هو وهم وانفض الجمع
ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في امام الملكي في مصر محتضر وعن ابن قاسم مرهون
يحتم ويختم

(ذكر عادتهم في شوال)

وعادتهم في شوال وهو مستهل أشهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل على أسطحة
وشرفات المصانع والشبابيك عند غروب شمسهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقد
السرج في الصوامع من جميع جهاتها ويوقد جميع الحرم كله وسطح المسجد الذي اعلى أن
يبيت وينام المرتزقون ليلتهم ذلك ثم يلبسون ثيابهم ويتوافون ويصلون وذكر
ودعاء ما اصطلحوا عليه ثم اذا صحا سيدنا في أشعة الغد وأذن لهم حسن ثيابهم ويدخلون لأحد
بعد أحد بهم بالحرم الشريف ويصلون صلاة العيد لانه لا موضع أفضل منه ويكون أول من
يكبر في المسجد الشيوخ المجاورون بالكعبة المشرفة وبعدهم الشيخ عبد وسائرهم
من بعده الى أن أمر مكبر فيكبر ويسوق بالبيت سوقا ويدور الرمي فوق سطح
البيت رمي بعد رمي بالمشاعل الموقدة بالنار بعد دورانها ولا يزال يكبر ثم الخطيب من
أول حين يسلم الامام ويقعد قاصدا مواجها للناس والوالد فيصلي خلف الامام الكريم ثم يصعد
المنبر ويخطب خطبة بليغة فاصحة يعظ الناس فيها ويحثهم على عمل الصالحات
والاستعداد بصالح الاعمال ويختمها بالدعاء لأحوال أهل الحرمين الشريفين المعظمين
بركاتهم فيها من تحياة وصلوات ثم يسكتون

(ذكر احرام الكعبة)

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تحرم الكعبة المشرفة بالكسوة الجديدة وازالة
الكسوة التي لبست سابع عشرة يوما من يوم تحريمها ولا يزال يتبعها بالطيب الى أن تنتهي
ويستمر ذلك احرام الكعبة وهو يوم مشهود يحرم الناس ولا تتبع الكعبة المشرفة من
ذلك اليوم حتى تمضي أربعة عشر يوما

(ذكر معتاد الحج وعماله)

واذا كان في أول يوم من شهر ذي الحجة تضرب الصول وتسدد في أوقات الصلوات وكرة
وعشية اشعارا بالموسم المبارك ولا يزال كذلك الى يوم الصعود الى عرفات فاذا كان اليوم
السابع من ذي الحجة خطب الخطيب خطبة الصبح خطبة بليغة يعلم الناس فيها مناسكهم
ويعظهم موعظة حسنة فاذا كان اليوم الثامن كر الناس بالصعود الى منى وامر امير المصر والشام

والعراق وأهل العربية يقولون تبث الملة في وقعة الملاهاء والمفاوز بين أهل مصر والشام والعراق في ايتا السبع ولكل الفصل في بعد الأمر الشام الأقصا كان اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح الى عرفة يمرون في طريقهم الى شعب ويمرون فيه على بلدة ووادي محسر وهو الحد بين مزدلفة ومنى وبين مزدلفة ومنى ثلاثة أميال حسبي وحولها مصانع وصهاريج لماء يقال لها بطن محسر أن جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين منى وعرفة ثمانية أميال وكلها أصابها تأميل ولعرفة لأنها امتاز وهي عرفة وجمع الحاج الحرام وعرفات بين الأرض مجتمع تجتمع به حجيج كثير وفي حديث عرفات حين ارتحل ووقف بها وحول العلم قصد المحرمين وهما حدان من حد الحرم وقد بينهما وعرفة من طرف الذي هو الى صلى الله عليه وسلم ينازع عنه وقد أمر الله المسلمين عن يقفوا حتى يقف عليه السلام ثم كل موقف الناس وقد أمر الله ابراهيم أن يحج الناس وحدد وهم الرحم فأمر واسعد رحوهم أن يصلوا بهم عرفة حين تزول الشمس ثم يدفعون الى مزدلفة ثم في وقت صلاة الصبح يدفعون حتى يأتوا منى وقوفهم بعرفة الى أن تغرب الشمس ودفعهم من عرفة الى مزدلفة بعد غروب الشمس وقد أتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد بين ذلك بقوله وحوله صح فصح يدل على أن قوله عرفات وقوله مشعر حرام منصوبة على الظرف وفي أسفل هذا الجبل عن يسار المصعد إلى عرفة وعقبة السبب يقال أن آدم عليه السلام وعن يسارها الحجر الذي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عنده هذا حوض ناقة وحمار لك وعشرة منه الموضع الذي يقف فيه الامام ويجمع الناس ويخطب وعن يسار العلم المستقبل أصل واري الذي ترك وبار عند في الأرض امتداد طول الوادي حتى وقف عشر الأمام المالكي بعد ذلك عن موقفه ودفع امتثالا للأمر رفعة رفع لها الأرض وحث الحمار ليعلو ركب وشهداء عامر وكان يقف حتى عند وأصبح ان شاء الله جعلنا الله من خصه فيه برضاه وكنت وقتي الأول يوم الجمعة سنة وعشرين وأربعمائة ركب الى عرفات الوادي مالك الملك الرحيم في الصوم أربعون الله كور وحجر وجه الى الصخرات التي على يسار الطريق المعلم الذي أو بنت لمراد رمز أركب الى مسيل الماء وقفت عروب الشمس وصليت المغرب والعشاء جمع بينهما حسبما جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصليتها الصبح بمزدلفة عند وامض الى منى

بعد

بعد الوقوف والدعاء بالمشعر الحرام ومن بلغة كلها موقف الا وادى محسر وفيه يسرع المحرم له حتى يخرج عنه وهو من مزدلفة ستحصب أكثرا الناس حصيات اخذوها من ذلك المسجد ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والامر فى ذلك واسع ولما انتهى الناس الى رمى جمرة العقبة ثم نحروا او حلقوا وحل لهم كل شئ الا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ورمى هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر واستمر هو توجه أكثر الناس بعد ان نحروا وحلقوا الى مكة لطواف الافاضة ومنهم من أقام الى اليوم الثانى وفى اليوم الثانى رمى الناس عند زوال الشمس بالجمرة الاولى سبع حصيات وكبر لوسعى كذلك ووقفوا للدعاء بين الجمرتين الصغرى والوسطى عند كل منهما وسعى ولم يكن اليوم الثالث لهم لان لا نصدار الى مكة بعد الزوال لكل لمحرم فى ذلك اليوم وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمى سبع حصيات

(ذكر كسوة الكعبة)

وفى يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من تركيا مصرى الى البيت الكريم فوضعت فى مخزنه من اليوم الثالث بعد يوم النحر احد السبعين فى اسبالها على الكعبة الشريفة وهى كسوة سوداء حالكة من الحرير مصنعة بالذهب وفى اعلاها شريط مكتوب فيه بالبياض جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وفى سائر جهاتها ايات بينات مكتوبة بالبياض فيها ايات من القرآن وعليها نور لم يشرق من سواد هاء ولما كسيت صعدت اليها صوناعن أيدى الناس والوقت الحاضر هو فى اول كسوة الكعبة الكريمة وبعث من سلطان القاضى والخطيب والائمة والمؤذنين والحراسين والقومة وغيرهم لهم ما يخصهم لشرف من الشمع والزيت فى كل سنة وفى هذه الايام تجتمع الكعبة الشريفة فى كل يوم للعراقيين والخراسانيين وغيرهم ممن يقصد مع الركب العراقى وهم يومون مكة عند مقدم الركبين الشامى والمصرى اربعة أيام فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولعدد شديد منهم يقومون بالحرم ليلا فى لقوه فى الحرم من المجاورين والغرباء عند وصولهم وكذلك يعطون عند خروجهم الكعبة الشريفة ويعطى السدنة والخدام الذين فى الحرم الشريف وغيرهم ممن يقصد الكعبة الشريفة من العراق فيه الذهب والفضة حتى يبقى وقد قسمت فيهم من العراق سنة ثمان وعشرين وخراسان ذلك شيئا كثيرا والصدقة حتى يوم سوم الذهب مكة والمعنى صرف لمعنى ان ثمانية عشر درهما تعدل عشرة دراهم مكية وقد تصدق بها من الذهب وفى هذه السنة كرام الملك ان سعيد ملك العراق على المدينة وهو قرمرم

(ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى)

وفي الموفي عشرين لذي الحجة خرجت عن مكة تحفة أمير ركب العراق المهولي محمد الحاج بحائين مجملين) وهو من أهل الموصل وكان يلي أمر الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين دندر وكان شهاب الدين محبوبا جدا لاعظم الحرمة عند سلطانه محققا لحبته وحاجبه على طريقة العلدرية ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في تحفة الامير المهولي المذكور اكتري لي شقة محمار الى عسفان ودفعت لهم من ماله وأنزلني في حراره وخرجنا بعد طواف الوداع الى بطن مر في جمع من العرايين والحراسين والعاربين والاعراب لا يحصى عددهم تموج بهم الارض موجا ويسيرون سير السحاب المدراكم فخرج عن اركب بلاحة ولم يكن له علامة يستدل بها على موضعه من عجله لكثرة الناس وفي هذا الركب نوادع كثيرة للايسين يستقون من الماء وحمال لرفع الزاد للصدقة ورفع الزاد ذو بنادق شريفة والسكر وان يصيبه مرض وادار ل الركب ضعفهم في بدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت واطعم منها اسماء السدين ومن لا زاد معه وفي الركب جمل من احمال يحمل عليه من لا قدرة له على المشي كل ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه فمن اين لحي كرم الله هذه الامة بمكارم أبي سعيد أمير هذا في الكرم وحسبك بمولانا نصر الله بكارمه ورافع راية الجود الذي هو آباؤه في المجد واتصل أمير المسلمين ابي سعيد ابن مولانا مع الكفار والحمد لله الاسلام بنصر أمير المسلمين ابي يوسف قدس الله أرواحهم الكريمة ويبقي ابنه في عقبهم الى يوم الدين (رجع) وفي هذا ركب الاسواق احيانا وبها في العشية بزواع الاطعمة والفواكه وهم يسيرون بالليل ويوقدون النار على اعلى الجبال والحجارات فترى الارض تتلألأ نورا والليل قد عدهم اسدفا ثم رحلنا من بئر عسفان ثم بئر خليص ثم رحلنا أربع مراحل من بئر ابن هرماس ورلنا وادي اسمغ ثم رحلنا حسا ورلنا في بئر وقد ابراهيم نتغدى في اليوم احدى هذه المنازل والاخرى العشي ثم رحلنا من بئر ابن هرماس أقمنا بها يوما مستريحين ومنها الى المدينة المشرفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا فوصلنا في عشية مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وزيارة كرم الله تعالى في ستة أيام واستصحبنا منها الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا منها فنزلنا في السالمة وادي العروس فتزودنا منه الماء من حسيان يحفرون عليها في الارض فيجدون الماء عندها ثم رحلنا من وادي العروس ورحلنا أرض نخل وشرب نسيف من الارض عند البئر التي تسمى بئر الدبيب الارح ورلنا عند أربع مراحل على بئر يعرف بابن يعقوب ثم رحلنا عنه ورلنا على بئر يعرف بابن عرفة ثم رحلنا عنه ورلنا على بئر يعرف بالقاروره

وهي

وهي مصانع مملوءة من الماء فشربنا منها وتزودنا منه وحفرنا وحيينا الله وتركناها وهذا الموضع هو وسط أرض نجد وهو مرتفع طيب النسيم صحيح الهواء يتغير بتغير فصول السنة ثم رحلنا من هذا المنزل ونزلنا بالحاجر وهي مصانع مملوءة من ماء المطر وفيها ماء كثير تحت الحصى على الماء في الحفائر ثم رحلنا ونزلنا بسميرة وهي أرض عامرة في بسيطة فيها حصن مسكون وبها كثير في آبار الأمة وعاق وأبي عرب طيئ لا يزرعون ولا يحصدون ولا يبيعون ذلك من الحجاج بل يأتيان الحمام ولا يبيعون سوى ذلك ثم رحلنا ونزلنا بالعبر وهو الخروق وهو في بطن الأرض وفي أعلاه نقب ومنه تخرج الريح ثم رحلنا منه إلى وادي الكروش ولا ماء به ثم سرنا سهلا وصعدنا حصن وبه وهو حصن كبير في بسيطة من الأرض به نخل وزرع عليه رأس وبه كثير عرب يتعيشون من الحاج في بيع ولصار وهذا منزل تفرق الحجيج بعضهم يرد على طريق العراق إلى مكة ومنه إلى مكة ثلاثة عشر يوما على ما قدرناه وبعضهم يرد على طريق البصرة إلى مكة إلى مداد ومنه إلى الكوفة مسيرة ثلاثين يوما على طريق وسنبين ذلك في ما يأتي في المصانع ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئة وأهبة للحرب رهبة للعرب المجتمعين هنالك وقد تقدم لأمامهم عن الركب وهم الذين يسمون في العرب وهم رياض وحيار وأتباعهم (بكسر الحاء وهم الذين يأتون آخر الحروف) وهم أشد الناس من عباءة ومعهم من حمل العرب ورحلهم من لا يحصون كثرة فهم يمنعونهم الخفارة على الماشية والرحال والخوة تعلمهم وأبي العرب بالحيوان والغنم فاشترى منهم الناس ما قدروا عليه ثم رحلنا ونزلنا بالموضع المعروف بالأخضر ويستمر اسم له شقيق حين ونيف ثم رحلنا ونزلنا بالأمر ثم رحلنا ونزلنا بالأرر وهو بسيط من الأرض وبه رمال مرتفعة وبه ورد وصعار وبادر وبه ماشية الحصن وهنالك آبار ماؤها ليست بالعذبة ثم رحلنا ونزلنا بالعلية ثم الحصن حرب وبه مصنع شامل يترل إليه في درج وبه من ماء المطر منع الركب ويجتمع من العرب به الموضع جموع عظيمة وهو الجمال والغنم والسمن والناس ومن هذا الموضع إلى الكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فنزلنا بركة المرحوم وهو مشهد على الطريق عليه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رجمه وبركان هذا المرحوم كان رافضيا فصار مع الركب ورد الجمال وقت بيعه وبين أهل السهل الآن مشاجرة فمن بعض النخالة فقتلوه بحجارة وبهذا الموضع يبوت كثيرة قاعرة وقصدون ركب السمن والناس وسوى ذلك وبه مصنع كبير يجمع جميع ركب حاجة إليه عندها وكل منهم وبركة أو بئر بهذه الطريق إلى مكة وبعدها فيما من كرم آثار الحرائق ظاهر ولا أخبر ولا عمارتها بهذا الطريق ما سلكها أحد ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالشقوق وبه مصنعان بهما الماء العذب الصافي وأراق الناس ما كان عندهم من الماء وروا منه ثم رحلنا ونزلنا موضعا

يعرف بالتنانير وفيه مصنع عمي الماء ثم أسرينا منه مرحلتين مرحلة وهي قرية معمورة بها قصر للعرب ومصنعان للماء وآبار كثيرة وهي من مسافة شد الطارق ثم رحلنا فنزلنا الهريش وفيه مصنعان للماء ثم رحلنا فنزلنا دون العقبة المعروفة بعقبة قديد وصعدنا العقبة في اليوم الثاني ولم يزل هذا الطريق وعر واشق بصعبة ولا طاقة ثم نزلنا موضعا يسمى واقصة فيه بئر كبير ومصانع لماء معمورة بالعرب وشرقي هذا الطريق وليس فيما بعد واقصة الى الكوفة ممن منهوم الا مسرع عدا الطير وهو يخشى من أهل الكوفة الحاج وتأوي بنو عقبة وخفاجة والكثير هي الناس عندهم عصابة للسلامة ثم نزلنا موضعا يعرف لوزة وهو مصنع كبير للماء ثم نزلنا موضعا يعرف بنا احمد فيه ثلاث مصانع ثم نزلنا موضعا يعرف بمنارة القرون وهي منارة في سداء من الارض بناه الارتفاع تحسبه قرون الجبال ولا عمارة حوله ثم نزلنا موضعا يعرف بعدب وهو وشل فيه عليه عمارة وحوله ولا حصنة فيها مسرح يسمى ثم مررنا بمدينة حيث كانت الوقعة المشهورة بين العرب التي اظهر الله فيها دين الاسلام وان نحوس عدد انصار وهم لهم بعدها ثم رأينا أطلال مدينة شاهقة بهم وكان أمير المسلمين بعد عثمان رضي الله عنه وكانت له ضيعة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه وخربت فلم يبق منها الا آثار كثيرة وفيها حدائق نضرة وبها مشارع من ماء عذب ثم رحلنا منها فمررنا بمدينة يقال لها عين ابي طالب رضي الله عنه بضعف وهي مدينة حسنة في أرض مستديرة مطيفة من أحسن مدن العراق واكثرها بساتين وفواكه ومياه وطواحين حسنة فيها دجلة من شرقيها تشرف على سفوح السفائن والسابحين والخارجين ثم سوق الغزل فيه سوق الخياطين والعطارين ثم سوق العطارين تجلب الحضرة حيث اضعه الذي يزعمون انه مدفون عليه السلام ورأيته العطارين والزواويا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحصنها بالسور والبروج عدد الكل لو أشرف وهشة حسن

(ذكر الوعظة والسور التي به)

ودخل من باب الحضرة في مدرسة عظيمة تسكنها الطلبة والصوفية من سعة ولكل واحد عليها اصاقة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والأرز مرتين في اليوم ومن هذه المدرسة يخرج الى دار القبة وعليها الحجاب والنقباء والحواشية فعند ما يصل الزائر يقومون له أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيمشون معه على الطسة ويسلمون عليه ويقولون له أهلا بك أهلا بذلك فأنتم أهل المكارم والسر حيا أمر وبه يبقيين العتبة وهي من الفضة وكذلك

العضادتان

العصادتان ثم تدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة من نعمة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة أعني مسمره بمسامير الفضة قد غلفت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون ان أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام والثالث قبر علي رضي الله عنه وبين القبور صوت رهيب وفصه فيها ماء الورد والمسك وانواع الطيب يعلو الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا وللقبة باب آخر عتبته أنصاف القصب وعليه ستور من الحرير المذهب يفضي الى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير وأهل هذه المدينة كلهم راضية وهذه الروضة شهرت لهم كرامات ثبت بها عندهم ان بها علي رضي الله عنه فيها ان في ليلة السابع والعشرين من رجب ونسمي عندهم ليلة المحيا يؤتى الى هذه الروضة كل مقعد من العراقين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والاربعون وخمسون وذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون دخولهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة فاذا مضى من الليل نصفه او ثلثاه او نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقاة ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الصاغ ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من اصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فسخبرتهم عن شأنهم فاخبروني انهم لم يدركوا ليلة المحيا وانهم منتظرون أوانها من عام آخر وهذه المدينة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقا عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة معزم ولا مكان ولا وال وانما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجار يسافرون في الاقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يصام جارهم محبتهم في الاسفار لخصائص محبتهم لكهم علوا في علي رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فيدر للروضة سرا ان برئ ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأسا من ذهب أو فضة ويأتي به الى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرها من الاعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الاموال ما لا يضبط لكثرته

(ذكر نقيب الاشراف)

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة وله ترتيب الامراء الكبار في سفره وله الاعلام والاطبال وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحا واليه

حكم هذه المدينة ولا والى بها سواه ولا معزم فيها للسلطان ولا للعسكر وكان النقيب في عهد دخولي اليها نظام الدين حسين بن ناج الدين الآوي نسبة الى بلدة آوة من عراق العجم أهلها رافضة وكان فيه جماعة بلى كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين بن النقيبه ومنهم قوام الدين بن طاووس ومنهم ناصر الدين مظهر بن الشريف الصالح شمس الدين محمد الاوهري من عراق العجم وهو الآن بأرض الهند من بدماء ملكها ومنهم أبو عزة بن سالم بن مهنى بن جمار بن شيحة الحسيني المدني

(حكاية)

كان الشريف أبو غزة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان ساكنا بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن جماز أمير المدينة ثم انه خرج عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحلة فمات النقيب قوام الدين بن طاووس فاتفق أهل العراق على تولية أبي غزة نقابة الاشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي سعيد فأمضاه وعدله اليه وهو الظهير بذلك ونعت له الخدمة والاعلام والطبول على عادة النقباء بلاد العراق فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال تصرف الشيخ فرفع أمره الى السلطان فلما علم بذلك أجمل السفر مظهرا انه يريد خراسان فاقصد زيارة قبر علي بن موسى الرضى بطوس وكان قصده الفرار فلما زار قبر علي بن موسى قدم هراة وهي آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه انه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم عنه وتحاوروا أرض خراسان الى السند فلما جاز وادي السند المعروف بخمسة آب صرب طبوله وأعلامه فراع ذلك أهل القرى وطلبوا ان التتر أتوا للاغارة عليهم واجتمعوا الى المدينة المسماة بأوجا وأعلموا أميرهم بما سمعوه فركب في عساكره واستعد للحرب وبعث الطلايع فرأوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من الرجال والتجار ممن صحب الشريف في طريقه معهم الاطبال والاعلام فسألوهم عن شأنهم فأخبروهم ان الشريف نقيب العراق أتى وافدا على ملك الهند فرجع الطلايع الى الامير وأخبروه بكيفية الحال فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضربه الطبول في غير بلاده ودخل الشريف مدينة أوجا وأقام بها مدة تضرب الاطبال على باب داره غدوة وعشيا وكان مولعا بذلك ويذكر انه كان في أيام نقابته بالعراق تضرب الاطبال على رأسه فاذا أمسك المقارعون الضرب يقول له ردد نقرة يا نقار حتى لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا الى ملك الهند بخبر الشريف وضربه الاطبال بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفعه الاعلام وعادة أهل الهند أن لا يرفع علما ولا يضرب طبلا الا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله الا في السفر وأما في حال الاقامة فلا يضرب الطبل الا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق

فان

فان الوصول تصرف على أنواب الامراء لما بلغ خبره الى ملك الهند كره فعله وأنكره وفعل فى نفسه ثم خرج الامير الى حضرة الملك وكان الامير كشلى خان واخان عندهم أعظم الامراء وهو الساكن بملتان كرسى بلاد السند وهو عظيم القدر عند ملك الهند يدعوه بالعم لانه كان ممن أعان أباه السلطان غياث الدين تغلق شاه على قتال السلطان ناصر الدين خسرو شاه فقدم عليه حضره ملك الهند فخرج الملك الى لقائه وتلقى ان كان وصول الشريف فى ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الامير بامياك وهو على حاله من حسن الاحتشام فلم يرعه الا السلطان فى موكبه فتقدم الشريف الى السلطان فسلم عليه وسأله السلطان عن حاله وما الذى جاء به فأخبره ومضى السلطان حتى لقى الامير كشلى خان وعاد الى حضرته ولم يلتفت الى الشريف ولا أمر له بانزال ولا غيره وكان الملك عازما على السفر الى مدينة دولة آباد وتسمى أيضا كاكة (بفتح الكافين والهاء المعلوة التى بينهما) وتسمى أيضا الدوكير (ديوكير) وهى على مسيرة أربعين يوما من مدينة دهلى حضرة الملك فلما شرع فى السفر بعث الى الشريف محمد هائة ألف درهم وصرفها من ذهب المغرب مائة وخمسة وعشرون دينارا وقال لرسوله اليه قل له ان رأى الرجوع الى بلاده فهذا اراده وان أراد السفر معنا فهى نفقته بالطريق وان أراد الاقامة بالحضرة فهى نفقته حتى يرجع فاغتم الشريف لذلك وكان قصده ان يحمل له العطاء كما هى عادته مع أمثاله واحضار السفر لخدمة السلطان وتعلق بالوزير أحمد بن اياس المدعو بخواجه جهان وسلك مسلك الملك وبه يدعوه هو وبه يدعوه سائر الناس فان من عادتهم انه متى سمى الملك أحدا باسم مضاف الى الملك من عماد أو ثقة أو قطب أو باسم مضاف الى الدين من صدر وغيره قبل ذلك يخاطبه الجميع وجميع الناس ومن خاطبه بسوى ذلك لزمه العقوبة فما أكدت المواعيد بين الوزير والشريف فأحس اليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى أحس فيه برأيه وأمر له بقريتين من قرى دولة آباد وأمر بأن تكون اقامته بها وكان هذا الوزير من أهل الفضل والمروءة ومكارم الاخلاق والمحبة فى الغرباء والاحسان اليهم وفعل الخير واطعام الطعام وعمارة الزوايا فاقام الشريف يستغرق القريتين ثمانية أعوام وحصل من ذلك مالا عظيما ثم اراد الخروج فلم يمكنه فانه من خدم السلطان لا يمكنه الخروج الا باذنه وهو محسن الى الغرباء فقليلا ما يأذن لاحدهم فى السراح فأراد الفرار من طريق الساحل فردمه وقدم الحضرة ورغب من الوزير ان يحاول قضية انصرافه فتلطف الوزير فى ذلك حتى أذن له السلطان فى الخروج عن بلاد الهند واعطاه عشرة آلاف دينار من دراهمهم وصرفها من ذهب المغرب الفين وخمسمائة دينار فأتى بها فى بدرة فجعلها تحت فراشه ونام عليها لمحبته فى الدنانير وفرحه بها وخوفه ان يتصل لاحد من اصحابه شئ منها فانه كان بخيلا فأصابه وجع

فى حسه سبب زيادة عليها ولم يزل يراعده وهو آخذ فى تركته سعرة الى أن توفى بعد عشرين يوما من وصول البدرة اليه واوصى بذلك المال للشريف حسن الحرازى فتصدق بجملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدهلى من أهل الخيار والعراق وأهل الهند لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغريب ولا يسألون عنه ولو بلغ ما عسى ان يبلغ وكذلك السودان لا يتعرضون لمال الابيض ولا يأخذونه انما يكون عبدا لاكبر من اصحابه حتى يأتى مستحقه وهذا الشريف أبو غرة له أخ اسمه قاسم سكن عرياضه منذ وهاجر وهو بمكة الشريف أبى عبد الله بن ابراهيم الشهير بالمكى ثم انه سافر الى جبل طارق فسكنه الى ان استشهد بوادى كرة من نطرا الحمراء الخضراء وكان بهيمة من البهم لا يصطلى ناره حرق المعادى الشجاعة وله بها أخبار شهيرة عند الناس وترك ولدين هما فى كفالة ابنه عم الشريف ابى عبد الله محمد بن أبى القاسم بن عيسى الحسينى الكربلائى الشهير بلاد المعز بالعراق وكان روح أمهما هذه موت أسه وهو محسن لهما اجزاه الله خيرا

ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على عليه السلام سافرنا الركب الى بغداد وسافرت الى مصر بصحبة رفقة كبيرة من عرب حفصة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عصبية وبأس شديد ولا يسلمون لسعر فى حمل الاقمار الا فى صحبتهم فاكريت جملا على يد أمير بيت الفاضلة شامر بن دراج الخفاجى وجرحسا من مشهد على عليه السلام فرأينا الحوز فى موضع سكنى العمال بن المندر وأمامه من ملوك بنى ماء السماء وبه عمارة وقناديل تحمله فى قصاء مسجع على نهر يخرج من الفرات ثم رحلنا عنه فرأينا موضعا يعرف بقائم الواثق وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه الا صومعته ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب العراق فى موضع المعروف بالعدار وهو عانة قصب فى وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادى وهم قطاع الطريق راعصبة المذهب جرحوا على جماعة من القمراء تأخروا عن رفقتنا فسلبوهم حتى العمال والكساكل وهم يتحصنون بتلك العانة ويمتنعون بها ممن يريدهم والسباع بها كثير ورحلنا مع هذا العدار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط

(مدينة واسط)

وهى حسنة الاقطار كثيرة البساتين والاشجار بها اعلام يهدى الخير شاهدهم وتهدى الاعنبار مشاهدهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة والبهم يأتى أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك وكان فى الفترة التى وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاث مائة حلوة يراها العرباء القادمون

لتعلم

لتعلم القرآن عرف الشيخ تقي الدين عند المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها ويعطي لكل متعلم لها كسوة في السنة ويجري له نفقة في كل يوم ويقعد هو واصحابه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزوّدني دراهم ولما رأيته بمدينة واسط أقامت القافلة ثلاثة يخرج فيها للتجارة فمضيت لزيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصلني اليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة وأركبني فرسه وخرجت ظهرا فبت تلك الليلة بحوش بني أسد وصلينا في ظهر اليوم لساقي الى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادفنا قدوم الشيخ أحمد كوحك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي قصدت زيارته وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارة قبر جده والذي انتهت اليه مشيخة الرواق ولما انقضت صلاة العصر صرت الطبول والدهوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدّم لنا العشاء وهو حب الارز والسمن والناس والتمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا الحطب من الخشب فأضرموها نارا ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من يأكلها بفمه حتى أصلها وهاجمها وهذا دأبهم وهذه العادة الاحمدية مخصوصون بها وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيمشي بأسنانه على رأسها حتى يقطعه

(حكاية)

كنت مررت بموضع يقال له الصافور من عمالة دير الرأس وهناك بين دهني حصره الهند مسيرة خمس وقد رأيتها على نهر يعرف بنهر السرور وذلك في أوان الشكال والشكال عندهم هو المطر ويسيل في أيام القيظ وكان السيل يحدر في هذا النهر من جبال قراجيل فكل من يشرب منه من انسان أو بهيمة يموت لنزول المطر على الحشائش السمومة فأقمنا على النهر أربعة أيام لا يقربه أحد ووصل الى هنالك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل أسود حالك اللون وهم من الطائفة المعروفة بالحيدرية فنزلوا عندنا ليلة وطلب مني كبيرهم أن آتيه بالحطب ليوقدوه عند رقصهم فكلمت والي تلك الجهة وهو من المعروف بالجبار وسيأتي ذكره أن يأتي بالحطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمرا وأخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار هاربا لوا يرقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم قميصا فأعطيته قميصا في النهاية من الرقة فلبسه وجعل يتمرغ به في النار ويضرم بأكمامه حتى ضعفت تلك النار وخمدت وجاء الى بالقميص

والسلام لم تؤثر فيه شيأ البتة فصار يحبني منه ولما حصلت لي زيارة الشيخ أبي العباس الرفاعي نفع الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت الرفقة التي كنت فيها قد رحلت فلحقتها في الطريق ورأيت ماء يعرف بالحصيب ثم رحلنا ورأينا وادي الكراع وليس به ماء ثم رحلنا ورأينا موضعا يعرف بالمشيرب ثم رحلنا فمررنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا نهوة النهار الى مدينة البصرة

(مدينة البصرة)

هذا نهر عظيم ماؤه بين دجلة والفرات وكنت أنا عند قدومي عليها على نحو ميلين منها عاليا من الخص فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه الآن وبينها ميلان وكذلك بينه وبين السور الأول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما ومدينة البصرة احدى أمهات العراق الشهيرة الذكر في الآفاق السيحة الارجاء المؤنقة الاهواء ذات البساتين الكثيرة والفواكه الانيقة تؤخذ سمكها من البصرة والخليج لما كانت مجمع البحرين الحلو والعذب وليس في البصرة أكثر خلاما ولا ارخص سوقا ولا أحسن أربعة عشر درهما علانية بدرهمنا ودرهمهم ثلث الغرة وقد بعث الي صديقي الخطة الدين بعوضة تمر بجمل الرحل عن كل فدان منها وسبعة دراهم أحد الجمال منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق وتصنع بها من التمر عسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب والبصرة ثلاث محلات احداها محدثة حديثة وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الاثير من الكرماء الفضلاء أضافني وعشت في بيته ودراهمه والمحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف محمد الدين موسى الحسني ذو مكارم وفواضل أضافني وبعث الى التمر والسيلان والدراهم والمحلة الثالثة محدثة كبيرها جمال الدين ابن الموكل وأهل البصرة لهم مكارم اخلاق وأنس للغريب وقيام بحقه ولا يستوحش غريب بينهم عربي وهم يصلون الجمعة في مسجد أسره المؤمنين علي رضي الله عنه الذي ذكرته ثم يعيدون أيضا الى الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وبحيطه مساحة الفضاء معروش بالحصباء الحمراء التي تؤتى بها من وادي السباع وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه قرأ فيه فسقط من دمه أثر تعبير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)

(حكاية اعتبار)

شهدت مرة هذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة ومر ذكر الحسن فيها الحسن كثيرا أحليا فتحدث من أمره وذكر ملك القضاة صبي بحة الدين فقال لي ان هذا البلد لم يبق به

من يعرف شيأ من علم النحو وقد عجز عن أن تفكر فيها سبحانه معجز الأشياء ومغلب الأمور هذه البصرة التي إليها انتهت رياسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن أعجب إمامه الذي لا يدرك سبقه لا يقيم خصمها حجته الجمعة على دونه عليها وهذا المسجد سبع صوامع أحداها الصومعة التي تتحرك بزعمهم محمد كرعي بن أبي طالب رضي الله عنه صعدت البوامس أعلى سطح المسجد ومعي بعض أهل البصرة فوجدت في كل من أركانها مقبض حسب مسمار فيها كأنه مقبض مجلسة البيعة من الرخام الذي كان معي بيدي في تلك المقبض وقلت أنا وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرك وهززت المقبض فتحركت الصومعة فحسوا من ذلك وأهل البصرة على مذهب الشيعة والجماعة ولا يخالف من فعل مثل هذا على عهدهم ولو جرى مثل هذا شهد على أو من شهد أنه سبي أو لعنه أو بالحرين أو مع أو شاى أو ذا أو ذا وصوص هلال على لا يهم رافضة عالية قال ابن حزم قد عاينت مدينة برشانه من وادي المنصورة من بلاد الأندلس حائطا يأتي الله صومعة تهتز من غير أن يحركها أحد من الخلق وسواهم وهي صومعة المسجد الأعظم بها وباؤها أنيس بالقدم وهي كما أحسن ما أنت راء من الصوامع حسن منظر واعتدال الأوارة عالية لا مثل فيها ولا ريح صعدت البوامس ومعي جماعة من الناس فأحد بعض من كان معي جوانب حاجرها وهززها فاضطربت حتى أمرت إليهم أن يكفوا عن هزها (رحمه)

(ذكر المشاهد المباركة بالبصرة)

فمنها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد وربما يباع فيها الطعام للوارد والصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيما شديدا ويحلفون به ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه رضي الله عنهما وهو بخارج البصرة ولاصقة عليه وله مسجد وربما يباع فيها الطعام لأجل ذلك ومنها قبر حليمة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة رضي الله عنها وإلى جانبها قبر ابنها رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قبر أبي بكرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قبة وعلى ستة أميال منها شرقي وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته الآن لجمع كثيف أكثر السبع وعدم عمران ومنها قبر الحسن ابن أبي الحسن البصري سيدنا المعين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن سيرين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن واسع رضي الله عنه ومنها قبر عتبة الغلام رضي الله عنه ومنها قبر مالك بن دينار رضي الله عنه ومنها قبر حبيب العجمي رضي الله عنه ومنها قبر سهل بن عبد الله التستري

رضي الله عنه وعلى كل قبر منها قرية مكتوبا فيها اسم صاحب القبر ووقته وذلك كله داخل السور القديم وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال وبها سوى ذلك قبور لهم العفير من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل وكان أمير البصرة حين ورودي عليها يسمى بركن الدين الجمي التوريزي أصافحني فأحسن الي والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ما هو بوادي سلام من بلاد المغرب وسواء واحد والمالح الخارج من بحر فارس على عشرة أميال منها فاذا كان المد علب الماء المالح على العذب وذا كان الجزر علب الماء الحلو على المالح ويستقي أهل البصرة الماء الذي يرهم ولذلك يقال ان ماءهم رعاق قال ابن جزي وبسبب ذلك كان هواء البصرة غير جيد وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدي الصاحب ابن عباد (سريع)

لله ابرج غدا بيننا * معبرا عن حاله في عبره
لما كسى الله ثياب الصبا * أهل الهوى وسا كني البصره

(رجع) ثم ركبت من ساحل البصرة في صبوق وهو القارب الصغير الى الابلة وبينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلة وبحيص معلقة عن اليمين واليسار والساعة في طلال الاشجار يبيعون الخضر والسمك والتمر والملح والفواكه وفيما بين البصرة والابلة مشهد سهل بن عبد الله التستري فاذا أراه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادي ويدعون عند ذلك تبركا بهذا الولي رضي الله عنه والنوبة يحرقون في هذه البلاد وهم قيام وكانت الابلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخربت وهي الآن قرية بها آثار قصور وغير عمارة الا على عفائها ثم ركبت في المالح الخارج من بحر فارس في مركب صغير لرجل من أهل الابلة يسمى عباس وذلك فيما بعد المغرب فصبحنا عبادان وهي قرية كبيرة في سعة لا عمار فيها وفيها مساجد كثيرة ومتعبدات ورباطات للصالحين وبينها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزي عبادان كانت بلدا فيما تقدم وهي مجدبة لا زرع بها وانما يجلب اليها والماء أيضا جلب قليل وقد قال فيها بعض الشعراء (سريع)

من مبلغ اندلسنا اسي * حللت عبادان أقصى الثرا
اوحش ما أبصرت ركبي * قصدت فيها دكرها في الورى
الجمر فيها بثمادونه * وشربة الماء بها تشترى

(رجع) وعلى ساحل البحر مما يلي البصرة تعرف بالسبة الى الخضر والياس عليهما السلام وبازائها راوية يسكنها أربعة من الفقراء أولادهم يخدمون الرابطة والراوية ويتعيشون من فتوحات الناس وكل من مر بهم يتصدق عليهم وذكر لي أن هذه الراوية أن بعبادان

عابدا

عامدا كبيرا عند ولا أبرح فيه حتى عيد الأضحى في الشهر عند ذي الحجة شهرا ثم لا أرى الأيام تقوم شهر وهو عيد عوام الناس وعلماء الدين يركبون في سائر الأماكن فاشتغل من يكون معي بالصلاة في المساجد والمدارس والخانات والمسجد الذي أنا فيه فأقمت وحده أصلي فيه بجماعة ثم أقوم في صلاتي وأسلم أحيانا وأقول في نفسي لعل الله يرزقني الدنيا والآخرة فقد طلعت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الأرض وبلغت من ذلك مبلغا لم يبلغه غيري ممن عاصرني ولم أجد قرني في رحلته ويحاوره وبلوغ المراد من دخول الخلوة بيت أحرم من حرم الرجل وأعظم وسعه وقصدوا إليه فيحدثوه ولا وقعوا له على حديث واحد عن شيوخه عني أن الزاوية فيها ودخل علينا أحد الفقراء الذين معنا هذا الآخر وقبل هذا رأى أبي عمار أن كل ليلة فيه يسرج جميع مساجد تلك الجهة التي أنا فيها وصل إلى عمان وحدد الرحل لعائد وأعطاه ممكنة طريقه وهي لما وصل هذا الخبر الذي قدم اليوم فقيل إن الفقير عند دخوله علينا من رأى ممكنة اليوم حسب ما أمر أن يقول لنا هذه صفاتك وشكرت الله على ذلك وطلع لنا الفقير بممكنة فإذا كلامها أحسن مما كان فعلمنا أنه كاذب فيها وهجس في خاطري الإقامة عنده لأتعرف حقيقة الخبر فصرفني النفس الخوض عن ذلك ثم ركبنا البحر عند الصباح فقصدنا ساحل وهي تحاذي في سيرها أن لا أعود على طريق سلكتها مرة أخرى ولا أكرر حتى يعود الإنسان على بعض أهل البصرة بالسفر إلى أرض الأورنك في عرق العجم إلى عرق العرب عند المسمى إشارته ووصلنا بعد أربعة أيام إلى البلد ما حول على ورد ياعون بحر معتزد وهي صعبة على من يحس هذا الخليج لذي ذكرنا البحر من حرارة وأرضه سبخة لا تصلح ولا تنبت ولها سوق عظيمة من أكبر الأسواق وأتقنها بناء وأحدثها كثرت الخلق فيها من أين تجلب الحبوب من رامز إلى ما حول وهرمز لا يأتي منها شيء إلا كرا في سوق الصرو ويحمل إلى أصلها من العرب ثم وصلنا إلى مدينة رامز وهي حرة وراءها آخر هو راي يعني مدينة مكورة) وهي مدينة حسنة ذات فواكه كثيرة أنهار وراءها عند الماضي حسن المدين محجوز وهيت عند رحلنا من أهل العلم والدين والورع منهم الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع القدوة الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يونس الشيخ بها الشيخ أبو بكر بن عبد الله وقرأت على مشايخ وزرته وغيرهم وأقمت بمدينة رامز ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثة أيام بسيط فيه قرى كثيرة الأكراد وفي كل من حله منها زاوية فيها الواردات الخبز واللحم والحلواء وحلواؤهم من رب العنب مطبوخ بالدقيق والسمن وفي كل زاوية شيخ والإمام والمؤذن والخادم للفقراء والعبيد وأحدهم يقضون النهار ثم وصلنا إلى مدينة

تستر وهي آخر السيط من بلاد تلك وأول الجبال مدينة كبيرة رائقة نضيرة وبها البساتين الدرهة والرياض المونقة ولها المحاسن الرائعة والأسواق الجامعة وهي قديمة البناء افتتحها عامر بن لؤي الدوسي في عهد المدينة بسبب سهل بن عبد الله وبخطها النهر المعروف بالأزرق وهو عجيب في مائه من العجائب يجري ويزيد في أيام الحر ولم أر كثرة مثله النهر بالجشان ولها باب واحد للمسافرين يسمى دروازة سبول والدروازة عندهم الباب وله أبواب عديدة شارعة الى النهر وعلى جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب كجسر بغداد والحلة قال ابن جزي وفي هذا النهر يقول بعضهم (كامل)

انظر الى نهر واق تستر واعتصب * من جمعه ماء لري بلاده

كالبحر يوم جمعت أمواجه * وعدا غرورها على أعداده

والفواكه بها كثيرة والخيرات متيسرة غزيرة ولا مثل لأسواقها في الحسن وحسن رتبة معظمة تقصدها أهل البلاد القاصرة يزورون لها في الدور ولها أوقات مجتمعة من القراء وهم رجال يقرؤون أحاديث علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يتولى من مدينة تستر في مدرسة شيخ الإمام الصالح المقرئ شرف الدين موسى بن الشيخ الصالح الإمام العالم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبد الله وعبد الله شيخ ومكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والأمانة وله مدرسة وزاوية وحدائق فيها بأربعة عشر نهرا وكافور وجوز وبرور أحدهم موكل بأوقاف زاويته والناس متصرفون فيما يحتاج اليه من الفواكه في كل يوم والناس حتى هم السماط بين أيدي الواردين ومرتب للمعلم والرابع موكل بالخباز والسقاءين والحراسين وقف عندهم ستة عشر يوما فلم أر أعجب من ترتيبه ولا أرغد من طعامه يقدم بين يدي الرجل ما يكفي الأربعة من طعام الأرز المفلفل المطبوخ في السمن والدجاج المعلى والحمر واللحم وغير ذلك من ألوان الطعام الحسن الذي حوله وأنواعهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته ببلاد الحجاز والشام ومصر ولم ألق فيمن لقيتهم مثله حضرت يوما عند ستات له على شط النهر وقد اجتمع عنده المدينة وكبراؤها وأتى الفقراء من كل ناحية فأطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيبا وواعظا بعد أن قرأ القراء أمامه بالمحاريب المذكورة وبالألحان المحركة للهجة وخطب خطبة بسكون ووقار وتصرف في فنون العلم من تفسير كتاب الله وإيراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الأعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرموها الى الواعظ فيجيب عنها فمد يده الى تلك الرقاع جمعها في يده وأخذ يجيب عنها واحدة بعد

واحدة

واحد منهم أربع حواب وأحسنه وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وتركة وتبادر الناسون فأخذ عليهم العهد وحزروا عددهم وكانوا خمسة عشر رجلا من الطلبة فقدموا من الغد درسهم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر

(حكاية)

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحمى وهذه البلاد محمومة داخلها في زمان الحر كما يعرض في دمشق وسواها من البلاد لكثرة المياه والقرا كد وأصابت الحمى أصحابي أيضا فمات منهم شيخ اسمه يحيى المراساني وقام الشيخ فجهزه من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وتركت به صاحبا لي يدعى بهاء الدين الفسي هات بعد سفري وكنت حين مرضي لا أشتهي الاطعمة التي تصنع في مدرسته فذكر لي الفقيه شمس الدين السندي من طلبتها طعاما فاشتهيته ودفعت له دراهم وطلع لي ذلك الطعام بالسوق وأتى به الي فاكلت منه وبقي ذلك الشيء مشقي عليه وأتى الي وقال لي كيف تعمل هذا وتصنع الطعام في السوق وهن لا أمرت الخدام أن يصنعوا لك ما اشتهيته ثم أحضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلبه منكم من أنواع الطعام والكبر وغيره فلا تأتوه إليه بد واصنعوا له ما شاؤه وأكد عليهم في ذلك أشد التأكيد جزاه الله خيرا ثم سافرنا من مدينة تستر ثلاثة في جبل شامخ وكل منزل راوية كما تقدم ذكر ذلك ووصلنا الى مدينة ايذج (وهي بسيطة عامرة كبيرة الخيرات وبها مدرسان معظم ممسوح وجسم) وتسمى أيضا ماسبان الامير وهي حضرة السلطان أتابك وعند وصولي اليها اجتمعت بسيد شيوخ العالم أوارع نور الدين الكرماني وله النظر في جميع الزوايا وهم يسمونها المدرسة والخانقاه ومقصدهم بها وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه عدوا وعشيا فأكرمني وأضافني وأنزلني براوية تعرف باسم الدينوري وأقمت بها أياما وكان وصولي في أيام القيظ وكنت أصلي صلاة الليل ثم أنام على سطحها ثم أنزل الى الراوية محمومة وكان في جملتي اثنا عشر فقيرا معهم امام وقارئان مجيدان وخادم ونحن على أحسن ترتيب

(ذكر ملك ايذج وتستر)

وملك ايذج في عهدنا هذا حولي ابن السلطان أتابك أفراسياب ابن السلطان أتابك أحمد وأتابك محمد هم سمة لكل من يلي هذه البلاد من بعد وتسمى هذه البلاد بلاد المور وولي هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولي يوسف بعد أبيه أتابك أحمد وكان أحمد المذكور ملكا عاقلا سمعت من الثقات قلاعه ثلاثمائة وستين راوية بلاده منها حضرة ايذج أربع وأربعون وقسم جراح بلاده ثلاثان لثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس والثلث منه لمرتب العساكر والثلث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وحشمه ويبعث منه هدية لملك العراق في كل سنة وربما وفد

عليه بعسه وشاهدت من آثار الصناعة للاوائل أكبرها في حيان شاهقة وقد نحتت الطرق في الصخور والاخبار وسوبت ووسعت بحيث تصعد الدواب أحمالها وعبور هذه الجبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي سلسلة متصلة بعضها ببعض تشق الانهار وتحيط بالطرق وهم يسمون مثل هذه الجبال في كل منزل من منازل الطريق بالمدرسة فاذا وصل المسافر الى مدرسة منها وجد ما كفيه من جميع ما يحتاج اليه لذلك سواء لمن ذلك أو لم يستعمله فان عادتهم أن يرتبوا في كل مدرسة ما يحتاج اليه المسافر وهي على كل واحد منهم قرصين من الخبز وجمار حلوة لكل واحد من أهل السلطان اما ان أجد راكبا صالحا كما ذكرناه يلبس تحت ثيابه مما يلي جسمه ثوب شعر

(حسن)

قدم السلطان أبا سعيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حسن بن حسين بن أبي الحسن أن يدخل عليك وعليه الدرع وبين يديه سبعة من حجابه يسيرون على جهة من الانبساط ليعرف حقيقة من يجلس عليه ويقدم عليه الامير الجوبان عظيم امير العراق والامير سويتة أمير دسكر والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وامكر ابناء كبيرهم وعظيمهم وشيخهم فوجدوه جالسا بين أيدي السلطان أبي سعيد وقام اليه وعانقه وأجلسه في صدره وبين يديه وقدم له الركبة فأبى وعوضه عن ذلك بمدينة بغداد وكتب له الارتفاع وهو ثلاثمائة ألف دينار الا شيئا يسيرا ولا أولاده وفي ذلك اليوم توفي ولده أبو سعيد عن نحو عشرة أعوام ثم في الجمعة الرابع من ذلك اليوم الذي قدم فيه السلطان المذكور وهو أبو بكر بن سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنكي صاحب فارس وهو الذي يعرف بالاتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي فعمل له السلطان أبو سعيد سماطا عظيما وأجلس عليه الاتابك أبا بكر بن سعد بن زنكي المذكور وأولاده وأخاه وأقاربه وأجلس على يمينه الامير الجوبان وعلى يساره الامير سويتة وأجلس بقية الامراء على مراتبهم وأجلس الشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وأمكر ابناء كبيرهم وعظيمهم وشيخهم فوجدوه جالسا بين أيدي السلطان أبي سعيد وقام اليه وعانقه وأجلسه في صدره وبين يديه وقدم له الركبة فأبى وعوضه عن ذلك بمدينة بغداد وكتب له الارتفاع وهو ثلاثمائة ألف دينار الا شيئا يسيرا ولا أولاده وفي ذلك اليوم توفي ولده أبو سعيد عن نحو عشرة أعوام ثم في الجمعة الرابع من ذلك اليوم الذي قدم فيه السلطان المذكور وهو أبو بكر بن سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنكي صاحب فارس وهو الذي يعرف بالاتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي فعمل له السلطان أبو سعيد سماطا عظيما وأجلس عليه الاتابك أبا بكر بن سعد بن زنكي المذكور وأولاده وأخاه وأقاربه وأجلس على يمينه الامير الجوبان وعلى يساره الامير سويتة وأجلس بقية الامراء على مراتبهم وأجلس الشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وأمكر ابناء كبيرهم وعظيمهم وشيخهم فوجدوه جالسا بين أيدي السلطان أبي سعيد وقام اليه وعانقه وأجلسه في صدره وبين يديه وقدم له الركبة فأبى وعوضه عن ذلك بمدينة بغداد وكتب له الارتفاع وهو ثلاثمائة ألف دينار الا شيئا يسيرا ولا أولاده وفي ذلك اليوم توفي ولده أبو سعيد عن نحو عشرة أعوام ثم في الجمعة الرابع من ذلك اليوم الذي قدم فيه السلطان المذكور وهو أبو بكر بن سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنكي صاحب فارس وهو الذي يعرف بالاتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي فعمل له السلطان أبو سعيد سماطا عظيما وأجلس عليه الاتابك أبا بكر بن سعد بن زنكي المذكور وأولاده وأخاه وأقاربه وأجلس على يمينه الامير الجوبان وعلى يساره الامير سويتة وأجلس بقية الامراء على مراتبهم وأجلس

الدواب وجعلوا فوق رؤسهم الثياب والتبن وبعضهم قد جزنا صيته وانقسموا فرقتين فرقة
أعلى المشور وفرقة أسفله ورحف كل فرقة الى جهة الاخرى وهم صارخون بأيديهم على
صدورهم قائلون حوبة كارما ومعناه مولاى أنا (مولانا) فرأيت من ذلك أمرا هائلا ومنظرا
فظيعا لم أعهد مثله

(حكاية)

ومن عجيب ما اتفق لى يوما انى دخلت فرأيت الفصاد والحجام والشرفاء قد استندوا
الى حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته وهم بين باك ومساك ومضرق وقد لبسوا فوق
ثيابهم ثيابا حامة من علية القس عبر محكمة الصياغة صانها الى أعلى ووجوهها مما يلى
أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قصعة خرفه أو مثر رأسود وفكروا كون فعلهم الى تمام
أربعين يوما وهى نهاية الحرن عندهم وبعدها يبعث السلطان اكل من فعل ذلك كسوة كاملة
فلما رأيت جهات المشور غاصة بالناس تعرت بين يدى وتحماته أريد موضعا لجلوسى فرأيت
هناك سقيفة مرتفعة عن الارض عدة أشبر وفى احدى زوايا دكان حل مسترد عن الناس
وقعد عليه ثوب صوف شبه اللبد يلبسه بتلك البلاد صعاليك الناس أيام الحر والبرد وفى الاسفار
فتقدمت الى حيث الرجل وانقطع عنى أحد من المارة أو أقدامى نحوه وخجلت منى وأنا لا علم
عندى بشئ من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل فرد على السلام وارتفع عن
الارض كأنه يريد القيام وهم يسمون ذلك نصف القيام وقعدت فى الركن المقابل له ثم طرت
الى الناس وهم حوالى أصحابهم جميعا فحسبت منهم ورأيت الفقهاء والمشايخ والاشراف
مستندين الى الحائط تحت السقيفة وأشار الى أحد الفصادين أن أصعد الى جانبه فلم أفعل وحينئذ
استشعرت ان السلطان لم يكن بعد ساعة أى شئ لمشايخ نور الدين الكردى الذى ذكرته
قبل فصعد الى السقيفة وسلم على الرجل وقام اليه وجلس بجانبى وبينه وبينى حينئذ علمت ان
الرجل هو السلطان ثم جئ بالحجامة وهى من أحجار لا تقرح واللحوم والسارج وقد ملئوا
أعضاءها بمثل هذه الاحجار بأيدى الرجال فكان الحجامة تمشى فى بدن الماشى فى رماح
طوال بين يديها والشمع كذلك وصلى عليها وذهب الناس معها الى مدفن الملوك وهو موضع
يقال له مصلاخان على أربعة أميال من المدينة وبناه مدرسة عظيمة وشقى النهر وبنى أحدهما
مسجد تقام فيه الجمعة وبخارجها حمام وبجنبها بيمارستان عظيم وبها الصعام للوارد والصادر
ولم أستطع ان أذهب معهم الى مدفن الجمار لبعد الموضع فعدت الى المدرسة فلما كان بعد
أيام بعث الى السلطان رسوله الذى أتانى بالسياقة أولا يدعونى اليه فذهبت معه الى باب
يعرف بباب السر وصعدت فى درج كثيرة الى ان انتهيت الى موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه

من الحرير للسلطان جالس فرق محفته وبين يديه آنيتان قد غطيت احداهما من الذهب والاخرى من الفضة وكانت المجلس معادة خضراء وعرشت الى القرب منه وقعدت عليها وليس بالمجلس الا حاجبه الدقيقي محمود وخدمه لا أعرف اسمه فسألني عن حالي وبلادي وسألني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز فأجبته عن كل ثم جاء فقيه كبير هرري رئيس فقهاء تلك البلاد فقال لي السلطان هذا مولانا قاضي وامامنا وعالمنا فاجلس كما انت يخاطب مولانا وسلك يدعو السلطان وسواء ثم أخذ في ثناء على الفقيه المذكور وذكر لي ان السكر غالب عليه وكنت قد عرفت ذلك على الخمر ثم قال لي بالسان العربي وكان يحسنه تكلم فقلت له ان كنت تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أتابك أحمد المشهور بالصلاح والزهد وليس هذا ما تمدح به سلطانك غير هذا وأشرت الى الآنيتين فضحك من كلامي وسكت وأردت الانصراف فأمرني بالجلوس وقال لي الاجتماع مع امشاس رحمة ثم رأيته بقابل و يريد اليوم فانصرفت وكنت تركت على بساط هم أحد وعشرين الفقيه محمود في طلبه وصعد الفقيه فصيل بطلبه في داخل المجلس فوجدته في ساق هستان فأتى الى بين يدي السلطان فجلس بين يديه فقبل الارض حينئذ ووضعه على رأسه وقال لي بارك الله فيك عبد الذي اتبعه السلطان لا يقدر أحد أن يعوله له غير الله ابتداء لا رجوا أن تؤثر لك فيه ثم كان رحيلي من حضرة ايج بعد أيام فوصلت بمدرسة السلاطين التي بها قبورهم وأقمت بها أياما وبعث الي السلطان بخلعة تشريف وبعث بمثل ذلك للحجي وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في حسن شديد وفي كل ليلة ننزل بمدرسة فيها لطعام وبها ما هو في العمارة ومع امام العمارة حوله وكل يجلب اليها جميع ما تحتاج اليه وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كرواز وهي آخر بلاد هذا الملك وسافرنا منها في نحو من الارض كثيرة الى مدينة اصفهان ثم وصلنا الى بلدة أشتركان (وضبط اسمها بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم التاء المثناة فوق وسكون الراء وآخره نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والاشجار وبها مسجد بديع شقه النهر ثم رحلنا منها الى مدينة ورزان واسمها كالذي قبلها وهي مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين ونزلناها بعد صلاة العصر فرأينا أهلها قد خرجوا لتشييع جنازة وبعد أن دفنوا خلفها وامامها المشاعل واتبعوها المزامير والمغنين بأنواع الاغاني المطربة فعجبنا من شأنهم ونمنا بها ليلة ومررنا بها الغد فغربنا فقال لنا بلان وهي كبيرة على نهر عظيم والى جانبه مسجد في النهاية من الحسن يعود اليه في رحبه وتحته بساتين ومررنا بوصايف بين البساتين والمياه والقرى الحسان الكثيرة الى أن حللنا بعد العصر الى مدينة اصفهان من عراق العجم (واسمها فقال بالفاء الخالصة و بقال بالقاف المعقودة المخمة) ومدينة صفهان من كبار

المدن

المدن وحسانها لأنها الآن قد خربت أكثرها بسبب الفتنة التي جرت بين أهل السنة والروافض وهي متصلة بينهم حتى الآن فلا تزال في فتن وحروب كثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له يسمونه بقمر الدين وهم يعصرونه ويدخرونه ونوافيه كثيرا عن لوز حلو ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب الطعم وعدم الجرم والاعصاب الصيفية والطبع الطيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله الا ما كان من نصح بخاري وحوارزم وقشره أحمر وداخله أحمر وبخر كما مر الشرحة ما عرب له حلاوة شديدة ومن لم يكن له أكله فانه في أول أمره يسوء له وكذلك الحق لي ما أكلته بصفهان وأهل اصفهان حسان الصور وألوانهم بيض وأعينهم شديدة الحمرة والغالب عليهم الشجاعة والحدة وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر عنهم وقائع أخبار عريضة ورعما على أحدهم صاحبه ويقول له اذهب معي لآكل بان وماش والناس يسمونهم اهل واهل الناس فاذا ذهب معه أصنع أنواع الطعام الطيب ما هيأه له ولأهل كل صناعة تقدمون على أنفسهم كبيرا منهم يسمونه الكلو وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الناس الاعراب وتحاجز تلك الجماعات وتصيف بعضهم بعضا مظهرين ما قدروا عليه من الامكان متنافسين في الاطعمة وسواها الاحتقار العظيم وتذكر كل طائفة منهم أصناف طائفة أخرى وطبخوا طعامهم بنار الشمع ثم اضافوا الى الاخرى وصنعوا لهم بالحرير وكان ولي بأصفهان في زاوية منسوبة للشيخ علي بن سهل تلميذ الجنيد وهي معظمة يقصدها أهل تلك الاقطار ويتبركون بزيارته وهي معلم للوارد والصادر وبها حمام عجيب يتروش بالرماد وبيضاء بالقاشاني وهو موقوف في البيت لا يزاحم أحد في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية الصالح العابد الورع قطب الدين حسين بن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن شمس الدين محمود بن علي المعروف بالرشه وأخوه لعلم الدين شهاب الدين أحمد أقمت عند الشيخ قطب الدين بهذه الزاوية أربعة عشر يوما فرأيت من اجتهاده في العبادة وحسنه في الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قصرت عنه العجب وبالغ في اكرامي وأحضر طعاما وكسا كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية بعث الي بالطعام وثلاث بطيخات من الصنف الذي يسمى ماوم أكبر من رأسي مثل ولا أكثر منه

(كرامة لهذا الشيخ)

دخل علي يوما بموضع نزولي من الزاوية وكان قد ألقى الموضع شيء على دكان بشيء وكانت ثيابه قد غسلت في ذلك اليوم ونشرت في البستان ورأيت جلتها ناحية بصفاهان تدعى عندهم شهرستان فجئت وقعدت في مصلى مثل هذه وكنت أريد فلما دخل علي الشيخ نظر في ناحية البستان وقال لبعض خدامه ائتني بذلك الثوب الحرير فجاء بثوبه وكساني اياه

فأهويت الى قدميه أقبلهما وطلبت منه أن يدعو لي ولجميع من رأسه ويحبني في ذلك عما أجاره والده عن شيوخه فأولهم أبو الحسن علي بن أبي الرجاء في الرابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة براويته المذكورة كما أنبأني عن والده ثم عن الحسن ولبس والده عن أبيه عن الحسين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين علي الرجاء ولبس علي من الامام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبس أبو النجيب من عمه الشيخ مجد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد من الشيخ أبي فرج الزنجاني ولبس أبو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبس أحمد من الامام محمد الدينوري ولبس محمد من الشيخ المحدث علي بن سهل الصوفي ولبس علي من أبي القاسم الحسين بن محمد بن الحسن السقطي ولبس السري السقطي من داود الطائي ولبس داود من الحسن بن أبي الحسن البصري ولبس الحسن ابن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم هكذا أورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند والمعروف فيه ان سريا السقطي صحب معروفا الكرخي وصحب معروف داود الطائي وكملا عند داود الطائي وصحبه ومن الحسن حبيب العجمي وأخوا فرج الزنجاني اما المعروف له صحب أبا القاسم بن أبي هاشم وبدي وصحب أبا عبد الله بن خفيف وصحب ابن خفيف أبا محمد رويما وصحب رويم أبا القاسم الجنيد وأما محمد بن عبد الله عمويه فهو الذي صحب الشيخ أحمد الدينوري الاسود ولبس منه الخرقة وألبسه أبو فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والد أبي النجيب (رجع) ثم سمعت من احمد بن نقطة مرارا الشيخ محمد بن بشار وسمعته يسرد عمر هذا الوجه فوصلنا الى ابن كادش (وضبط عندي الكاف وكسر الدال وبعد الالف شين معجمة) وسمعته من الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن كادش وهي بلدة صغيرة ذات أنهار وبساتين وفواكه رأيت الشيخ في سوقها سنة عشر وستمائة وعليه بدرهم ودرهمين ثلث العمرة وبيده مسبحة كبيرة عمرها كثير جدا والمعروف عنه انه كان ذا مال عريض قد أعقب الله على انفاقه في سبيل الخيرات من اصلاح وعمارة الرباط واطعام الطعام لاشناء السبيل ثم مررنا من كادش يوم الاحد الى قرية كبيرة تعرف بصومعاء وبها رباط فيه الطعام للوارد والصادر عمره بعض حواشيه كما في المذكور ثم مررنا منها الى برذخاص (وضبط اسمها بفتح الباء آخر الحروف وبالخاء المعجمة وسكون الذال المهملة وبخاء معجمة وألف وصاد مهملة) بلدة صغيرة بمنتهى العمارة حسنة السور المسجد الجامع بها بكتف مبني بالحجارة منقوشة مسها والبلد على ضفة نهر فيه ماء جار وعليه جسر حجارة يمر عليه المسافرون على باب حديد وشوفي الجامع من الخصائص والمنعة وبداخله حوانيت يباع فيها

كل ما يحتاجه المسافرون وعند الرباط عمر الأمير محمد شاه بحو والد السلطان أبي إسحاق ملك شيراز وفي داخل بصنع الحبس لا يحصى ولا يصبر له في طريقه ووزن الحنطة منه من أو من الى ربع ثم سرنا منه على صريق دشت الروم وهي صحراء يكثر الانزلاك ثم سافرنا الى منزل (واسمه الماء من عيون أو آبار هناك مكسورة) وهي بلدة صغيرة كثيرة الانهار والبساتين حسنة الاسواق أكثر أشجارها الجوز ثم سافرنا منها الى مدينة شيراز وهي مدينة أصلية البناء فسيحة الارجاء شهيرة الذكر مليحة المنظر لطيفة الهواء كثيرة المياه والانهار المتدفقة والاسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهي كثيرة العمارة متقنة البناء تحكيمه الترتيب وأعمل كل صناعة في سوق يختص بهم عن غيرهم أهلها حسان الصور ظراف الملابس واسعة في مشرق بسيط في مغرب مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها وحسن صور بنائها الا شيراز وهي في بسيط من الأرض تحف بها البساتين من جميع الجهات وتشقها جداول من أحد النهرين المعروفين كل آن وهو عذب الماء شديد البرودة في الصيف تحس في الشتاء وهو من عين في موضع حسن قريب من المدينة يسمى الشابعة وهو أعظم من نهر بردى العتيق وهو من أكبر الأنهار الجارية وأحسنها وأغزرها وأعذبها منبعه من عيون وشروش بالمرمى وهو في أول الأمر كثير الماء ويجتمع فيه ماء من عدة عيون تحت قرية يقال لها المعرب والنعناع وسمعت لها اسما غريبا حسن معنى لا سود لا أحفظه وهي من أبدع الأسواق وأكثرها أقول ناصر وأعز وأوفر من بعد أن ذكر الأنهار والبساتين والشوارع والأسواق وغير ذلك ما نصه وشيراز مع هذا الخراب وتحكم الأيدي فيها بالتغيير ما زالت مشهورة بحسن شيء والحمد لله والمنة ولا يستطيع عربي أن يحيط بوصفها لما فيها من الخيرات في كل يوم من وجوه شتى وجهة خصبها وعذوبة مائها وطيب هوائها وكثرة الفواكه والرياحين والمزارع والمتنزهات وأحسن ما فيها من شيء وعند حولي في هذه الأيام قطب الأولياء فريد الدهر ذي المكارم والمفاخر محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان وهي حمدان الدعية الله فوصلت الى الدار التي نزلت بها وهي من عمارته فدخلت اليه رابع أربعة من أصحابي وحيث انتهينا وكنا بأعلى المدينة في نشزة فخرج الى صلاة العصر ومعه نحو اثنين وعشرين رجلا من أمثاله منقطعون في الدير أحدهما عن صحبة والآخر عن شيخه وهم ملازمون له لا يفارقونه في سفر ولا حضر وكثيرا ما يسلك عليه وعانقني وأخذ بيدي الى أن وصل الى مصلاه فأرسل إلي وأومأ الي أن أصلي الى جانبه فصليت وصلى صلاة العصر ثم قرئ بين يديه من كتاب المسامرة وشوارق الانوار نصا على وصلها عائبا بما جرى لديهما

من الغصب يا و قدم كبار المدينة سلام عليه وكذلك عادتهم معه صباحا ومساء ثم سألني عن حالي وكيفية قدومي وسألني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر لمنزله بدويرة صغيرة بالمدرسة وفي غد ذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق لسلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين امير قدري من كبار الامراء فجاء الى الاصيل فعند وصوله اليه نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونه سكلاوه من الاصيل وقعد بين يديه مكانا ذن نفسه بيده وهكذا يفعل أمراء التتر عند ملوكهم وكان هذا الامير قد قدم في نحو خمسمائة فارس من مماليكه وخدامه وأصحابه ورتب خروج المدينة وجاء الى القاضي في محله عنده وحده مجردا ذلك

(حكاية عن السمرقندي عظم هذا الشيخ وشيء من الكرامات الباهرة)

كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره رجل من الروافض الامامية يسمى جمال الدين بن مطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت معه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فرين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر لديه ان أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصهريه وزيرا الخلافة ومثل له ذلك عندهم وما لهم عنده من المنزلة التي لا تجوز عن أحد بعده وأن ذلك مع جدك عبد السلطان ما أنكر وعدم معرفة قواعد الدين فأمر السلطان بتجهيز الناس على الرفض وكتب بذلك الى العراقين وفارس وأذربيجان وكردستان وديار بكر وديار ربيعة وبعث الرسل الى البلاد فكان أول بلد وصل اليها هذا المرسوم شيراز واجتمع في ذلك اليوم بجامع شيراز أهل تلك الاقليم وهم أكثر من السنة وأكثرهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل فقالوا لا نسمع ولا نطاوع وأبوا الهجرة الجامع وهو واحد في الاسلام وهو مسجد الذي صلى الله عليه وسلم الخطيب المنبر فوالله ما هو الا أن أتى في سلاحهم وهم حوله عكفا وقد ألقوا بأيديهم فيما خلفوا الناس عن اجابته الا نفر يسير ودخل أولئك معه فما هو الا أن تكلم فيهم فما منهم الا من قام وقال ما شاء الله وكان السلطان أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر الا اسم علي ومن تبعه كعمار رضي الله عنهم فلما وقف في الخطبة من نفس وخطب الخمسة المتعاقبة وقعد أخذ شيراز واضطربت ان تفعل الذي عنده فرجعت الرسل الى السلطان فأخبروه بما جرى في ذلك فأمر أن يؤتى بعلماء المدن الثلاث فكان أول من أوتي به منهم القاضي محمد بن داعي شيراز والسلطان يومئذ في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي أمر أن يرمى به الى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لاكل بني آدم جاء أولئك من يسلط عليه الكلاب حتى في رجلة كبيرة مطلقا

غير مقيد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فبقرا ما معه ولا معوله فتركه ممزقه وتأكل لحمه فلما
ارسلت الكلاب على القاضي محمد الدين وصلت اليه تصدت اليه وجرحت اذنا بها بين يديه
ولم تجسر عليه شيئ فمنع السلطان فخرج من داره في القدمين فركب على رحلي
القاضي بقلهما واحد منه وجلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات
السلطان عندهم واراحهم ثم كذلك على أحد كتب شرعه واسمه واعفاه بتوارثونه
مدة ايام تلك الثياب اوثي ممزقه في ذلك اليوم واول ولما خلع السلطان ثيابه على
القاضي محمد الدين أحد منه ذلك وادخل الى داره وأمر بتعظيمه والاحتفاء به ورجع السلطان
عن مذهب الرفض وكتب في بلاده بالرجوع عن مذهب أهل السنة والجماعة وأرسل
الى القاضي وصيره في بلاده مكرما معظما وأعطاه في جهة عدة ضياع تزيد على ثلاثة قرى
جكان وهو حد في بين مرولة وعشرين من مرغاب شعبة من عشر قرى متقاربة
بعضها وهو أحسن موضع بشيراز ومن قراه التي تضاهي المدن قرية ميمن
وهي التي ذكرت من عمل هذا الموضع المعروف بجكان ان نصفه صمايلي شيراز
وذلك مسافة اثني عشر فرسخا شديدة الحر وبها من الوحش والسباع أكثر مما بغيرها الحمير والخنزير
الا خرصمايلي بلاد هنج وبال وبلاد اللار على طريق هرمز شديدة الحر وبها نحو الخمسين وقد
تكرر لي لقاء القاضي مجد الدين ثانية حين خروجي من اصفهان قاصدا من هرمز متبركا بلقائه
وذلك بينه وبين شيراز أربعين ومن هرمز وشيراز مسيرة جملة وثلاثين يوما فلما حللت عنده وهو قد
صعب عن حركته وبات عليه فعرفني وقام لي فعانقني ووقعت يدي على مرفقه وجلده
لاصق بلعدم اللحم منه وأراني بالمدرسة حيث أنزلني أول مرة وزرته يوم فوجدت عنده
شيراز السلطان أبا اسحاق وسيقع ذكره وعمامتي بيده يمسكها بين يديه وذلك هو عادة الملوك
عندهم وبعد السلام عليه والجلوس بين يديه أخذت عمامتي وأنشأت مرة أخرى الى المدرسة فوجدت
بابها مسدودا فسألت عن سبب ذلك فأخبرت بأن السلطان واحته شأت بينهما خصومة
في ميراث فصدر الحكم للقاضي محمد الدين فوجه بها اليه الى المدرسة وتحاكما عنده وفصل
بينهما واحتاج الى شيراز لأنه يدعوه بالقاضي وانما يقولون له مولانا أعلم وكذلك
يكتبون في التسجيلات والعقود اني تذكرت اسمه قبل وكان آخر عهدي به في شهر
ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين ولاحت على أنواره وطهرت لي بركاته نفع
الله به وبأمثاله

(ذكر سلطان شيراز)

وسلطان شيراز في عهد قدومي عليه الملك الناصر أبو اسحاق ابن محمد شاه نحو سماه أبوه

باسم الشيخ أبي اسحاق الكازروني تبع الملك وهو من حسان السلاطين حسن السورة والسيرة والطريقة كريم النفس جيد الخلق متواضع صاحب فتوة كثير العسكر وعدد في عين حسين أمامن الترك والاعاجم وبطانته الاتراك الا قليلا أصفهان وحولها من أهل شيراز على عسكره ولا يستخدمهم ولا يثق بهم لان لاحدهم من السلاطين أمس رحمه وبأس شديد وحراب على الدوام ومن وجد منهم غرقب بدسائس من دخلا تحرد احد درهم شرط الحكم وهو في عنفوانه فسألت عن ذلك فقيل انه وجدت في يده قوس ليلة قتل السلطان محمد والد السلطان سليمان الاصفهانيين عليهم لا يحبهم على ما أرى شاه عباس الكبير ملك العراق وكان حسن السيرة محبا لأهل العلم والصلاح يعظم الشيخ حسينا وهو ابن الحوباني ويزوره من أول النهار الى آخره ويحسن الى الفقراء ويصلهم وهو من أعظم الناس تواضعا وحسن خلق مع العلماء والصلحاء وكان يحب قوام الدين الصفهاني ويدنيه لعلمه وصلاحه وكان يبعث له كل عام وصرة من ذهب المغرب الفان وخمسمائة دينار وهو الذي أشار على أبي اسحاق بن شيخ علي ملك العراق فقبض على أبي اسحاق بن شيخ علي وعلى والدته طاش خاتون وأراد حملهم الى العراق ليقتلهم فأمرهم أن يسقوا الوق شيرار كشفت طاش خاتون وجهها وكانت مسنة فقالت يا ابن أخي ما كان ظنك بنا ان نأمرك بقتل عمك وأبيك وجدك وهو ابن راضعة فقال لا أعطيك وجهي ولست أهلا ان أقتل شيرار أحرص بيكم وأبيه ولا نقر وجه قرن فقام رجل من الحاضرين يسمى خلوان محمد قدر أبيه الوق حتى قدموا على شيرار فقال لا تركها تخرج من بلدنا ولا رضي بذلك وبعث الناس على قتله وثارت عامتهم وحملوا في السلاح وقتلوا كثيرا من العسكر واخذوا الاموال وخلصوا المرأة والاولاد وهرب الامير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبي سعيد وهو فاعطاه العساكر الكثيفة وأمره بالعود الى شيراز وتحكم في أهلها ما شاء فلما أطلعوا على قدومه لا طاقة لهم به فقصدوا الفادي محمد الدين وطلبوا منه أن يحتمي بهم لانهم يحتمون به فخرج الى الامير حسين فحرضه الامير على قتله وسلمه اليه وقتله الحلوبي الامير حسين بذلك الموضع خارج المدينة فلما كان من الغد رأى الناس أحسن زي ورجعوا اليه وأوقدوا الشمع الكثير وحسن الامير حسين في أيامه وجعل عسكره وسار فيهم بأحسن سيرة لسلطان السلطان أبو سعيد وانتشر صيته وتغلب كل أمير على ما بيده فخافهم الامير حسين على نفسه وخرج عنهم وتغلب السلطان أبو اسحاق عليها وعلى اصفهان وبلاد فارس وبدأ بمسيرة شهر

ونصف

ونصف شهر وانتشر شوكه وعم ضرره حتى عجز الناس عن المقام بها من الملاد وعمد الاقرب منها
وهو مدينة [illegible] إلى أن أمر بقصده وأحاط بسوره وأهليها
[illegible] وعند علمه بحضور الامير [illegible] أن دخر محمد شاه
[illegible] ستة آلاف مقاتل [illegible] فخرجوا فحضر الامير
[illegible] وكان يسير على عسكر السلطان أبي
[illegible] يحرق المزارع [illegible] يدرعي أسير
[illegible] عشرة آلاف [illegible] ولما
[illegible] أمكن [illegible] وصل
[illegible] السلطان أبي
[illegible] وقصد أن يرسل
[illegible] أن أراد
[illegible] فقال له
السلطان ترى الأمر بعد هذا فقال والله لا أرى إلا حتى تحمل أنت فلعنتي
وتعلم أن الذي قال له ذلك من أعيان السلطان في عسكره من أصحاب الخواص
[illegible] وأكل
من [illegible] السلطان أبي [illegible] وأعطاه لأعدائه ووقع الأمر بعد ذلك كما قال السلطان أبي إسحاق ويكون
البلد لمن يصبر وأمر بإدخال السلطان أبي إسحاق طبخ دات مرة إلى بناه
إيوان كان كسرى وأمر أهل [illegible] أساسه فأخذوا في ذلك وكان أهل كل
صناعة يشتغلون في صناعتهم [illegible] في المياه إلى أن صنعوا القفاف لنقل التراب من
الجانب وكسوها بالجلود لئلا تمزقها الحجارة [illegible] وأجراحها وصنع
لعضهم [illegible] من النحاس وأرصدوا جميعها كبيرة [illegible] من النحاس أحمر ليسهل أخذ ثيابهم
ويردون [illegible] وأسدوا [illegible] أعظم في منظرة لم يوقد شاهدت
هذا المبنى وقد ارتفع عن الأرض نحو [illegible] ذراع وهي أساسه رفع عن أهل المدينة [illegible]
وصار العمل [illegible] يحضر [illegible] منهم وسمعت وأنا بالمدينة يقول ان
معظم من يشتغل في بنائها وهدمها الموكل بالأمير جمال الدين الملكي التوزري
وهو من الأحبار الذين أوفدهم [illegible] السلطان أبو سعيد المريني على شاه جيلان ولهذا

الامير جلال الدين الغزنوي ثم غازي اسمه عصمة الله ويلقب بهاء الملك وقد على ملك الهند حين وفودي عليه ووفد معه شرف الدين أمير جيش جميع ملك الهند عليه يومئذ وقدم كل واحد في شعر طائي به وعين له الترب والاحسان وسمى كل ذلك وهذا الملك أبو المحامد يريد التشبه بعبد الحميد الكوري في الايثار واحراز العطايا ولكن أين الثريا من الثرا وأعظم ما تعرف الناس من عطيات أبي اسحاق انه أعطى السيد ابا ابراهيم الذي أباه رسولا عن ملك هراة سبعين ألف دينار وأما ملك الهند فوصل بهذا الرجل الى ما عاد منه بما لا يحصى كثرة من أهل خراسان وغيرهم

(حكاية)

ومن عجيب ما عن ملك الهند مع الخراسانيين انه قدم عليه رجل من قرى خراسان هروي الدار من سكان خوارزم يسمى بالامير عبد الله وهو فاضل في علوم الاوائل صنف الامير صنوبر صاحب خوارزم يهديه الى ملك الهند المذكور فاجازه في عوده ومضى ملك الهند واختار رسولا الى الامير المذكور الاقامة عنده فعرض ذلك عليه فاستأذن يوما في أن يدخل الى الخزانة ويرى ما قدر له فيها فأذن له فدخل الى دار واسعة في ثلاث عشرة حجرة وجعل في كل حجرة قدرا وبعده وبعده كل حجرة بخصوص عشرة من خواص قواده وقد ذهب في كل حجرة عن الخزانة وأمر الغلمان بالدوران ما خرج به فكان جملة ذلك ثلاثة عشر مثقالا من ذهب والمثقال ثنتان وعشرون دينارا مصرية فأمره أن يأخذ جميع ما في أحد هذه الدور من ذهب

(حكاية)

اشتكى مرة أمير جيش الملك شرف الدين صاحب خراسان وهو الذي عدم كرة أبا بحصرة ملك الهند فأتاه عائدا ولما دخل عليه أراد أن يعلمه أنه جاء ليسأله عن كتبه والكن هو لم يدر ووضع له فصال مكانه ليسوغ له المرور فبعد عليه ثم عاد الذهب والدرس في يده وأمر المريض أن يعدي احدى كفي الميزان ففعل وجعل يحوم عالما لم يعلم هذا الملك على ذلك أن يرد عليه من الآن جميع ما عدد له من الثياب فلم يزل يرد بعد للدرهم المحشو لقص وبعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة الاخرى حتى رجحت الذهب وقال له خذ هذا فصدق بدعوى رئاسته وخرج عنه

(حكاية)

ووفد عليه الفقيه عبد العزيز الاردوبيلي وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق وعاد فيه بجعفر من تبعمائة دينار درهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون دينارا ذهبا وحضر مجلسه

يوما

يوسف أله السامع عن حديث مسرده أحدث كثيره في ذلك المعنى فأخبره خصه وحلف له برأسه الله لا يزول من مجلسه حتى يعطيه ما يشاء عن مجلسه فقام فدفع له وأمر باحضار صينية ذهب وهي مثل الترس الصغير وأمر أن يملأ له بألف دينار من الذهب وأحضر السلطان سنجر فعرض عليه وقال هي لك مع الصينية ووقف عليه هرثمة بن حراسان يعرف بن السميع عبد الرحمن الشعراني وقال أعز الله السلطان عدد هذه الصينية ألف دينار دراهم وحيد وعبيد وجعلها وسيد كثيرا من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وانما ذكرت هذا ومعه من ان السلطان ما أعطى يريد التشبيه به في العطايا وهو وان كان كريما فاضلا لا يلحق في قوة من الهند في الكرم والسخاء

(ذكر مشهد شهرار)

هو مشهد الحسين مرتضى ابن الامام عز الدين موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم وهو مشهد معظم يأتي اليه الزوار من كل فج عميق ويتوسلون الى الله بصاحبه وبنت عدة معجزات حتى ان السلطان أم السلطان صاحب مدينة كيز ذوراوند بعثها لتعمر المشهد وتقيم القراء يقرؤون القرآن عند الضريح ليلا ونهارا ومن عند الخاتون انها تأتي الى هذا المشهد في كل يوم اثنين وخميس فتبيت عنده الليل وتقيم به الى الظهر وشهرزاز من أكثر بلاد الله شرفاء جمعت من اطراف الأرض لسكنى هذا المشهد المبارك فهم الشرفاء أنف وأربعمائة وثيف بين صغير وكبير وفيهم عصابة من الحسينية في هذا المشهد المبارك لا يزالون يقرؤون القرآن قراءة في المصاحف وقراءة بالاصوات الحسنة وأوقاتهم معلومة والفواكه والحلواء تؤكل اليوم وعظ الواعظ ويكون ذلك كله من بعد صلاة الظهر الى العشي ولا يزالون في عروفة يتعشى الجميع ثم يصرف السدنة والزوار وكان عندنا بالموصل من المشهد مهد الامام عبد الله الولي أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي عندهما أيضا وهو قدوة لأهل فارس كلها ومشهد معظم عندهم يأتونه أيام كثيرة وعليه أوقاف صحيحة وقد أدركت القاضي محمد بن أبي الدر الشيرازي وكان أحد المتوجهين الى هذا المشهد في كل ليلة جمعة وعليه رباط ومدرسة ويجتمع به الفقراء والصلحاء ويتعبدون به كفعلهم في مشهد الحسين بن موسى وقد حدثت الموجعين جهاز ربة لأمر محمد شاه بحمو والد سلطان ابن محمد صاحب مدينة ابرقوة وأخبرني أنه عدد من حفيف كثيرا مدفن الاولياء شهرار ذكر وهو الذي في طريق حمل من مدينة تحز برستان من أرض الهند

(ذكر مقطعا شيخ)

يحكى ان قصد من دجيل سرب ومعه نحو لاثين من الفقراء فأصابتهم مجاعة في طريق

الفيل حتى لا يعمل ذلك واعلن الدرق وصواص الشيخ أن يأذن لهم في اهلاك على بعض
الفيلة الصغار وهي في تلك المحن كثيرة حداوه فحصل في حيرة شديدة وهياهم الشيخ
عن ذلك فعلاب عليهم الجوع فتعاونوا على [illegible] وقبضوا على فيل صغير منها وذكوه وأكلوا
لحمه وامتنع الشيخ من أكله فلما رأوا [illegible] من [illegible] وأنت اليوم فكانت
تتم الرحل منهم وعتب حتى أتى على جميعهم وثمت انسان [illegible] منها
ولف عليه خرطومه ورمى به على ظهره والى به الموضع الذي فيه [illegible] اهل تلك
الناحية فحملوا منه واستفادوا عليه فرأى الشيخ منهم امساكه الفيل بخرطومه ووضعه
عن ظهره على الارض بحيث يمكنه الاستقرار عليه فحملوه اليه ورجعوا الى مدينهم فعرفوه خبره
وهم كفار وقام عندهم ايام وذلك الموضع على جبل اسمه جبل [illegible] وهو
يدلك الموضع معاش الجوهري ويذكر الشيخ عباس في [illegible] ثم [illegible]
وخرج وقد تم به معاون لمن [illegible] في احداهما ان حمارا في [illegible]
وكانت ارنبا الحمار من اقوى لامس لحماوهي عند [illegible] في البحر يتوارثونها وهو
دحلة حمر وسيلان شده وهم مقيمون على [illegible] وأولادهم
اي دورهم وبعضهم [illegible] في [illegible] الكبار
الهندي هم يترددون [illegible] ولا يعلمون [illegible] ولا يؤذونهم ولا
يحبونهم وهم [illegible] في [illegible] عن [illegible] في دورهم وهم
عن [illegible] وأولادهم [illegible] وهم الاذان [illegible] كل [illegible]
الولد [illegible] لا يعقل صغير [illegible] ولا [illegible] في [illegible]
[illegible] من [illegible] وقد [illegible] وجميع
جسده [illegible] وهذا المعبد [illegible] وهذا [illegible]
وهذا المعبد [illegible] على [illegible] محمد بن [illegible]
[illegible] احمد [illegible] عن [illegible] بن [illegible]
ابو بدي [illegible] عن محمد بن [illegible] الحسن الملكي
ان محمدا منصورين علان [illegible] عن [illegible] عن [illegible] الحربي عن
ابي العباس بن يعقوب [illegible] عن الربيع سليمان [illegible] عن الامام [illegible] شافعي
وسمعت ايضا عن [illegible] عن محمد بن [illegible] بمشارق انوار [illegible]
رضي الدين ابي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني [illegible] من الشيخ

جلال

جلال الدين أبي هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي بروايته عن الامام تمام الدين محمود بن محمد بن عمر الحروي عن المصنف ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح ركوب وعليه راوية لاطعام الطعام وهذه المشاهد كلها داخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها فان الرجل منهم يموت ولده أو زوجه فيتخذ له تربة من بعض حبوب داره ويبنيه عليه شباكا ويفرش البيت بالحصر والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويصنع للميت بابا الى ناحية الزقاق وشباكا حديدا يدخل منه القراء يقرؤن بالاصوات الحسان وايس في معمور الارض أحسن أصواتا بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالتلاوة ويفرشون باريا وتوقد السرج بها وكان الميت لا يخرج وذكر لي انهم يضحون في كل يوم بضعف الميت من الغنم ويتصدقون به عنه

(حكاية)

مررت يوما بعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجدا مسقف السماء بين العرش وفيه مصاحف موضوعة في خزائن حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة اليمنى من المسجد راوية فيها شباك مفتح الى جهة السوق وهناك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين يديه مصحف يقرأ فيه فسلمت عليه وجلست اليه فسألني عن مقدمي فأخبرته وسألته عن شأن هذا المسجد فأخبرني انه هو الذي عمره ووقف عليه أوقافا كثيرة تنفق على القراء وسواهم وان بيت الزاوية التي جلست اليه فيها هي موضع قبره ان قضى الله موته في سنتي هذه ثم رفع بساطا كان تحته والقبر مغطى عليه ألواح خشب وأراني صندوقا كان بارزا فقلت في هذا الصندوق كفني وحنوطي ودراهم كنت استأجرت بها من يقرأ لي في قبري صالح فدفع لي هذه الدراهم فركنت التكون بقية موارثي وما فضل منها يصدق بها فحببت من شأنه وأردت الانصراف فحف عني وأصافي في ذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدي وكان أشعر أهل زمانه بالفارسي ورد ما أتبع في كلامه ما يعزى وله راوية كان قد تمم هذا الموضع بعد داخله بستان ملئ وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد وقد صنع لسبع هذا الحوض اصغارا من المرمر لعب الشباب فيحرج الناس من المدينة لزيارته ويأكلون من سمكه ويغسلون ثيابهم بذلك النهر ويتطهرون وكذلك فعلت عند رجعته الى بغداد من هذه الزاوية راوية أخرى تتصل بها مدرسة مبنية على قبر شمس الدين السمناني وكان من الائمة الفقهاء وفي ذلك الوصية منه بذلك وبتربة شيراز من كبار الفقهاء الشرف محمد بن أحمد الدنبي وأمر في الكرم بحبيب وزماحه لكل ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ولمن سرقه فيدخل عليه كبراء المدينة فيحدونه على تلك الحال فيكسونه ومن يتبعه في كل يوم من السلطان حمولة دينارا دراهم ثم كان خروجي

من شيراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح أبي اسحاق الكازروني الكازروني وهي على مسيرة يومين من شيراز فرأيت يوم ملاقاتي وشهدت طائفة من الأعجمية يسكنون البر وهم أصحاب الصالحون

(كرامة لبعضهم)

كنت يوما بمدينة شيراز وقد قصدت أبا الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى فوجدت بخاطري أنه لو كان لي مصحف كريم يكون معه قد حسن علي في أثناء ذلك شاب وقال لي كلاما قوي حتى وقع في نفسي أني إليه وأتى في بخرج مصحف كريم وذهب عني خاطره ذلك اليوم قراءة واستعارة لأرده له فلما بعد ما سألت عنه فقيل لي إنه مجنون لم يوم وأردت بعد ووصلت في عشي اليوم الثاني إلى كازرون فصادفت أبا الصالح أبا اسحاق رضي الله عنه وتأملت ليلته ومن عادتهم أن يصلوا الوارد كائنا من كان الغريب المصنوع عنهم من الطعام والشمع والسمن وتوكل بالرفاق ولا يتركون الوارد عليهم يسعى حتى يعرض عليهم الصيافة فرأيت أيام وتعرض على الشيخ الذي بالزاوية خوفا وهيبة كرامة حتى يسعى الملازمين للزاوية وهم يترددون على مائدة منهم المتزوجون ومنهم الأعراب المجردون فحضرت الأعراب وذكروا الذكر وبدءوا له عند صريح صبح أبي اسحاق وتعشى جماعة من الله وهذا الشيخ أبو سعد ومعهم عدد أهل الصدق والدين ومن عادة ركاب نحر الضيفين لهم وإنفاق عليهم الحواء وهو المنصوص سروا لأبي اسحاق سرورا وكنت كل منهم على بعد ما يدرون بدار صلوا دار السلامة صعد حذام الزاوية أن المركب وأحدوا الرسم وقصدوا من كل باذر نذره ومن من ركب يأتي من المضيق أو الصيد الأوقية ألف من عدد الزاوية وكلا من حيث يعلم الزاوية فيقبضون ذلك ومن الغرباء من يأتي صدقة إلى مكان يدأ مرها وفيه علامة الشيخ منقوشة في غالب من الصحة ويصعون الغالب في صبح حجر وبعد صلوا في أربع صبح فيه ويكون معهم الدين عند مدينة من اسحاق فيعد عدد من كداء كون الأمر بالآلاف والمائة وما بين ذلك ودونه على قدر الغرباء وحسن عدد من من السرقة ومن معه وكتب له رسما في ظهر الأمر بما فعله وأعلم بذلك الله ومن أن يحق عشرة آلاف دينار فبلغ خبرها إلى فقراء الزاوية فأخذهم الحسد وقصدوا شرف بها إلى الزاوية ثم سافر من كازرون إلى مدينة الزيدون وصلت بها الآن فيها سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاورين رضي الله عنهم وهي مدينة حسنة كثيرة البساتين والمياه ملاصقة الأسواق عجيبة لما حولها سلاح وأمنة ودينة ومن أهلها القاضي نور الدين الزيداني وكان ورد على أهل الحسد فولى انفصالا منها بمدينة المهن وهي جزائر كثيرة ملكها جلال الدين بن صلاح الدين صالح وزوج بأخت هذا الملك وسيأتي ذكره

وذكر

وذكر بقية حديثه التي نزلت بالملك بعد صهره الخزاز وبها توفي القاضي نور الدين المذكور ثم سافرنا منها الى الحويراء الذي وهي مدينة صغيرة وبينهما وبين البصرة مسيرة أربع وبينها وبين الكوفة مسيرة خمس ومن أهلها الشيخ الصالح العابد حسان بن الحويراث شيخ بقاة سعيد اسعداء بالعشيرة ثم سافرنا منها صبيحة الكوفة في ربه لا منها الا في موضع واحد نسمي له فرقاوي ورداه في اليوم الثالث من سفرنا منها وصلنا بعد اليوم الثاني من ورودنا عليه الى مدينة الكوفة

(مدينة الكوفة)

وهي احدى أمهات البلاد العراقية المعروفة بمنتصف المسافة بين البصرة والكوفة ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الا ان الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت اليها وهذا من عرب خفاجة المحاورين لها فانهم عندهم طريقة وتسور عليها وعلى ما حولها من أسواقها حصار وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك وجميع الاعتصام بجامع نبير مربع لا بأس بسعته في ثمة عن سواري حجارة محكمة مصنوعة صنعت بتقاو وجميع بعض عمده من رخام وأفرغت بالرصاص وهي معروفة الطول وبهذا المسجد بركة معروفة بها يقال ان الخضر عليه السلام كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب تحدق عليه ما عواد السمع مرتفع وهو محراب عمر بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا مسجد صغير تحدق عليه أيضا عواد السمع يذكر انه الموضع الذي قام منه النور حين طوفان نوح عليه السلام وفي ظهر محارب المسجدين يزعمون انه بيت نوح عليه السلام وأراه عند يزعمون انه مصعد ادريس عليه السلام وبمقصورة بذلك مقصورة على الجدار على من المسجد يقال انه موضع بشر سقيفة نوح عليه السلام وفي آخر هذا المقصورة على بن أبي طالب رضي الله عنه والبيت الذي عن فيه ويقصر به بيت مقدس أيضا انه بيت نوح عليه السلام والله أعلم بصحة ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع صعد اليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وبمقربة منه محارب المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتي الحسين عليه السلام وأما قصر الامارة بالكوفة الذي سا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلم يبق منه الا أساسه وانهدمت من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجهة الشرقي منها وهو مسقم بحدائق النخل المتصلة المتصل بعضها ببعض ورأيت عرض حد الكوفة موضعا مسودا شديد السواد في بسيط أبيض فأخبرت انه قبر لشقي ان ملحم وان أهل الكوفة أنوري كل سنة بالحطب

الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى قريب منه قبة أخبرت انها على قبر المختار بن أبي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بملاحة وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلت بخارجها وكرهت دخولها لان أشتهار وافش ورحلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو شرقيها ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل محيطة بها احداق وحدود وبرها بين الحدائق ولها حصن عظيم معقود على مراكب مصلة منتظمة فيما بين الشطين تعبر بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين الى حصن عظيم متصل بالساحل وأهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية وهم طائفتان احداهما تعرف بالكرار والاخرى تعرف بأهل الحاسبين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبدا وبقربة من السوق الاعظم بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عادتهم انه يخرج في كل ليلة سابعة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم السيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسرجا ملجما أو بغلة كذلك ويسيرون الصول والاعلام والسوق امامهم بالدبادب وبعدهم بما حسون منهم وبتبعهم سلمهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك فيعرف الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يسيرون الانواق والاطبال والاعلام الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الامير أحمد بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة وحكمها أعواما وكان حسن السيرة فحسده أهل العراق الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الاموال والذخائر التي كانت عنده ثم سافرنا منها الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسيرها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد الا من ايسوا فيقبل عتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب أستار حرير واهل هذه المدينة طائفتان اولاد درحيك واولاد فائز وبينهما القتال ابدا وهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد ولاجل فتنهم تخربت هذه المدينة ثم سافرنا منها الى بغداد

(مدينة بغداد)

مدينة دار السلام وحضرة الاسلام ذات القدر الشريف والفضل المنيف مثوى الخلفاء ومقر العلماء قال أبو الحسين بن جبير رضي الله عنه وهذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ومشابه الدعوة الامامية الفرشية فقد ذهب رسمها ولم يبق الا اسمها وهي بالاضافة الى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والتفاف أعين النوائب اليها كالطلل الدارس أو كتمثال الخيال الشاخص فلا حس فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوفز الفكر ولا سطر الا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين فهي تردها ولا تظمأ وتتطلع منها في مرآة صقيلة لا صدأ والحس الحريص بين هوائها ومائها يشأ قال ابن جبير وكان أتم تمام حبيب بن أوس اطلع على ما آل اليه أمرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد عيب * فابكاها لخراب الدهر باكيها
كانت على مائها والخير موفدة * والنار تضطرم الحسنى بواديها
ترجى لها عوده في الدهر صالحة * فالان أصبح منها اليأس راجيها
مثل الحور التي وافت شبيبتها * وبان عنها حبان كان يحطيها

وقد نظم الناس في مدحها وذكر محاسنها فاطنبوا وجدوا وامكان القول واسعه فأطالوا وأطالوا وفيها قال الامام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي وأنشدنيه والدي رحمه الله مرات (بسيط)

طيب الهواء ببغداد يشوقني * فرد اليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهوائين ممدود ومقصور

وفيها يقول أيضا رحمه الله تعالى ورضي عنه (طويل)

سلام على بغداد في كل موطن * وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلى لها * ولا بتسطى جانبيها تعارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار فيها تساعف
وكانت كجنات تجري من تحتها * الحلافة تأوي به وتحالف

وفيها يقول أيضا معاضبا لها وأنشديه والدي رحمه الله غير مرة (بسيط)

بغداد دار لاهل المال واسعة * والمصطالبك ارانصنك والضيق
طفت أمشي مضاعا في أزقتها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن البيع من قصيدة (خفيف)

آنست بالعراق نارا منيرا * فطوت عيسا وحاصت هجرا
واستطابت ريا نسائم بعدا * دفكادت لولا الرى ان تطيرا
ذكرت من صدارح الكرخ روضا * لم يزل ناضرا وماء غمرا
واجتنت من ربا المحول نورا * واحتلت من مطالع الناى نورا

ولبعض نساء بغداد فى ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها * وطفائها والسحر فى احداقها
ومحا لها عند الفرات بأوجه * تسدو أهلتها على أطواقها
متجاوران فى النعيم كأنما * خلق الهوى العذرى من اخلاقها
يعسى العداء لها فأى تحاسن * فى الدهر تشرق من سماء اشراقها

(رجع) ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التى ذكرناها فى حد مدينة الحربية والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجالا ونساء وهم فى ذلك فى رهقة متصلة وبغداد من المساجد التى يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها الجانب الغربى ثمانية وبالجانب الشرقى ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا وكذلك المدارس الا انها حرت وحمامات بغداد كثيرة وهى من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسقوفة بقباب مدورة لها عين أسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تسع أمداده وتصير فى حواليها كالصلصال فيصرف منها ويجلب الى بغداد وفى كل حمام منها حلوات كثيرة كل حلوة منها مفروشة بالقار مطلى نصف حائطها مما يلى الارض به وأسفل الاعلى مطلى بالجص الابيض الرصيع فالصدران منها مختصان منقابل جسمها وفى داخل كل حلوة حوض من الرخام فيه انبوبان أحدهما يجرى بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الانسان الحلوة منها مجردا الا شاركه أحد الاثنين أراد ذلك وفى زاوية كل حلوة أيضا حوض آخر للاغتسال فيه انبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثة دوانيق الفوط احداها يأتزر بها عند دخوله والاخرى يتزر بها عند خروجه والاخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذه الاتقان كله فى مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها فى ذلك

(ذكر الجانب الغربى من بغداد)

الجانب الغربى منها هو الذى عمر أولا وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقى منه ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامات والبلالة وفى ثمان منها مساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع أسطيفه أبى جعفر المنصور رحمه الله والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار

وفى

وفى هذا الجانب القبر المشاهد المعروف بالكرخى رضى الله عنه وهو فى محلة باب البصرة وطريق باب البصرة مشهد عظيم فى داخله قبر مسمع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد على بن أبى طالب وفى هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد على بن موسى الرضا وابى جانبه قبر الجود والقبران داخل الروضة عليهما كانة ملبسه بالخشب عليه ألواح القصة

(ذكر الجانب الشرقى منها)*

وهذه الجهة اشرفيه من بغداد وهى اسواق عجيبة الترتيب وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صنعة فيها على حدة وفى وسط هذا السوق المدرسة النظامية النجيبة التى صارت الامثال تضرب بحسنها وفى آخره المدرسة المستنصريه ونسبها الى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبى جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر وبهذه المدارس الاربعة لكل مذهب ايوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرس فى قبة خشب صغيرة على كرسى عليه لبد وبقعد المدرس وعن يمينه الكتبه والوقار لاصحاب السواد معتما وعن يمينه ويساره مقعدان يقعد ان كل ما عليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة وفى داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة وارانوصوه وهذه الجهة الشرقية من المساجد التى تقام فيها الجمعة لان أحدها مع الخليفة وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومصاهر كثيرة للوضوء والعجب لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن على بن عمر القزوينى وسمعت عليه فيه جميع مسند أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى وذلك فى شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وستمائة قال أخبرنا به النسخة الصالحة المسندة ست الدولة فاطمة بنت العز باج الدين أبى الحسن على بن على بن أبى الدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز بن عبد المنعم الشيرازى قال أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن شعيب السجزى الصوفى قال أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد المظفر الداودى قال اخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسى عن ابن عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى عن أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى والجامع الثانى جامع السلطان وهو خارج البلد وتتصل به قصور تنسب للسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل

(ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها)

وقبور الخلفاء العباسيين رضى الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منهم اسم صاحبه غير قبر

المهدى وقبر الهادى وقبر الامين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهتدى وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفى وقبر المقتدر وقبر القاهر وقبر الراضى وقبر المتقى وقبر المستكفى وقبر المطيع وقبر الطائع وقبر القادر وقبر القائم وقبر المقتدى وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتفى وقبر المستنجد وقبر المستضىء وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المعتصم وهو آخرهم وعليه دخن التتر بعداد بالسيف وبجوه بعد أيام من دخولهم وانقطع من بعداد اسم الخلافة العباسية وذلك فى سنة أربع وخمسين وستمائة وبغرب الرصافة قبر الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بعداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية فسبحان مبيد الاشياء ومعبرها وبالقرب منها قبر الامام أبى عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه ولاقبة عليه ويذكر أنها بيت على قبره من أراهم من سكنة بعداد وقبره عند أهل بعداد معظم وأكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبى بكر الشبلى من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سرى السقطى وقبر بشر الحافى وقبر أبى الوداعى وقبر أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهم أجمعين وأهل بعداد لهم يوم فى كل جمعة لزيارة مشايخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر إليه هكذا الى آخر الاسبوع وبعداد كثير من قبور الصحابة والعلماء رضى الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بعداد التى بها أكثر العمائر وإنما خلب اليها من الجهة الغربية لان فيها البساتين والحدائق وبالله التوفيق ومن أراد الوصول الى بعداد كون ملك العراق بها فقد ذكرته هنا

(ذكر سلطان العراقين وخراسان)

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادر خان وخان عندهم الملك (وبهادر بضم الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء) ان السلطان الجليل محمد خدابنده وهو الذى أسلم من ملوك التتر وضبط اسمه مختلف فيه فمنهم من قال ان اسمه خدابنده (بخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو سماء موحدة مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة مفتوح وهاء ساكنة) وتفسيره على هذا القول عبد الله لان خدا للفارسية اسم الله عز وجل وبنده غلام أو عبد أو ما فى معناها وقيل انما هو خرابنده (بخاء معجمة وضم الراء المهملة) وخربا للفارسية الحمار فمعناه على هذا غلام الحمار وهذا مما اختلف فيه المؤرخون من الخلاف على ان هذا الاخير هو المشهور وكان الاول غيرة اليه من تعصب وقيل ان سبب تسميته بهذا الاخير هو ان التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمونه خربنده فسمى به وأحسن من هذا قول من قال ان خربنده هو قارعان الذى يقول فيه أساس قاران وقارعان هو القدر وقيل سمى بذلك لانه لما ولد دخلت الجارية ومعها القدر وحدابنده هو الذى أسلم وقد مر

قصته

قصته وكيف أراد ان يحمل الناس لما أسلم على الرفض وقصة القاضي محمد الدين معه ولما مات
ولي الملك ولده أبو سعيد بهادر خان وكان ملكا فاضلا كريما ملك وهو صغير السن ورأيته ببغداد
وهو شاب أجمل خلق الله صورة لا يمكن بعارضيه وزيره السلطان الأمير غياث الدين محمد بن
خواجه رشيد وكان أبوه من مهاجرة اليهود وأستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد
رأيتهم يوما بخراقة في الدجلة وتسمى عندهم الشبارة وهي شبه سلورة وبين يديه دمشق
خواجه ابن الأمير حوبان المتغلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شباربان فيهما أهل
الطرب والمغنون ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف
حالهم فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده وبقعة تجري عليه ولما ولي السلطان أبو
سعيد وهو صغير كما ذكرته استوى على أمره أمير الامراء الحوبان وتحكم عليه التصرفات
حتى لم يكن بيده من الملك الا الاسم وبذكر انه احتاج في بعض الأعياد الى نفقة يعقها فلم يكن
له سبيل اليها فبعث الى أحد التجار وعاد من المال ما أحب ولم يزل كذلك الى ان دخلت
عليه يوما وحسنة أسمه ديباتون فقالت له لو كنت من الرجال ما ركبك الحوبان وولده على ما هما
عليه فاستفهمها عن مرادها فبدأت بالكلام فقالت له لقد بلغني أمر دمشق خواجه من
الحوبان ان لم تدبر أمرك وابنه بان ابيار جقه قطعي خاتون وقد بعث الي وقال لي الليلة
أنت عندنا وما الرأي الا أن تجمع الامراء والعساكر وتعاقد معهم على القبعة فتحتفل برسم المدبب
أمكنك القبض عليه وأنوب كفى الله أمره وكان الحوبان ارداك عامئذ بخراسان فعلمت العبرة
وبات يدبر أمره فلما علم ان دمشق خواجه بالقبعة أمر الامراء والعساكر أن يجمعوا لهم من كل
ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جمدي يعرف بالحاج المدري وهو حينئذ معرصة
عن بان انقطاعه وعلم انه يريد الخروج لم يمكنه الخروج لكثرة العساكر بالحاج ناصري السلطنة فسيقه
فقصدها وخرج معه ما حاطت بهم العساكر ولحق أمر من الامراء الحاج صكيه يعرف بمصر
خواجه وفي يعرف بلولو دمشق خواجه وقبلاه وأبيا الملك ابن سعيد برأسه فرموا به بين يدي
فرسه وذلك عاشر ان يعبروا رأس ثار اعدائهم وأمر السلطان بهدم داره وقتل من قاتل من
حشمه وحماليكه واتصل الخبر بأبيه الحوبان وهو بخراسان ومعه أولاده أمير حسين وهو
الاكبر وطاش وحوجان وهو أصغرهم وهو الذي أحب السلطان ابي سعيد أمه ساطي بك بنت
السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر وجاميهم ان يقفوا على بساط السلطان أبي سعيد ورحفوا
اليه في ثاني الجمعان هرب التتر الى سلطانهم وافردوا الحوبان فلما رآى ذلك تكمن على
عقبيه وفر الى هراة سجستان وأوعل فيها واجمع على اللحاق بمملكة غياث الدين مستجيرا
به ومتحصنا بمدينته وكانت له عليها يد سابقة فلم يوافقه ولده حسين وطاش على ذلك وقالا له

الله لا يبقى بالعهد وقد غدر فيروز شاه نعوذ بالله من الخذلان وقد وفى الجوبان الأمير بلخى بعهده فعفا عنه وولاه وتوجه ومعه أسد الأصغر جوبان فخرج غياث الدين لاستقباله وترحيل له وأدخله المدينة على الأمير ثم غدر به بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث برأسيهما الى السلطان أبى سعيد وأما حسن وطاش فانهما قصدا حوارزم وتوجها الى السلطان محمد أوزبك فأكرم مثواهما وأنزلهما الى أن صدر منهما ما أوجب قتلهما فقتلهما وكان الجوبان ولدا رابع اسمه الدمرطاش فهرب الى ديار مصر فأكرمه الملك الناصر واعطاه الاسكندرية فأبى من قبولها وقال انما اريد العساكر لان ابا سعيد وكل من يبعث اليه الملك الناصر كسوة اعنى هولاكى يوصلها اليه احسن منها ارادنى الملك الناصر وأظهر أمورا أوجبت قتله فقتله وبعث برأسه الى ابى سعيد وقد ذكرنا قصته وقصة فراسه وفراسة أمه وما قالته في الجوبان حين ولده وبين وقوفهما على عرفات وحملا الى المدينة ليدفنا في البقيع الى آخر ما ذكرنا الى أن دفنا الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنع من ذلك بدون سبع والجوبان هو الذى حمل الماء الى مكة شرفها الله تعالى ولما استعفى السلطان أبو سعيد الشيخ حسن أن يزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وهى من أجمل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذى تغلب بعد موت أبى سعيد على الملك وعمران عمه أمر بقتل عمه وتزوجها أبو سعيد وكانت أحظى النساء لديه والتى كان يثق برأيها ويعتمد عليه ويعمل بما تشير به ويأمر الامراء بالعمل فيه عن أمر السلطان والخواتين وكل حاتون من الخواتين التى تزوجها السلطان اذا زارت معه السلطان تكون فى محفة على حدة عن محفة الخواتين عن أبى سعيد وفضلها على سواها وأقامت على ذلك مدة أيامه ثم تزوج امرأة تسمى بدلشاد خاتون وهى بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته فى منديل مسحته به بعد الجماع فمات فعرض عقيبه وعلت امرأته على الجيان كما سنذكره ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هى التى سمته اجمعوا على قتلها وبدر لها امير اروى حواجه تؤلو وهو من كبار الامراء ووجد منهم فأتاها وهى فى الحمام فسحبها بوسطه وقتلها وصرخت شيئا ما مستورة بالعورة مقطعة تليس واستقر الشيخ حسن ملك عراق العرب وتزوج دلشاد امرأة السلطان ابى سعيد كما كان ابو سعيد فعله من تزوج امرأة

(ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبى سعيد)

منهم الشيخ حسن ابن عمه الذى ذكرناه آنفا تغلب على عراق العرب جميعا ومنهم ابراهيم شاه ابن الامير سيتة تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الامير اربه تغلب على بلاد التركمان المعروفة أيضا ببلاد الروم ومنهم حسن حواجه بن الدمرطاش بن الجوبان تغلب على تبريز

والسلطانية

والسلطانية وهمذان وقم وقاشان والري وورامين وفرغان والكرخ ومنهم الامير طغيتمور تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الامير حسين ابن الامير غياث الذي تغلب على هراة ومعظم بلاد خراسان ومنهم منك تيمور تغلب على بلاد مكران وبلاد كيج ومنهم محمد شاه بن مبشر تغلب على بردوكرمان وورزو ومنهم امير معصوم الذي تغلب على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وبلهات ومنهم السلطان أبو اسحاق الذي تقدم ذكره تغلب على شيراز واصفهان وملك فارس وذلك مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ومنهم السلطان أحمد بن اويس تغلب على ايذج وغيرها من البلاد وقد تقدم ذكره والبغداديون لا سيما ثم خرجت من بغداد في خدمة السلطان ابن سعيد وعزمي أن أساعد زينب ملك العراق في رحيله وبرزله وكيفية رحيله وسيره وعادتهم انهم يرحلون عند طلوع الفجر ويترلون عند الضحى وترتيبهم انه يأتي كل أمير من الامراء بعسكره وحشمه وغلمانه فيقف في موضع لا بعد عن يمين الطريق ولا عن اليسرة فاذا توافوا جميعا وكملت صفوفهم تحرك الطبل وصرخت بصوت الرحيل وتوجهت وأنفاره وأتى كل أمير منهم فسلم على الملك وعاد الى موضعه ثم يتقدم امام الملك الحاجب والنقباء ثم يليهم أهل الضرب وهم نحو ستين رجلا عن يمينهم الساباط خمسة وتحتهم مراكب السلطان وأمام أهل الضرب عشرة من الامراء قد تقلد واعشرة من الخيول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي تشبه عندنا بالبوقات يضربون نحت الاطبال والصرنايات ثم يسكتون وهي عشرة من أهل الضرب وبهم اخرى نحت الاطبال والصرنايات ثم أمسكوا وهي عشرة آخرون وبهم كذلك ثم عشرة أخرون فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الاعلام والاطبال والاقبار والدوقات ثم مماليك السلطان ثم الامراء على مراتبهم وكل أمير له اعلام وطبول ودوقات وتتولى ترتيب ذلك كله أمير حاجب وله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف عن موجه وجماعة من أحداثه فيلأ رملا ويعلق من عنقه ويمشي على قدميه حتى يطلع المترل ويؤتى به الى الامير فيصفع على الارض ويضرب خمسة وعشرين مقرعة على ظهره سواء كان رفيعا أو وضيعا لا يحاشون من ذلك احدا وادا ترلوا يترل السلطان ومماليكه في محل على حدة وتترل كل جماعة من حواشيه في محل على حدة ولكل واحدة من الامام والمؤذنون والقراء والسوق وبترل الورراء والكتاب وأهل الاشغال على حدة ويترل كل أمير على حدة ويأتون جميعا الى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة والمشاعل بين أيديهم فاذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم ضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة ثم اطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم اطبال الامراء دفعة واحدة ثم يركب أمير المقدمة

فى عسكره ثم شيعه الخواتين ثم اثقال السلطان وزاملته واثقال الخواتين ثم أمير ناس فى عسكره يمنع الناس من الدخول فيما بين الاثقال والخواتين ثم سار الناس وسافرت فى هذه المحلة عشرة أيام ثم صحبت الامير علاء الدين محمد الى طلة تبريز وكان من الامراء الكبار الفضلاء فوصلنا بعد عشرة أيام الى مدينة تبريز ونزلنا بخان حيال موضع يعرف بالشام وهما لك قفر فاران ملك العراق وعليه مدرسة حسنة وزاوية فيها الصعام للوارد والصادر من الخبز واللحم والارز المصبوح بالسمن والحلواء ونزلنا لامير بتلك الزاوية وهى ما بين أنهار متدفقة وانحار موزعة وفى عند ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد ووصلنا الى سوق عظيمة تعرف بسوق قاران من أحسن سوق رأيته فى بلاد الدنيا كل صناعة فيه على حدة لا تخالطها أخرى واحدث بسوق الجوهريين بحضرتى عشرة أنواع من الجواهر وهى بأيدى عمالية حسان لسور عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير وهم بين أيدى الفرغانيين يعرضون الجواهر على ابن الاثير لتوهين تسريبه كثيرا ويتصرف فيه فرأيت من ذلك كله فسحة بسببها الله منها وحدثنا سوق العصر وامتدت فرأيت مثل ذلك وأعظم ثم وصلنا الى المسجد الجامع الذى عمره الوزير على شاه المعروف بجيلان وجاوره عن يمين مستقبل القبلة مدرسة وعن يساره زاوية وبصحنه مقبرة وبالمدرسة والزاوية حوض كبير من الرخام مدور وهو شبيه الرحبة وينشعب نهر ماء ودبه أنواع الاسماك ورد والى الغنب وشجر الياسمين ومن عادتهم انهم يقرأون به كل يوم سورة يس وسورة الفتح وسورة نعم بعد صلاة العصر فى صحن المسجد ويجتمع لذلك أهل المدينة وتتلى بسبب ذلك ختمة ثم وصلنا بعد أمر السلطان أبى سعيد الى الامير علاء الدين بأن يصل اليه فعدت معه يوم الثلثاء لتسع بقين من ذى الحجة من العام ثم سافرنا الى أن وصلنا محمد السلطان فى محله الامير المذكور بمكان واد حلو عليه وسألنى عن بلادى وكسانى وأركبنى وأعطانى الامير الى أن أرد السفر الى الخان الشريف فأمرنى بالزاد والركوب فى السفين مع الحمل وكتب فى ذلك الى أمير بغداد خواجه معروف فعدت الى مدينة بغداد واستوفيت ما أمر لى به السلطان وكان قد بقى لاوان سفر الركب أربعة من شهرين فظهر لى أن أسافر الى الموصل وديار بكر لأشاهد تلك البلاد وأعود الى بغداد فى حين سفر الركب فأتوجه الى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد الى منزل على نهر دجيل وهو متفرع من دجلة فيسقى قرى كثيرة ثم نزلنا بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بحربة محصنة وسخة ثم رحلت فنزلنا موضعا على شط دجلة بالعرب من حصن يسمى المعشوق وهو مبنى على الدجلة وفى العدوة الشرقية من هذا الحصن مدينة سر من رأى وتسمى أيضا سامرا ويقال لها سام راه ومعناه بالفارسية طريق سام وراه هو الطريق وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها الا القليل وهى معتدلة الهواء

رائقة

رائقة الحسن على تلالها ودروس معالمها وفيها أيضا مشهد صاحب الزمان كما بالحلة
ثم سرنا منها في جبل ووصلنا الى مدينة نكرت وهي مدينة كبيرة فسيحة الارجاء مليحة
الاسواق كثيرة المساجد وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشرقية
منها ولها قلعة حصينة على شط الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور بديع فيها ثم رحلنا
منها في جبل ووصلنا الى قرية تعرف بالعقر على شط الدجلة وبأعلاها نهر كان بها حصن
وبأسفلها الحائر المعروف بحائر الحديد له ايوان وساوة حافل وأخرى والعمارة متصلة من هناك
الى الموصل ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالعباسية عمرته من داخله وهناك أرض سوداء فيها
عيون تنبع بالماء ويصنع لها حياض ويجتمع فيها فيراشه الصلصال على وجه الارض
حالك اللون صقيل الارض وله رائحة طيبة وحول تلك العيون ركة كبيرة سوداء يعلوها شبيه
الطحلب الرقيق فتقذفه الى جوانبها فيصير أيضا رابوة عقرته من هذا الموضع عين كبيرة
واذا أرادوا نقل الماء منها أوقدوا عليها نارا فتشعشع النار ما هناك من رطوبة مائية ثم يقطعونه
قطعا ويعدونه وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا
من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بعدها الى الموصل

«(مدينة الموصل)»

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقلعتها المعروفة بالحدباء حصينة الشان شهيرة الامتناع
عليها سور محكم البناء مشيد الروح ونصف بها دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد
شارع متسع مستطيل من أعلى البلد الى اسفله وعلى البلد سوران اثنان وبينهما أراحيهما
كثيرة متقاربة وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مسندة بجدار وعليها فتحها وهي
لسعته ولم أر في اسوار البلاد مثله الا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند وللموصل
ربض كبير فيه المساجد والحمامات والفنادق والاسواق وبه مسجد جامع على شط الدجلة
تدور به شبابيك حديد ونصب به مصاطب تشرف على دجلة في الجهة من الحسن
والاتقان وامامه مارستان وبداخل المدينة جامعان احدهما قديم والآخر حديث وفي بعض
الحديث منهما قبة في داخلها حصة رخام مثمنة مربعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوة
وارتفاع فيرتفع مقدار اقامة ثم يعكس فيكون له مرأى حسن وقبالة سارية الموصل ملحمة لها
ابواب حديد ويدور بها دكاكين وسوق بعضها فوق بعض منقطة البناء وبهذه المدينة مشهد
حرجيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل اليه وهو فيما
بين الجامع الحديث وباب الحسر وقد حصلت لنا زيارته والسلام عليه والحمد لله تعالى
وهناك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة اليه يقال انه أمر قومه

بالنصر فيها ثم صعدوا الى ودياوعوا فكشف الله عنهم العدا و عقر بها منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوى مدينة يونس عليه السلام وآثار السور المحيط بها ظاهر ومواضع الابواب التي هي متينة وفي التل ساعة عظيم وبناء فيه بيوت كثيرة ومقاصير ومظاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع يقال انه موضع الذي به موضع يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبد عليه السلام وأهل الموصل يحرصون في كل يوم جمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل الموصل لهم مكارم اخلاق ولين كلام وفصيلة ومحبة في الغريب وقبول عليه وكان أميرها حين قدومي عليها ابو الشريف الحسن عز الدين علي بن سيف الدين محمد المنقب بحيدر وهو من اكرم الملوك أبي يداً وأجرى على الاذى مذ مقامي عند دولة الصدقات وآثار المعروف وكان السلطان يومئذ بدمشق وقرس ايبك في هذه المدينة وما يليها وبركب في موكب عظيم من جملة أكابر أمرائه وأعيان دولته وكبرائها يأتون للسلام عليه عدواً وعشاياً في جماعة ومهابة وقد كان حين كتب هذا في حضرة أمر مستقر العز ومأوى الطرف ومحط رحال الوفود ورادة الطالب ومقصد أهل المروءة ومأوى الحسنة وشرافا وحرس الله محاسنه وتواصل بر حسامه من الموصل وبرلس قريته عرف الرصد وهي على نهر عليه حجر منحوت وبها حمام كثير ثم حمصا وبرا ما زرته تعرف بدير لحه ثم رحلت منها وبرلس حرداس عمرو وهي مدينة كبيرة حسنة محدثة بها سوق وبذلك سميت حرير وأكثرها خراب ولها سوق حسنة ومسجد جامع في مبنى بحجارة محكم العمل وسور مبني بالحجارة أيضا وأهلها فضلاء لهم محبة في العربية ويوم وصولي اليها جاءني الحسن الحوراني الكوراني كتاب الله عز وجل الذي اسمه علي عليه السلام وهو جيل عن مسافر ثم رحلت منها مرحلتين ووصلنا الى مدينة نصيبين وهي مدينة عتيقة متوسطة قد خرب أكثرها وهي في بسيط أفيح فسيح فيه المياه الجارية والبساتين المثمرة والاشجار المتسقة والفواكه الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطر والطيب ويدور بها نهر يعرف عليها بالعاصي السوار منبعه من عيون في جبل قريب منها وبقسم انقساما فيتخلل مدينتها ويدخل منها نهر الى المدينة فيجري في شوارعها ودورها ويخرج تحت مسجدها الاعظم وينصب في صور تحين أحدهما في وسط النجم والآخر عند باب الشرقي وبهذه المدينة مدرستان ومدرسان وأهلها أهل صلاح ودين وصدق وأمانة وقد صدق أبو نواس في قوله

(بسيط)

طابت نصيبين لي يوماً وطاب بها * بالبيت حضي من الدنيا نصيبين

قال

قال ابن حوقل والناس يصفون مدينة نصيبين بغداد الماء والواحة وفيها يقول بعض الشعراء (خفيف)

لنصيبين قد تحنت ومالي * دارها في داع الى الاعلان
بعد دم الورد أحمر الى مراشف * لقام حتى من الوجنات

ثم رحلت الى مدينة سنجار وهي مدينة كبيرة كثيرة المواكد والاسعار والعيون المطردة والانهار عجيبة في سفح جبل شبيه بدمشق في كثرة أشجاره وساتينها ومسجدها الجامع مشهور للركب يزار كان الدعاء فيه مستجاب ويدور بسورها ماء ويشعبه وأهل سنجار اكرم أهل الله جماعة وكرم من لقيته منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ الكبار صاحب كرامات ذكر عنه انه صام أربعين يوما وكان افطاره على نصف قرص من الشعير اعينه راصد أعمى من سنجار وعاد وثمود لم نزل عندي الى أن سلبني كبر الهموم ثم سافرنا الى مدينة حران وهي عجيبة كبيرة مستديرة الدور لها قلعة مشرفة وهي الآن خراب لا عمارة بها وفي حرانها قبر مشهور بها كان بزيارته ثم رحلنا منها فوصلنا الى مدينة ماردين وهي مدينة عجيبة في سفح جبل من أحسن مدن الاسلام وأبدعها وأنقاها واحسنها أسواقا وهم يصنعون بها من الصوف المعروف بالمرعز والخاقية مما يعجز عن مثله الصناع في كثير من البلدان حرسها الله تعالى وفي هذه تسمى الشهباء وايانا على ثناء العراق وفي مدينة ماردين يقول عبد العزيز بن سراي الحجري عفا الله عنه (سريع)

* ما ربع أحبابي بحزوى ولا * وادي رامة بين الزوراء
ولا بذات الوصل أحبابي * بل ربوة مدينة الشهباء

(مجرى سلطان صروف الدهر)

وقد حدث في الشهباء في هذه المدينة المشرفة من سبي الملك المنصور سلطان ماردين وكان كريم السجايا ولي الله تعالى وأبوه من قبله وأمه وأخوه قارا ملك التتر وتساهر السلطان خلد الله ملكه ما تتابع دولتان

* (ذكر سلطان ماردين في عهد تولي أبيها) *

وهو الملك السعيد ابن الملك المنصور الذي ذكرنا ما جرى بينه وبين عمه ولد الملك الشهيد وليس بأرض العراق ولا الشام ومصر اكرم منه يقصده الشعراء والبلغاء فيجزل لهم العطايا جريا على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي المروي الكفيف مادحا فاعطاه عشرين الف درهم وأبو الصدقات والمدارس ونزول الاطعام الطعام وله وزر كبير القدر وهو الامام العالم وحيد الدهر وفريد العصر حمص بن يمن السنجاري فرأيته بتبريز وادركت العلماء الكبار

وقاضي قضاته الامام الكامل برهان الدين الموصلي وهو ينتسب الى الشيخ الولي فتح الموصلي
وهذا القاضي من أهل الدين والورع والتحري يلبس الخشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ
قيمته عشرة دراهم ويعم بالعمائم الكثيرة ويجلس للاحكام بمسجد خارج المدرسة
كان يتعبد فيه فاراد من لا يعرفه صفة بعض خدام القاضي وأعوانه

(حكاية)

ذكر لي امرأة أتت هذا القاضي وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت له يا شيخ
أين مجلس القاضي فقال لها وما تريدين منه فقالت نزل بي وحي ضرتي وله زوجة نائبة
وهو لا يعدل بينهما في القسم وقد دعوته الى القاضي فأبى وأمر بالناس عندي ما أعنيه
لو جاء القاضي حتى يحضر ويخلصه فقال لها وأين منزل زوجك فعرفته فقرر بالفلاحين
خارج المدينة فقال لها أنا ذاهب معك اليه فقالت والله ما عندي شيء أعطيك اياه فقال
لها ولا أريد منك شيئا ثم قال لها اذهبي الى القرية وانتظريني خارجها فاني على أثرك
فذهبت كما أمرها وانتظرته وحضر اليها وليس معه أحد وكانت عادته أن لا يدع أحدا يتبعه
فجاءت به الى منزل زوجها فصار أهل القرية يقولون لها ما هذا الشيخ الذي معك فتقول لهم والله
أنا كذلك ولكن أرض زوجتي فلما طال الكلام جاء الناس وعرفوا القاضي وسلموا عليه
وعرف ذلك الرجل وخجل فقال له القاضي لا عليك أصلح ما بينك وبين زوجتك فأرضاها
الرجل من نفسه وأعطاها القاضي شيئا فقال لها اليوم وأنت في حل من هذا القاضي وأصلحني
بداره ثم رحلت عنا الى بعض البلاد وصلت في بعض السنين التي ذكرتها فوجدت ركبها
تحت حيا صوحهين الى بغداد وهم أمر أة صالحة عابدة تسمى بنت رهيدة وهي من درية
الخلفاء تحت مرارا وهي ملازمة الصوم صمت عندها وكنت في جوارها ومعها أخوها من الرضاعة
محمد موسى وفي هذه الوجهة توفيت رحمة الله عليها وكانت وفاتها بهاريز ودفنت هناك ثم
وصلت الى مدينة بغداد فوجدت الحاج في أهبة الرحيل فقصدت أمير الركب وكان معروفا بحواجه
فقصدته فأمر بي السلطان فعين لي شقة محارة وزاد أربعة من الرجال وماءهم وكتب لي
بذلك ووجه عن أمير الركب وهو المسمى محمدا الحويج في وصاه بي وكانت معرفته بيني وبينه
متقدمة فرأيته كيسا وأرى شعارا وهو يحسن الي ويريد لي الخير على ما أمر به وأصابني
عند خروجنا من الكوفة اسهال فكانوا يأتون لي من أعلى المحمل مرارا كثيرة في اليوم والامير
يعهد حالي ويوصي بي ولم أزل مع أصحابي حتى وصلت مكة حرسها الله تعالى زادها الله شرفا وتعظيما
ووصفت بالبيت الحرام كرمه الله تعالى طواف القدوم وكنت ضعيفا بحيث أوذي المكوبة
فاعدت وسعيت بين الصفا والمروة راكبا على فرس لامير الحويج المذكور

ووقفنا

وفي هذه السنة يوم الاثنين ثالث عشري أحمد في الرحبة والاهلال من مرصي وفيها القضي الخ أقام بمجاورا بمكة حرسها الله وكان بها الامير علاء الدين بن هلال مشد (مشد) الدواوين مقيما لعمر دار الوسوعة شر العمارين من باب بني شيبة وجاء في هذه السنة من مصر بين جماعة من كبرائهم منهم سراج الدين بن الكويك ونور الدين الفاضي ونور الدين بن الاصيل وابن العديمي وناصر الدين لاسوطي وسكنت هذه السنة بالمدرسة الناصرية وعافاني الله من مرض فكنت في نعم عيش وتدريس والعبادة والاعتمار وأنا في أتم راحة في هذه السنة بحاج الصعيد وقدم معهم الشيخ الصالح نجم الدين الاخميمي وفي أول سنة تجيها والاحوال على الدين عمر وسراج الدين عمر الفاضي الصالح نجم الدين الفاضي قاضي مصر وجماعة غيرهم وفي منتصف ذي القعدة وصل الامير سيف الدين بلبان الهروس الصلاح ووصل في صحبته جماعة من أهل حضرة الملك الناصر منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحاج الفاسي ابو العباس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الحراوي والفقيه أبو عبد الله بن عطاء الله والفقيه ابو محمد عبد الله الحضرمي والفقيه أبو عبد الله المرسي وأبو العباس ابن الفقيه علي اللخمي وابو محمد بن القابلة وابو الحسن الدباري وابو العباس الصوفي وابو نصير ابو بكر الدباري ابن حكامة ومن أهل قصر المحار الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي أبي العباس ابن حدوف ومن أهل العصر الكبير الفقيه ابو محمد بن مسلم وابو اسحاق ابراهيم بن يحيى وولده ووصل في تلك السنة الامير سيف الدين بردمور من الحضرة الكبيرة والامير موسى بن قرمان والقاضي فخر الدين ناظر الجيش كاتب الممالك وابن الشيخ أبو اسحاق وابن شحنة في مرسة الملك الناصر وكانت لهم صدقات عميمة بخروبة وكثر هم صدقة القاضي فخر الدين وكانت وصلة هذه السنة في يوم الجمعة من تمام ثمان وعشرين وثلثمائة القضي الخ أقام مجاورا بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه السنة ومن احداث الامور ما وقع من الامير عضيفة من العراق حضرة الامير محمد الجوبي والامير مدد الحويزاوي وابن دامان وابن ابراهيم بصدقات عظيمة للمجاورين والمقيمين بمكة من قبل السلطان أبي سعيد بن العراق وفي هذه السنة ذكر اسمه في الخطبة عند ذكر الملك الناصر ودعوا له بالعافية ولم يذكروا عند سلطان العراق الملك الجاشنكير ولم يوافق الامير عضيفة على ذلك وبعث شقيقه منصور العلم الملك الناصر بذلك فأمر بمنعه فردوا عليه طريق حدة حتى اعلم الملك الناصر بذلك وفي هذه السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء وقت القضي الخ أقام مجاورا بمكة حرسها الله سنة ثلاثين وفي موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة وبين أبي نمي أمير حمد الناصري وسبب ذلك ان بعض أهل ينبع من قوادة شكوا الى

ايدمور بذلك فقال ايدمور يا سيدى ما هذه عصيبة بيت هؤلاء السراق فقال لا أعرفهم
وكيف لك بهم وهذه ليلتك الاولى تحت سمائك فلا حكم علينا بالسرق فقال لا هس مقدم الشام
شئ هذا لعلى به فشقه أيدمور وقال له قواد تقول لى هكذا وضربه على صدره فسقط ووقعت
عمامته عن رأسه وغضب وغضب لغضبه وتركب أيدمور بعسكره فشقه وقتل منهم
مقتلة وقتلوا ولده ووقعت الهزيمة على الحرم وكل بأمير الحجاز من عهد الناصر ومن الهزيمة
بالشباب فقتلوا امير أقبل ايها كان حرص على مكة على اللسان وترك من يلى الامر
الاتراك وامير هم خاص تركه لخوفه عليهم من الحجاز ولاية وتجاوزون وفوق رؤسهم المصاحف
وطلبوا الصلح ومن الحجاج مكة وقد اسلموا لهم وامير هم الى مصر وبيع الخبر الى الملك
الناصر وقتل عليه وقعت الاسارى مكة فمر الامير عصيبة واسمه مارنا وخرج أحمد
رميثة واولاده الى وادى حسين فما وصل اليه الخبر الى مكة عين الامير رميثة احد اولاده
نصب له الامان واولاده فاسلموا اليه وكتب الى الامير فوقع عليه وسلمت اليه
مكة وعاد العسكر الى مصر وكان الملك الناصر رحمه الله حلمان فخرجت فى تلك الايام
من مكة ومعها الاسارى الى ان وصلت الى ينبع فوصلت الى جدة (بالجاء المهملة المفتوح) وهى
نصف الطريق ما بين مكة وجدة (بالجيم المضمومة) ثم ركبت الى جدة وهى مدينة قديمة على
ساحل البحر قال ابن المجاور كان اسمها قديما قرية وهى الان مدينة عظيمة وهى
الخزانة لمصر يجتمع بها من كل وقت مراكب من الهند واليمن والحبش ولها مينا
يحط الى جدة عن مصر يوم وكان الحج يسافرون من جدة الى عيذاب ثم يركبون

(حكاية)

ومن غرائب ما اتفق لى بجدة انه وقف على باب بيتى أعمى فطلب الماء يقوده غلام فسقاه
وسمعته يناجى ربه ويقول يا سيدى وأملى عرفه وهو لا يعرفنى فتعجبت من دعائه ثم انصرف عنه
وقلت فى نفسى لعله يدعو لى فلما كان بعد سنين خرجت من مكة فصادفنى بعض اقرانى وأنا لا
عتقد فى شئ من الخير فوقعت له فى يده شئ من هذا العالم فقلت له ادع لى فقير
فقال ارجع فى طلبه فان فيه خيرا فرجعت وبايعته من ذلك الوقت فتحنى منه ومن معرفته
بالله كله والله أعلم بحاله وحدثنى بعض من يعرف بجاوة الاسود معروف بالبركة استضاف فيه
الدعاء وكان الامير بها ابو عون بن عبد الرازق وقد حبس رجلا فى حديد فى عدة من أهل
مكة شافعى المذهب وانه كان يوم الجمعة واجتمع الناس بالمسجد الذى لهم وعادة أهل جدة
المقيمين بها ان كانوا أربعين حسب وعلى بها الجمعة وان لم يبلغ عددهم أربعين صلى ظهرا
اربعا ولا يعتبر من ليس من أهلها وان كانوا اعدادا كثيرا ثم ركبنا البحر من جدة فى مركب

يسمونه الجمعة و[illegible] رشيد الدين الالفي اليمني الحبشي الاصل وركب الشريف منصور [illegible] في حلة خضراء [illegible] [illegible] معه [illegible] [illegible] ان [illegible] من [illegible] [illegible] أهل اليمن [illegible] أولادهم وأصحابهم [illegible] وهم [illegible]

([illegible])

وركبنا البحر [illegible] وهي [illegible] أحدهما [illegible] [illegible] وذكر [illegible] وان أحد [illegible] [illegible] ان كان [illegible] [illegible] [illegible] دار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهم [illegible] على رؤسهم عصائب حمر في عرض الاصبع [illegible] والسيوف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من مسيرنا وصلنا الى حي من العرب يعرفون [illegible] مختلطين [illegible] عارفين بلسانهم وفي ذلك اليوم وصلنا الى جزيرة سواكن وهي على نحو ستة أميال من البر ولا ماء بها ولا زرع ولا شجر والماء يجلب اليها في القوارب وبها صهاريج يجتمع فيها ماء المطر وهي جزيرة كبيرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى مكة [illegible] وهو نوع من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضا الى مكة

(ذكر سلطانها)

وكان سلطان جزيرة سواكن حسين وصولى الشريف زيد بن ابى نمى ونوه اميرمكة وأحواه أميرا هابعد وهما عديمة ورميمة الدير تقدم ذكرهما وصارت اليه من قبل احماة فاهم احواله ومعه عسكر من الحماد وأولادكاهل وعرب جوبية وركبت البحر من جزيرة سواكن يريد أرض اليمن وهذا البحر لايسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وانما يسافرون فيه من طلوع الشمس الى غروبها ويرسون ويقيلون الى الظهر فاذا كان العصر صعدوا الى المركب وهم يسمون رئيس المركب الريس ولا يزال أمام فى مقدم المركب يرمى صاحب السكان على الاحجار وهم يسمونها الساب وبعد سبعة أيام من جزيرة سواكن وصلنا الى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وهو ضبط صحيح) ويعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنا بها قديما وشى كثير وحصنة امارة يسكنها طائفتان من العرب وهم بنو حرام وبنو كنانة وجامع محمد المدينة من أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقراء المنقطعين الى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد نبوله الهندى من كبار الصالحين لباسه مرقعة وقميص قطن وله حلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لاحصير ولا بساط ولم أر بها حين نزلت فى شيأ من أنواع النبات سوى شجرة من حوض النخيل فيها أمر شعير يابسة وصحيفة فيها ملح ومعترقا دا جاءه أحد قدم بين يديه ذلك ويسمى به أضيافه فيأكل واحد منهم مما حضر من غير تكلف شئ واذا صلوا العصر اجتمعوا عند كرسى بين يدى الشيخ الى صلاة المغرب واذا صلوا المغرب أخذ كل واحد منهم موضعه ينتظر فى قلب الوان كذلك الى صلاة العشاء الآخرة فاذا صلوا العشاء الآخرة أقاموا على الذكر ثلث ليال ثم انصرفوا وعودون فى أول الثلث الثالث الى المسجد بنية يعودون الى الصبح ثم يذكرون الى أن تحين صلاة الاشراق فينصرفون بعد صلاتها ومنهم من يقيم الى أن يصلى صلاة الضحى بالمسجد وهذا أنهم أبدا وقد كنت أردت الاقامة معهم بقية عمرى فلم أوفق لذلك والله تعالى يتدارك بلطفه وتوفيقه

(ذكر سلطان حلى)

وسلطانها عامر بن دويب من بنى كنانة وهو من الفضلاء الادباء الشعراء صحبته من مكة الى جدة وكان قد حج فى سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلنى وأكرمنى وأقمت فى ضيافته أياما وركبت البحر فى مركبه فوصلت الى بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين المهملة واسكان الراء وفتح الجيم) بلدة صغيرة بها جماعة من أولاد لهيعة وهم طائفة من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصعدة ولهم فضل وكرم واطعام لابناء السبيل ويعينون الحج وركبهم فى مراكبهم ويزودونهم من أموالهم وقد عمروا تلك الشعب وانتشروا وكثر الله أموالهم وزادهم

من

من قصدهم واعانهم على قصد الخير وليس بالارض من يعاملهم في ذلك الا الشيخ بدر الدين البقاس الساكن بلدة القحمة وهو مع ذلك من المآثرة والايثار وأقدم السرجة لهذه الواحة في صبيحة المذكورين ثم رحلنا الى مرسى الحادث ولم نزل نمشي حتى مرسى الاواب ثم الى مدينة زبيد مدينة عظيمة ليس بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أعلى من أهلها واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره وهي بريئة الاشجار احدى قواعد بلاد اليمن (وهي بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة) مدينة كبيرة كثيرة العمارة بها المحل والبساتين والمياه أصح ورداً من زبيد وأحدث اولا فيها صدقة للسمائل وحسن الاخلاق وجمال الصور ولبلدها الحسن الفائق الحداثة وهي وادي الخصيب الذي ذكر في بعض الآثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائد في وصيته يا معاذ اذا جئت وادي الخصيب فلا تأكل ولا تشرب منه فانه يسقي الخمر الشهوة وبها أهم يحترفون في أيام الصيف والرطب في كل بيت الى حدائق النخل ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء ويخرج أهل البساتين وأهل الاسواق لبيع الفواكه والخضراوات وتخرج النساء متنزهات الى الجبل في المحامل وهن معمادكر بة من احسن الحالات الاخلاق الحسنة والمكارم والعرف عندهن مريء ولا يمتنعن من تزوجه كما يفعله نساء زبيد واذا أراد السفر خرجت معه وودعته وان كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم عليه حتى له الى أن يرجع اليها ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها وان كان مقيماً فهي تسع منه نفقتين النفقة والكسوة لكنهن لا يخرجن عن بلدهن أبداً ولو عطيت احداهن ما عسى ان تعتاد على ان تخرج عن بلدها لم تفعل وعلى ذلك مضت الدهور وهي أهل صلاح وخير وأمانة ومكارم وحسن خلق نزلت بمدينة زبيد الشيخ العالم الصالح أبو محمد الصنعاني والفقيه الصوفي المحقق أبا العباس الاسيوطي والفقيه المحدث أبا علي الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت حدائقهم واجتمعت عندهم بالفقيه العالم الصالح العلم أبو زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن ووقع عندهم ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن الحسن اليمني وكان من كبار الرجال وأهل الكرامات

(كرامة)

ذكروا ان فقهاء الزبيدية وكبرائهم أتوا مرة الى زيارة الشيخ أحمد بن الحسن فلما دخلوا عليه خرج الزاوية واستقبلهم أجمعين ولم يخرج الشيخ عن موضعه فسلموا عليه وصافحهم ورحب بهم ووقع بينهم الكلام في مسألة القدر وكانوا يقولون ان لا قدرة للعبد والمكلف يخلق افعاله فقال لهم الشيخ فان كان الامر على ما تقولون فقوموا عن مكانكم هذا فأرادوا القيام فلم يستطيعوا

وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتد بهم الحر ولحقهم وهج الشمس وضجوا مما نزل بهم فدخل أصحاب الشيخ اليه وقالوا له ان هؤلاء القوم قد رجعوا الى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فترح عليهم الشيخ فأجاب دعوتهم وعاهدهم على الرجوع الى الحق وترك مذهبهم السيء وأدخلهم زاويته فأقاموا في ضيافته ثلاثة أيام ثم سافروا الى بلادهم وسرت لزيارة هذا الرجل الصالح وهو بقرية عال هناك فسلمت عليه وهنأته بقدومه ولقيت ولده الصالح أبا الوليد اسماعيل فأضافني وبت عنده وزرت ضريح الشيخ وأقمت معه مدة أيام وسافرت في صحبته الى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعي وهو من كبار صلحاء اليمن ويقدم جميع صلحاء اليمن اذا توجهوا للحج وأهل تلك البلاد وأعرابها يعتقدونه ويحبونه ووصلنا الى حيس وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكه وأنهار فلما سمع الفقيه أبو الحسن الزيلعي بقدوم الشيخ أبي الوليد استقبله وأنزله برباطه وسلمت عليه معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفنا وسرت معه أحد العصر فتوجهنا الى مدينة زبيد حرسها الله تعالى (وزبيد اسمها مع لام المعرفة وكسر العين المهملة وزاء) وهي من أحسن مدن اليمن وأعمرها بالأهلين والتجار وتنسب اليها ثياب فاخرة وكذلك الغالب على البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات احداها يسكنها السلطان وحاشيته وأرباب دولته وتسمى مسمارا لأن ذكره والثانية يسكنها الامراء والاجناد وتسمى عدينة والثالثة يسكنها العامة والتجار وبها سوق العصر وتسمى المحالب

(ذكر سلطان اليمن)

وهو السلطان المجاهد نور الدين علي ابن السلطان المؤيد هزبر الدين داود بن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول شهر جده يسمى رسول لان أحد جدوده بعثه العباس أرسوله الى اليمن ليكون بها أميرا ثم استقل أولاده بالملك وله ترتيب عجيب في جلوسهم وكونه وكنت لما وصلت هذه المدينة مع الفقير الذي يعتقده الشيخ الفقيه ابو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدت الى قاضي القضاة الامام المحدث صفي الدين الصنعاني فسلمت عليه ورحب بي وأقام لي في ضيافته ثلاثة أيام كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس وهو يجلس السلطان للعامة لمظالمهم دخل الى عليه فسلمت عليه وكيفية السلام عليه ان يمس الانسان الارض بسبابته ثم يرفعها الى رأسه ويقول أدام الله عزك فجعلت كلما فعلت كذلك مد يده الي وقبلت يده لقاضي عن يمين الملك وأمر لي فقعدت بين يديه فسألني عن بلادي وعن مولانا أمير المسلمين جواد الاجواد أبي سعيد رضي الله عنه وعن ملك مصر وملك العراق وملك التتر فأجبته عن كل من أحب فهم وكان ورد من يديه فأمر له كرامي وأمر لي بمثيب فعود عند الملك انه يجلس فوق ذلك على مدرجة من نمارق مثنية بثياب الحرير وعن يمينه ويساره أهل السلاح ويليه منهم أصحاب السيوف ولدرق

ويليهم

ويليهم أصحاب الحصى وبين يديهم فى الجنة والمدينة حاجب وارباب الدولة وكاتب السر وأمير جند ارعلى رأسه والشوشية وهم من الحداد رة وقوف على بعد فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة بسم الله فاذا قام قعدوا مشى ذلك الجيش كله من جميع من بالمشور ومتى قيامه ووقت قعوده فاذا استوى قاعدا دخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رسم له فى الجنة او المدينة لا يتعدى أحد موضعه ولا يتعدى الامر أمير بالقعود فيقول السلطان للامير حتى امرء ولا يتعدى يتقدم ذلك المأمور بتقعود عن موضعه قليلا ويقعد على بساط هناك بين أيدى السلطان فى الجنة والمدينة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضى القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والصوفى وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والامراء ونحوهم الا حسابا ولا حد لعدد كل انسان للطعام معين لا يتعداه ولا يزاحم أحد منهم احدا وعلى من هذا الترتيب سواء غير ترتيب ملك الهند فى طعامه وذلك أن سلاطين الهند احدا وذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوه عن سلاطين الهند وأنت فى صفة سلطان اليمن أبقاه الله حسن لى وأركبنى وانصرفت مسافرا الى مدينة صنعاء وهى قاعدة بلاد اليمن الاولى مدينة كبيرة محصنة العمارة ساؤها لاحر والحص كثيرة الاشجار والفواكه وازرع معتدله الهواء طيبة الماء ومن العجب ان الماء يسيل الهندوانى والحبشة اعنى البرد فى أيام الفيظ وأكثر ما تكون برودة الشهر من كل يوم فى تلك الاوان فالمسافرون يستجلون عند الزوال لئلا يصيبهم الحر وأهل المدينة مضرورون الى مسارحهم لان أمطارها وابلة متدفقة ومدينة صنعاء مضروبة كل ان اول المصر على جميع أرضها وأبنائها وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر نبى من الانبياء عليهم السلام ثم سافرت منها الى مدينة عدن من بلاد اليمن على ساحل البحر الاعظم والحيتان تحف بها ولا مدخل اليها الا من جانب واحد وهى مدينة كبيرة ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء بها صهاريج يجتمع فيها الماء ايام المطر والماء على هذه المدينة عامة العرب وجاورين أهل المدينة وهو منه حتى يصدعوهم بالمال والثياب وهو شديد الحر وهى مرسى أكثر الهند تأتى اليها المراكب العظيمة من كيايت وبانة وكولم وفاقوط وفندرينة ومرباط الباب ومنجرور وفاكنور وهنور وسندابور وغيرها وتجار الهند ساكنوها وتجار مصر أيضا وأهل عدن مابين تجار ومابين حمالين وسيادس للسمك وللقصار منهم أموال عريضة وربما يكون لاحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الاموال ولهم فى ذلك تفاخر ومباهاة

(حكاية)

ذكر لى ان بعضهم بعث غلاما له ليشترى له كبشا وبعث معه علامات يرسم ذلك أيضا واتفق انه لم يكن بالسوق فى ذلك اليوم الا كبش واحد فوقعت المزايدة فيه بين الغلامين فانتهى ثمنه الى أربع مائة دينار فأخذه أحدهما وقال ان رأس مالى أربع مائة دينار فان أعطانى مولاى ثمنه خمسمائة والا دفعت له رأس ماله وانصرفت نفسى وعلمت صاحبى وذهب بالكبش الى سيده فلما عرف سيده القصة أعتقه وأعطاه أربع دينار وعاد الآخر الى سيده خائفا فضربه وأخذ منه ما معه ودفعه وتراخى فى عدة عدة ما يعرف ناصر الدين الأترى فكان يحضر طعامه فى كل ليلة نحو عشرين من الفقراء وله عليهم وحدهم اكثر من ذلك ومع هذا كله وهم أهل تواضع وصلاح ومكارم اخلاق يحسبون ان العرب يؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من اثاثهم على ما يحب ويحمد هذه المدينة قاصدها الصالح سالم بن عبد الله الهندى وكان وعدد من العبيد الجالبين واشتغل بها بالعلم فرأس وساد وهو من خيار القضاة وفضلائهم أقمت فى ميناها شهرا وسافرت من مدينة عدن فى البحر أربعة أيام ووصلت الى مدينة زبيد وهى مدينة الزرع وهم طائفة من الاكراد شافعية المذهب وبلادهم بحرا مسيرة شهرين أولها زيلع وآخرها مقديشو ومواشيهم الجمال ولهم اعمام مشهورة السمن وأهل زيلع سود الالوان وأكثرهم رافضة وهى مدينة كبيرة ولها سوق عظيمة لانها أقدر مدينة فى المعمور وأوحشها وأكثرها سباعا وبها كثرة عكى وهو ماء الآبار التى تحفر بها فى الارض ولما وصلنا اليها اخترنا المبيت بالبحر على شاطئه هو وله ولم نبت بها الصرها ثم سافرنا منها فى البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مقديشو (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة واسكان الواو) وهى مدينة شافعية فى الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة يحملون عليها الغلبين فى كل يوم ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار اقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة لها التى لا نظير لها وبها تحمل الى الديار مصر وغيرها ومن عادة أهل هذه المدينة انه متى وصل مركب الى المرسى تصعد الصبايا وهى الفواريب الصغار اليه ويكون فى كل صنبوق جماعة من شبان اهلها فيأتى كل واحد منهم بشئ معطى فيه الصغار فيقدمه لتاجر من تجار المركب ويقول هذا لزيدى وهكذا يفعل كل واحد منهم ولا يبرح التاجر من المركب الى دار يزيله من هؤلاء الشبان الا من كان كثير التردد الى البلد وحصلت له معرفة أهلها فانه يمر حيث شاء عادة ويزل عند من يزيله ويبيع له ما عنده ويشترى له ومن اشترى منه بخس أو باع منه بغير حضور من يزيله فذلك البيع مردود عند هم ولهم منفعة فى ذلك ولما صعد الشبان الى المركب الذى كنت فيه جاء الى بعضهم فقال له أصحابى ليس هذا بتاجر

واما

وانما هو فقيه فصاح باحمد وقال لهم هذا ربي القاضي وكان فيهم أحد أصحاب القاضي فعرفه بسلامه فأتى في ساحل البحر في جملة من الجماعة وبعث في أحد هم فدعا أباه وأصحابه وسلمت على القاضي وأصحابه وقال لي بسم الله تتوجه السلام على الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم ان يقولوا للسلطان الشيخ فقلت له دراك توجهت اليه فقال لي ان العادة اذا جاء الفقيه او انسان من الصلحاء لا ينزل حتى يرى السلطان فدخلت معهم اليه كما طلبوا

(ذكر سلطان مقدشو)

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انما يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمر وهو في الاصل من البربر وكلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائدهم انه متى وصل مركب يصعد اليه صندوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه وهو الريس وما وسقه ومن قدم معه من الخدم وغيرهم فيعرفه بذلك كله ويعرض على السلطان من استحق ان يبرزه عنده أبرزه ولما وصلت مع القاضي المذكور وهو يعرف بابن برهان المصري الاصل الى دار السلطان جاء بعض الخدم فسلم على القاضي فقال له بلغ الامانة وعرف مولاك الشيخ ان هذا الرجل قدم من أرض الحجاز قبلنا ثم جاء وأتى بطبق فيه أوراق البصل واقوه فأعطى عشرة أوراق من البصل وأعطى القاضي كذلك وأعطى لاصحابي ولطلبة القاضي ما بقي في الطبق وحط بعضهم من عنده وزاد صندوق فحك على وعلى القاضي وقال ان مولانا أمر أن ينزل بدار اعدها لي وأمر لي بنفقة فدخل عبد القاضي بيدي وجئنا الى تلك الدار وهي بقرية من دار الشيخ مقروبة منه فسلمنا عليه ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو يقول لنا عوفوا فقال مولانا سلم عليكم ويقول لكم قدموا حتى يقدم لكم الطعام فكان ما وضعه بين الارز المسوح بالسمن يجعلونه في صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه لحم الكوشان وغيره من الدجاج واللحم والحوت والمقول ويحضرون الموز قبل الطعام في أول الليل ويجعلونه في صحفة ويجعلون لنا من الزبيب في صحفة ويجعلون عندنا ماء يشربون منه وعندنا قدح من الخشب المصبر يجعلون فيه الحلو والملوح والمحمض الاحمر والعنبا وهي مثل التفاح وآكل لها مرا وهي اذا اعتصرت شديدة الحلاوة وتوكل كالفاكهة وقبل تعتصر ما حمضة كالليمون يعصرونها في الخل وهم اذا أكلوا الفاكهة من الارز أكلوا بعدها من هذه المواد والمحللات واحد من أهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة مما عادتهم وهم في بلاده من مخامة الحموم وسمعت انهم طبعا انصرف عنا القاضي وأقمنا ثلاثة أيام يؤتى اليه الطعام ثلاث مرات في اليوم وقد عادتهم فلما كان في اليوم الرابع

وهو يوم الجمعة جاء القاضي والعدة واحد دون وراء الشيخ وأنوب كسوة وكسوتهم وطلة
خز يشده الانسان في وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونها ودراعة من المقطع الحمراء
معلمة وفرجية من القدسي مبطنة وعلى رأسه مصرية معلمة وانوا الاحصاني كسي قسيم وانيسا
الجامع فصليا خلف المقصورة الخرجا الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي فرحب
وتكلم بلسانهم مع القاضي ثم قال بالتركي العربي قدمت خير مقدم وشرفت لاد ما وسهلت
وخرج الى صحن المسجد فوقف على فروانده وهو مدعوس هناك فقرأ ودعا ثم جاء الوزراء
والامراء وجنود الاحصاد فسلموا عليه تهم في السلام كعادة من اهل مصر انتهى في الارض
ثم يحطها على رأسه ويقول أدام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فمشى عليه وأمر
القاضي أن يفتعل وأمرني أن أسعى وتوجه الى منزله ماشيا وهو بالقرب من المسجد ومشى
الناس كلهم خلفه ورفعت فوق رأسه اربع وبان من احمر الملون وعلى أعلى كل قبة صورة
طائر من ذهب وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسي احمر وتختاس بياض مصر
وطرد حاتها الحسان وهو متقلد عوطة حرير معلم عمامة كبيرة وصرة بين يديه الطول
والاتواق والانغار وأمر الاحصاد امامه وحاشية القاضي والفقهاء والشرفاء معه ورحل الى
مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والامراء وجنود الاحصاد في سقيفة هناك وفرش
للقاضي سجادة يجلس معه عليها والشيخ واقف معه ولم يزالوا كذلك الى صلاة العصر
فصلوا العصر مع الشيخ في جميع الاحصاد وقعدوا على قدر مراتبهم ثم صرت
الاطعمة والانغار والاتواق والصرمات وعدد صرماتها اثنتا عشرة صرمة ولا يرجع عن مقدمه
ومن كان ماشيا وقف ولا يجلس الى خلف ولا يتأخر احد فرع من ضرب الصرمات سلموا
واصحابهم كما ذكرنا وصرفوا وتبقى صرمة لحم في كل يوم جمعة وأما كان يوم السبت أتى
الناس الى باب المسجد يقعدون في سقائف حول الدار وجلس القاضي والفقهاء والشرفاء
والصالحون والمشايخ وأصحاب الوظائف والناس يقعدون على كراسي خشب معدة لذلك
ويكون القاضي على دكانة وحده وكل صنف على دكانة بحسبهم لا يشاركهم فيها سواهم ثم
يجلس الشيخ بحلسه ويبعث الى القاضي يجلس عن يساره ثم يدخل معهما ويقعد كبراؤهم
بين يديه وسائرهم يسلمون ويصرفون ثم يدخل الشرفاء ويقعد كبراؤهم بين يديه ويسلم سائرهم
ويصرفون وان كانوا عصبوا جلسوا عن يمينه ثم يدخل المشايخ والصلحاء فيجلس كبراؤهم
ويسلم سائرهم ويصرفون ثم يدخل أولاد الامراء ثم وجوه الاحصاد طائفة بعد طائفة
أخرى يسلمون ويصرفون ويؤتى بالطعام فيأكل بين يدي الشيخ القاضي والشرفاء ومن
كان قاعدا بالمجلس ويأكل الجميع معهم وان أراد تشريف أحد من كبار مراتبه بعث اليه

فيأكل

فأكل معهم وأكل سائر الناس بعد الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم دخل لشيخ ابن درويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الامراء للفصل بين الناس وأعلى الشكايات فما كان منعلقا لاحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والامراء وما كان مفتقرا الى مشاورة السلطان كتبوا اليه فيه يخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة التي يقتضيه نظره وثالث عادته ثم ركبت المحمل من مدينة معدشوه وحوها الى بلاد السواحل واصل مدينة كاوا من بلاد الزنج وهي على جزيرة في بحر مسمى (وصفة اسمها مفتوح وواو ساكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهملة مضمومة وواو) وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يوم في بحر ولا زرع بها ولا تجارة الا الموز والجوز والارز ولهم فاكهة يسمونها الجوز وهي شبه الرمان ولها نوى كنوى الخلاف ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة واما جلب اليهم من السودان وأكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذهب اهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم مراعى محكمة البناء وعلى كل باب من أبواب المساجد أجرية ماء عذب وعلى أبوابهم دراع أو ذراعان فيها يتوضؤون منها الماء عذب حشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والارض حول البئر والمسجد مسقعة فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قدح مملوء ماء حاضر عليه فيغسل رجليه ومن أراد الوضوء أمسك القدح بيمينه وصب على يديه وتوضأ وجميع ثياب يمشون حفاة الاقدام وتشهد الجمعة بالجزيرة وركب الى التجار مدينة كاوا (وضبط اسمها بضم الكاف وامكان اللام وفتح الواو) وهي مدينة عظيمة على ساحل بحر أكثر أهل الزنج لم يسلموا وهم شرهات في وجوههم كالهنود في وجوه الناس من حسنها وكراهة بعض التجار مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كاوا ومن سفالة يؤتى من بلاد الذهب مسيرة شهر ومن يوفي يؤتى الى سفالة ومدينة كاوا من أحسن المدن وأتمها عمارة وكلها بالخشب وسقف بيوتها الديس والامطار بها كثيرة وهم أشد حبا لاهل الهند في البر واحسنهم مع كفار الزنج والعرب عليهم القدس والصلاح وهم شافعية المذهب

(ذكر سلطان كاوا)

وكان سلطانها في عهدنا حولي اليه أبو المظفر حسن ويكنى ايضا بأبي المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه وكان كثير الغزو الى أرض الزنج يغير عليهم ويأخذ لعاتم فيجرح جرحا ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوي القربى في جراية على جنده فاذا جاءه الشرفاء دفعه اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ورأيت عنده

من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جمار ومنصور بن لبيدة بن أبي نمي ومحمد بن عجيلان ابن نمي ولقيت عند شوابل بن كبيش بن جمار وهو يريد القدوم عليه وعندما التقينا له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف

(حكاية من مكارمه)

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة وعمد الى داره فتعرض له احد الفقراء اليمنيين فقال له يا ابن المواهب فقال لبيك يا فقير حاجتك قل ما عندي هذا الثياب التي عليك فقال له نعم اعطيكها قال الساعة قال نعم الساعة فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخلع تلك الثياب وقال للفقير ادخل فدخل فاخذ حمل التمر وأخذ هو وجهه في منديل وحطه فوق رأسه وانصرف فعدم شكر الناس له على ما صنع من تواضعه وكرمه وأخلاقه وهو في عهد تلك الايام كبير وعمره نحو عشرة من العشرين وهو مع السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فامر له بعشرة أرؤس من الرقيق وعشرة من الابل ومعظم عطاياهم هكذا ولم تزل هذه الخلال من أخلاق الكرام رحمة الله عليه ولي الجود والوفاء وكان على عهده من ولاة أمره سنة حول له مات الذي كان يعطي ولم يترك من بعده مثله ولما ورد عدد الشهور الكبيرة وحينئذ يعظم القتال حتى انقطع الزاد وعن ايابه وركب البحر من كانوا الى مدينة ظفار الحوض (وضبطها بعضهم بالمعجمة والصواب ما ذكرناه بالمهملة على ما ذكر) وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تخرج الى العراق الى عدن ويسمى البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعد الريح في شهر ايلول وقد قطعته من ظفار الى عدن في نحو ثمانية وعشرين يوما لان الريح لم يكن مع السفينة التي اجري بالليل ولا ذهب ريح بعد عدن في البحر مسيرة شهر في بحر اليمن وبينها وبين عدن نحو ستمائة فرسخ وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمارة هي وسوق خارج المدينة ترى من يعرف بالحرطاء وهي من أكثر الاسواق وأشدها تجارة وأكثرها بيعا لكثرة ما يباع بها من الثمرات والعسل وأكثر ما يكون هذا النوع المعروف بالسردد وهو الذي يهدى الى الملوك ومن الحكمة ان دوابهم انما علفها من هذا السردد وكنت عندهم يوما فرأيت في سواقهم وأكثر ما عندهم وهن يأتين من السواد وزرع أهلها الذرة وهم يسمونها الدخن وكذلك يسمونها أهل مصر يصنعون دلوا كبيرة ويجعلون لها جلب لا كثيرة ويحمل كل جمل عبدا وخادم ويحملون الدلو على عود كبير مرتفع عن الثرى ويصبونها في صهريج يسمونه الحس وهو في الحقيقة نوع من السلت والارز يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودراهم

هذه

هذه المدينة من النحاس والعصفر ولا ينفق في سواها وهم أهل تجارة لا عيش لهم الا منها ومن عادتهم انه اذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبد السلطان الى الساحل وصعد في صبوق الى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللربان وهو رئيس والكراي وهو كاتب المركب ويؤتى اليهم ثلاثة أفراس غير مكسوة وتضرب امامهم الاطبال والاوتاق من ساحل البحر الى دار السلطان ويسيرون على الدور وأمير حشدار وتبعث الصدقة لكل من المركب ثم تدعو بعد الثلاث أكلون بدار السلطان وهم يعلمون ذلك ويعدون لاصحاب المراكب وهم أهل واسع وحسن اخلاق وفضيلة ومحبة لغرباء ولبسهم الحسن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند وشدون الخيوط في أوساطهم عوض السراويل وأكثرهم شدوطة في وسطه ويجعل فوق شهرة أخرى من سندس الحرير ويتمنطقون مرات في اليوم وهي كثيرة الساحة لهم في كل مجمع من مجامعهم لاعتبار وتصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان جيدة وتجلب على أهلها رخيصة وهذا المرض المعروف بداء الفيل وهو منتشر بالمدينة وأكثر أهلها مصابون به والعياذ بالله ومن عوائدهم الحسنة انه يجتمع في المسجد الجامع بعد صلاة العصر من يوم الجمعة من أهل العدوة الاول الى الفسقية وصالحهم الذين يعرفون بالخير وكتاب يقرأ عليهم فيه مواعظ وحكايات صالحين ومن خواص هذه المدينة وعجائبها انه لا يقدر أحد على أن يمكث فيها وله عليها مكر وحيلة يتوصل بها الى الخروج منها وذكر لي ان السلطان قسطنطين الذي هو من طوران شاه صاحب خراسان وما وراء النهر والبحر وأرسل الله سحابة على رحبة من الارض مرارا يسيرة على حسب ما شاء فمطرت عليها ثم ذكر لي ان الله أخذ السلطان أمين عين ان عم فذكر أن ابن عمه أخرجه من بلده فلجأ اليها وهو أيضا ابن عمه فلما خرج ذلك الامير عن داره عقد عليه حبس وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعا ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وعلمها وعن العراقيين أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في ثوبهم وبلدهم الذي يسكنونه الا أنهم وهو عيسى بن علي كنيته أبو زكريا نفيس فكان له حوار مسمى بأسماء جدهم المغرب الاكبر يجنبه والاخرى راد المال ولم أسمع هذه الاسماء في بلد سواها وأكثر أطمارهم وثيابهم كثوب الاصبهانيين الغماتم وفي كل درهم وزهم بجاية وهي مدينة بالمغرب الاوسط على ساحل البحر كما يفعل أهل المغرب وأكلهم الدرة وهذا التشابه كله يدل على أن بينهم مناسبة ومواصلة من قبائل المغرب أصلهم من جزولة يقرب من هذه المدينة من بلاد بهاراو وبها الشيخ الصالح العابد أبو محمد بن أبي بكر بن عيسى من أهل صفاقس وهذه الزاوية معظمة عندهم يأوون اليها غدوا وعشيا ويستجيرون بها فاذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه رأيت بها شخصا

ذكر لى ان له مدة سنين مستجيرا لم يتعرض له السلطان وفى الايام التى كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حتى وقع بينه وبين الشيخ أبى العباس أحمد وأبى عبد الله محمد ابنى الشيخ أبى بكر المذكور وشهد لهما فصلا عظيما ولما غسلا أيديهما من الطعام أحضر أبو العباس منهما ذلك الماء الذى غسلا به فشرب منه وبعث الخادم بباقيه الى أهله وأولاده فشربوه وكذلك يفعلون عند ما يشربون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أخبرنى فاضلها الصالح أبو عثمان عبد الله الرندى وكان يتولى خدمتى وغسل يدى بعقبه ولا كل ذلك الى عبد دو عمر بن هذه الزاوية زيادة على سائر الملك المعتصمة عندهم والمستجير بها من طلب حاجة فتقضى له ومن عادة الجند اذا دام الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم اجتمعوا بهذه الزاوية وأقاموا فى جوارها الى ان يعطوا أرزاقهم وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة الاحساف وهى منزل عاد وهذه الزاوية ومسجد على ساحل البحر وحوله قرية للصيادى اشتملت فى الزاوية فرأيت مكتوبا عليه هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد ذكرت ان مسجد دمشق موضعا عليه مكتوب هذا قبر هود ابن عابر والاشبه أن يكون تعدد لاحد فى الامر دد وابنه أعلم وبلد المدينة ساكنين فيها مور كثير كبير الجرم ورأيت بعضه فى كل ورم ما ثنى عشرة أوقية وهو طيب الطعم شديد الحلاوة وهو أيضا النخيل والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكون الا بلاد الهند وعدينة صغار هند لشبهها بالهند وقربها منه والله أعلم فى مدينة زبيد فى بستان السلطان شجرات من النارجيل وقد وقع ذكر التنبول والنارجيل فنذكرهما ولنذكر خصائصهما

(ذكر التنبول)

والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالى العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع للدوالى العنب أو تغرس فى محاذاة شجر النارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالى وكما تصعد الفلفل ولا ثمر للتنبول وانما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق الغليق وأطيبه الاصفر وتحتى اوراقه فى كل يوم وأهل الهند يعدون التنبول تعشيا شديدا واذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لا سيما ان كان أميرا أو كبيرا واعطاؤه عندهم اعظم شأنا وأدل على الكرامة من اعطاء الفضة والذهب وكيفية استعمالهم ان يؤخذ قبله العوفر وهو شىء حور العين فيكسر حتى يصير أطرافا صغارا ويجعله الانسان فى فمه ويعلكه ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيأ من النورة ويضعه مع العوفل وخاصيته انه يطيب النكهة ويذهب روائح الفم ويهضم الطعام ويقطع صر رشرب الماء على الريق ويفرح

أكله

أكله ويعين على اجماع ويحفظ الانسان عند أسه لبلاء السقيم من قومه أو أبقصته
زوجته أو جاريته أحد منه فيذهب عنه ما من رائحة كريهة ولقد ذكر لي ان جواري
السلطان والامراء بلاد الهند لا يأكلن غيره وسيذكر عند ذكر بلاد الهند

(ذكر الشعير جيل)

وهو حور الهند وهذا الشعير من أعرب الاشجار شأنا وأعجبها أمرا وثمره شبيه شعير الحمل
لا فرق بينهما الا ان هذا ثمر حور اوتلك ثمر تمر او حورها شبيه برأس ابن آدم لان فيها شبه
العينين والفم وداخله شبه الدماغ اذا كان خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون
منه حبالا يخيطون بها المراكب عوضا من مسامير الحديد و يصنعون منه احمال للمراكب
والحورة منهم وخصوصا التي بجزائر ديبة المهن تكون بمقدار رأس الآدمي ويزعمون ان حكيما
من حكماء الهند في عصر الرشيد كان متصلا بالملك من ملوك ومعظما له وكان للملك وزير بينه
و بين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك ان رأس هذا الوزير انما صنع وذلك ان تخرج منه
تمرة ثم تعطيه بعد زمنه على أهل بيته وسواهم من أهل الهند فمن له الملك فان لم يظهر
من رأس الوزير ما ذكرته لك ان لم يصبر فاصنع برأسي كما صنعت برأسه فأمر الملك رأس
الوزير فقطع وأخذ الحكيم وعمر له ما عمر فمات وعاش حتى صارت نخلة وأثمرت هذا
الحور وهذه الحكاية من الاكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا
الحور تقوية الدم واصلاح السعن والرياء في جرد الوجه وأما لا تعلق على الباه فمعلوم فيها
عجيب ومن عجائبه انه يكون في اعلاه أمرد أحمر في قشر يابس كيس صغير من قشره وفتح
رأس الحور وشق منها في الهيئة من الجوز واللوز وهو احمر معين على الباه فاذا
شرب ذلك الماء أحد قشرة الصغير وجعلها شبه المسعوط وجرد بها ما في داخل الحور من الطعم
ويكون صحيحا كصحة السنة الا انه ليس فيها كل التمام وبعدي به يوما كان غذائي أيام
اقامتي بجزائر ديبة المهل منذ ثمانية عام ونصف عام وعجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب
والعسل وأما كيفية صناعة العسل منه فان حذام تحز منه و يسمون الفارابية يصعدون
الى الحور غدوا وعشيا الى أن يأتوا أحد مائها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الاطواق
فيصعدون لعذق الذي تحز منه الثمر و يتركون منه مقدار أصبعين و يربطون عليه قدرا
صغيرة فيقطر فيه الماء الذي يسيل من العذق فاذا ربطوها غدوا صعدوا بها عشيا ومعه قدحان
من قشر الحور المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق في أحد القدحين
ويغسل بالماء الذي في القدح الآخر و يحز من العذق ثلثي زور و يربط عليه القدر ثانية ثم يعمل
غدوة كفعله عشيا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء صيره كما يصير ماء العنب اذا صنع منه

الرف فيصير عسلا عجيبا لذيذ الطعم وما يشتريه تجار الهند واليمن والصين ويجلبونه الى بلادهم ويصنعون منه الحلاوة وأما كيفية صنع الخلية منه فان كل ارشية الكرسي تجلس فوقه المرأة ويكون بدشداشتي في أحد طرفي جدد مشرفة منقوبة في الحورة مقدار ما يدخل تلك الحديدة ويحرشون ما في باطن الحورة وكل ما يميل منه يجتمع في جفنة حتى لا يبقى في داخل الحورة شيء ثم يمرس بالماء ويصير كلون الحليب ماصا ويكون طعمه كطعم الحليب ويقدم على الاساس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الحوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيربلون قشره ويعصرونه فيصفو ويجعلون في الشمس فاذا بان فيه الدود واستقر حوله وبدأ يتحرك ويتأكلون دوده يجعلون الدهن في شعورش وهو عظم النخل

(ذكر سلطان مقار)

وهو السلطان الملك المغيث ابن الملك الظاهر ابن عم صلاح الدين وكان أبوه أميرا على مقار من قبل صاحب اليمن وله عليها مال يبعثه اليه في كل سنة ثم استقل الملك المغيث بملكها وامتنع من ارسال الهدية وكان من عزم صلاح الدين على محاربته ويبين ان مملكته وقع الحائد عليه عند ذكره أنها وسط قصر ساحل الهدية سمي الحصن عديم الشبيه وجامع بارشه ومن عادته ان تضرب الدهول والبوقات والزمار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة العصر وفي كل يوم الثلثين وخميس يأتي العساكر الى بابه فيقفون خارج المشور ساعة ويصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراه أحد الا في يوم الجمعة يخرج فيصلي ثم يعود الى داره ولا يمنع أحد من دخول المشور وأمير حمدان عند على بابه والبه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية وهو يبلغ السلطان ويأتيه الجواب للجميع واذا أراد السلطان الركوب خرجت مراكبه من القصر وملاحوه الى ساحل المدينة وفي محل عال منه محل مستور يستر أبيض منقوش بالذهب فيركب السلطان وينزل في المحل بحيث لا يراه واحد حتى يستقر في مكانه وأحب ركوب الفرس ركبه ونزل عن الجمل ولا يمكن ان لا يمر بحيث لا يراه أحد في طريقه ولا يصل لرؤيته ولا لشكايته ولا لغيرها ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فعند الناس اذا سمعوا بخروج السلطان فزعوا عن الطريق وتحاموها وورد هذا السلطان اسمه محمد عندي وكان معلم صبيان فعلم هذا السلطان القراءة ولكتابة وناهده على أن يستوزه فان ملك استوزره فلم يكن يحسن اذ كان الاسم له والحكم لغيره ومن هذه المدينة ركبنا البحر بريد عمان في مركب صغير لرجل يعرف بعلي ابن ادريس المصيري من أهل جزيرة مصيرة وفي الساحل لركوب البحر حيث جالسك وبه ناس من العرب صيادون للسمك ما كون هناك وعندهم شجر الكندر وهو رقيق الورق واذا شرطت الورقة منه قطر منها مثل شعرة الناس ثم عاد صمغا

وذلك

وذلك الصمغ هو اللبان وهو كثير جدا بعمان ولا معيشة لاهل تلك المرسى الا من صيد السمك وسمكهم معروف باللحم (لحاء معجم مفتوح) وهو شبيه كباش البحر يشرح ويعذد ويعشت به وبيوتهم من عصم السمك وسقفها من جلود الجمال وبرياس مرسى حاسك أربعة أيام ووصلنا الى جبل لعاب (ضم اللام) وهو فى وسط البحر وبأعلاه دراجة مبنية بالحجارة وسقفها من عصم السمك ويحار جها عذب يرمد يجتمع من المطر

(ذكر ولى لقيناه بهذا الجبل)

ولما أردنا التحول عن هذا الجبل صعد ناه الى هذه الزاوية فوجدنا بها شيخا ثم وقفنا عليه وسلمنا عليه وأشار برد السلام فكلمناه فلم يكلمنا وكان يحرك رأسه فأردنا أن نركب نطعم فأبى أن يقبل فقدمنا له شيئا فأكل وكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يقول وعليه عمرة وقلنسوة لبد وليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل وهذا أشد المراكب التى مارأوقط بهذا الجبل وأخذنا الماء ثم تساحل هذا الجبل وقد تقدمنا العصر والمغرب وجئناه فقام فرد وقام يصلى العشاء الآخرة ثم أذن وصلى معه وكان حسن الصوت بالقراءة يعيد الحمد ولما فرغ من صلاة العشاء الآخرة أومأ الينا بالانصراف فودعناه وانصرفنا ونحن نعجب من أمره ثم انى أردت الرجوع اليه لما رأيت فيه من الصلاح فمنعنى من معه هيبته وعلت على الخوف ورحلت الى أصحابى فانصرفت معهم وركبنا البحر وقد تقدمنا بعض الطير وليست بها عمرة فأرسلنا اليها فوجدنا بها عمرة بيضا وريشها أشد بياضا من الثلج الا أنها أعظم منها وجدنا الناس يبيضون تلك الطيور فيطبخونها ويأكلونها وصدنا من تلك الطيور فطبخوها وأكلوها وكان بحانبى ناحرس أعمى حرير مصر وكان لا يفارقه مسلم فرأيته يأكل معهم تلك الطيور فأكثر ذلك عليه فاستحيوه ولم يأكل منها فطبخوها وقطع على عدد ذلك من الحين فكان لا يفارقنى حتى أدعوه وكان طعامى فى تلك الايام ذلك المركب التمر والسمك وكانوا يصيدون بالعدو والعشى سمكا يسمى بالعربية شيرماهى ومعناه أسد السمك لان شير هو الاسد وماهى السمك وهو يشبه الحوت المسمى عندنا سارو وهم يقطعونه قطعا ويملحونه ويعطون كل من فى المركب قطعة لا يقصون أحدا على أحد ولا صاحب المركب ولا سواد ويأكلون التمر وكان عندى حبر وكعك استحكمهما من طفار فلما فقدا كنت أقتات من تلك السمك فى جملتهم وعيدنا عيد الاضحى على ظهر البحر وهبت علينا فى يوم ريح عاصف بعد طلوع الفجر ودامت الى طلوع الشمس وكادت تغرقنا

(كرامة)

وكان معنا فى المركب حاج من أهل الهند يسمى بحمد روسمى عولا لانه يحفظ القرآن ويحسن

الكيانة فلما رأى هول البحر لف رأسه بعباءة كانت له وتنوم فلما فرج الله ما نزل بنا قلت له
يا مولانا حصر كيف رأيت قال قد كنت عند الحور فتح عيني أنظر هل أرى الملائكة الذين
يقبضون الأرواح جاؤا ولا أراهم فأقول الحمد لله لو كان الغرق لأمر القبض الأرواح ثم أغلق
عيني ثم أفتحها فانتركذلك الى أن فرج الله عنا وكان قد تحدث معركب لبعض التجار وعرق
ولم يخرج منه الا رجل واحد خرج عوما بعد جهد شديد وكان في ذلك المركب نوعا من الطعام
لم أكله قبله ولا بعده صنعه بعض تجار عمان وهو من الذرة صحنها من غير طحن وصب عليها
السيلان وهو عسل التمر وأكلناه ثم وصلنا الى جزيرة مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا
فيه وهي على نحو مصيرة وبها بيوت حجارة كسور ولا عيش لأهلها الا من السمك
ولم نزل اليها بعد ما ساقنا عن الساحل وكنت قد ذكرهم بما رأيته من أكلوا الصبر من غير
دكاء وأقمنا بها يوما وتوجه صاحب المركب فيه الى داره وعاد الينا من الغد يوما وليلة ووصلنا
الى مرسى قريبة كبيرة على ساحل البحر يعرف بصور ورأيت بها مدينة قليلة في سفح جبل
طويل لها أبواب وكان وصولنا الى المرسى وقت الزوال أو قبيله فاشتهرت لما المدينة أحببت
المشي اليها والمبيت بها وكنت قد كرهت صحبة أهل المركب وسألت عن طريقها فأخبرت ان
أصل الطريق بها عند العصر فاكتريت أحد البحريين ليدلني على طريقها وتحتي حصان الهندي
الذي قدمت ذكره وركبت أصحابي مع دليل المركب المذكور الى عند ذلك اليوم وأخذت
أثوابا كانت لي وضعتها على دليل ليكتسي مؤنة حملها وحسب في بحري وذلك لما بين
يحب أن يستوفي عن أثواب فأتى بها الى حيث يخرج من البحر وسلمه المسوجر وأراد عبوره
بالثياب وعلت له اني أعبر وحدك وترك الثياب عندنا فان قدرنا على الجواز جزنا والا صعدنا
نصلب الجبال فرجع ثم رأيت رجلا حاد وعوما فحققنا انه كان قصد ان يغرقنا ويذهب
بالثياب فيشتد صوت النشاط وأخذت بالحزم وشددت وسطي وكنت أظهر لرجل وهما بين دلك
الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجارا ثم خرجنا الى صحراء لا ماء بها وعطشنا واشتد بنا الأمر فصعد
الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه وسقانا وسقى صاحبي وذهبنا
بحسب المدينة فرأينا بساتين بها حدائق تحتوي فيها الأعمال الكثيرة فلما كان الغد
أراد الدليل أن يميل بنا الى ناحية البحر وهو لا يدري له لان ساحل بحر عمان
فيها ويذهب بالثياب فقلت له اني أمشي على هذا الطريق التي نحن عليها وبيننا وبين البحر
نحو ميل فلما أصبح الميل قال لنا ان المدينة قريبة منا فمشينا حتى بلغنا حتى بحار حتى الى
الصباح فخفت أن تعرض لنا أحد في طريقنا ولم أحقق مقدار ما بقي فعلت له انا لا نحقق
أن نخرج عن الطريق فسلم فاذا أصبحنا أتينا المدينة ان شاء الله وكنت قد رأيت جبلا من

الرجال

الرحال فى سمع حمل هذا الكلام سمعت أن كورة الصوصا وقلت الاقتراب منها ولى وغلب العطش على صاحبى فلم يوافق على ذلك فخرجت عن الطريق وقصدت شجرة من شجر أم غيلان وقد أعييت وأدركنى الحمى لضعف قوتى وتحققت خوف الدليل وأن صاحبى هو الذى لا قوة له فجعل الدليل بينى وبين صاحبى وجعلت الثياب بينى وبين الدليل وأمسكت الرمح بيدى ورقد صاحبى ورصد الدليل وغبت عن الشعور فلم أعرف كيف تحرك الدليل بكلمة وأرسلنى مستيقظ ولم يزل كذلك حتى أصبح فخرجنا الى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين ماذاهقى الى المدينة فبعثت الدليل ليأتينى بماء وأخذ صاحبى الثياب وكان بيننا وبين المدينة مهاو وخنادق فأتانا بالماء فشربنا وتلك أول الحرة ثم وصلنا المدينة بهاء (وهذه المدينة هى الصوصا واسكان اللام وآخره شين معجمة) تتبع هيت ولحق فى جيدة عظيم وكنت قد ساقنى على رحلى حتى كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارى فاشار على صاحبى بالمقام بالمدينة لاستراحة الدابة وكان حمام المدينة بالشط فدخلت وبت بالباب لابد لذلك أن تذهب معى الى أمير المدينة ليعرف قصتى ومن أين قدمت فذهبت معه اليه فرأيته فاضلا لا يحسن الاخرق وسألنى عن حالى وأنزلنى وأقمت عنده سبعة أيام لا قدرة لى فيها على الركوب على قدمى لما لحقها من الالم ومدينة قلهات على الساحل وهى حسنة الاسواق ولها مستخدم من أحسن الناس خلقا وأدبا وهو شيخ الربع وهو من بنى عطر منها على البحر والمرسى وهو من عمارة الصالحة بنى مرة ومعنى بنى عندهم الحرة وأكلت بهذه المدينة سمكا لم آكل مثله فى اقليم من الاقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الارز ويأكلونه والارز يجلب اليهم من ارض الهند وهم أهل تجارة ومعيشتهم عما يأتى لهم فى البحر الهندى واذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح وكلامهم ليس بالصحيح مع اهل عمان وكل كلمة تتكلمون بها يصلحونها فلا يقولون مثلا أكل لا تميتى لا تفعل كذا لأن أكثرهم خوارج لكنهم لا يقدرون على اظهار مذهبهم لانهم تحت طاعة السلطان فضل الدين تميم بن مثنى هرمز وهو من أهل السنة وبقربة من قلهات قرية صبى واسمها على يحو اسم الصبى اذا أضيف اليه المتكلم لصبيه وهى من أجل القرى وأبدعها حسنا ذات أنهار جارية وأشجار مثمرة وبساتين كثيرة ومنها تحمل الفواكه الى قلهات وبها الدور المعروف بالمرواري والمرواري بالفارسية هو الجوهرى (المروارى الجوهر) وهو كثير بها يجلب منها الى هرمز وسواها وبها أيضا القنبول لكن ورقه صغيرة والتمر يجلب الى هذه الجهات من عمان ثم قصدت بلاد عمان فى سبعة أيام فى صحراء ثم وصلنا بلاد عمان فى اليوم السابع وهى حصبة ذات انهار واشجار وبساتين وحدائق بخل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس ووصلت الى قاعدة هذه البلاد وهى مدينة

نروا (وضيط اسمها سوب مفتوح وراى مسكن وواو مفتوح) مدينة فى سفح جبل تحف بها البساتين والانهار ولها أسواق حسنة ومساجد معدة لصلاتهم وعادتهم انهم يأكلون فى يوم المساجد يأتى كل انسان بما عنده ويجمعون فيأكل فى يوم المسجد ويأكل معهم الوارد والصادر ولهم تجدد وصناعة وأحرف فمنهم من أبداوهم إباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا أربعا وفيها غير امامهم آيات من القرآن ويذكر كلاما مشتملا على خطبة يرمى فيه عن أبى بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلى وهما اذا أراد ذكر على رضى الله عنه كنوا عنه بالرجل فقالوا ذكر عن الرجل أوقال الرجل ويرددون عن الشيخ المعين ابن ملجم ويقولون فيه العبد الصالح وامع ابنته وساوهم كثيرون العدد ولا عبرة عندهم ولا ان كان لذلك وسنذكر حكاية تدل على هذا مما يشهد بذلك

(ذكر سلطان عمان)

وسلطانها عربى من قبيلة الازد من الغوث ويعرف بأبى محمد بن سهان وأبو محمد عندهم سمة لكل سلطان بلى عمان كما هى أبا بكر عند ملوك تاكور وعادتهم ان يجلس فى دار له فى مجلس هنالك ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع أحد من الدخول اليه من عربى أو غيره ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الصيافة ويعينه على قدره وله احراق حسنة ويؤكل على مائدته لحم الحمار الانسى ويباع بالسوق لانهم يأكلونه ولكنهم يحجمون ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهرونه ويعد بدوس مدن عمان مدينة زكى لم أدخلها وهى على ما ذكر لى مدينة عظيمة ومنها الغريافات وشاوكلها لوحوف كالبساتين وكانت ذات أنهار وحدائق وأشجار عظيمة وأكثر هذه البلاد فى عمالة هرمز

(حكاية)

كنت يوما عند هذا السلطان أبى محمد بن سهان وأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بدوية الوجه فوقفت بين يديه وقالت له يا أبا محمد طغى الشيخان فى رأسى فقال لها ادنى واصرعى الشيخين فقلت له لا أستطيع أبقى حوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبى فافعلى ما شئت فذكرت لما انصرفت عنه ان هذا من فعل مثل هذه النساء كون فى حوار السلطان وتذهب الفساد ولا يقدر أحد ولا وقرانتم أن يغيروا عليهم وان قالوه تقتلوا لانهم فى حوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان الى بلاد هرمز وهرمز مدينة على ساحل البحر وتسمى أيضا موغستان وتعانيه فى البحر هرمز الحديدة وبينهما فى البحر ثلاثة فراسخ ووصلنا الى هرمز الحديدة وهى جزيرة مدينتها تسمى جرون (بفتح الجيم والراء وجرشادن) وهى مدينة حسنة كبيرة لها اسواق حافلة وهى مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند الى العراقين وفارس وخراسان وبهذه

المدينة

المدينة سكنى السلطان والجزيرة التى فيها المدينة صغيرة وهى أكثرها سباخ وجبال ملح وهو الملح الذى منه يصنعون الأوانى للزينة والمسارات التى يصعون السرج عليها وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان ويقولون طعامهم حرما وماهى لون بادشاهى معناه بالعربى التمر والسمك طعام الملوك والماء فى هذه الجزيرة له عيون وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة تجتمع فيها ماء المطر وهى على بعد من المدينة ويأتون اليها بالغرب فيملؤنها ويرفعونها على ظهورهم الى البحر يوقرونها فى القوارب ويأتون بها الى المدينة ورأيت من الحبش عند باب الجامع بيابنه وبين السوق رأس سمكة كأنه راسة وعينه كأنهما ماآن فترى الناس يدخلون من احداهما ويخرجون من الاخرى ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح ابا الحسن الاقصرانى واصله من بلاد الروم فأضافنى وزارنى والبسنى ثوبا وعممنى كعمر الجزيرة وهو يحتبى بدفين الحبس فيكون كأنه مستند وأكثر فقراء الهند يفعلونه وعلى ستة أميال من هذه المدينة مزار ينسب الى الخضر وليس عليه السلام يذكر انهما يصليان فيه وظهرت له بركات وزاهير وهو الماء الذى يتبركون به الشيخ يخدم بها الوارد والصادر واقمت عنده يوما وقصدنى من هذا الجزيرة رجل صالح متعبد فى آخر هذه الجزيرة قد نحت غارا لسكناه فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة فيها جاريه وله عبيد حارث الغار يزعمون انه قرأ له وغذاه وكان هذا الرجل من كبار تجار البيت وقطع العلائق واتبع مسالك العبادة ودفع ماله لرجل من اخوانه يتجر له به وتبعته ميلا فاحسن القرى واحسن رضى الله تعالى عنه ومتعنا الخير والعباده لائحة عليه

(ذكر سلطان هرمز)

وهو السلطان قطب الدين مهرس طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التائين المعجمتين وبينهما ميم مفتوح وهاء مسكنة وآخره نون) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الاخلاق وعادته ان يأتى لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف يوم وصوله وقد دخلنا جزيرته وجدناه متهيأ للحرب مشغولا بجمع ابى أخيه صلاح الدين فكان فى كل سنة يتيسر للقتال والغلاء مستول على الجزيرة فأتى البلاد برده شمس الدين محمد بن على وقاضيه عماد الدين الشونكارى وجماعة من الفضلاء فاعتذروا لهم عما بلغه من مباشرتهم الحرب وأقمنا عندهم ستة عشر يوما ثم أردنا الانحراف فقلت لبعض الاحبة كيف نصرف ولا نرى هذا السلطان فشاور الوزير وكنت فى دار الزاوية التى نزلنا بها فعلمت له انى أريد السلام على الملك فقال بسم الله وأحسن فذهب بى الى داره وهى على ساحل البحر والاحمال بجلسة عندها وقد اشيح عليه أقبية صيقلة دبسة وعلى رأسه عمامة وهو مشدود الوسط بمنديل

فسلم عليه الوزير وسلمت عليه ولم أعرف انه الملك وكان الى جانبه اخ أخته وهو علي شاه بن جلال الدين الكبيجي وكانت بيني وبينه معرفة فسألت أحد تبعه وأنا لا أعرف الملك فعرفني الوزير بذلك فجعلت معه لا التفاتا بالحديث على اخ اخته دونه واعتذرت اليه ثم قام فدخل داره وتبعه الامراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت مع الوزير فوجدته قاعدا على سرير ملكه وثيابه عليه لم يبدلها وفي يده سبحة جوهر لم تزل العيون ملتفتة الى معاقد انامله وهو تحت حكمه فجلس أحد الامراء الى جانبه وجلست الى جنب الامير وسألني عن حالي ومقدمي وعن لغيبته من الملوك فأخبرته بذلك وحضر الطعام فأكل الحاضرون ولم آكل معهم ثم قام فوادعته وانصرفت وسبب الحرب التي بينه وبين أبي أخيه انه ترك الحضرة من مدينته الجديدة ورسم الرشة في هرمز القديمة وسماها بهرو يعني ميناء الحرة فلما تم كما قدمناه خلف عليه أخوه نظام الدين ودخل اليه وبايعه فأخذ الحرير دون بقية العساكر فخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر الى مدينة قهوان التي تقدم ذكرها وهي من جزيرة لارك وهي من مرها شهور او دونها بالمراكب وأتى الحرير وقف به أهله مع أخيه وهو مودوعا الى قلهات وفعل ذلك من اراد ان لا يكون له حيلة الا من راسل بعض نساء أخيه فسمحن له وأتى هو الى الجزيرة فدخلها وهرب أخيه بالخزائن والاموال والعساكر الى جزيرة قيس حيث معدن الدر وصار وا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحرية حتى تحرب معظمها ثم سافر من مدينة جرون برسم الفقر حين صلح الحال فيما عدينا البحرا كثر يا دواب من البر كمان وهم سكان بلاد لارلا يسافر فيها الا معهم لسجاعتهم ومعرفتهم بالطرق وفيها بحرا ميرة أربعة يضعها الطريق لصوص الاعراب وتهب فيها ريح السموم في شهري تموز وحزيران فمن صادفته فيها قتلته ولقد ذكر لي ان الرجل اذا قتلته تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينفصل كل عضو منه عن سائر الاعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها من هذه الريح وكنا سافرنا فيها بالليل فاذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الاشجار من أم غيلان ورحل بعد العصر الى طلوع الشمس وفي هذه البحرا لصوص والاهاكان يقطع الطريق بها جمال الملك (المولث) الشهير الاسم هنا

(حكاية)

كان جمال الملك من أهل سحسان أعجمي الاصل (وجمال بضم اللام) معناه الاقطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الاعراب والاعاجم يقطعون بهم الطرق وكان يبني الزوايا ويطعم الوارد والصادر من الاموال التي يسلبها من الناس ويقال انه كان يدعو ان لا يسلط الاعلى من لا بركة له وأقام على ذلك دهرا وكان يغير هو وفرسانه

ويسلكون

ونسلكون برارى لا يعرف سواهم ويقصدون قرب الماء ورواياه فيتبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستصحبوا الماء ويرجع العسكر عنهم خوفا من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تاب وتعبد حتى مات وقبره بزاويته وسلكنا هذه الصحراء الى أن وصلنا الى كور استان (وصفته مقطع الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الانهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا منه ثلاثة أيام فى صحراء مثل التى تقدمت ووصلنا الى مدينة لار (وآخرا ستها راء) مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه والمدارس والبساتين وهى أسواق حسان وبرلسانها زاوية الشيخ العابد أبى دلف محمد وهو الذى قصدنا زيارته بخراسان وبهذه الزاوية ولده أبو زيد عبد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن عادتهم انهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة العصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطى هم من كل دار الرغيف والرغيفان يجمعون منها لوارد والصادر وأهل الدور قد ألفوا ذلك فهم يجعلونه فى جملة قوتهم ويعدونه لهم اعانة على اطعام الطعام وفى كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة وصحبى وهو أن كل منهم يأتيه برأس من الضأن فيجمعونها ويطبخونها تلك الليلة ويتقوون بها فى عبادتهم من الصلاة والذكر والتلاوة ويصرفون بعد صلاة الصبح

(ذكر سلسلان لار)

وبهذه المدينة سلسلان يسعى بدلال الدين بركات لاصل بعث اليها صدقة ولم يحتمل به ولا أرسله ثم عرفنا بمدينة جويل (وصفتها بضم الجيم وياء ساكنة وواو ولام) وبها سكنى الشيخ أبى دلف الذى قصدنا زيارته وبزاويته نزلنا ولما دخلت زاويته وجدت بها جماعة منهم على البواب وعليه جبة صوف حمراء بالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسلمت عليه فأحس الرد وسألنى عن مقصدى ولقائى وأمرلى وكان يبعث الى الطعام وانفاكه مع ولده من الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة ولهذا الشيخ أبى دلف شأن عجيب وأمر غريب فان نفقته فى هذه الزاوية عظيمة وهو على العصاة الحرس ويكسو الناس ويركبهم الخيل ويحسن لكل وارد وصادر ولم أر فى تلك البلاد مثله ولا يعلم له جهة لما يصرفه من الاخوان والاصحاب حتى زعم كثير من الناس انه يعلم من الكيمياء وفى زاويته المذكورة قبة الشيخ الولى الصالح القطب دلسان ولد اسم تلك البلاد شهير وشأنه فى الولاية كبير وعلى قبة قبة عصمة بناها السلطان قطب الدين تمش بن ايران شاه وقفت عند الشيخ أبى دلف يوما واحدا لاستجلاء الرقعة التى كنت فى بحثها وسمعت ان بمدينة جويل المذكورة زاوية فيها جماعة من الصالحين

المتعبدين فرحت اليها العشى وسحت على شيخهم وعليهم ورأت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صفر الالوان نحاف الجسوم كثير و البكاء عبر و الدموع وعند وصولى اليهم أتوا بالطعام فقال كبيرهم ادعوا الى ولدى محمد وكان معتزلا فى بعض نواحى الزاوية فجاء الينا الولد وهو كأنما خرج من قمقام كثة العبادة فسلم وقعد فقال له أبوه يا بنى شارك هؤلاء الواردين فى الاكل نيل من بركتهم وكان صائما فاعتذر عنا وهم شد عبه لمذهب المالكية فما من أكل الطعام دعوا له وانصرفنا ثم سافرنا منها الى مدينة قيس وتسمى أيضا سيراف وهى على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس وعداده فى كور فارس مدينة لها انفساح وسعة طيبة البقعة فى دورها بساتين بجيبة فيها الرياحين والاشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها وهم عجم من الفرس اشراف وبها طائفة من عرب بنى سعاف وهم الذين يغوصون على الجوهر

(ذكر معاص الجوهر)

ومعاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين فى حور راكد من الوادى يعظم فادا كان شهر ابريل وشهر مايه تأتى اليه العوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجهه ما أراد أن يغوص شيأ يكسوه من عظم الغيل وهى السلحفاة ويصنع من هذا العظم أيضا شكلا شبيه المقراض شد ده على أنفه ثم يربط حبلا فى وسطه ويغوص ويتقاونون فى الصبر فى الماء فبهم من يصبر الساعة والساعتين فحدون ذلك فادا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار صغارا متناثرا فى الرمل فيقتلعه بيده أو يقصعه بحديدة عنده معدة لذلك ويجعله فى محملة جلد مربوطة بنفقه فادا استوفى نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل المسلك للحبل على الساحل فيرفعه الى العارب فيؤخذ منه المحلة ويفتح الصدف فيوجد فى أحواله فاقع لم تصنع بحديد وقد اشترت أهواء جدت فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسه والباقى يشتريه التجار الحاضرون بتلك العوارب وأكثر ثمن يكون له الدين على الغواص فيأخذ الجوهر فى دينه أو موجب له منه ثم سافرنا من سيراف الى مدينة البحرين وهى مدينة كبيرة خمسة فراسخ بساتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المورد يحفر عليه بالايدى فيوجد وبها حدائق النخل والرمان والاترج ويزرع بها القطن وهى شديدة الحر كثيرة الرمل وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمل وانقطع فلا يوصل من عمان اليها الا فى البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسير وهو فى غربيها ويسمى الآخر بعوير وهو فى شرقيها وبهما ضرب المثل فيقال كسير وعوير وكل غير خير ثم سافرنا الى مدينة

القطيف

الصيف (و بيد اسمين ضم الدال) كذا تضبط وهي مدينة كبيرة حسنة ذات خير كثير يمتاز بها عرب العرب وشمراوة وبنو غزية وبنو الرقيش وخيار الأتقون أحدا و قبول مودتهم في البعد الذي يشهد أن علماء الى ابن وزير الجيعلس حتى على خير العمل وبر ... الأخير تجدوه ... من ... فرنا ... في مدينة شهر ... لأنه ... (هذا ... والبين والهمداني) وهي التي يضرب المثل بها فيقال كانت لتبع وحمير وما ... اليمن ليس سلطانها ... يعطون دوامها وأشهر عرب أكثرهم ... قرى ... الأمر ... المدينة اليمامة وتسمى أيضا تعز (هي ... اليمن ... مدينة حسنة ... ات أنهار وأشجار وسكان واسعة من العرب أكثرهم ... أمرهم ... عساكر منها ... هذا الأمر ... وثلاثين فرسخا ... مكة ... ها ... قد ... ان ... وهو من أمرائه ... حجة جاوز الأحمدي لأهل اليمن ... اليمن ... اليمن ... أمير أحمد لدى ... وقبل أن ...

ذكر ان الملك الناصر ... لكثرة ... اليمن ... الملك الناصر ... ما ... من ... واسمه ... الملك الناصر ... أن ... أمير أحمد الملك وحمل ... الأموال والخيول والكراع والأموال التي ... الناصر فبعث الى أمير أحمد في يوم ... عليه ... فقال اشرب فشرب الملك الناصر فعاجله ... أمير أحمد ... وأمر بالرحيل في تلك الساعة ليشغل الوقت ... الناس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أمير أحمد ... وجميع ما ... من الطعام والشراب وبلغ خبره الى الملك الناصر ... وأحمد ... فحافوا ... وبقوا ... عند ذلك الأشرف ... الناصر ... الأموال فحمل ... الناصر ... وانقضى الى ... الى ... والحمد لله على ذلك ولاتفق لي رفيق وأخذ ... ونعم ... وكان مهما ... لي ... يعرف بعد ... السعراني القصير من ... فرض ... الا ... ولا ... لي ولا صدت نفسي السفر ... وكان ذلك ... الله ... في ... الى ... البحر غرق ... يقال له رأس أبي مجد

فرج صاحبه وبعض الحجاج في العشار عسكر عظيم وأثروا على أهالك وهلك منهم وغرق كثير الناس وكان فيه نحو سبعين من الحجاج ثم ركبت لبحر بندر في صنوق برسم عيذاب فردته الريح الى مرسى عرف برأس دوابر وسافرت منه في البحر فمررنا بجزائر كثيرة الخلق والعمران فيها عرب جهينة وبني كعب وصاحبهم للحجاج ووزيادة عرف بمرور وماء يعرف بالحسيني وبقدر ثلاثة أيام سير بعض قوم من الحجاج وحدا بهم بالعزة أعداما وتزودوا منه اورأيت عود القدح صيامن يعرف بمكي بالنار العرفي وأخبروني ان الحجاج أسروه ورعمانه مدة ثم لم يأكل صعدا ما يقارب ثلاثين يوما فلذلك انعم الذي استرياء ولم يبق بسارا وعن عيذاب نحو من ثلاثين مرحلة والطريق برسم الجمالة لاجمال فيه فرحنا على الرفقة وبرقة بادنة وبعد مسيرة ثلاثة أيام من رأس دوابر وصلنا الى عيذاب وكان مدة مقامنا بها من الرفقة وبقدر أهلها نحو ثلاثين يوما وأقمنا بها أياما واكترينا الجمال وسرحنا جميعه طائفة من عرب دعسم وهم بطن يعرف بحبيب ولعبد (الحبيب) وحرمانه جميعا حيث تولى الله على أن حبس الدليل وحصلت لنا بئر ثنية وبها في جواره ثم وصلنا الى قرية العدوى وهي على ساحل البحر معدودة من مدن الصعيد الاعلى وأجرينا السير الى مدينة اسنا ثم الى مدينة أرمنت ثم الى الاقصر وزرنا بها طلاح الاقصري بثنية ثم الى مدينة قوص ثم الى مدينة قنا وزرنا بها الشيخ عبد الرحيم القنوي بالمدرسة ثم الى مدينة هو ثم الى مدينة اخميم ثم الى مدينة اسيوط ثم الى مدينة منفلوط ثم الى مدينة منوى ثم الى مدينة الاشمونين ثم الى مدينة فوة ثم الى مدينة المحلة ثم الى مدينة ترش ثم الى مدينة مدينة القاهرة وقد تقدم ذكر هذه البلاد ثم الى مصر وأقمنا بها أياما وسافرت على طريق البر من القاهرة وراء بني الحاج عبد الله بن أبي بكر بن الرحال التوزري ونزلنا في محلة سمى الى أن جاوزنا بلاد الغربية وفي بسيلور وسمكر دلك فوصلنا الى مدينة غزة ثم الى مدينة الخليل عليه السلام وتكررت لنا بها زيارته ثم ارتحلت القدس ثم الى مدينة الرملة ثم الى مدينة عكا ثم الى مدينة طرابلس ثم الى مدينة حمص وزرنا بها اخوين أدهمين في الله عليه بالخير ثم الى مدينة حلب وقد تقدم ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر في مركب كبير لحضرمي يسمى صاحبها بركات وقصد بنا الدولة المعروفة ببلاد الروم وأقمنا بها ثلاثة أشهر لان الروم لا يمكنون أحدا في البحر في الشتاء وهم الروم الذين يسمون اليونانية ثم اسلم بعضهم وهم الآن كثير من النصارى تحت ذمة المسلمين من الاتراك وسرنا في البحر عشرة أيام بريح طيبة وأكرمت النصارى وزيارتي ومررنا بجزيرة رودس وهي أول بلاد الروم وهو هذا الاسم المعروف ببلاد الروم من أحسن أن لم تكن

وقا

وقد جمع الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فأهل الناس صورا وأطيبهم معاشرة وأكثرهم حلقا وأشجعهم وأشدهم بأس البركة في الشام والشدة في الروم والماعي بأهل هذه البلاد وتلك التي يرى أنها بعيدة البلاد راوية أودارا يعتقد أحوال الناس من الرجال والنساء وهن لا يحتجبن عن الناظرين عن وجوههن كما هو في بلادنا وأكثر نساء الفلاحين كانت لفراشاتهن أسقفان ومن عادتهم بث البرد ان يصبروا الجمعة في يوم واحد من الجمعة يعتنون فيه بما يقوتهم سائرها فكان رجالهم يأتون البيت الحرام في يوم جمعة ومعه الأدام لعيالهم بطرا لسائل ويقولون لنا ان النساء يعشن عندنا اليوم وهن يقلن منكم الدعاء وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه مقيمين على السنة لا قدرى فيهم ولا اعتزالي ولا معتزلي ولا خارجي ولا مبتدع وبلد فضيلة حدهم بعضهم بها الانهم يأكلون الحشيش ولا يعبدون ذلك ومدينة العلايا التي ذكرها كبيرة على ساحل البحر بينهم البركان وبينها نحو مرحلتين وهي كثيرة الخشب ومنها يحمل الى اسكندرية ودمياط ويحمل منها الى سائر بلاد مصر ولها قلعة بأعلاها جبل تحيط بسفحها قلعة الناصر صلاح الدين الروحي ولقيت بهذه المدينة قاضيها جلال الدين الأرزنجاني وصحبته الى القلعة يوم الجمعة فصليت بها وأصبت في وأكرمني وأضافني بها شمس الدين الرحبي الذي يوفي أمره علاء الدين بما لي من بلاد السودان

(ذكر سلطان العلايا)

وفي يوم السبت ركبت في الغداة حتى أمشي وتوجهت الى لقاء سلطان العلايا وهو يوسف بك ومعنى بك الملك بالتركي قرمان (مع انعطاف وانزاء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة وهو جالس عند أعلى الساحل وحده وفريقه قعود والأمراء والوزراء أسفل منه والاجناد عن يمينه ويساره وهو محصور البصر بالدوابر فلما سلمت عليه وسألني عن مقدمي فأخبرته عما سأل وانصرفت عنه ونمت الى احسان وسافرت من هناك الى مدينة الطالية (وصيدا منها بفتح الطاء وسكون الياء وفتح الدال المهملة وألف ولام مكسور وياء آخر الحروف) وأما التي بالشام فهي الطاء المكسورة على وزنها الا أن الكاف عوض عن اللام وهي من أحسن المدن متناهية في اتساع الساحة والحمامة أجمل ما رأى من البرد وأكثر عمارة وأحسنه زينا وكل فرقة من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى فتجار الشام ما كثون منها بالموضع المعروف بأمير وعليهم سور تستأثر به علمها لا وعند صلاة الجمعة وزوم الامن كانوا أشاروا قديما ساكنون بموضع آخر منفردين به وعليهم أيضا سور وليس ردفي موضعا آخر وعليهم سور وبابان وأهل دولته وممالكه يسكنون بلدة عليها أيضا سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه

من الغرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العتيقة وبها مسجد جامع ومدرسة وحمامات كثيرة وأسواق عظيمة مرتفعة بديع ترتيب وعليها سور عظيم تحيط بها وتجمع المواضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والأكلة الطيبة والعيش الرخيص اسعى عندهم بعمر الدرهم وفي رواية لورحلو وهو يريد من ويحمل الى ديار مصر وهو بها يشتري وفيها عيون ماء السبيل العذب شديد البرودة في أيام الصيف ولم من هذه المدينة المدرسة وشيخها شهاب الدين الخوجي ومن بلاد تبهنس عرأيناه من الشيوخ الصالحين الناسكين بعد العصر من كل يوم يجتمع الجامع والمدرسة يقرأ سورة الملك وسورة عم

(ذكر الاحياء بهذه المدن)

وأحد الاحياء أي على البساتين الاحياء الذين يسكنهم تجمع الملا التركمانية الرومية هي كبيرة ومدينة وقرية ولا يوجد في بلاد الروم أشد تواضعا للغرباء من أهلها وأسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاحد عوائد الى الغاية وقل ان ترى من يطعم من أهل الشر والاذى عندهم رجل يجتمع اليه من يستضيفهم من الاعراب والمتجردين ويقدمونه على أنفسهم وهي لهم أنصب وبين راوية ومحل فيها العرش والمروح وما يحتاج اليه من الآلات ويقدم أحدهم لهم في كل يوم معيشتهم وأكون الله بعد العصر عند مجمع لهم فيشتروه لهم ويأكلونه والطعام الذي عرضنا عليهم في الزاوية كان وردي ذلك اليوم مسافرا على الا أنزل عندهم ولا يبيت عندهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يرد واحد اجتمعوا ان عن صغيرهم وكبيرهم وأكلوا وشربوا وانصرفوا الى مساكنهم بعد ذلك وأبوا ان يعد العشاء الى منزلهم مما جمعهم ويحبون بالضيف ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الاحي ولم أر في الشيخ أحد أعف لا منه ولا منهم ولا أعظم منهم شرورا واحتمالا لاذى هؤلاء الاحي في وارد والصادر وأعظم ما كان ايذاء وشقة عليه وفي الثاني من يوم وصولنا الى هذه المدينة جاء الى أحد هؤلاء الاحياء ان الشيخ شهاب الدين الخوي يتكلم معه باللسان التركي ولما كنت يوما في مجلسه ومن عليه أثر الحق ظاهر وعلى رأسه بلسوته تلمذ فقال له الشيخ أتعلم ما يقول هذا الرجل فقلت لا أعلم من لغتك الا يدعوك الى محبته فأنت وأحبابك فحجبت منه وقلت له نعم فلما انصرفت قلت لبعض من حضر رجل صعب لا قدرة له على تصييفه ولا يريد ان يكلمه فحجب الشيخ وقال لي هذا احد شيوخ التيمين الاحيائية وهو من الخيار ويفد اليه كرماء مصر وأعيانها نحو ثلثين من أهل الصدقات قد تتلمذوا عليه أعطاهم وبنوا له الزاوية للضيافة ومن يجتمع لهم فيها والعهود بالبلاد التي سميت المغرب عند اليونان الرجل

ودهشت

ودهنيه معه الى راويته فوجد راوية خمسة عشر وشقة عليه الزوجه الحسان وبها الكثير من بريات الزجاج لعراق وفي المجلس خمسة من النواميس والنحوس شبه المنبرة من النحاس له أربع ثرب وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه انبوب مقبيله وعلاه من الشحم المذاب والى جنبه آنية نحاس ملانة بالشحم وفيها مقراض لاصلاح الفتيل واحدهم موكل به ويسمى عندهم الخراش (الخراعي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الغلمان ولبسهم الاقبية وفي أرجلهم الاحذية واحدهم مصروع عن جماعة مكبين على أصول ذراعين وعلى رؤسهم قلانس سترهم الصوف على كل واحد منهم وعلى ظهورهم اقبية وعلى ذراع وعرض أصبعين فاذا استقر بهم المجلس رفع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه وبقي على رأسه قلنسوة أخرى من اللبد وسواد خمسة المعروفي بينهم عليه مرتبة موضوعة للواردين ولما استقر بنا المجلس عندهم أتوا لنا بالطعام الكثير والمائدة الحسناء ثم أخذوا في الغناء والرقص فرقصاتهم وصال المجلس بهم بكرم أخلاقهم وانشرحنا عنهم آخر الليل وزفناهم راويتهم

(ذكر سلطان الزابة)

وسلطانها حسن بن يوسف بن وحدان عبد ومولاه الذي عليه مدار وهو في فراش المرض فكلمه بالصف كلام وأحسنه ودعا له وعاد الينا الغلمان وسافرنا الى بلدة بردور (وهي بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الدال المهملة وواو وراء) وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق برأسه ارخصيها واجتمعت الاحبة وأقاموا عندهم في عيش خصيب ومعاش طيب فاقمنا في بستان لاحدهم وهو يوسف اليهودي وكان من المحاسب اظهار شدة السرور والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لسانه ونحن لا نعرف لسانهم ولا نترجمان بيننا سواه فاعتنوا بنا وبصروا فسافرنا من هذه البلدة الى مدينة (وصبه المعجمة ثم الصاد المهملة ثم السين المهملة ولها الموحدة وسكان الراء وضم التاء المثناة فوق والهاء) وهي مدينة حسنة العمارة والاسواق كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شامخ وصدر اليها بالعشي ونزلنا عند قاضيها وسرنا قريبا منها الى مدينة اكرسور (وضبط اسمها بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر الراء وسكون السين المهملة وضم الواو وراء) مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق دائمة الانهار والاشجار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يخرج المركب فيها يومين الى اشهر وتشهر وغيرها من البلاد والقرى ونزلنا بها بمدرسة تقابل جامع الاعصم المدرس بها وهو الحاج الصالح والناصح مصلح الدين تراب الدار

المصريه والشام وسكن العراق مدة وهو فصيح اللسان حسن البيان اطروفة من طرف الزمان اكرمه غايه الاكرام وقام بخدمته احسن قيام

(ذكر سلطان اكريدور)

وسلطانها ابو اسحاق ملك بن السلار ملك من ملوك سلاجقة بين تلك البلاد سكن بايه سرأيام ابيه وحج وله سبع عشرة سنة ومن عادته انه يأتي كل يوم الى صلاة العصر بالمسجد الجامع فاذا قضيت صلاة العصر استند الى جدار القبلة وقعد اقرأ بين يديه على مصحف بخط عالية فمر وا سورة الفتح والملك وغير ذلك بأصوات حسنة فعند ذلك يخشع لها القلوب وتقشعر الجلود وتدمع العيون ثم ينصرف الى داره واصف عند شهر رمضان فكان يقعد في كل ليلة منه على فراش لاصق بالارض من غير سرير ويجلس الى تخت كبير وهو مجلس الفقيه صاحب الدرس الى جانبه والجلس الى جانبه ويليه الارباب دولته واعيان حضرته ثم دون ذلك بالتدريج ويكون أول من يقدم عليه ثريد في جفنة صغيرة عليها العدس مع شيء يسير من لحم وليس فيها كثير ويقدمون الثريد تبركا بما يعتاده النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام ثم يؤتى بسائر الاطعمة وهكذا اطعمتهم في جميع ايام رمضان وهو في بعض تلك الايام ولد السلطان فلما رزقه الله على كثرة الرحمة كما تعهد اهل مصر وانه لما ولد ولده اقام الناس من فقهاء أهل اللوروحين مات ولد سلطانهم فانه من أن ولد السلطان والصبية الثلاثة ايام يخرجون الى دوره بعد صلاة الصبح وفي كل يوم من ذلك يخرج مع الناس فرآني السلطان ماشيا على رجلي فبعث لي فرسا واعتذر لما وصلت المدرسة بعثت الفرس فرددته وانما أعطيته عطية لا عارية فوجه الي كسوة وراهم فصرفتها الى مدينة قن حصار (وضبط اسمها بضم القاف واسكان النون وحاء مهملة مكسورة وصاد مهملة ولف وآخره راء) مدينة معمورة بها المياه من كل جانب قد نبتت فيها النخل فلا طريق لها الا طريق واحد كالجسر بين بحر عظيم ومياه لا يسع الا فارسا واحدا والمدينة على تل في وسط المياه سعة لا يقدر عليها ولا لها راوية أحد الفريقين الاخيرين بها

(ذكر سلطان قل حصار)

وسلطانها محمد جلبي وجلبي (بجيم معقودة ولام مفتوحة وباء موحدة وياء) وتفسيره بلسان الروم سيدي وهو أخو السلطان أبي اسحاق صاحب اكريدور وله من المدينة كل عشاءها فأضافها ياما ثم قدم فاكرمه اكراما كثيرا وانصرفا على طريق قراحصار (بفتح القاف) تفسيره أسود (وأباجح بفتح الهمزة والغين المعجمة وآخره جيم) تفسيره الخشب وهي صحراء حصرة يسكنها التركمان وبعث معنا السلطان فرسانا لنعوسا الى مدينة لادق يبعد ان هذه الصحراء

يقطع

يقطع الطريق فيها طائفة يقال لهم الجرميان ذكر انهم من ذرية بريس معاوية ولهم مدينة يقال لها كوتاجية معتصمها الله منهم ووصلنا الى مدينة لادق (وهي كعبر الدان المحكم وبعده قاف) وتسمى أيضا دون عراده وهي ديلة الحمار وهي من أبدع المدن وأحكمها وفيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة ولها الاسواق الرائعة والانهار المطردة والعيون المتسعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن معجبة لدهشة لا مثل لها حول أعمارها العجمة قطنها وقوة غزلها وهذه الثياب معروفة لدينا باسم الثياب الرومية وأكثر الصناع بها من الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف للسلطان من أجرية وغيرها وعلامة الروم منهم القلانس الطوال منها الحمر والبيض وسمة الروم لهن عجيبة وأهل هذه المدينة لا يعرفون المنكر بل كذلك أهل هذا الاقليم كله وهم يشربون الخمر ويبيعون الخمر ويديرون بها الاسواق وكل واحدة عليها وظيف لسلطانها تزيد له وسنعد هذه الحال ان شاء الله تعالى ولما حللنا الجام مع الرحال فمن أراد منهم الفساد فعل ذلك بأجسامهم من غير منكر عليه وقد ذكرنا أن لهم في هذه الصورة وعهدا حولها هذه المدينة مع ربيبة لها فعمل الرجال من حوائجهم وأحدثوا أعنة حيلا وتربعهم في ذلك رجال آخرون وطال بينهم النزاع حتى سب بعضهم السكاكين على بعض ونحن لا نعلم ما يقولون لعدم ترجمانهم وعلمنا انهم الحرميون الذين يقطعون الطريق وان بلد مدينتهم وجدنا اليهم يرجعون بعد ما تحققنا أنهم لما رحلنا عنهم عرفنا لسان العرب فسألته عن مرادهم من فعلهم أجابهم من العثمانيين وان الذين سقوا اليهم أولادهم أصحاب الفتى أحمد سنان والآخرون أصحاب الفتى أحمد موصلي وكل طائفة تزعم أن الحق لها وأنكم عندهم محبوبان كرم نفوسهم ثم وقع بينهم النزاع على المقرعة هل كانت قرعة رأس عبده أو رأس موقعت قرعة أحمد سنان وبلغه ذلك فأتى الجام في جمع عظيم أصحابه فسلموا عليه وبشروا له وأتى بأنواع الطعام ثم ذهب بنا الى الحمام ودخل معنا وولى خدمتي بنفسه وولى أصحابه خدمة أصحابي بعدم الملائمة الا الاربعة الذين خدمتهم ثم خرجنا من الحمام فأتوا بالطعام عظيم وحلوا وفاكهة كثيرة وبعد الفراغ من الاكل تركنا قليلا ثم من الاكل العزيز ثم أحمد وأتى السماع والرقص وأخبرنا السلطان بخبرنا كان من البعد بحيث في ظلمة ما مضى فوجهنا اليه والى ولده كما ذكرنا ثم عدنا الى الزاوية فألفينا الاتي موصل وأخذنا في انتظار فاذ فوجهنا الى راويتهم فتعلوا في الحمام وخرجوا من الحمام فدل أصحابهم وزادوا عليهم ان صبوا علينا ماء الورد صبا بعد خروجنا من الحمام ثم عصبوا الى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحضار في الرضمة والحلواء وفاكهة وقراءة القرآن بعد الفراغ من الاكل ثم السماع والرقص كمثل ما فعلوا أصحابهم أولا وأحسن وأتقنا عندهم بالزاوية أياما

ورد حمص لادق)»

وهو السلطان بيبرس (واسمه بالحاء المفتوحة بعدها ميم أولا هاء ساكنة وآخره سين مهملة ساكنة وجيم) وهو من كبار سلاطين هذه الدولة ولما ورد على حمص كتب إليه الواعظ المذكر العالم علاء الدين [illegible] يعلمه بوصوله سالما وذلك في شهر رمضان فتوجهنا إليه وسلمنا عليه ومن عادته أنه إذا رآنا اشتراحب وأردين وأمر الكلام وأمر العطاء فصلينا معه المغرب وحضر طعامه في قطر عظيم وأصناف وألوان فأكلنا ثم غسلت اليدان وأمر لكل واحد منا بمراديك وكان سائقا في يمين خارج المدينة وهو في أول الفاكهة وبعث أيضا خيلا على عددنا كما فعل أولا وأتينا بالخيل [illegible] وبينه ثم انصرفنا عنه وأقمنا بحمص عيد الفطر بهذه البلدة فخرج إلى المصلى وخرج السلطان في عساكره وأهل البلد كلهم بالأسلحة ولأجل كل جماعة الأعلام والبوقات والطبول والأمراء وبعضهم يباشر مصاريفه في حسن الهيأة وكمال الشكلة وتخير أهل كل جماعة منهم البقر والغنم وأجمل الخيل فيسوقون لهم ويطعمون منها ويأكلون ويكون خروجهم أولا إلى النهار ومن المصلى وما حوله [illegible] وحضر الطعام فجعل يفرقه على الفقراء والمساكين بيده ويحضر الطعام فجعل يفرقه والمشائخ والفقراء جماعة عن جماعة فوجد للفقراء والمساكين بحمص في هذه الأيام في ذلك اليوم شيء ولا يغني وتلك عادته في هذه البلدة [illegible] في الطريق ثم تهيأت رفقة مسافرين معهم [illegible] فسافرت معهم إلى حمص (وحمص بكسر الحاء وتخفيف الواو وآخره صاد مهملة) وهي [illegible] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولورد رضي الله عنه من أهل هذه المدينة [illegible] وهي على نهر العاصي وهو نهر كبير يخرج من أعمال بعلبك ويمر على مدينة حمص ثم يمر على مدينة حماة ثم على مدينة شيزر ثم على أعمال أفامية ثم يخرج إلى البحر الرومي بقرب مدينة السويدية وعلى العاصي نواعير كثيرة تدور بالماء وتسقي البساتين التي على شاطئه فوافيت حمص وقد خرجت عساكرها وعليها أمير الأمراء سيف الدين بلبان الطباخي في عدة أمراء وجيوش كثيرة لقتال الأرمن الذين بسيس وأياس وغيرهما من بلاد الساحل وكان السلطان قد سار إلى دمشق وأقام بحمص نائبا عنه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي (وهو بضم الألف وسكون اللام وفتح الفاء) وهو من أكابر أمراء الشام وكان من الكرماء المعظمين يكثر الدخول على الفقراء ويحسن إليهم وأقمت عنده أياما وأنزلني بالمدرسة الزاهرية بالبلدة التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس سلطان مدينة ميزر وسيأتي ذكرها وكان قد سافر إلى مدينة ميلاس (وضبط اسمها بكسر الميم وياء مثناة من تحت ثم لام) وهي من أحسن بلاد الروم وأكثرها أشجارا كثيرة الفواكه والمياه والمياه وبساتينها يراوي أحد العينين الآخرين [illegible] من الكرامة والضيافة ودخول الحمام وغير ذلك من جميل الفعل وجميل الأعمال والقيد

بعدية

عبد الله ميلاس رحلا صاحب معجم السفر في الشعر ذكر وان عمره يزيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحركة وعقل ثابت وذهن حديد في لما وصلت لبلدته

(ذكر سلطان ميلاس)

وهو السلطان المكرم شجاع الدين أرخان بن عثمان (وصف اسمه بضم الهمزة وسكون الراء وخاء معجمة وآخر نون) وهو من خيار السلاطين حسن السيرة والسيرة حلس زهاده الفقهاء وهم معظمون لديه وبابه منهم جماعة منهم الفقيه الحوار رمي تعرف بالعمون فاضل وكان السلطان في أيام اقامتي له واحد عليه في سفر حلته الى مدينة ايا سوق ووصوله الى سلطانها وقبول ما أعده فسألني هذا الفقيه أن أتكلم عند السلطان في شأن عمارة هذه الخطة فأثنيت عليه عند السلطان وذكرت ما عاينته من عنايته وصدقه ولم أر له يومئذ غير ما كان يحمده عليه وأحسن اليه هذا السلطان وأركبه بازوز ودبوسكا في مدينة رحيبن وهي قريبة من ميلاس بينهما ميلان (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الزاي وضم الواو وياء مثناة آخر الحروف) وهي حديدة على مسافة يوم من هذه المدينة ميلاس وبها آثار الخشبات والساحة وكان قد بنى بها مسجدا جامعا لم يتم سوره بعد وبهذه البلدة لقيناه ورأيناها راوحنا في أخرى ثم مررنا بها بعد ما أحسن الينا كما قدمناه الى مدينة قونية (وضبط اسمها بضم القاف وواو ساكنة ونون مكسورة وياء آخر الحروف) مدينة عظيمة حسنة الجهة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره ويحمل منها أيضا الى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جدا وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صنعة على حدة ويقال ان عدد المدينة ثمانية عشر الف سكندر وهي من بلاد السلطان سليمان بن قرمان وسيأتي ذكره وقد غلب عليها صاحب العراق في بعض الاوقات اقر بها من بلاده التي بهذا الاقليم ولما سلم اليه واصبها ويعرف بابن قلم شاه وهو من الامير وراويه من عصمة الزوايا ولهم طائفة كبيرة من تلاميذهم في القونوية مدينتهم اي أمير اذ وصين على من أخذ عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كالتباس الصوفية الخرقة وكان صنيع هذا القاضي في اكرامنا وحياطته أعظم من صنيع من قبله وأجل وبعث ولده وحاشيته لدخول الحمام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الامام الصالح القدوة جلال الدين المعروف عولانا وكان كثير القدر وبأرض الروم طائفة ينتمون اليه ويعرفون باسمه ويقال لهم الجلالية كما يعرف الاحدية بالعراق والحيدرية بخراسان وعلى ثلاثة أميال من قونية زاوية عظيمة فيها لطعام للوارد والصادر

(حكاية)

ذكر له كان في ابتداء أمره وهو بمدرسة يجتمع اليه لطلبة بمدرسته فدخل يوما الى

المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها وهي مقصوعة فاعطاه بيعها فاعطاه درهما فأبى محدس المدرس من ذلك الشيخ فان طبعه فاخذ الحلواني قطعة منه وأعطاها للشيخ فأخذه الشيخ بيده وأكله فخرج الحلواني ولم يعلم أحد ما دون الشيخ فخرج الشيخ في إثره وترك التدريس وأبى على العلية وظل يتصدر هنا يا فخر حواني طليه فيعرفونه مقرا ثم انه عاد اليهم بعد أعوام وولاه وصار لا يسبق الا شعر الفارسي المتعلق الذي لا يفهم فكان الطلبة يبيعونه ويكسبون ما يصدر عنه من دقيق الشعر والمواعظ كما سمعت من أكثر علماء البلاد يعصرون دماغ الكتاب ويعتبرون كلامه ويحفظونه ويقررونه ويدرسونه في الجمعات وفي هذه المدينة أيضا قبر الفقيه أحمد الذي يذكره كل معلم حسن الذي المذكور ثم سافر الى مدينة المزيدة التي (بضم الزاء التي بعد الالف واللام وامكان السكون وفتح الدال المهملة) مدينة حسنة كثيرة المياه البساتين

(ذكر سلطان المزيدة)

وسبب نزولها انه كان بسرات بن قرمان (بضم القاف وفتح الراء) وهي قلعة شاهقة سوى نزل عليها بالعساكر وحاصرها مدة وبعث اليها أمراء وعساكر ثم تغلب عليها السلطان مدرك ابن دبيس وبنى بها دارا لملكه واستقام أمره بها وبنيت هذا السلطان خارج المدينة وهو مائل من بصيرة فعرضت له على داخل نزل هو على نشزه وشرف عليه وأقبل على تومن عدة ما رأيت قط بلادا أحسن منها ولا أنزل لهم الوارد على ساحتها وأخصبها وأوفرها وافي اكرامه وان سلم عليهم بالكلام فهم يسلمون ولم رصوم ويكون سعد الحرمان الوارد وقد جرى لي معهم وسأذكره ولما سلمت عليه وركب وركبت سألني عن حالي وعن مقدمي وذهبت معه المدينة فأمر بأن أنزل في أحسن نزل وكان يبعث الطعام الكثير والفاكهة والحلواء في طيافير نحاسية وشمع وكساوا ركب وأحسن ولم يصل مقاما عنده واسرع الى مدينة أقشهر (وسيذكرها مع الحمرة وسكون القاف وفتح الشين المعجمة والهاء والراء) وهي من أحسن بلاد الروم وأتقنها تحف بها البساتين الجارية والجنات من كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجري الماء بدورها وفيها الاشجار ودوالي العنب وداخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها في البلاد ومنها تحمل الى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الاتراك وهذه المدينة في طاعة ملك العراق وبرلغي هو صاحب زاوية الشريف حسين نائب عنه الامير أرتنا وأرتنا هو النائب عن ملك العراق الذي تغلب عليه من بلاد الروم وهذا الشريف من الفتيان وله طائفة كثيرة وذكر ما ذكر أنه مذهبه وفعل أفعال من تقدمه ثم رحلت الى مدينة كذة (وضبط اسمها بفتح الكاف وامكان الكاف ودال مهملة مفتوح) وهي من بلاد

ملك

ملك العراق مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تخرب بعضها ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وهو من كبار الانهار عليه ثلاث قناطر احداها داخل المدينة واثنتان خارجها وعليه النواعير بالداخل والخارج منها تسقى البساتين والفواكه بها كثيرة ونزلنا منها بزاوية الفتى أخى جاروق وهو الامير بها فأكرمنا على عادة الفتيان وأقمنا بها ثلاثا وسرنا منها بعد ذلك الى مدينة قيسارية وهى من بلاد صاحب العراق وهى احدى المدن العظام بهذا الاقليم وبها عسكر أهل العراق واحدى خواتين الامير علاء الدين أرتنا المذكور وهى من أكرم الخواتين وأفضلهن ولها نسبة من ملك العراق وتدعى آغا (بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعنى آغا الكبير وكل من بينه وبين السلطان نسبة يدعى بذلك واسمها طغى خاتون ودخلنا اليها فقامت لنا وأحسنت السلام والكلام وأمرت باحضار الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت لنا فرسا مسرجا ملجما وخلعة ودراهم مع أحد غلمانها واعتذرت ونزلنا من هذه المدينة بزاوية الفتى الاخى أمير على وهو أمير كبير من كبار الاخية بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاويته من أحسن الزوايا فرشا وقناديل وطعاما كثيرا واتقانا والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل ليلة عنده ويفعلون فى كرامة الوارد أضعاف ما يفعله سواهم ومن عوائد هذه البلاد انه ما كان منها ليس به سلطان فالاخى هو الحاكم به وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه على قدره وترتيبه فى أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك ثم سافرنا الى مدينة سيواس (وضبط اسمها بكسر السين المهمل وياء مد وواو مفتوح وسين مهمل) وهى من بلاد ملك العراق وأعظم ماله بهذا الاقليم من البلاد وبها منزل أمرائه وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة لا ينزلها الا الشرفاء ونقيبهم ساكن بها ويجرى لهم فيها مدة مقامهم الفرش والطعام والشمع وغيره ويزودون اذا انصرفوا ولما قدمنا الى هذه المدينة خرج الى لقائنا أصحاب الفتى أخى أحمد بجقجى وبجق بالتركية السكين وهذا منسوب اليه والجيمان منه معقودان بينهما قاف وياؤه مكسورة وكانوا جماعة منهم الركبان والمشاة ثم لقينا بعدهم أصحاب الفتى أخى جلبى وهو من كبار الاخية وطبقته أعلى من طبقة أخى بجقجى فطلبوا ان ننزل عندهم فلم يمكن لى ذلك لسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعا وهم يتفاخرون والذين سبقوا الينا قد فرحوا أشد الفرح بنزولنا عندهم ثم كان من صنيعهم فى الطعام والحمام والمبيت مثل صنيع من تقدم وأقمنا عندهم ثلاثة فى أحسن ضيافة ثم أتانا القاضى وجماعة من الطلبة ومعهم خيل الامير علاء الدين أرتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا اليه واستقبلنا الامير الى دهليزه فسلم علينا ورحب وكان فصيح اللسان بالعربية وسألنى عن العراقين وأصبهان وشيراز وكرمان وعن السلطان أتابك وبلاد الشام ومصر

وسلاطين التركمان وكان مراده ان أشكر لكرمهم وانعامهم الجميل فرأفعل ذلك الذين شكرت الجميع فصار بدلا هي وشكرت عليهم أحضر الطعام فكلناوقال لكونوا في ضيافتي فعال له اخي أخي جلبي انهم لم يأتوا لتعزيتي عليك وانما عندي وديعة تضايقهم فقال افعل فانتقلنا الى راوندته وأقمنا بها ستة في ضيافته وفي ضيافة الامير ثم بعث الامير بفرس وكسوة ودراهم وكتب لنوابه بالبلدان بصيفون وكرموان وبرزوا وساقرنا الى مدينة أماصية (وضبط اسمها بفتح الهمزة وبالميم وألف وصاد مهملة مكسورة وياء آخر الحروف مفتوحة) مدينة كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة وعلى أنهارها الدواعير سقي جناتها ودورها وهي فسيحة الشوارع والاسواق وملكها لصاحب العراق وتقرب منها بلدة سوسي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وواو وسين مهملة ثانية مضمومة وسين مهملة مفتوحة) وهي لصاحب العراق أيضا ومنها تركي أولاد ولد حاسه تعالى أبي العباس أحمد الرفاعي منهم شيخ عز الدين وهو الآن شيخ الزوايا وصاحب سجادة الرفاعي واخوته الشيخ علي والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كوجك ومعاد الصغير ابن تاج الدين الرفاعي ورأيت لهم رأيتهم وأيتهم الفضل على من سواهم ثم سافرنا الى مدينة كشن (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجمة) وهي من بلاد العراق مدينة كبيرة عامرة بأهلها كثيرة الخصار من العراق والشام وبها معادن الفضة وعلى مسيرة يومين منها جبال شاهقة وعرة لم أصل اليها ورد بها نهار وبة لاحي محمد بن وأقمنا بها ثلاثة في ضيافته وفي ضيافة أحد من قبله ووجه اليه نائب الامير أرتنا وبعث ضيافة وزادوا ضيافتنا من البلاد ووصلنا الى أزرنجن (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الزاي وسكون النون وضم الجيم وألف ونون) وهي من بلاد العراق مدينة كبيرة عامرة وأكثر سكانها الارمن والمسلمون بها كلهم تركية ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها وفيها معادن النحاس وبها يعمون منه الاواني والمباخر التي تذكر بها وهي شبيه المسار عنده وبرانها نهار اوية التي أخي عثمان الدين وهي من أحسن الروايا وهو أيضا من خيار الفتيان وكبارهم أحسن ضيافة وأحسن ضيافة وانتقلنا الى مدينة أرزروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب أكثرها بسبب وقعت بين طائفتين من التركمان بها وبقيها ثلاثة أنهار وفي أكثر دورها بساتين فيها الاشجار والدوالي وبرانها نهار اوية التي أخي عثمان وهو كبير السن يقال انه وقف على مائة وثلاثين سنة ورأيته يتصرف على قدميه متوكئا على عصا ثابت الذهن مواظبا للصلاة في أوقاتها مكرما لضيفه شيخا الا انه لا يستطيع لصوم جسمه في الصيام وحدث أولاده في الجلم وأردت الانصراف عنه ذات يوم بزوال فشق عليه ذلك وأبى منه وقال ان فعلتم تقسم حرمتي وانما

أقل

قل الصباغة ثلاث وأقمت به ثلاثا ثم انصرفت الى مدينة بركى (وضبط اسمها بالموحدة المكسورة وكاف معقودة مكسورة بعدها ميم ساكنة) ووصلت اليها بعد العصر فلقيت رحلا من أهلها يسأل عن راوية الاحياء عن أن أدلكم عليه فاستجاب وذهب بى الى منزل بعينه فى بستان له فأمرنا أن نعلى سطح بيت هو والاشجار مطبقة عليه لأوان الحر الشديد وأتى لنا بأنواع الفاكهة وأحسن فى ضيافته وعرف دوابنا عند ذلك اليه وقد تعرفنا ان بهذه المدينة مدرسا وصلاحا يسمى محيى الدين فأرسلنا الرجل الذى قد عنده وكان من الصلحاء الى المدرسة وادا المدرس قد أقبل راكبا على حمار بغلة وبين يديه وعن يمينه وشماله طلبة يقرؤن عليه فرحب بنا وأحسن السلام ولكلامنا واستدنى واجلسنى الى جانبه ثم سأل الداعى عن الدين فرآنى ومعنى فرشنى الملك لعب بن سلطان بن يعقوب وعرفه وقصد معه عن بعض المدرسين وأحد فى تدريس العلوم الادبية والشرعية ثم لمح فرع من ذلك أتى دورنا المدرسة فأمر بضربنا وأدبنا وبعث حسب فقمنا ثم وجهنا ايانا بعد المغرب فضيت اليه وجدته فى مجلس بستان له وعنده جمع من يحضر اليه لما عنده من حصة رسم أيضا يقرأ ورعا الفقهاء وبين يديه حلقة من الصبية ومعلمهم وحذامه وقوف عن جانبيه وهو عند على مرتفعة بقماش منجدة حسنة فجلسنا حيث انتهى بنا مجلس المملوك فقام الينا واستقبلنى وأحدث دى وأجلسنى الى جانبه على مرتبته وأمر بطعام فأكلنا وانصرف الى المدرسة وذكر لهم قصة الصبية ان جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند المدرس وعادتهم الحضور لطعامه كل ليلة وكتب هذا المدرس الى السلطان بخبرنا وأثنى فى كتابه واستدعانى فى حسن هذا المدرس يصيف به لاجل شدة الحر وذلك الجمعة رد وعادته ان يصيف فيه

(ذكر سلطان بركى)

وهو السلطان محمد بن أوزبك من خيار السلاطين وأكرمهم وصلاتهم ولما بعث اليه المدرس يعلمه بخبرى وجه نائبه الى زاويته فأشار على المدرس ان أقيم حتى يبعث على ثقة وكان المدرس اذا ذاكرنى فى حسن رحلة قرحة لا يستطيع الركوب لسمنها وانقطع عن المدرسة ثم ان السلطان بعث طلبنى ثانية فشق ذلك على المدرس وقال لا أستطيع لركوب ومن غرضى الوجه معك لافرار لدى السلطان ميحبك ثم انه تحامل ولف على رحله خرقا وركب ولم يستطع رجله فى الركاب وركبت أنا وأصحابى وصعدنا الجبل فى طريق قد نحتت وسويت فوصلنا الى موضع السلطان عند الزوال فنزلنا على نهر، تحت ظل شجر الجوز وصدف السلطان فى قافلة وشغل بأن سير قرابته الاصغر سليمان عنه الى نهره

السلطان أرحان بك فطالعه بحضوره وصولنا بعث اليناولده بخضر بك وعمر بك مسلما على الفقيه وأمر دمادا بالسلام عليه فتعجل ذلك وسألني عن حالي ومقدمي وانصرفا ولبثنا الى بعد العصر يسمى عندهم الخرقة (خركاه) وهو عصي من الخشب تجمع شعث اللبدة وتجعل عليه اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل البادغير ويسمى باسمه الى عنده وأتوا بالفرش فافرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه وأصحابه وأصحابي خارج البيت تحت صدر شجر الحور وذلك الموضع شديد البرد ومات لي فيه ليلة فرس من شدة البرد ولما كان من الغد ركب المدرس الى السلطان وتكلم في شأني بما اقتضته فضيلته ثم عاد الي وأعلمني بذلك وبعد ساعة وجه السلطان في طلبنا معا فركبنا الى عنده وجلسنا وتحدث الفقيه عليه وعلى جميع أصحابه وعرفه بي فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن بخارى وسمرقند وشام ومصر والروم والعراقين وبلاد الاعاجم ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث الينا الارز والدقيق واللحم في كروش الاغنام وكذلك في كل يوم على تلك الحال أياما يبعث الينا في كل يوم بخضر بك وأبي يوما اليناء السحور وبعد الفقيه في صدر المجلس وأنا عن يساره وبعد اثنان عن يسار الفقيه وذلك لعزته عندهم عند الترك وطلب مني ان أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبتها له وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة فأمر دواة فكتب له شرحها بخط الركي ثم خرج ورأى الخدام يهيئون لنا الطعام تحت ظلال الحور بغير أرز ولا حنطة فأمر بعقاب صاحب خوانه وبعث بالارز واللحم وطلب منه ما يملك الا بل فدركي الملك وأردف الانصراف وكان الفقيه أنصافا فعل من المقام هنالك فبعث لي السلطان بحمار ليأتي بي السحور فلما كان من الغد بعث السلطان طعاما فأكل مع المدرس والركي وتأخرت أنا فلما فرغوا من الطعام تكلم المدرس في أمري وأعلمه بما أحاط عن كلامه وانصرف فقال لي المدرس أمرني السلطان أن أسألك عن أمرك فقد كان السلطان بعث الي يسألني عن أمرك فقلت له عندي الذهب والفضة والخيل والعبيد فيعجبه ما أحب من ذلك فذهب الى السلطان ثم عاد الينا فقال ان السلطان أمرك فيما شئت اليوم وتنزل معه غدا الى داره بالمدينة فلما كان من الغد بعث فرسا جيدا من مراكبه ونزل ونحن معه الى المدينة فخرج الناس لاستقباله وفيهم أهل مذهبي المذكور آنفا وسواد وجه السلطان ونحن معه فلما نزل بباب داره دخل مع المدرس الى ناحية المدرسة فدعا وأمرنا بالدخول معه الى داره فلما وصلنا الى دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين من صورهم فاتنة الحسن وعليهم ثياب الحرير وشعورهم مفروقة من وسط رؤوسهم وألوانهم ساطعة الناس مشربة بحمرة فقلت للفقيه هذه الصور الحسان فقال هؤلاء فتيان روميون وصعدنا مع السلطان درجا كثيرة الى ان انتهينا الى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كل ركن من أركانه صورة سبع من نحاس يصب الماء

من

من فيه وتدور بهذا المجلس مخاطب متصلة بمروشة وفرق احداهما مع السلطان
قبل انتهيه اليه بحي السلطان من تسعة سدد وقعدنا على الاقصاع وقعد الفقيه عن يمينه
والقاضي مما يلي الفقيه وأنا مما يلي القاضي وقعد القراء أسفل المصطبة والقراء لا يعارضونه
حيث كان من تحته ثم جاءوا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة بالحلوى المحمول قد عصر
فيه ماء اللبون وجعل فيه كعكات صغار مقسومة وفيها ملاعق ذهب وفضة وجاءوا معها بصحاف
صيني فيها مشمش رطب وفيها ملاعق خشب من نوع استعمل صحاف الصيني وملاعق الخشب
وما كلمت السلطان وأشار عني الفقيه وأكلت في صحاف ذلك السلطان ومره

(حكاية)

وفي أثناء ذلك سمع السلطان أن شيخ الرأس كم مقف دواة فسر عليه وقال له القاضي
والفقيه وقعد امام السلطان فوق المسطبة وقرأ السلطان معه وأنا لم يتفق لي معه ولا لغيره من هذا الشيخ
ذلك وكانت ثم عدت السؤال فقال لي هذا يهودي طبيب وكلما تحتاج اليه ولاجل هذا
قعد ما رأيت من القيام له فحمدت ما صنعت وقدم من الاصعاص وقلت لليهودي يا ملعون
ابن ملعون كيف تجلس فرق قرأ القرآن وأنت يهودي وشتمته ورفعت صوتي فسمعه السلطان
وسأل عن معنى كلامي فأخبره الفقيه به وغضب اليهودي وخرج عن المجلس في أسوأ حال
وما صدق أن يخرج فقال لي الفقيه أحدث تارك سوء لان أحد السلطان لا يصبر على مخاطبته
بذلك ولقد عرفه نفسه

(حكاية أخرى)

وسألني السلطان في هذا المجلس وقال لي هل رأيت حجرا نزل من السماء فقلت ما رأيت
ذلك ولا سمعت به فقال لي انه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء ثم غار حالا وأمرنا ان
أوانا نخرجه واكتب أسود أصم سدد الصفة ثلاثة في خدر من زنته سبع قنطارا وأمر
السلطان بحضار الفاعلين فحضر بعضهم فأمرهم ان يدوروه فدوروا عليه فخرج من
واحد أربع مرات عمارق الخد فلم يثروا فيه شيئا فحيث من أمره وأمر برده الى حيث
كان وفي ثالث يوم من دخولنا المدينة مع السلطان سمع صياحا عظيما وتلقينا
والمشايخ وأعيان العسكر ودخلوا أحسن المدينة وهم يقرأ القرآن بالاصوات
الحسان وعدد الذي مر لنا بمدرسة وهي بوجه البستان والمكاتبة والحواء والشمع في
كل ليلة ثم بعث الى مائة مثقال هما وألف درهم وكسوة كاملة وسروا ممن كان معي
يسمى ميخائيل وبعث لكل من أصحابي كسوة ودراهم كل هذا غير ما كان المدرس محيي الدين
حراه الله تعالى خيرا وزوده وصرفا وكنت مدة مقامنا عنده بالحل والمدينة أربعة عشر

يوماتم قصد مدينة نيرد وهي من بلاد هذا السلطان (وضبط اسمها بكسر التاء المعلوة وياء مثناة
وراء) مدينة حسنة ذات أنهار وبساتين وفواكه ولها مارستان وزاوية التي أسسها محمد وهو من كبار
الصالحين صائم الدهر وله أصحاب على طريقته أصاب وعالب وسرنا الى مدينة أبي سارق
(وضبط اسمها بفتح الهمزة والباء آخر الحروف وسين مهملة مفتوحة ولام مضمومة وآخره قاف)
مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم وبها كنيسة كبيرة مدينة بالحجارة الضخمة وتكون طول
الحجر منها عشر أذرع وبها محبوسة أربع تحت واحدة بجامع هذه المدينة من أبدع مساجد
الدنيا لا نظير له في الحسن وكان كنيسة للروم معظمة عندهم يقصدونها من البلاد فجعلت
هذه المدينة حبسا للمجرمين مسجدا جامعا وحيصا من الرخام الملون وقرشه الرخام الأبيض
وسقفه بالرصاص وبه احدى عشرة قبة متوسطة في وسط كل قبة صهريج عظيم والماء يأتيه
وعن جانبي النهر الأشجار الملتفة الأغصان يدور الى الغرب ومعه ثلاثة أنهار يصب له خمسة عشر
ماء وأمير هذه المدينة حصر بك بن السلطان محمد بن آيدين وقد كنت رأيته عند أبيه ببركي ثم
لقيته بهذه المدينة خارجها فسلمت عليه وأمارا كبه وكان بيني وبينه حرمة لديه فحال
عدتهم اداروا لهم الوارد ولوا له وأكرمهم بالمال ولم يعبث الى الاثر باواحد من الحرير المذهب
يسمونه الخ (بضم الخاء وسكون الميم) وسرت بهذه المدينة مسافة رومية بكرا بأربعين ديناراً
وبها أسرته الى مدينة رمير (وضبط اسمها آخر الحروف مفتوحة وراء مسكن وميم
مكسورة وياء مثناة وراء) مدينة كبيرة على ساحل البحر معها حراب وهو قلعة منيعة بأعلاها
زاوية مشهورة للشيخ يعقوب وهو من الأحدية صالح وصل ولقيه تجارة الشيخ عز الدين بن
أحمد الرفاعي ومعه راية الاخلاصي من كبار مشايخه ومعه نقابة من الواعظين وضرب لهم
الأمير الاخية وصنع لهم الشيخ يعقوب ضيافة وحضرتها واجتمعت بهم وأمير هذه المدينة عمر
بن السلطان محمد بن آيدين المذكور بعاوده كلاه وعلقته وكان بيني وبينه اعتماد أبيه
ثم قدم بعد حبس من ولده فكان من مكارمه أني الى الزاوية فسلم علي واعتذر وبعث
ضيافة عظيمة وأعطاني بعد ذلك عشر كارميا حاسيا البيه بقوته وثوبين من الكمخا وثياب
حرير تصنع ببغداد وتبريز وبسط وبراصيب وذكر لي الفقيه الذي وقع له الأمير لم يبق له
مملوك سوى ثلاثة مماليك الذي اعتاض منهم وأعطى أيضا الشيخ عز الدين ثلاثة
أفراس مجهزة وآلة عظيمة كبيرة تسمى عندهم المشربة مطلوة بالذهب مرصعة بالياقوت والمرجان
والفضي والكمخا وحواري وغلمان وذلك هذا الأمير كريم ماضي كبير الجهاد له أحصان
عربية يضرب بها على نواحي القسطنطينية العظمى فيسبي ويغنم ويعطي ذلك كرما وجودا
ثم يعود الى الجهاد الى ان اشتدت على الروم وطأته فرحلوا من رهبهم الى أبعد ما قدر بصري

حتوة

حموتو فراسة نعروه فعروه وجيء بجيش من رومية وحصروا مدينة ليلاقي عدد كثير من الاعجان وسكنوا الموسى و المدينة ورأى الهم الامير عمر من الملعة وقاتلهم فاستشهد هو وجماعة من جنده واستقر النصارى بالمدينة ولم يقدروا على الملعة لمنعتها ثم هربوا من هذه المدينة الى مدينة معدنية (وصفتها مدينة مفتوحة وعين مجتمعة ومكسورة وبين موصل مكسور وياء آخر الحروف مشددة) راعلم اعشى يوم عرفه راوبقرحين من الديباج وهي مدينة كبيرة حسنة في سفح جبل وبها عيون كثيرة الانهار والعيون والبساتين والفواكه

(ذكر سلطان معيسية)

وسلطانها اليوم صاروخان ولما وصلنا الى هذه البلاد رحل ابوه بريقولده وكان قد بقي بعد أشهر فكان هو وأم الولد بالمدينة العيد وصفتها بريسه والولد قدصه وحسن في تابوت خشب مغشى بالحديد المقدر وعلق في قبة بمعبد لها الان ذهب رائحته وحينئذ تسقف ابيه ويجعل تابوته ظاهرا على وجه الارض وتحمل ثيابه عليه وهكذا رأيت عند أيضا من الملوك فعلى وسلمنا عليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعاد الى الزاوية فأخذ الغلام لدى كان في قرسا وتوجه مع غلام لبعض الاعجان من معيسية فأقام بها الى ان ملك بكل العشي لم يظهر لي أثر وكان عند المدينة الدقيقة المدرس الفاضل مسعود بن بركة فمضى الى السلطان وأعلمه بذلك فبعث في طلبهما وتوجها وشفع المدرس في عودهما فعادا كما ذكرنا عن ساحل البحر تحكي فوجدا عن مسيرة يوم من معيسية وقولهم الكرى يحضرونهم يعدون هديه في كل سنة الى سلطان معيسية ويعدونهم بما يحتاجون اليه فكان بعد ان ظهر أمرهما بعض الازراك والافرنج وذكروا انهم يحتاجون اليهم عشرة أيام فذكروا أمرهم واشتدوا عليهما حتى أقرا بما عرفا عن العرب من معيسية وتبايعا عند قوم من الاكراد قد رحلوا الى مرعى لهم ولم يحضروا عندهم عيد الفطر والسلطان يحاصرهم فاحتاجوا الى مداواة بينهم خوف السرقة فأتت بوتة الى عجيف الدين انوري فسمعته يقرأ سورة البقرة فقالت له اذا أردت النوم فاعلمني فأعلمها فلما نام جاءت بالمقص فقطعت ذؤابته وقد ذهب الدراق فرس لي كان ركبه عجيف الدين بسرجه ولجامه وكان من جياد الخيل اشتريته بياسلو في ثمر حلس من العدو وصلنا الى مدينة زعم (وصفتها مدينة موحدة مفتوحة وراء مسكنة وعين مجتمعة مفتوحة وميم مفتوحة) مدينة حربة لها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل ويقال ان افلاطون الحكيم من أهل هذه المدينة ودار شهرستانه الى الان ولما نهب راوية فقير من الاحدية ثم جاء أحد كبراء المدينة وعقد ان داردو ذكرنا كراما كثيرا

(ذكر سلطان برغمه)

وسلطانها يسمى يحيى بن كسر السير وبعض عندهم قواسطان ويحيى (بينه آخر الحروف وخاء معجم وشين معجم مكسور) ومعاد حيد سادس في مصر له فاعلم ذلك وصدقه تصيفه وزوب قدسي ثم اكريام يدلنا على الطريق وسرنا حتى شاهقة وعرة الى ان وصلنا الى مدينة بلي كسري (وبعد اسمها سا مرسند مضمومة ولام مكسور وياء مد وكاف مضموم وسين مهمل مسكن وراء مكسور وياء) مدينة حسنة كثيرة العمارة معدة للاسواق والجامع لها يجمع فيه وأرادوا ساعة مع جارحها متصل بها فيه واحد ساعة ولم يصعدوه ساعة واصاروا يصلون به ويجمعون تحت ظلال الاشجار وراء سامي شرقي المدينة وبينها وبين النهر ان وهو من أفاضلهم وأتى اليه فاسم او حبيبها القيم معرس

(ذكر سلطان بلي كسري)

وتسمى مورجن ولا خير فيه وأنا خواندي بلي هو المدينة وكبر عمارتها من لا خير فيه مدة سبعة هذا والناس على دين المجوس وأسلم وبعث اليه بحر رواسر يشهد المدينة حرب ربيعة تسمى مرعلة فهزمها وقتل فرعون (وبعد اسمها سا الهاء وسكون الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الياء نون) مدينة كبيرة عامرة حسنة الاسواق بديعة الشوارع كثيرة الناس من جميع جهاتها والعجم اجناد وتجار يأتونها من سائر الجزيرة بضائع يكثر وتباع عليه بيان أحد عشر الآخر والآخر ثم ان المشهور عندهم وبأن يقولون أقاصي البلاد وهذا مذهب اويس يعرفون او يسمون مدينة اسمها وهي ثلاثة أيام كمر هذه الزاوية احد مدن الاركان وراء الى هذه المدينة اوقيانوس أي نهر من البحار اعتيال وواقعة عندهم ما سورا وصنع ذلك الى اوقيانوس وهذه المدينة ليس فطروا عندهم وأرأل الاعراب الخمسة وحسر اعواد بين الجزيرة ووعدوا ذكر واحد من احدوا أسمع واز ض وأنا ليه عندهم الشأن وهذا الواقع من الصالحين يصوم ولا يفطر الا من ثلاثة أيام ولا يأكل الا من كسبه وقال لي لم يأكل طعام أحد ولا يعرض له ولا يشتغل الا بسبحة ولا ينام الا في المقبرة ويعتني المجالس وذكر فرعون على كل شيء اجتمع من الناس وطلبته بعد الليلة ثم أحد وأتيته الجمعة فرأحد ويقال انه أصابه شوكة من

(حكاية)

ناحية ربالية عاشورا براوية شمس الذين وعندها الجانب من آخر بيس تصيح أحد الفقراء صيحة غشي عليه منها فحسبوا عليه ماء الورد فلم يفق فتركوا عليه ماء فلم يفق

واختلف

واختلف الناس فيه فمن قائل انه معتزلي ومن قائل انه معتني عليه وأتم الواعظ كلامه وقرأ القراء وصعد المنبر وطلعت الشمس فاخذ بيد واحد الرجل فوجدوه في دير الدبار رحمه الله فشيعوا جنازته وتكاثروا عليه وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودفنه، وكان هذا الشيخ يسمى الصباح وكرامته كثيرة وكان يعتقد ما رشاد في حمل من علمان فواعد محمد الدريعة قصده وحضر وعظه فرأيت كل واحد أخذ يده واوعد شديد يحيي ويعتني عليه ثم قام وتوضأ وصلى ركعتين ثم ارتقى المنبر واوعد صباح يوم الجمعة ثم ارتقى المنبر وسمى الصباح الرجل لا وكان أعذر اليد والرجل لا يستطيع على الجمعة وكنت أنا وجماعة نتفرج من عرفنا ما وقعت أغصان بنبات الأرض ولقيهم بمدينة [illegible] عن أحد أنه سمع الشيخ وهو من الصحيحين جبال الأرض الذي لم يحسن الصعود ولا النزول ولا يريد [illegible] ولا يزيد [illegible] وسردت عليه [illegible] شديد

(ذكر ما جرى)

وفي هذا الحين ورد الخبر بأن السلطان عثمان [illegible] (وصوق تحيم معتقو مقدم وآخر [illegible] لبرية لسعيد هذا السلطان أكبر ملوك التركمان وأكثرهم عددا وأوسعهم بلادا وعساكر الا ان الحصون ما يزيد عددها على مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يغزو عليها ويفتح كل حصن منها أياما لا تحصى بشوكته وقوة سلطانه ويقال انه لم يتهزم قط في معركة ولا حاصر حصنا وعجز عن فتحه وولده هو الذي استفتح مدينة قرمان من أيدي الروم وقتل صاحبها وكان صاحبها كيسة قلسطري ويذكر انه حاصر مدينة قرمان نحو عشرين سنة وهو في كل الحاصر هو وولده هذا الذي كرباه ثنتي عشرة سنة والمدينة هي بها كرسي أسقف الروم وهي على البحر ثم سافر الى مدينة برنيك (وضبطها بفتح الباء وسكون الراء وكسر النون وياء مثناة تحت) وتسامعت الوصول اليها فقريتي كرله راوقفت على الأخبار ثم سرت من هذه القرية يوما كاملا في أرض رملية على جوانبها أشجار الزيتون الحلو والحامض ثم وصلنا الى نحو ثمانية عشر غديرا ماء عذب العصب عن ثمانية أميال من [illegible] لا يستطاع جوازها الا على طريق واحد من الحجر لا يسلك عليها الا فرس واحد [illegible] وبها [illegible] وبالجملة فهي تجبى اليها من جميع الجهات وهي [illegible] عن عروشها لا يسكن بها الا من [illegible] من حكام السلطان وهم [illegible] ماؤها وثني الحاكم عليهم امرأة [illegible] وعن المدينة أسوار أربعة من كل سور بن خندق وفيه الماء [illegible] عليها على جسور حتى تأتي أبوابها وعوشها [illegible] داخل المدينة البساتين والدور والأرض والزراع فلكل انسان داره ومزرعته وبستانه مجموعة وشريها

من أماكنها بهذه المدينة ومهما من جميع أصناف الحيوانات والطير والسمك عندهم كثير جدا رخيص الثمن ويسمون السمك قسمة بالنون والجوز الطوبا بالعاف وهو لعنب العذارى لم أر مثله في سواها مما هي الحلاوة عظم الجرم صنف الماء رقيق القشر للحبة منه نواة واحدة أول ما نبهت المدينة الفقيه الامام الصالح المجاور علاء الدين الباعلوي وهو من الفضلاء الكرماء صحبته قاصدا الى زيارته الأحسن الله العظام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجهنا معي الى الجاوي المذكور فأكرمت وأضافت وأحسنت وبعد قعودنا ما يوم وصلنا الى هذه المدينة السلطان ارجان بك الذي ذكرناه وأقمت بهذه المدينة نحو أربعين يوما بسبب مرض قرس في فخاذ الى على المذكر تركته وانصرفت ومعي ثلثمائة أصحابي وخدامي وعلامان وليس معنا من يحسن اللسان التركي ويترجم عنا وكان لنا ترجمان في وفدهم المدينة ثم خرجنا منها وتنا بقرية يقال لها مكدا (بفتح الميم والكاف والجيم) بناء عندها بها أكرمنا وأضافنا وسافر معنا من عنده وبعد مسافة أمر من انزل على فرس رجل منهم لها وهي فاسقة مدينة يقال لها وحن في اتباع أثرها فوصلت الى وادي كبير فمن لم يسعفه كان يسقر عادتنا انهم عند ما نحو الوادي قبل وصوله كانت الدابة تعرق بها ورمتها عن ظهرها وأما الخدم الذي كان معي استحلاصها فدخلت الوادي بها معا وكان في عدوة الوادي قوم رموا أنفسهم في أثرها سباحة فأخرجوا المرأة وبها من الخبا رمق ووجدوا الرجل قد قضى نحبه رحمه الله وأخذوا أولئك الناس ان المدينة أسفل من ذلك الموضع فتوجهت اليها وهي أربع خشبات من بوطه بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويعبرهم الرجل من أعدوة الى أخرى وتركت عامها الناس وتحار الدواب سباحة وكنت على ظهر واحد من تلك الخشبات فأتيت الى الكاوية وهم على مثال دعالة من الكفر ليس منهم أحد له أحياء ولا أموات العربية ولا يفهمون عنا ولا نفهم عنهم فقال اطلبوا الفقيه فانه يعرف العربية فأتي الفقيه فكلمته بالفارسية وكلمناه بالعربية فلم يفهم منا ولا فهمنا فقال الفقيه يشان عربي كهنا ميكوان (ميكو سد) ومن عربي نميدانم ويشان معناه هؤلاء وكيف قدم ميكوان بمعنى أنا ونحديد ونميدانم بمعنى لا أعرف وانما أراد الفقيه بهذا الكلام ستر عيبه عن الصحبة حين ظنوا انه يعرف اللسان العربي وهؤلاء يعرفونه فقال لهم هؤلاء يتكلمون بلسان العرب الذي نزل به القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم تسليما وأنتم لا تعرفونه فلما سمعوا كلام الفقيه اردد الذكر الذي حفظت لصحبه فما تعجبت لسان العارس فهمت مراده وسألت تلك الجهلة دلالة ويبعث معه دليلا الى بجاوضبط اسمها (بفتح الياء آخر الحروف وكسر السين وجيم)

وحسم) بلدة كبيرة حسنة تحشاهم عن زاوية الاحى فوجدنا أحد الفقراء الموطنين فقلت له هذه زاوية الاحى وعادتى فى كل من مررت عنده ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربى فما احتجت أمرر العيب له لا يعرف من لسان العرب الا كلمة أو كلمتين وترك بالزاوية وجاء اليها أحد الطلبة يعلم ولم يكن الاحى حاضرا وحضر الادس بهذا الصلب ولم يكن يعرف اللسان العربى لكنه تفضل وتكلم مع رب البلدة فأعطى فى رسامس أجنبه وتوجه معنا الى كينولك (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهى بلدة صغيرة يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحاكم عليهم وهى من بلاد السلطان أرسلان بك فلما دار بحور كفره وملأ الماء الجرة والشنة فأحسسنا بالعطش وبقينا عدة ساعات الليل وهذه البلدة لا يصح بها ماء فدوائى العطش ولا يرد جوع الا الزعتر وأنتاهدة الحور زعتر كثير ونبت بها أشجار شريفة منها ولما كان الصباح ركبنا وأتينا العرس الذى بعثه الفتى معاس كاويه فبعث معنا فارسا غيره ليوصلنا الى مدينة مصرى وقد وقع فى تلك الليلة ثلج كثير عمى الطريق وتفرقت دواب العرس فى البعد أثر ذلك ان وصلنا فى نصف النهار الى قرية للتركمان فأويناهم فأكلنا عنده وكلفهم دنانير فركب معنا أحدهم وسلك بنا أوعارا وجبالا وشعوبا ما مر بنا مثلها فى أربعين مرحلة من الثلاثين مرحلة فلما وصلنا من تلك الجبال الى البادية أعطونا شيأ من الدراهم فعلمنا انهم أرادوا الى المدينة لتحصيل ورحصيل فيرض تلك الليلة أولم يفهم عنه أحد قولهم البعض أصحابى ومضى غير بعيد ثم رجع فرد الينا الفلوس فأعطيته شيأ من الدراهم فأخذها وفرح عاوزد لا نعرف أين قصد ولا طريق يعلم لنا فبكينا مع أن الطريق تحت الثلج وسألناه الى ان نطعمه عند غروب الشمس الى حين ظهور الطريق فلم يكترث الحارة فلقت بعضى عنى وعن معى ووقفت بزول بغل الاولا عاره هنالك فمال برأسه عن الدواب هل بك دواب سريعة لا نعرف أين توجه وكان لى فرس من الجيد فحملت على الفرس وقلت فى نفسى ان سلمت لعلى أحسان فى سلامة أصحابى فكان كذلك واستودعتهم الله تعالى وسرت وأهل تلك البلاد يسيرون على الثلوج سيرهم الخشب يصن رأيتها بها عمارة فحدثها نبوراه فهرلى منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت الى بيوت فعلمت انها حصن اعامرة فوجدت عامرة ووصى الله تعالى أن بابها دار فرأيت عليه شيخا فكلمته بالعربى فكلمنى بالتركى وأشار الى بالنزول فأخبرته بشأن أصحابى فهم معى وكان من لطف الله ان تلك الدار زاوية للفقراء فوقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامى مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بينى وبينه معرفة فسلم على وأخبرته عن أصحابى وأشرت اليه بأن بعضى مع فقراء لاستخلاص الاصحاب فتعاونا ذلك وتوجه وامضى

الى أصحابي وحثثنا جميعا الى الزاوية وحمدنا الله تعالى على السلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل القرية وقطعوا ليلتهم بذكر الله تعالى وأتى كل منهم بما يسر له من الطعام وارتفعت المشقة ورحلنا عند الصباح فوصلنا الى مدينة مصراتة عند طلوع الجمعة (ومصراتة اسمها بالميم والطاء المهملة وآخره تاء مثناة فوق وكسر الراء وياء مثناة تحت وألف وتاء تأنيث الاخيرة وبها جماعة من المسافرين ولم نجد مكانا نربط فيه الدواب فصلينا الجمعة ونحن في قلق لكثرة الثلج والبرد وعدم ما نعلفها فسألت الحاج من أهل فاس الذي يعرف اللسان العربي فمررت به وطلبت منه أن يسأل لي على مربط للدواب فذكر لي أنه يوجد في محل قريب لكن أخبرني بعض أهل البلد ممن علم بسببي أن الكم على جهة السرق ربط فيها المسافرون دوابهم والذين يأتون بعدنا يرون ما علينا عليه من سوء الحال ويزل أحد الاصحاب عما يحمل من رحله الى مربط الدواب

(حديث)

وكان من عزيز سوء الحال الذي وقع لأحد أصحابنا أنه اشترى لدوابه وعلف أحدهم يشتري لنفسه فأتى أحدهم بالتبن وأتى الآخر بدون ذلك فسأله عن سبب ذلك فقال أنا واقف على دكان بالسوق فجاء السيد وأمر الذي يبيع التبن وكلمه بكلام لم أفهمه فباعه التبن فأعطاه ثمنه وانصرف فجاء الذي يبيع الشعير وكلمه بكلام لم أفهمه فباعه الشعير وأخذ ثمنه وانصرف فعلمت أن السيد أمرهما بذلك فقلت له ولم لا تشتري لدوابك فقال لي أنا غريب ولون لساني يخالف لون لسان الترك وأنا أخاف أن يسمي عندهم بما لا يحب فعلمت أن هذا الحاج الذي يعرف اللسان العربي رغبة منه أن يرجع الى بلده فرجعت الى بيتي وبيعت ما عندي وبين هذه البلدة ومسيرة عشرة وكسور نحو ثلاثمائة ميل من ثياب وأعتنيته فقلت تركها العيال وعينت له دابة تركوبه وعدة الخير وسافر معنا فمر بنا من حلة فيها صاحب مال كثير وله دبون على الناس غير أنه قد أخذ الغنمة من الذي يسمى الدراهم فبعت عليه الدراهم لتعلقه في أحد فصل من ثمانين شاة واشتريت له الاوار والخير والماء وبعت أن يسلمه وذكر لي أنه كان سرق من دراهم له كثيرة وأنه ما ظفر به من عدم المعرفة بلسان الترك وانتهت حلة الاعراب الذين سرقوا منه وذهبوا الى آخر المسافة بالحاج كما يرفق اليوم من النفقة فيعمل كذا فتخلف منه وبقي بين أوطاء الخيل فرس في بعض المنزل فتولى سيء جلده وباعه وصار له بعد أن نفى في بعض القرى شاة تعلموه كيف من الاحاص والعلف والعشب وخروج كلها بنفسه ويحمل في الليل حتى رطب فأكل وشرب وقوي وكان يحسن اليه فعرض للدواب لا عدوها شيئا وأعطوا ذلك الى فاعتنيت به اعتناء كاملا وأعطيته الحشائش في حفيظة بحيث لم يعلم بذلك ثم وصلنا الى

مدينة

مدينة لوى (وضبط اسمها ما هو موجود مضبوطا بفتح اللام) على البويضا قريب منها واد
واد يظهر في رأى العين صغيرا الى حد يحسب أنه ساو وحدوه شديد الحرية والارتفاع
كثير وجميع ما حيث حارة صغيرة جدا ما من بحيرة وكان فرسي حراس أفراسهم فأرادتها
وأخذت في حمار الوادي فلما توسطته وقع بها الغرق ووقعت اجارية فأخرجناها أصحابنا وبها
رمق وخلصت أنا ورفقتي الى المدينة فقصدنا رباطا لأحد العبادان الاحبة ومن عوائدهم انه
لا يزال النار موقودة في رواياتهم أيام الشتاء يجعلون في كل ركن من أركان الزاوية جمرا
للنار يصعدون اليها من سلم يصعدون منه الى سطح الزاوية ويسمونها المجمرة وأحدها
مجمرى قال بن جزي وأحسن من هذا ما عبر به بعض من رأيناه في قوله في التورية
وذكر تذكر المجمرة (بسيط)

ان تصطلي بمدفار موقدا ... يخبو ويدعى كانون الزوايا
لو شئتم ان يمسي أرضهم ... جاءت عيالكم حمالة الحطب

(وبعد) فان عادة هذه الزاوية وجميع ما رأيناه من الزوايا في هذه الديار أن الاضياف
والمسافرين انما ينزلون بالزوايا لا يمرون بغيرها من طائفة أكرم
بها من طائفة وأعظم بها من جماعة فهم على الغرباء والمساكين أوزار وأحسن فيهم أوطار
ان جاد بأس وان سئل الغريب عليهم لم يكد يجد عن أحب أهله اليه وبيننا
نحن نازلون بهذه الزاوية اذ نحن بقافلة من مدينة مكدى ولي (وضبط اسمها بالكاف
مفتوحة وفتح الراء والنون المشددة وسكون الياء وضم الدال المهملة وواو مد وبعدها كسرة
وياء) وهي مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة منبسطة الشوارع والاسواق من أشد
البلاد برداً وهي مجلب مصر بقية كل متجر يسكنها صاحبة لا يحتاجون غيرهم

(ذكر سلطانها)

وهو السلطان ماغا بن عثمان وسمي سلاطين هذه البلاد حسن الصورة والسيرة جميل الخلق
قليل الحدة عليه الهيبة والوقار تملكها بعد أخيه منصور بن عثمان واسمه بالحاء المهملة والصاد
المعجمة ثم الياء المثناة من تحت وهو من صميم الوطنيين من أهلها أولاد ملوكها وفيه هذا اللسان
وحديثه ومجموع الكلام عنه وعن علية أهل بيته وأعيان الزاوية وأعلم ان السلطان قد
جاء لزيارته الزاوية عند وصولنا فسلمت السلطان فسلمت عليه وجلست وسألني عن حالي
وعن مقدمي وعن لقيته من السلاطين فأخبرته بذلك كله وأقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة
مسرجة وكسوة وانصرفت الى مدينة برنو (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وامكان الراء
وضم اللام) وهي مدينة صغيرة على نهر لها خندق ولها قلعة أعلى شاهق بنى منها بمدرسة

فيه حسنة وكان الحاج الذى سافر معنا يعرف مدرسها وصاحبها ويحضر معهم الدرس وهو على علاته من الطلبة حتى المدهم ودعا لأمير هذه البلدة وهو علاء الملك بن السلطان الملكرم سليمان بادشاه بن قصمونة وسنذكره فصعدنا اليه الى القلعة فسلمنا عليه فرحب بنا وأكرمنا وسألنى عن اسفارى وحالى فأخبرته عن ذلك وأجلسنى الى جانبه وحضر صهره وكاتبه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعام فأكلنا ثم قرأ القراء بأصوات مكروهة والحان بديعة وانصرفنا وسافرنا بعد ثلاثة أيام من مدينة قصمونة (وضبط اسمها بقاف مفتوح وصاد مهملة ساكن وميم مضمومة وواو ونون مكسور وياء آخر الحروف) وهى من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار رأيت صاحبها براويه شيخ يعرف بالاطروش لعدم سمعه وأتاه عندنا وهو أحد الطلبة كان يكتب له فى الهواء ويقرئه الدرس بأحد يعه فيفهم عنه ويحسنه ويحكى له مسائل الحكام فيفهمها وأقمنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فكنا نرى عاتق الحمل من السمين بدرهمين ونشترى حمل بدرهمين فيكفينا اليوم والغد ونحن عشرة ونشترى حملين سمينين بدرهمين فيكفينا أسبوعين ونشترى حوراً بدرهم وقسطلا عمله فما كل منها أجمعون ويفضل منه ونشترى حمل الخطب بدرهم واحد وكذلك أوان الرخاء بها ولم أر فى البلاد مدينة أرخص أسعاراً منها ولقيت بها الشيخ الامام العالم المفتى المدرس تاج الدين السلطانيوكى من كبار العلماء قرأ العراقيين وتفرد بالرياسة وطال مدته وهو الآن بدمشق يجاور بالمدرسين قديماً وحديثاً بها العالم المدرس صدر الدين سليمان القيكى من أهل قيكة من بلاد الروم وأصله من مدينة سلانى التى بسوق الخيل وانتهت اليه الشيخ المعمر الصالح دارا مدرس على وجلست عليه براوية له بقرية من سوق الخيل فرحب بنا وتلقى عنى شيئاً من حديثه ومروياته وعرفته بمن لقيته من شيوخه وكلمنى بالعربى الفصيح وطال مجلسنا عنده وسألته عن عمره فقال ثمانون سنة أو نحوها فسألته عن طلبه العلم فقال ابتدأت به وأنا ابن ثلاث عشرة سنة وعمرى الآن ثمانية وثلاثون سنة فصليت معه الدعاء فدعا لى وانصرفت

(ذكر سلطان قصمونة)

وهو السلطان الملكرم سليمان بادشاه (واسمه باللغة المعقودة بألف ودال مسكن) وهو كبير السن يقارب على ما يعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيبة يجالسه العلماء والصلحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلستنى الى جانبه وسألنى عن حالى ومقدمى وعن الحرمين الشريفين ومصر والشام فأجبته وأمر بانزالى على قرب منه وعين لى كل يوم فرسا عتيقا فرطا مى اللون وكسوة وعين لى نفقة وعلوفة أمر لى بها كل شهر وشعير لدابتى فى قرية من قرى

المدينة

المدينة على مسيرة نصف يوم منها فلم أجد من يشتري لي شعيرا لعلفه فاضطررت لشراء علف الحاج الذي كان في بيته ومن عادة هذه الطائفة ان يجلس كل يوم بعد صلاة العصر ويؤتى بالطعام فيأكل الاغنياء ويتبع أحدهم حصرى أو بدوى أو عربي او مسكين فيأكل الا كل ويجلس في أول النهار جلوسا عاما ويأتي اليه فقيل منه ويتصرف الى محل له وبأتي أرباب الدولة فيأكلون عنده ويتفرقون ومن عادته في يوم الجمعة ان يركب الى المسجد وهو بعيد عن داره والمسجد المذكور هو ثلاث طبقات من الخشب ويصلي السلطان وأرباب دولته والفقهاء ووجوه الاجناد في الطبقة السفلى ويصلي الاعيان وهو أحوال السلطان وأرباب دولته وحشمه وبعض أهل المدينة في الطبقة الوسطى ويصلي أمير الجند ولي عهده وهو أصغر أولاده ويصلي الحواشي وأصاغر مماليكه وحشمه وتراكمهم في الطبقة العليا ويجتمع العرفاء ويعدون حلقة امام الخطيب ويعدهم الخطيب والمؤذن ويكون السلطان بازاء المحراب ويقرأ من سور الكهف ما شاء الله ويحكم بين الناس ترتيب تجيء الوفود على قراءته فاذا جاء الخطيب الى قوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون قرأ القارئ الذي بين يدي السلطان عشرا واعترف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارئ الذي بين يدي السلطان عشرا وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارئ الذي بين يدي السلطان فاذا تمت قراءته انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القارئ الذي بين يدي السلطان فاذا فرغ من قراءته قام المعرف وهو المذكر فيمدح السلطان ثم يركع ركعتين ويدعو لهما ويتصرف وبأتي ابن الملك الى دار أبيه السلطان فيجلس عن يمينه على مرتبة له ويأتي في اثناء ذلك جماعة من الجند الى السلطان فيقبلون أرضه ويقبل ابنه فيقبل يده ويتصرف الى محله ويقعد [illegible] واعترف عنه ويعود اليه الا في الجمعة الاخرى فانه يركب يوم عيدة كما ذكرناه ثم سافرت من هذه المدينة فنزلت في زاوية عند جبل اقرى من أحسن زاوية رأيتها في تلك البلاد انشأها أمير كبير تركي الاصل يسمى بقرالدين وجعل الدرهم لوالده والاشراف فمن أقام بالزاوية من الفقراء وهو الذي اتم عليها وبنى بازاء الزاوية حماما للسبيل يدخل الوارد والصادر من غير شيء يدفعه وبنى موقدا لطبخ الطعام ووقفه على المسجد الجامع وعين من أوقاف هذه الزاوية لكل وارد من الحرمين اثنى عشر يوما ومن الشام وعشرة والعراقيين وجزائر ان سبعة عشر يوما كل يوم بدرهم ونصف درهم يوم بدرهم وثلاثة ارباع درهم يوم سفره والجمعة أيام مقامه وهي الخبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والدجاج ولكل فقير من بلاد الروم عشر دراهم وصيانة ثلاثة دراهم ثم اصرفها وبنى الى جانب الزاوية في جبل سمج لا عمارة فيه عمر بعض الفتيان الاحية وتعرف بسلام الذين من عمل فصد موضعه ووقف عليها أدرية

يعق حراجها على الوارد والصادر عند الزاوية وسافر من عند الزاوية الى مدينة صنوب
(وصنوب اسمها مع الصاد وضم النون وفتحها) وهي مدينة قديمة جميلة بين الجبلين
والجبلين يحيط بها الحرس من جميع جهاتها لا واحد وهي حينئذ في ولاية شاب
واحد لا يدخل اليها أحد الا بأمر وأنه هذا راشد ابن السلطان سليمان بادشاه
الذي كرته وهذا السور الذي لها على مدخل البلد الى الزاوية عرابات أي چاپي وهي خرج
باب الحرس من هناك الى عند الجبل داخل في الحركيا عدة وهي البساتين والمزارع والمياه
وأكثر فواكه التين والعنب وشوحبل مانع لا يستطاع الصعود اليه وفيه احدى عشرة قرية
يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وبعلاء راس عند الحرس والناس عند السلام
لا تخلو عن متعبد وعندها عين ماء الذي هناك وهي ساحلي وسط هذا الجبل تأتي صالح
الصحاري خلال الحشيش وعليه رويدم ارتفاع مواردون الصاري والمسجد الجامع بمدينة صنوب
من أحسن المساجد حسنوق وسقفه مركب على عدة عليها أربع أحمل ومع كل رحمن
سارية من الرخام وفوقها قناطير مصنوعة على درج خشب وذلك من عمارة السلطان سليمان
ابن السلطان علاء الدين الرومي وكان يصلي الجمعة في الجامع القديم الذي عند باب جلبي
الجامع بعد علم السلطان سليمان المذكور وفي جامع المذكور ثمانية عقد
ووجه الله حصة في الصيرفة تحت المناوق مورد الساحة وفي سافر في الاحد الى حرسة خرب
الروم واذا كانت الليلة راشد على راس عاص تحت الجبل عند الحرس فيها
أحضان العدو فلا يشعرون بمجيئهم حتى يهجم عليهم العرق وصرفت مرسي الليلة مرد أحضان
للعدو فخرقوه وأسر من كان فيها وقتل فيه كثير من الكفار الاسرى وكرون الكفار يكثر
أكل الحشيش وبسببه يصاب في حرج عند ذكر من موقعه غير ذلك حلب لهن
أشجار وادي ركض فرسه وعارضه شجرة فسرت أسنانه فشجت وتعلل الساداس
سليمان على الاقدم جعل يداوي راسه ويقول أنا أكل ما كان ما كان عليه على
أهل بلاد الروم كلهم لا يذكرون أنهم يعدمرت بوادي حلب مع صنوب وبحرسه
ذكا كين بعد الناس عنها فرأت عرامن نار لاحد دوين يديهم حتى هم بعد شكارة
عليه شيء شبه الحجر واحد هم أحدهم بعضه ويأكل وأنا أنظر اليه ولا عرف ما اشكاره
فأكل من كل معي وحمرني الحشيش وأصبحت بالبرد قد صبها وبات لا مر به
ومعه ويعرف ما عند الرجال

(حكاية)

لما دخلت هذه المدينة رأيت أحدهم ونحن صلى مسجد أبي يساوهم جميعهم لا يعرفون مذهب

مالك ولا يفيده ترتيبه والخ رعن مذهبه شر[illegible] ويكون له مهم رى الرواقص والحمار والعراق يصلون مسبلي أيديهم ثم هو عن مذهبهم [illegible] وعن ذلك فأخبرهم أنه على مذهب مالك فيستعظم ذلك منه ويستفرقه لتهمة في [illegible] حتى بعث اليه ملك السند بأربعة وأوصى بعض حدامه أن يلازمه حتى يرى ما يفعل به فذبحها وشواها وأكلها وانصرف وحدثهم أنه أعجبه ما شاهد فيه فبعث له بصحفة من الرواقص لما يأكلون لا يرب وبعد أربعة أيام من وصولها إلى مصر توفي أم الأمير ابراهيم فخرجت في جنازتها وخرج الناس على قدر طبقاتهم فشاهدوه وكان الأمراء والوزراء وأعيانهم مقلونة وأما القاضي والخطيب وأصحابهم فكانوا يمشون بين يديه ولم يكن يعرفهم أحد فسأل عنهم فأخبر أنهم القاضي والخطيب وأصحابهم فاستدعاهم وأمرهم بالمشي خلفه ففعلوا ذلك وهم يتأففون من ذلك وبقي على هذه الحالة أربعين يوماً وفي مدة الغراء عند هم وكانت اقامتهم بمدينة حوالي عشرين يوماً ثم ركبوا البحر قاصدين مدينة القرم كبرى مدن الروم وأقاموا أحد عشر يوماً ثم ركبوا البحر ثانياً ووصلوا بعد ثلاثة أشهر على ما حكى لي الأمير وأيت الخ [illegible] وكانت بالمدينة وهي رجل من أهل المغرب يسمى أبا بكر وأمرته أن يصعد إلى أعلى المركب ليصرخ أحد من المسلمين بالمدينة فيأتي إليه فصعد إلى أعلى المركب ليصرخ فلم يجد أحداً من المسلمين بالمدينة فنزل إليه وأخبره بذلك فأمر بالمركب أن يدار إلى ناحية أخرى فلما أصبح الصباح ورأى كنيسة فقصدها وحدث بها راهباً ورأى في أحد جدران الكنيسة صورة رجل عربي عليه عمامة فلما سلم عليه وسلم عليه بالعربية بكى وقال للراهب ما هذه الصورة فقال هذه صورة النبي محمد فقبلها وقبل يده وأتاه بالمفاتيح الكنيسة وصحبه دجاجاً وفراخاً وأكلوا منها واستصحب في المركب وبقية الصورة غلبت على كل ما كان فيه وهذا الموضع الذي نزل به هو من الصحراء المعروفة بمدشت قبجاق (والمدشت بكسر الميمين المهملة والشين المعجمة) سميت النزل هذا الصحراء وهذه الصحراء حضرة قفر لا شجر بها ولا جبل ولا تل ولا ماء ولا حصى ولا يتوقون الأرواث ويسمونها النزك (بالزاي المفتوح) فترى كبراءهم يلتقطونها ويجعلونها في أطراف ثيابهم ولا يسافرون في هذه الصحراء إلا في الجمال وهي مسيرة ستة أشهر ذاهبة في بلاد السلطان محمد أوزبك وثلاثة في بلاد غيره ولم يكن العدس يومئذ وصل إلى هذه المرسى توجه بعض التجار من أصحابنا إلى من بهذه

الصحراء من الحامة المعروفة بقحق وهم على دين النصرانية فاكرمنا بهم لمحبتهم بحرها الفرس فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا (واحمها ناف وقاف مشوحتين) وهي مدينة عظيمة مستصيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وهم اكثر عددا من المسلمين ولهم أمير يعرف بالمقدر ولد مهاجد المسلمين

(حكاية)

وسمعت لما بهذا المسجد أخبرني جماعة ممن سمعت أصوات النواقيس من كل ناحية ولما أكمل سمعتها قط وهي التي تسمى بالصومعة وتقرع النواقيس وذكروا الله ويؤدون صلواتهم في اوقاتها حين قدمت عليها وعليه المدرع والسلاح فسلمت عليها فاستقبلتني هناك عن شأنه فاخبرته أني من المسلمين فلما سمعت الخبر قالوا لا بأس عليكم هؤلاء كفار ونحن نعرف عداوتهم لا تخافوا منهم فاطمأننت من الخوف وسمع صوتها فاجتمع عندها جماعة من اهل تلك المدينة فرأيت جماعة لا يطاقون كثرة من مراكبها فرأيت فيها من هذا النوع المخصوص الذي مركبها من حرب وسبي نحو مائتين صغير او كبير او هو من مراكبي الدنيا الشهيرة ثم اكثر من يتجر ويسافر في هذه البحر هو من (بكر نصاف وتكراء) مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد اورنك زيب وعليها أمير من قبله ذلك الكفور واسمه (بساه منياه معرمه ولام مضموم وبين ساكن ونون ساكن وواو مضمومة وميم مضمومة وواو وراء) وكان أحد حكام هذا الامير وقد جاء الى صريصا فعرفوه عند ما فبعث الى مع امامه سعد الدين بترس ورأيته راويا شيخا ارادا الخراساني ذكر ما شاهده الشيخ ورحب بي واحسن اليه وهو معظم عندهم ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من كل وجه ويقبلون يده ويسألهم واخبرني هذا الشيخ ارادا ان خرج عدد المسافرين في البحر الى مصر ويكثر الصوم والصلاة فيه الى ثلاثين يوما لا يقدر على ان يقول ويكاشف بالامور ورغب مني ان أجيبه الى التوجه اليه فأبيت ثم سمعت بعد ذلك ان رأيه وعرفت حقيقة امره وبقيت بهذه المدينة شهرا لانعدام ثمن السفن فاني بصفية وبقيت بها فاذا في السفينة واويسمى بحضرة بالفقيه المدرس على مذهب الامام الشافعي رحمه الله وهو الذي يخطب بالمسجد الجامع من عمل الملك المذكور بهذه المدينة والشيخ الحاكم الصالح مصدر الدين وكان من اولاد سيدي وجيه الدين الصالح رضي الله عنه وارضاه وهو من الفقهاء المعتبرين وكان لامر الكفور مريد عظيم فأكرمه وأحسن اليه وكان على التوجه الى مدينة تسراحسيد لله لقدس محمد أورنك عمت على المسير في صحبته واشتريت الجملات برسم ذلك

)*

(ذكر العجلات التي يسافر عليها هذه البلاد)

وهم يسمون العجلة عربة (بعين مهملة ورا وباء موحدة مفتوحات) وهي عجلات تكون للواحدة منها أربع وكرات كبار ومنها ما تجره فرسان ومنها ما تجره أكثر من ذلك ومجرها أيضا البقر والجمال على حال العربة التي تعلمها أو حدتها والذي يحدم العربة يركب احدى الافراس التي تجرها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركه للذي وعود كبير يضربها به اذا عاجت عن القصد ويجعل على العربة شنشفة تقي قصد من حر الشمس مربوط بعضها الى بعض بسير وحلة رفيق وهي حصيرة الحلفا تتخذ بلد أوبا لقصد وتكون ذات ثنية ان مشكلة وبري الذي يحلها الناس ويشربونه وهو كالخمر ويسكر ويأكل ويأكب وشوفي حس سيره والتي تحمل الاثقال والاثاث ادوجران الاصغر منهما عدد العربة تكون عليه شبه البيت كما ذكرنا وعليه قفص وصورت لما أردت السفر عربة تركب معها بسدومي بها حاربة لي وعربة صغيرة لرفيقي عبد الله المذكور وتحن نريد ذلك الوقت الراد الخاب يجرها ثلاثة من الجمال يركب احدها خادم العربة ويسمى بلغة الامير بدكمور وأخيه عيسى وولديه مصر دمور وصار دبك وسافر أيضا معه في هذه الوجهة امام معه عبد الله بن واحد سنة أكرو فقاضي سمس الدين وتفقيه شرف الدين موسى والمعروف عبد الله بن وحدة عبدا المعروف ان يكون بين يدي الامير في مجلسه فاذا أتى السلطان يقف له هذا المعروف ويقول بصوت عال بسم الله سيدنا ومولانا قاضي القضاة والحكام مبين الفتوى والاحكام بسم الله والله أكبر معصم أو رحل مشار اليه قال بسم الله سيدنا ولان بسم الله ويتهيأ من كان حاضرا الدخول الداخل ويقوم ليه ويسمع له في الخلس وعدة الايام التي يسير وافي هذه الصحراء سيرا كثيرا الجماح في درب الحجاز يرحلون بعد صلاة الصبح ويمشون نحو ثلاث ساعات ويريحون بعد العصر ويبيتون عشيا واذا رحلوا الخيل والابل والبقر عن العرب وسرحوها ترعى ليلا ونهارا ولا يعلف احد الا السلطان ولا غيره وما حوله قد عدم الحشيش اذا يوم يقوم مقام الشعير بدواب ويبست لغير هامن البلاد هذه الدابة صبية ولذلك كثرت بدواب هذه وقلتها في تلك ولا جراس ولا شدة احكامهم في السرقة وحكمهم فيها الحمل وجد عنده فرس مسروق كلف ان يرد الى صاحبه ويعطيه معه تسعة مثله فان لم يقدر على ذلك أخذ أولاده فان لم يكن له أولاد دبح كما يذبح الشاة ولا يزال لا يأكلون خبز ولا طعام لغير ولا يصنعون صعاما من شيء عندهم شيء لا آكلي يسمون الدوق (بدال مهملة مضمومة وواو وقاف مكسورة معقودة) يجعلون على الماء فاذا على صبوا عليه شيئا من الدوق وان كان عندهم لحم صنعوه قديدا صغارا أو يجعلونه معه ثم يجعل لكل رجل صينية من حشو يصبون عليه الماء الدائم ويشربونه ويشربون

عليه لحم الخيل وهم يسمونه الغبر (كبر الغين والباء والراء المشددة) وهم أهل قوة وشدة وحمس مراح ويستعملون في عمل الأوقات طعاما يسمونه البورجي وهو عجين يصنعونه قطيعات صغارا ويلقونها في مرق اللحم حتى تنضج ويعملون بها في كل وقت صنعوا عليها الملح الرائب وشربوها ولهم عيد يصنعونه من حب الدوخن الذي تقدم ذكره وهم يروون أنهم أكلوا عشاء بعد حدوث يوما عند السلطان أو ولده في رمضان فحضرت لهم الخيل وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الأعمام والرشد وشوشه الأطراف يسمونه مرس للبر وأتيته بالليل فبقي حولها صغيرا بعض أصحابي فقتله بها بعض أصبعه علم أو جعين على وهم لا يرعى دلك وأخبرني الأمير مكتور أن أحد الكرمي من عيال هذا السلطان ولد له ولد أول ولد ولد أول ولده نحو أربعين ولدا فقال له السلطان يوم كل الخلق وأعطاه جريدة من ذهب لو سمي ما أكلوا ولما خرجنا من مدينة القرم نزلنا راوية الأمير مكتور في موضع يقال له الصحان وهي أحد عشر ميلا وكان لي فرس معتبر كون فوده حادم الغرفة فأتيت براويته وأتيت الراوية فوجدت الأمير قد صنع لهم الطعام كبراويه الخبز ثم نوعا أبيض في صحاف صغار فشرب القوم منه وكان الشيخ مطهر الدين الذي تقدم ذكره يلي الأمير في مجلسه وأراد أن يفعل له ما هذا فعل هذا الدهش فلم يفهم ما قال فذهب فوجدت له حوضة وركاه فجاء حتى جلست عنه فقالوا هو لبن يصنعونه من حب الدوخن وهم يسمونه المرد ويسمونه عندهم حلال ويسمون هذا العيد المصنوع من الدوخن البورة (بسم الله الواحد الودود ومدور اي مصرح) واعلم أن الشيخ مطهر الدين من أهل الحجاز ولسانه فيه لكنة عجمية فحدثت أنه يقول ماء الدهن وهو مسيرة ثلاثة عشر يوما من مدينة القرم وسفن من هناك كثيرة تخوضه يوما كاملا وأما أكثر خوض الذواب والعربات في هذا الماء استدار وهو وراء سور مدينة قرم فذهب الأمير الى راحتي وقام بين أمامه مع بعض حواشيه وكتب لي كتابا الى أمير أراق يعلمه أن أمر الله ورسوله والملك ونصحه على اكرامي وبرا حتى استبان من آخر خوصة نصف يوم ثم سرت عدة أيام ووصلت الى مدينة أرق (وضبطت بفتح الهمزة والراء وآخره قاف) وهي على ساحل البحر خربة عامرة يقصدها الخنيون وعندهم أخبرت وبها من السمك أجل يحتفى وهو من العظم بحيث يطعم الوارد والصادر منه وصل كتاب الأمير مكتور الى أمير أراق وهو شديد حواجه الخزر فلما خرج الى استقبالي ومعه القاضي والفقيه وأخرج لي الطعام فأكلت عليه لشدة جوعي أكلا قبيحا ووصلت الى المدينة وبرا شديدا خرجت منها بعد ثلاثة أيام عند العصر والناس عندهم الدرهم وخرج شيخ من أهل أراق يسمى برحب الدين ملكي سيرة أبي بن العرق فأضافني براوية له فأقمت عنده يومين من قدومي مقام الأمير مكتور وخرج الأمير محمد تقدمه

ومعه القاضي والطلبة وأعدوا له ... وصرنا ... بعضها ... أحداها
من الحرير المزين ... من الكمخا ... وأعلاها ... وفي الوسط ...
أو ... الذهب ... الأمير ...
الحرير ... من مكارمه وقصد ... أمامه ...
ثم ... إلى ... الأول ... كرسي من الخشب ... كبير
مرصع ... مظفر الدين ...
ثيابه ... وكان جلوسه ...
يسار الكرسي على فرش فاخرة ... وأخوه والأمير محمد وأولاده في
الخدمة ... ثم أتوا ...
من الطعام قرأ القراء بالأصوات الحسان ثم نصب منبر وصعده الواعظ وجلس القراء بين
يديه وخطب خطبة بليغة ودعا للسلطان وللأمير وللحاضرين يورد ذلك بالعربي ثم يفسره لهم
بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن بترجيع عجيب ثم أخذوا في الغناء يغنون
بالعربي ويسمونه القول ثم بالفارسي والتركي ويسمونه الملمع ثم أتوا بطعام آخر ولم يزالوا على
ذلك إلى العشي وكلما أردت الخروج منعني الأمير ثم جاؤوا بكسوة للأمير وكسى لولده وأخيه
وللشيخ مظفر الدين ولي وأتوا بعشرة أفراس للأمير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير
من أصحابه بفرس ولي بفرس والخيل بهذه البلاد كثيرة جدا وثمنها نزر قيمة الجيد منها
خمسون درهما أو ستون من دراهمهم وذلك صرف دينار من دنانيرنا أو نحوه وهذه الخيل هي
التي تعرف بمصر بالأكاديش ومنها معاشهم وهي ببلادهم كالغنم ببلادنا بل أكثر فيكون
للتركي منها آلاف ومن عادة الترك المستوطنين بتلك البلاد أصحاب الخيل أنهم يضعون
في العربات التي تركب فيها نساؤهم قطعة لبد في طول الشبر مربوطة إلى عود رقيق في طول
الذراع في ركن العربة ويجعل لكل ألف فرس قطعة ورأيت منهم من يكون له عشر قطع ومن له
دون ذلك وتحمل هذه الخيل إلى بلاد الهند فيكون في الرفقة منها ستة آلاف وما فوقها وما دونها
لكل تاجر المائة والمائتان فما دون ذلك وما فوقه ويستأجر التجار لكل خمسين منها راعيا يقوم
عليها ويرعاها كالغنم ويسمى عندهم القشي ويركب أحدها وبيده عصا طويلة فيها حبل
فإذا أراد أن يقبض على فرس منها حاذاه بالفرس الذي هو راكبه ورمى الحبل في عنقه وجذبه
فيركبه ويترك الآخر للرعي وإذا وصلوا بها إلى أرض السند أطعموها العلف لأن نبات أرض
السند لا يقوم مقام الشعير ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها بأرض السند سبعة
دنانير فضة على الفرس بموضع يقال له ششنقار ويغرمون عليها بملتان قاعدة بلاد السند وكانوا

فيما تقدم يغرمون ربع ما يجلبونه فرفع السلطان محمد ذلك وأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك يبقى للتجار فيها فضل كبير لأنهم يبيعون الرخيص منها ببلاد الهند بمائة دينار دراهم وصرفها من الذهب المغربي خمسة وعشرون دينارا وربما باعوها بضعف ذلك وضعفيه والجياد منها تساوي خمسمائة دينار وأكثر من ذلك وأهل الهند لا يبتاعونها للجري والسبق لأنهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل وإنما يبتغون قوة الخيل واتساع خطاها والخيل التي يبتغونها للسبق تجلب إليهم من اليمن وعمان وفارس ويباع الفرس منها بألف دينار إلى أربعة آلاف ولما سافر الأمير المذكور عن هذه المدينة أقمت بعده ثلاثة أيام حتى جهز لي الأمير محمد خواجه آلات سفري وسافرت الى مدينة الماجر وهي (بفتح الميم وألف وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة ونزلنا منها بزاوية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحي من بطائح العراق وكان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه وفي زاويته نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك والروم منهم المتزوج والعزب وعيشهم من الفتوح ولأهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء وفي كل ليلة يأتون الى الزاوية بالخيل والبقر والغنم ويأتي السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتبرك به ويجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصا النساء فإنهن يكثرن الصدقة ويتحرين أفعال الخير وصلينا بمدينة الماجر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعد الواعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخارى وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقراء يقرؤن بين يديه ووعظ وذكر وأمير المدينة حاضر وكبراؤها فقام الشيخ محمد البطائحي فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زوادة ثم خلع فرجية مرعز كانت عليه وقال هذه مني اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطى فرسا ومن أعطى دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله ورأيت بقيسارية هذه المدينة يهوديا سلم علي وكلمني بالعربية فسألته عن بلاده فذكر أنه من بلاد الأندلس وأنه قدم منها في البر ولم يسلك بحرا وأتى على طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم وبلاد الجركس وذكر أن عهده بالأندلس منذ أربعة أشهر وأخبرني التجار المسافرون الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقالته ورأيت بهذه البلاد عجبا من تعظيم النساء عندهم وهن أعلى شأنا من الرجال فأما نساء الأمراء فكانت أول رؤيتي لهن عند خروجي من القرم رؤية الخاتون زوجة الأمير سلطية في عربة لها وكلها مجللة بالملف الأزرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأبوابه وبين يديها أربع جوار فاتنات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ولما قربت من منزل الأمير نزلت عن العربة الى الأرض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري

يرفعن

يرفص أديلها ولا تواتيها عرى تأخذ كل جارية بعروة ويرفص لاديال عن الارض من كل جانب ومشت كذلك متحيرة حتى وصلت الى الامير وسلم عليها وأجلسها الى جنبه ودار بها حواريها وجواريها الخمر فصبت منه في قدح وجلست على ركبتيها وقام الامير وناولته القدح فشرب ثم سقت أحد وصفاء الامير وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاها كسوة وانصرف وعلى هذا الترتيب نساء الامراء وسائر نساء الملك فيما بعد وأما نساء الباعة والسوقة فرأيتهن واحدة تكون في العربة والخيش بحرها وبين يديها الثلاث والاربع من الحواري يرفصن أديلها وعلى رأسها العصاق وشعرها مرصع بالجوهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مسجفة وهي عارية الوجه لان نساء الارمال لا يحتجبن وتأتي احداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالطعم والشراب فتبيعه من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة مهرز وجماعة من براذين حدامها ولا يكون عليهن من الثياب الا فروة من جلد الضأن وفي رأسها تاسوسة يضعونها الكلاوي وهي من مدينة اسوس عند معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من الاحر موضع يقال له بش وهي بش عندهم جبل وهو (كسر الباء وشين معجم) ومعين بن جبل وهو (فتح الباء المهمل وغين معجم) وهذه الجبال الخمسة عن يمين من اصر عن شمالها الارمال ويزعمون انهم من أعقاب من لم تصبه الدعوة من ولد نوح الى موضعهم الحالي وهو على ساحل بحر الزنج أول يوم من رمضان فوجدنا المحلة قد رحلت فعدنا الى الوطاء الذي كنا فيه أول الليل ونزلنا منه فسرت حتى على تل عظيم ونزلت أنا وأصحابي وتعشينا وبتنا وسرنا وقبلت المحلة وهم يسمونها الاردو وهم لهم وهي مدينة عظيمة تشتمل على اثني عشر ألف خيمة والاسواق وسط المطبخ عند في أفواههم ويكون في حلقهم وتعرفان تخرج الليل بهما فاذا نزلوا المنزل نزلوا اليوت عن العربات وضعوها على الارض وهي حصيرة الخيش وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت واجتمعت بالسلطان وأخذت أتحدث معه على حدة ولما انتهت الرابعة مهرز وهي بيت الامير عيسى بن وسكتن وهو أعلى البيوت والعلم امامه وهو علامة الوارد فعشت بالطبل والبوق فسروا عن ذلك وتلقوا الطعام وهي واقفة تنتظرهم وبعث اليها هدية مع بعض أصحابي ومع معرفة الامير لكثرة فضولهم تركنا وأمرت ان أنزل في حوارها وانصرفت وأقبل السلطان فنزل في خيمته على سنته

(ذكر السلطان المعظم محمد أورتاخ)

واسمه محمد أورتاخ (بضم الهمزة وسكون الواو وبراء مكسورة وباء موحدة مفتوحة ومعين عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كثير المال رفيع المكان ظاهر

لاعداء الله أهل قسطنطينية لعنهم الله في جهادهم وبلادهم منعة ومدنه عظيمة
منها الركف والقرم والماجوارق وسرداق (سوداق) وخوارزم وحضرة السرا وهو احد
الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك النصارى وعظمائهم ويقولون هم مولاة أمير المؤمنين ظل الله في أرضه
امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز
نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق وسلطان أوربة هذا وسلطان بلاد
تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين ويكون هذا السلطان الاسافري محيطا
على جميع ممالكه وأربعة دواته وتكون كل مملكة من جزائره على حدة في شمالها
فاذا أراد ان يكون عنده واحد منهن من الجهة التي هو فيها لدولة تعوده وسيره
وأموره تترتب بحيث يدبر ومن عادته ان يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قاعة تسمى قبة
الذهب مربعة يرتفع من قعرها ان حشب مكلل بالذهب في وسطها سرير من
خشب مكلل بصفائح الذهب المدقق وبرانقه وهو عالية ورؤسهم من صفة بحراهر ويقعد
السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طرخمير وتليها الخاتون كبك وعلى يساره
الخاتون بلون وتليها الخاتون اردجي ويقف أسفل السرير عن اليمين ولد السلطان تيمور
لنك وعن الشمال ولده لنك خان لنك وتجلس بين يديه ابنته ايت كجك واذا أتت احداهن هام
لها السلطان وأجلسها حتى تصعد على السرير وأما طرغاي وهي الملكة واحبهن عنده
فانه يستقبلها الى باب القبة ويسير معها ويأخذ بيدها ويصعدها على السرير وجلست
حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس والخاتون وأتى بعد ذلك كبار
الامراء فنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل انسان منهم اذا أتى مجلس الديوان
يأتي معه غلام بكرسيه ويقف بين يدي السلطان أمام الملوك من بني عمه واخوته وأقاربه
ويقف في مقاعدهم عبيد القبة أولاد الامراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن
يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الامس هذا مثل ثلاثة آلاف نفر يسلمون ويصرفون
فيجلسون على بعدهما كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من اخواتين ثم انصرف
سائرهن فيتبعنها الى محلتها فاذا دخلت البواب انصرف كل واحدة الى محلتها راكبة عربتها
ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربة نحو عشرين من قواد
العساكر كان على الخيل فمابين القتبان والعربة يخلف لجميع نحو ثلاثة آلاف من الصبيان
وامام القتبان نحو مائة من امراء الكبار ومقدمهم شاد بهم عصبان والسيوف
مشدودة على أوساطهم وهم من العرسان والقتبان وهكذا ترتيب كل خاتون منهن في اصراها
ومحيتها وكان يرى من المحلة في جوار ولد السلطان جيرلك الذي قدم كره جيء بعدوى

العد

العدس يوم وصولى دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر وقد جمع المشايخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا وافرا محضرا وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضى حرز فى شأنى بالخير وأشار وأعلى السلطان ماكرامى وهؤلاء لا تزال لا يعرفون الرسل الواردة ولا الوفود القادمة وانما يعتنون لداعى الطعم ومجلس للمديح وورايا القمر وتلك كرامتهم وبعد هذا أقيم صينية صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرنى بالقعود وجاؤا بالطعام من المائدة وبات كل صنف من الدوق ثم باللحوم المشوية فمن العنبى والخيلى وفى بعض الأيام أتيت بسلق مطبوخ فعرضت عليه فوضعه على فيه ولم يرد على ذلك

(ذكر الحواتين وترتيبهن)

وكل حاتون من حاتون عربة وثابت الذى يكون فيه من الخشبة المؤهلة بالذهب أومن الخشب المرصع وتكون الخيمة التى تحمل عليها من أثواب الحرير المذهب وحديد العربة الذى يركب أحد الخيل فى يمنى الشق والحاتون واحدة فى عربتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولوخاتون (بضم الحمزة واللام) ومعنى ذلك الوزير وعن شمالها امرأة من القواعد أيضا تسمى كجك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعنى ذلك الخاتمة وبين يديها ست من الجوارى الصغار يقال لهن اماسان وهن حاملات المراوح الكمال ومن ورائها ثمان من يسندن اليمين وعلى رأس الحاتون المظلة وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وباعلى الاعمدة يثبت الصواويس وعليها ثياب حرير من صنعة بلاد هرشبه الموت (البرطلة) التى يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والخاتمة مقنعة حرير من ركشة الحواشى بالذهب والجوهر وعلى رأس كل واحدة من الثلاث الكلاوهو شبه التاج المزوق وفى أعلى دائره ذهب من صنعة بلاد هرويش الصواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى الج ويكون بين يدى الحاتون عشرة أو خمسة عشر من الغلمان الرومين والهنديين وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر وبيد كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود مقدس مبهم وخلف عربة الحاتون تحو ثلثمائة عربة فى كل عربة الثلاث والاربع من الجوارى الابكار والصغار يثبتن الحرير وعلى رؤسهن الكلا وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربة تقتعرها الخصيان والسفر تحمل خزائن الحاتون وأموالها وثيابها وأوانيها وطعامها ومع كل عربة غلام وكل بهامة رمح بجاريه من الجوارى التى ذكرناها العادة عندهم انه لا يحس بين الجوارى من الغلمان الا من كان له بين زوجة وكل حاتون فهى على هذا الترتيب ولنذكرهن على الانفراد

(ذكر الخاتون الكبرى)

والخاتون الكبرى هي الملكة أم ولدي السلطان جلال الدين وركن الدين وسنذكرهما وليست أم ابنته ايتكين كجك وأمها كانت الملكة قتلغ خان خاتون بنت [illegible] (بضم القاف المهملة الاولى واسكان الياء آخر الحروف وضم التاء المثناة وسكان العين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي احظى نساء هذا السلطان عنده وعند شايب آكرايلة ويعظمها الناس تعظيمه لها وانها هي أخت الخوارزمي وحدثني من اعتمد من العارفين باخبار هذه المملكة ان سبب تعظيم الخاتون لها ما حكي فيها وهي انه يجدها كل يوم كاتبة بكرة كرة الى غيره انها من سلالة امرأة التي يذكر ان اسكندر عن عليه السلام سبها وما عاد اليه ملكه أمر ان توضع في حجرة لا عمد فيها فوضعت فيها فحبلت وان رحم هذه الخاتون شبيه الحلقة حلقة وكذلك كل من هو من سلالة المرأة المذكورة فلم تحبل في حجرة قط ولا غيرها من أحبرانه رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمعنا بها الا هذه الخاتون ايام لان بعض أهل الصين أخبرني ان بالصين جماعة من سلالة هذه المرأة المذكورة ولم يصح عندي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غد اجتماعي بالسلطان جلال الدين رأيت هذه الخاتون وهي واقفة بين عشر من النساء الواقفات كأنهن حور عين بهيات الخلق حسان الخلق حوريات الصفات يتعاطون الخدمة بين يديها بطيب غير مذكر ومعصفة مموهة بحب الذهب وهي بقربه وبين يدي الخاتون صينية ذهب مموهة مثله وهي تقبله وتضعه على رأسها على وجه أعلى وترفع أنملتي يديها الى طرف المصريين بصورة حسنة وصوت رخيم ثم أمرت ان يؤتى بالعرقي فأتي به في أقداح خشب لذاذ حقير فأخذت احدى يديها وليتي القدح بيدها كيف ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها بالكرامة عندهم وأكل شربت النفر قبلها اولا كي لم يمكني الامتناع منه ولا من شربه ولا اخبرته بذلك لاحد من اصحابي وسألني عن كثير من حال سفرنا فأخبرتها ثم انصرف عنها وكان ابتداؤنا بها لانها عظيمة عند الملك

(ذكر الخاتون الثانية التي تلي الملكة)

واسمها كبك خاتون (بضم الكاف الاولى وفتح الباء الموحدة) ومعناه بالتركية الحمامة وهي بنت الامير قطي (واسمه بالتركية قوصا معناه مقتول وهو بمصر) وأمها مينلي بعنه الفرس وقد رأيته وهي عند جلوس الملكة تجلس على يمين الخاتون فوق حشايا على مرتبة تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلمنا عليها وأحسنت في السلام وفي الكلام وقرأت شيئا استحسنته وأمرت بالقمر فأحضر وناولتني القدح بيدها كيف ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها

*)

(ذكر الخاتون الثالثة)

واسمها سلون (بسين موحدة وباء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولام مضموم وواو ومدوون) وهي بنت ملك القسطنطينية المعصمي السلطان تكفور ودخلت على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمه فسقوس بين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات عليهن قائمات وقاعدات وقيام على رأسها والخصيان بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالها ومقدمها وهذا وطاسا وكتب وصحت وجهها بالتعديل كان بين يديها رقة صفراء وشقفة وأمرت لنا بطعام فأحضر وأكلنا بين يديها ولما أردنا الانصراف قالت لا تفعلوا واقعدوا وتحدثوا فإن الملوك نحوا لحكم وأصحاب مكارم الأخلاق وبعثت في أثرنا بطعام وجرز كثير وسمن وغنم وراشد وكسوة جيدة وبرنس من حياد الملابس وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفري إلى القسطنطينية المعصمي كما ذكر بعد

(ذكر الخاتون الرابعة)

واسمها اردوجا (بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وجيم وألف) واردو بلغتهم المحلة وسميت بذلك لولادتها في المحل وهي بنت الامير الكبير عيسى بن أمير الاولوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الامراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت السلطان ابن كيكاوس وهذه الخاتون من أفضل الخواتين وأكملهن شمائل وأحقهن وهي التي بعثت الي تلمرأت بني على الرسل عند حوار محله كما قدمناه حلمنا عليها فرأيت من حسن خلقها وكرم عنصرها ما لا مزيد عليه وأمرت لنا بطعام فأكلنا بين يديها وعند ما همنا بالانصراف أحضرت لنا وسألت عن حالنا فأحسنا وعدنا أيضا الى أحسن وجه والامر على ما نرزق

(ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك)

واسمها ايت كجك وايت (بكسر الهمزة وبياء مثناة من تحت وكجك بضم الكاف وضم الجيمين) ومعنى اسمها الكلب الصغير فان ايت هو الكلب وكجك هو الصغير وقد قدمنا ان الترك يسمون الرجال كما تفعل العرب ونوجهنا الى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محفة مصفحة على نحو ستة أميال من محفة والدها فأمرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الدولة والمشايخ والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى الذي سماه روحة لسلطان فقعد معها على فراش واحد وهو معنى ما لا فرس ولا يستطيع الشريف على قدميه ولا ركوب الفرس وانما ركب العربة وقد أراد الدخول على السلطان أن يلبسه حذاءه وأدخلوه في المجلس محمولا وعلى هذه الصورة رأيت أيضا الامير عيسى وهو أبو الخاتون السابقة وهذه العلة حاشية في هؤلاء الاتراك ورأيت من هذه الخاتون بنت السلطان من المكارم وحسن

الاخلاق مالم يرد من سواها واخلت الاحسان وأفضلت جزاها الله خيرا

(ذكر ولدي السلطان)

وهما شقيقان وأمهما جميعا الملكة خيفة التي تقدم ذكرها والاكبر منهما اسمه تيمرلك (بتاء معجمة مكسورة وياء مثناة من تحت ومد وبين مفتوح) ومعنى هذا الاسم وتيمر معناه الحديد فكأن اسمه أمير الحديد واسم أخيه جان بك (بجيم وكسر النون) ومعنى جان الروح فكأنه يسمى امير الروح وكل واحد منهما له محل عند والده ولكن تيمرلك من أجل حلق الله صورة وعقلا أوده ذلك وكانت له الخطوة والتقدم عند والده ولم يزل الله يديم له ذلك حتى مات أبوه وولي بعده ثم قال الامور صحة جرت له وولي أخوه جان بك وهو خير منه وأفضل وكان السيد الشريف امير عبد الحميد هو الذي تولى تربية جان بك وأشار على هو والقاضي صدر الدين والامام بدر الدين الدماميني والامام المقرئ حسام الدين الحنفي وسواهم حين قدمت أن يكون مرولي بعهد جان بك المذكور لفضله ففعلت ذلك

(ذكر سفري الى مدينة بلغار)

وكنت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه اليها لاري ما ذكر عنها من انه مقدار اثنين وعشرين نهارا وقصر النهار يضاف عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشرة ايام فلبثت معه من يوم الى آخر حتى تهيأ ورددي اليه ووصلتها في رمضان فصليت العصر بأطمارها وأذن لعشاء في اثناء قصر فصليته وصليت التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر آثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها في فصل قصره أيضا وأقمت بها ثلاثا

(ذكر أرض الظلمة)

وكنت أردت الدخول الى ارض الظلمة والدخول اليها من بلغار وبينهما أربعون يوما ثم أضربت عن ذلك لعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والمعتبر انه لا يكون الا في جبال صغار تعرفها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد ولا ينبت قدم الادمي ولا حافر الدابة فيه والكلاب لها الاظفار فتثبت اقدامها في الجليد ولا يذهب الا الادمي من الحيوان الذي يكون في جسده مثقبة كحبة أو نحوها موتر بضعامه وشرابه وحسه في ذلك الاثر ولا حجر ولا مدر والدليل في تلك الارض هو الكلب الذي قد سير فيها عمرا كثيرا وتنتهي قيمته الى ألف دينار ونحوها وتربط العربة الى عنقه وتقرن معه ثمانية من الكلاب ويكون هو المقدم وتتبعه سائر الكلاب بالعربات فاذا وقف وقفت وهذا الكلب لا يستريح صاحبه ولا يهره واذا احضر الطعام أطعم الكلاب أولا قبل بني آدم والاعصف الكلب وقد يترك صاحبه للتلف فاذا كانت المسافة بين هذه البلاد أربعون مرحلة نزلوا عند العتمة ونزل كل واحد منهم مع صاحبه

من امتاع هلك وعادوا الى منازلهم المعتادة فما كان من العدد والتقدمة اعهم فيجدون
نار الله من السمور والسنجاب والقاقم فى أرضى صاحب المتاع ما وجده اذا امتاعه أحد وان لم
يرصه تركه فيريد وبه ويمارفعوا امتاعهم أعنى أهل الصين وتركوا امتاع التجار وكذا يعهم
وشراؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هناك من بيعهم ويشاريهم أمن الجن هم أم من الانس
ولا يرون أحدا والقاقم هو أحسن أنواع الفراء وساوى الفروة منه ثلاثة دنانير وصفة
وصفوا من ذهبانا ثنان وخمسون وهى شدة بياض من جلد حيوان صغير فى طول الشبر
ودسه طويل يتركونه فى الفروة على حاله والسمور دون ذلك تساوى الفروة منه أربعمائة
دينار وهو دونها وصفة هذا الجلد انه لا يدخله دهن وأمراء الصين وكبارها يجعلون منه
الجلد الواحد متصلا به رواتهم عند لعنق وكذلك تجار فارس والعراقيين وعدت من مدينة
سقدر مع الامير ابى عنه السلطان فى محفتى فرحلت محلة السلطان على اوضع المعروف
بيش بغ وذلك فى الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم
العيد يوم الجمعة

(ذكر ركوبهم فى العيد)

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان فى عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها
ومعها عساكرها وركب معه السلطان واتبع على رأسها هى الملكة على الحقيقة ورتبت
ذلك من أمها وركب أولاد السلطان كل واحد فى عسكره وكان تقدم لحضور العيد قاضى
القضاة شهاب الدين السنابى ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضى حزه
والامام بدر الدين القوامى والشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع نيلك ولى
عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضى شهاب الدين وخطب أحسن
خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج جنب يسمى عند هم الكشك يجلس فيه ومعه
خواتينه وحسن برجان دون هذا يجلس فيه ولى عهده وابنته صاحبة التاج ونصب برجان
دونهما عن يمينه ومعه فيهما أولاد السلطان وأقاربه ونصبت الكراسى للامراء وأمراء
المغول وتنبى لصفوف تقف عن يمين البرج وشماله بمجلس كل واحد على كرسيه ثم نصبت
طبلات للرمى لكل أمير طومان طبلة شخصية به وأمير طومان عندهم هو الذى يركب له عشرة
آلاف فكان الحاضرون من أمراء طومان سبعة عشر يقودون مائة وسبعين ألفا وعسكره
أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شبه منبر تقعد عليه وأصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك
ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة وعند ما يلبسها يأتى الى أسفل برج السلطان
فيقدم واحد منه أن يمس الارض بركبته اليمنى ويقبل حافر حلة تحتها والاخرى قائمة ثم يؤتى بفرس

مسرج ملجم فيرفع حافره ويقبل فيه الامير ويقوده بنفسه الى كرسيه وهنالك يركبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل أمير منهم ثم ينزل السلطان على المسرح ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولى العهد وتليه بنته الملكة إيت كحل وعن يساره ابنه الثانى وبين يديه الخواتين الاربع فى عربات مكسوة بأثواب الحرير المذهب والخيل التى تجرها محلاة بالحرير المذهب ويمثل جميع الامراء الكبار والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدى السلطان على أقدامهم الى أن يصل الى الوطاق والوطاق (بكسر الواو) وهو افراح وقد نصبت هناك بالقرب من (باركام) عصبة والباركام عندهم بيت كبير لا أربعة أعمدة من الخشب مكسوة بصفائح القصة اموهة بالذهب وفى أعلى كل عمود حامور من القصة المذهبة له ريش وشعاع وتصير هذه الباركام على البعد كأنها قبة وتوضع عن يمينها ويسارها سقائف من القطن والكتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب فى وسط الباركام السرير الاعظم وهو يسمونه التخت وهو من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفائح فضة مذهبة وقوائمه من القصة الخالصة الموشاة وفوقه فرش عظيم وفى وسط هذا السرير الاعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها إيت كحل ومعها الخاتون اردوجا وعن يساره مرتبة جلست بها الخاتون سلجوق ومعها الخاتون كبك وعن يمين السرير كرسى قعد عليه ابن ولد السلطان وعن يساره كرسى قعد عليه حفيد السلطان ولده الثانى وعند كراسى عن اليمين واليسار جلس فوقها أبناء الملوك والامراء الكبار ثم الامراء الصغار ثم أمراء شوار وهم الذين يقودون الفرس ثم الذين يطعمون على موائد المذهب والقصة وكل مائدة يحملها أربعة رجال وأكثر من ذلك وهم محلوم النفس والعلم مسلوقة وتوضع بين يدى كل أمير مائدة ويأتى البواورجى وهو صاحب العلم وعليه ثياب حرير وقد ربط عليها وصة حرير وفى حزامه جملة سكاكين فى غمادها يكون أكل أمير باورجى فاذا قدمت المائدة قعد بين يدى أميره وتأتى الخدمة بصحن صغير من المذهب أو بقصعة فيرمى بالملح فيقطع البواورجى اللحم قطعا صغارا ولحم فى ذلك الصحن فى قطع اللحم تحت العظم فانهم لا يأكلون منه الا ما احتف باللحم ثم يؤتى بأوانى المذهب والقصة للشرب وأكثر شربهم نبيذ العنب وهم جمعية المذهب يحملون المبيذ دار السلطان ويشرب أحدهم منه القدح بيده واحدة ويتبرجلها ثم يناوله لقدح فيشرب ثم تأخذ القدح أخرى فتملؤه للخاتون الكبرى فتشرب منه ثم تناول لسائر الخواتين على ترتيبهن ثم يأخذ ولى العهد القدح ويخدم ويناوله أباه فيشرب ثم يناول الخواتين ثم أخته ويخدم جميعهن ثم يقوم ولد الثانى فيأخذ القدح ويسقى أباه ويخدم له ثم يقوم الامراء الكبار فيسقى كل واحد منهم ولى العهد ويخدم له

ثم يقوم أمناء الملوك فيسقى كل واحد منهم هذا الاناء الثانى ويحدم له ثم يقوم الامراء الصغار فيسقون أمناء الملوك ويعنون أثناء ذلك بالموالية وكانت قد نصبت قصعة كبيرة ليصب فيها المحمدل الفاضى والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأصحابهم فأوتينا بموائد الذهب والفضة يحمل كل واحد أربعة من كبار الاتراك ولا يتصرف فى طعام اليوم بين يدى السلطان الا الكبار فيأمر هم برفع ما أرادوا من الموائد الى من أراد فكان من الفقهاء من أكل ومنهم من تورع عن الاكل فى موائد الفضة والذهب ورأيت مد البصر من البيض والشمام من العروس عليها وما ذاك الا ليفرقه السلطان بتبركها على الناس فأتوا بها بعد تمهيد قاعة عظيمة الى أن لا ترك ثم أتينا المسجد منتظرين صلاة الجمعة فأبطأ السلطان عن فائتها لانه لا يأتى لان السكر قد غلب عليه ومن فائتها لانه لا يدرك الجمعة الا اذا كان بعد تمكن الوقت أى وهو يتمايل فسلم على السيد الشريف وتسلم له وكان يخاطبه ما ظاهو الا بلسان التركية ثم صليت الجمعة وانصرف الناس الى مساكنهم وانصرف السلطان الى المباركة فبقى على حاله الى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقى مع الملك تلك الليلة خواتينه وبناته ثم كان رحيلنا مع السلطان والمحمل فى يوم الخميس لتمضى العيد فوصلنا الى مدينة الحاج ترحان ومعنى ترحان عندهم موضع المحترمين المعارم (وهو بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الراء وفتح الحاء المهملة وآخره نون) والمنسوب اليه هذا الاسم هو ان الله تعالى لما أوحى من الصخرة التى بركى بل موضعها وتزله السلطان ذلك الموضع فصار قريته ثم عمرت وبنيت وهى من أحسن المدن عظيمة الاسواق مبنية على نهر نيل وهو من أنهار الدنيا الكبار وهو غير نيل مصر ويقيم السلطان حتى يشتد الغلا ويجمد هذا النهر وتجمد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل سبعة أبراد فيأتون بالآلاف من أحمال التبن فيجعلونها على الجليد المتعقد فوق النهر وتسير هناك الاثقال كلها الدواب لانه يسترها وكذلك ببلاد الهند وانما أكلها الناس الاحمر لصعب البلاد ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما حارت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء فيغرقون ويهلكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترحان رغبت الخاتون بيلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها فى زيارة أبيها فمنع منها عنده وعوده اليه فأذن لها ورغبت منه أن يأذن لى فى التوجه صحبتها الى هذه المدينة العظمى فسعى حتى حصل على موافقته وقلت له اما أدخلها فى حرمتك وجوارك ولا أخاف من أحد فأذن لى وودعناه ووصلنى بألف وخمسمائة دينار وخلعة وافراس كثيرة وأعطانى كل واحد من مهمات سفرنا القصة وهى تسمى الصوم (بفتح الصاد المهملة) واحدتها صرمة وأعطت بنته أكثر منها وكسانى وأركبنى واجتمع لى من الخيل والثياب والجوارى السمحاب والسمور جملة

(ذكر سفرى الى القسطنطينية)

وسافرنا فى العاشر من شوال فى صحبة الخاتون بيلون وتحت حرمتها ورحل السلطان فى تشييعها من حلة ورجع هو والملكة وولى عهده وسافر سائر الخوند فى صحبتها من حلة ثانية ثم رحل وسافر صحبتها الامير سدرة فى خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاتون نحو خمسمائة فارس منهم حذا منهامن المماليك والروم نحو ثلثين والباقون من الترك وكان معهامن الجوارى نحو مائتين أكثرهن روميات وكان لها من العربات نحو أربعمائة عربة ونحو ثلثى فرس لحرثها والركوب ونحو ثلثمائة من البقر ومائتين من الجمال لحرثها وكان معهامن الصبيان الرومين عشرة ومن الهدايا منلهم وفائدهم الاكبر يسمى بسبل الهندى وقائد الرومين يسمى بجمائيل ويقول له الاترك لولوه وهو من الشجعان المختارين وتركت أكثر حوائجها وأثقالها بحلة السلطان اذ كانت قد توجهت برسم الزيارة ووضع الجمل ونوجه الى مدينة اكك وهى (بضم الهمزة وفتح الكاف الاولى) مدينة متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد وبينها وبين الدربندية للسلطان مسيرة عشر وعلى مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقر الشعور زرق العيون تسبى الصور أغلى صور وعندهم معادن النحاس ومن بلادهم يؤتى بالصوم وهى سبابات الفضة التى يتبايع ويشترى فى هذه البلاد ويؤتى بالصومة منها خمس أواق ثم وصلنا بعد عشر من هذه المدينة الى مدينة سرداق (وضبط اسمها (بضم السين المهمل وسكون الراء وفتح الدال المهمل وآخره قاف) وهى من مدن دشت قبجاق على ساحل البحر ومرساها من أعظم المراسى وأحسنها وتخرج منها السمائين والمياه ويؤتى الترك وطائفة من الروم تحت دستهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة كبيرة فخرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فصار للترك أحياؤهم وقتلوا الروم شر قتلة وهو أكثرهم وبقى معظمهم تحت الذمة الى الآن وكانت الضيافة تحمل الى الخاتون فى كل منزل من تلك البلاد من الخبز واللحم والبقر والدوق والقرز واللبان البقر والغنم والسمن فى هذه البلاد مخصب ومعيش وكل أمر رخيص بهذه البلاد تحمل الخاتون بعساكرها الى آخر حدود بلاده وتعلمنا لها الاحوط علينا الى آخر البلاد الاسلامية ثم وصلنا الى البلدة المعروفة باسم باباسلطوق وباباعندهم عندنا عند البربر سواء الا أنهم يخصون الباء وسلطوق (بفتح السين المهمل واسكان اللام وضم الطاء المهمل وآخره قاف) وذكروا ان سلطوق هذا كان مكاشفا كرامات أشياء يكرهها الشرع وهذه البلدة آخر بلاد الاتراك التى بينها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوما فى برد عظيم ومعنا ثمانية أيام لا ماء فيه نتزود لها الماء ويحمل فى الرواية والغرب على العربات وكان دخولنا اليها فى أيام البرد فوجدنا بها كثيرا من الماء

والاتراك

والارانب يرفعون للانسان فى القرب و بعده وتهاله وفى الطلوع و يشرونها فلا يعطشون
وأحد من هذا البلد وفى الاستعداد للغربة واحتجت الى زيادة فراس فأتيت الخاتون
فاعلمتها بذلك وكنت أسلم عليها صباحا ومساء ومتى أهدى لها صيدة بعث الى بدراهم والثلاثة
والعشرة فكنت أترك الخيل لاد بجهاو كان من معى من الغلمان والخدام يأكلون مع أصحابنا
من تراث فاجتمع لى نحو خمسين فرسا وأمرت لى الخاتون بخمسة عشر فرسا وأمرت وكيلها
سار وجة الرومى ان يختار لها سبعة من خيل المطبوخ فلما لم أصف فيها احتجت الى غيرها
ردت وبعثت الى فى مقصف ى بعد ذلك فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان الى أن
اتينا قسطنطينية تسعة عشر يوما وافاقتنا خمسة وبعثت من هذه المدينة عامة عشر يوما منحى ومعنى
وما رأيت الا خيرا وحسنة ثم وصلنا بعد ذلك الى حصن مهتولى وهو أول عملة الروم (وضبط
اسمه هكذا الميم وسكون الهاء وضم التاء المثناة من فوق واو مدة ولام مكسورة وياء) وكانت الروم قد
سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلها الى هذا الحصن كما فى نقوله الرومى فى عسكر
عظيم وضيافة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دار أسها فاعلمت انها تستصحبه وبين مهتولى
والقسطنطينية مسيرة ثلاثين وعشرين يوما منها ستة عشر يوما الى الخليج وستة منه الى
القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن الا بالخيل والبغال وتترك العربان بالاحمال لوعر
والجبال وجدت فى المذكور بغال كثيرة وبعثت الى الخاتون بستة منها وأوصت أمير
ذلك الحصن ان تركته من أصحابى وعلمانى مع العربات و لا يفارقنا فامر لهم بدار ورجع الامير
يدرى ما كره ولم يسافر مع الخاتون لانا سبقناها وتركت محمدها بهذا الحصن وارتفع حكم
الادان وكان يؤتى اليها بالخبز فى الضيافة عشرة منها وبالخبازين وأحيرى بعض خواصها انها
أكلهم ولم يق معها من يصلى لانها كان يصلى معنا وتعبر لبواطن لدخولنا فى
ملة الكفر ولكن الخاتون أوصت الامير كما فى باكرامى ولقد صرت مرة بعض عمالها
فعدت من صلاتنا فوصلنا الحصن مسلمة بن عبد الملك وهو يسمع حسن على نهر جار يقال له
اصطفيلى ولم يبق من هذا الحصن الا آثار وبحارحه قرية كبيرة ثم سرنا يومين ووصلنا الى
الخليج وعلى ساحله قرية كبيرة فوجدت فيه المذ فاصطادت حتى كان الخزر وحضناه وعرضه
نحو ميل ومشيت أربعة أميال فى رمل ووصلنا الى الخليج الثانى فحضناه وعرضه نحو ثلاثة
أميال ثم مشينا نحو ميلين فى حجارة ورمل ووصلنا الى الخليج الثالث وقد تناهت المذ فتصافيه
وعرضه ميل ونحو نصف الخليج كله مائية وباسه اثنا عشر ميلا وتصير ماء كله فى أيام المطر
فلا يخاض لا فى القوارب وعلى ساحل هذا الخليج الثالث مدينة الميكة (واسمها بالهاء
مفتوحة ونون وياء مشددة وكاف مفتوح) وهى صغيرة لكنها حصينة منيعة وكانت بها ودبارها

حسان والانهار تحرقها والساتين تحفها ويدخرها العنب والاجاص والتفاح والسفرجل من السنة الى الاخرى وأقمت بهذه المدينة ثلاثا واخبرت في قصر لابيها هلك ثم قدم أخوها شقيقها واسمه كمالي فراس في جملة آلاف فارس شاكين في السلاح ولما أراد والقاء الخاتون ركب أخوها المذكور فرسا أشهب ولبس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مطلا مكللا بالجواهر وجعل عن يمينه جملة من أمراء المغول وعن يساره منهم لابسين ابيضا وعليهم مطلات مرركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشاتين وما تة فارس قد أسدلوا الدروع على أفخاذهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا درعا عليه شكة فارس من البيضة المجوهرة والدرع والتركش والقوس والسيف ويده رمح في طرف رأسه راية وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفائح الذهب والفضة وتلك الرايات هي علامة هي مراكب السلطان وقسم فرسانه على افواج كل فوج فيه مائة فارس ولهم أمير قد تقدم أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وحلفه عشرة من الغلمان متقلدين أيضا عشرة من الفرسان وعشرة أطفال يتقلدها عشرة من الفرسان ومعهم ستة بيوقات الالوية والاعلام والصرابات وهي العيطات وركبت الخاتون في محاملها وحوارجها وقينتها وخدامها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة الذهب المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النج ويقال لها أيضا النسج مرصعة بالجوهر وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها محلى بحمل حرير مزركش بالذهب وفي يديه ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلادة مرصعة وعظم السرج مكسو ذهبا مكلل جوهرا وكان التقاؤهم في بسيط من الارض على تحويل من البلد وترحل لها أخوها الامير أصغر سنا منها وقبل ركابها وقبلت رأسه وترحل الامراء وولاة الملوك وقبلوا جميعا ركابها وانصرفت مع أخيها وفي غد ذلك اليوم وصلنا الى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أثبت الآن اسمها لاني نسيت اسمها وأشجار برلبا بجانبها ووصل خواص الخاتون ولي العهد في ترتيب عظيم وعسكر نحو من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره منلهم وقد رتب فرسانه على ترتيب أحسن سواء الا ان الحفل أعظم والجمع أكثر ولاقت معه احتفالا في مثل ربها الاول ورحلا جميعا وأوى بخيامه حرير فحدثت فيه فلا أعلم كيفية سلامهما ونزله على عشرة أميال من القسطنطينية لما كان بالقدس خرج أهلها من رجال ونساء وصبيان ركبانا ومشاة في أحسن زي وأحسن لباس وضربت عند الصبح الاطبال والالوية والاعلام وركبت العساكر وخرج السلطان وولده وحشمه أم هند الخاتون وأرباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمله حامل من الفرسان ورجال بأيديهم عصي طوال في أعلى كل عصي شبه كرة من جلد يرفعون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القنديل رفيع

الفرسان

العرسان العصى ولما أقبل السلطان احتلطت العساكر وكثر الضجاج ولم أقدر على الدخول فيما بينهم فلزمت أثقل الخانون وأضعها حوفا على نفسي وذكرت لها ما قرت من أمر يهار حلت وقبلت الارض بين أيديهما ثم قبلت حافري فرسيهما وفعل كذلك أصحابهما شفعا لها في ذلك وكان دخولنا عند الزوال أو بعده الى القسطنطينية لعشر من وقد صرنا نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط أصواتهم ولما وصلنا الباب الاول من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل معهم قسيسهم فوق دكان وسمعتهم يقولون سراكنو سراكنو ومعناه المسلمون ومعهم من الخيول ما لهم أصحاب الخانون انهم من جهته فعاملوا الا يدخلوا الا بالاذن فأقمنا بالباب وذهب بعض أصحاب الخانون فبعث من أعلمها بذلك وجاء بين يدي والدها فذكرت له شأني فأمر بدخولي وعين لنا دارا بمقربة من دار الخانون وكتب لنا أمر انا لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونؤدي بذلك في الاسواق وأخذ نا رزقنا تابعث الينا الصيافة من الدقيق والخبز واللحم والدجاج والبيض والفاكهة والحوت ونذر اهم والعرش وفي اليوم الرابع دخلت على السلطان

(ذكر سلطان القسطنطينية)

واسمه نكفور (بفتح النون المشالة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس قيد الحياة لكنه زهد وترهب واعتصم للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسيذكره وفي اليوم الرابع من وصولنا الى القسطنطينية بعث الي الخانون التي سبيل الهندي ما حد بندي وأدخلني الى القصر فمررت بأربعة أبواب في كل باب سقائف بها رجال وأسلحتهم وقائدهم على دكانة مقعر وشبيه بما وصفت الى الباب الخامس تركني التي سبقني ودخل ثم أتى ومعه أربعة من الغلمان الزمبيين وقال لي تشوفي لتلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بأرض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان منكبي واثنان من ورائي فدخلوا بي الى مشور كبير حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المحوفات من الحيوانات والجند وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يمينا ويسارا ساكتون لا يتكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أمامي وذلك الاربعة اليهم فأمسكوا ثيابي كما فعل الآخرون وأشار ليهم بالدخول فتقدموا وكان أحدهم يجيد بالفارسي فقال لي بالعربي لا تخف فهكذا عادتهم ان يفعلوه لزائر وأنا الترجمان وأصلي من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقلت قل السلام عليكم ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سريره وزوجته أم هذه الخانون بين يديه وأسفل لسريره الخانون

وأحوتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم لسلاح فاشار الى قبيل السلام والوصول اليه بجلوس هيئة ليسكن روعي فعملت ما فعلت فيه فاشار الى ان أجلس فلما فعلت وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن الجامعة وعن معهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة اسطبل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فأجبته عن ذلك كله واليهود حاضرون حسبي ونعم الوكيل فاعجبه كلامي وقال لاصحابه اكرموا هذا الرجل واصنعوا له جاه على جلة وأمر لي بفرس مسرج ملجوم فلما ان ركبت الملك فوق رأسه وهي علامة الامان وظل معه الى ان ركب معي بنفسه في كل يوم حتى أشهد بحضرته وعراتهم وذكر لهم الذي فعلت لي من العزاء عند نهاية الذي يلبس جلة الملك وركب فرسه صف به في أسواق المدينة والاسرى والاسارى لاظهار الكرامة الناس وأكثر من فعل ذلك لان الملك المعظم يكون من عادة السلطان أن يركب بنفسه ويؤدب عساكره في الاسواق

(ذكر المدينة)

وهي مدينة عتيقة في الكرم قسمة غريبة ينهما نهر عظيم المقدار جار على شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عليه قديما قنطرة عظيمة طريفة وهي الآن تعرف بالقوارب واسم هذا النهر الاعظم (بفتح الحمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهملة وكسر الميم وياء مد) واحد القسمين من المدينة يسمى الصيون (بفتح الحمزة واسكان الصاد وفتح الفاء والهمزتين وسكون الواو وضم الميم الموحدة وواو مد ولام) وهو بالعدوة الشرقية من النهر وهو مسكن السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأكثر عمارته مدرجة في السفح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا يشاركهم سواهم وعلى كل باب من أبواب تلك الصناعة بالليل وأكثر الصناع والباعة بها لسعة المكان في السفح حوانيت داخل في النهر نحو تسعة أمتار وعرضه مثل ذلك أو أكثر وفي أعلاه قلعة صغيرة قصر السلطان والسور يحيط بها من جميع جهاتها وهو مانع لا سبيل لاحد اليه من جهة النهر وهو نحو ثلاث عشرة قرية عامرة وكنيسة العظمى التي في وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثاني منها فيسمى العدوة (بفتح المهملة ولام وطاء مهملة مفتوحات) وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه بربض الفتح في قربه من النهر وهذا القسم خاص بمصري الافرنج يسكنونه وهم أصناف منهم الجنويون والبنادقة وأهل رومية وأهل اسبانية وحكمهم الى حد ما القسم المقابل يتقدم عليهم منهم من يرضونه ويختارونه لهم وعليهم وظيفة في كل عام لملك القسطنطينية ورعاياه يصطلحون عليها بحارهم حتى يصطلحوا بينهم بالمناوبة وجميعهم أهل تجارة ومعاشهم من أعظم المرافق رأيت بها نحو مائتين من القراقر وسواها من الكبار

وأما

وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة لان الاقدار عالية عليها وبشقها نهر صغير قدر يجس وكنائسهم قدر لا بأس بها

(ذكر الكنيسة العظمى)

واما ذكر رحبها وأبعادها فانها عظيمة وهي تسمى عندهم أيا صوفيا (عثمانية الهمزة والياء آخر الحروف وألف وصاد مضموم وواو ومدون مكسورة وياء كالاولى وألف) وذكرانها من سعة الصحن ورحبه وعواني حائط سليمان عليه السلام وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يحيط بها كالمدينة وأبوابه ثمانية عشر بابا وللحرم هو محوط عليه بباب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والدي الملك الذي يعرف وهو شبه مشور مستطيل بالرخام وشقته مداة تخرج من الكنيسة لها عمد من رخام مرتفعة بحوز رواق مصنوع من بالرخام المخرج المنقوش أحسن صنعة والانحار مصنوعة عن حيق الباقية ومن باب الكنيسة الى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين وسرح باب هذا المشور ستة خشب كبيرة وبها عن ثلاث خشب يجلس عليها حذاء ذلك الباب وعن يمين الداخل مقاصير وحوانيت أكثرها من الخشب محدث بها مصاحفهم وكتاب دواوينهم وفي وسط هذا المشور ثلاثة خشب بعضها على بعض درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق الخشب يجلس عليه صاحب الصوم وهو يقرأ عليهم وعلى باب هذا المشور سوق العشرين والستة التي ذكرتها وهم معروفون بسوق العشرين والآخر يعرف بالسوق حيث الصاغة والكتب وعلى باب الكنيسة مصاطب يجلس عليها حداثها الذين يقومون طرقها ويوقدون سرجها ويقومون أمرها ولا يجلس أحد أبدا حتى يصلي الصلاة العظمى عندهم التي يزعمون أن المسيح عليه السلام صلاها في العشية التي صلب عليها شمعون عليه السلام وهو على باب الكنيسة مدخول في جملة من صوامعه خوعشية شرع وقد عرصوا عليها جملة ذهب مثلها حتى صارت عليها وعلى الباب مصنع صفائح الفضة والذهب وحلق من الذهب الخالص وذكروا لي أن عدد من هذه الكنيسة من الرهبان والشمامسة يبلغ الى ثلاثة آلاف وان عندهم من دربة الحواريين وان عدد الكنيسة المختصة بالنساء فيها من الابكار المتعففات للعبادة نحو ثلاثمائة من الشمامسة وأكثر من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس يزورون كل يوم صباحا لزيارة هذه الكنيسة ويأتي اليها البطرك مرتين في السنة فوادا كان على مسيرة أربع من اليوم خرج لمحل لقائه ويبرح له وعند دخوله المدينة يمشي بين يديه على قدميه وأتيه صاحب الملك السلام عليه صول مقدمه بالقسطنطينية حتى ينصرف

(ذكر الماستارات بقسطنطينية)

والماستار على مثل لفظ المارستان الا ان تونه متقدمة وراءه مأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين وهذه الماستارات منها اكثر من ماستار عمره الملك حرجيس والملك القسطنطينية وسنذكره وهو بخارج اصطمول مقابل لطلعة ومنها ماستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل اليها وهما في داخل بستان يشقهما نهر ماء واحدهما للرجال والآخر للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة وبدورهما البيوت للمتعبدين والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منهما احباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم ساهم أحد الملوك ومنها ماستاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين وبطيف بهما بيوت واحدهما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك وفي داخل كل ماستار منها دويرة للمتعبد الذي يسدو أكثر هؤلاء الملوك ابن الستين أو السبعين في ماستار وليس المسوح وهي ثياب الشعر وهذه دائما يواظبون على العبادة حتى يموت وهم يجتمعون في بعض هذه الماستارات ويعلمهم ابن رحام والقسيسية وهي كثيرة بهذه المدينة ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك تركوب معي الى ماستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسين نفسا كلهم على المسوح ورؤسهم محلوقة فيها قلانس اللبد ولهم جبب واسعة وعليهم أثر العبادة وقد قعد صبي على مسرير ألهى الاطفال يلعبون لم أسمع قط احسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على مثاله ومعهم قسيسهم الذي قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لي الرومي ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن أنعمهن بخدمة هذه الكنيسة وكذلك الصبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج تلك الكنيسة ودخلت معه أيضا الى كنيسة في بستان فوجدنا بها نحو خمسين نفسا بكرا وأربعة وصبي يقرأ لهن على مسرير وجماعة صبيان معه على مسرير مثل الأول فقال لي الرومي هؤلاء بنات الوزراء والامراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت معه الى كنيسة في أبكار من وجوه أهل البلد والى كنيسة فيها العجائز والنواعس من النساء والى كنيسة فيها الرهبان يكون في الكنيسة منها مائة رجل وأكثر وأقل وأكثر أهل هذه المدينة رهبان ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة وأهل المدينة من جندي وغير وصغير وكبير يجعلون على رؤسهم المصلات الكبار شتاء وصيفا والنساء لهن عمائم كبار

(ذكر الملك المترهب جرجيس)

وهذا الملك ولي الملك لاسنه وانقطع بعبادة وبنى ماستارا كما ذكرنا خارج المدينة على ساحلها وكنت يوما مع الرومي المعين لتركوب معي فرأيت هذا الملك ماشيا على قدميه وعليه المسوح

وعلى

وعلى رأسه وسوة لبدوله لحية بيضا طويلة ووجهه محسن عليه أثر العبادة وخلفه وامامه جماعة من الرهبان بيده عكاز وفي عنقه سبحة فسار الرومي يسأل دليله فقال له هذا والد الملك فسلم عليه الرومي وسأله عني ثم وقف وبعث عني فمشيت اليه فأخذ بيدي وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي فمن هذا الصبي أكنو يعني المسيح أن أصانع البدائي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشيت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى قمامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فخجلت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ بيدي ومشيت معه فسألني عن بيت المقدس ومن فيه من النصارى واطال السؤال ودخلت معه الى جوف الكنيسة التي وصفت آنفا وقام وقرب البابا الاعظم خرجت جماعة من المسيحيين والرهبان للسلام عليه وهو من كبار هم في الرهبنة فلما رآهم أرسل يدي وقال له أريد ان تدخلوا معنا الى الكنيسة فقال لنا ان الله لا يحل لنا ان نطأ من السجود للصليب الاعظم فان هذا من سنته الاوائل ولا يأكل حلاوة وتركه ودخل وحده ولم أره بعدها

(ذكر قاضي القسطنطينية)

ولما فارقنا الملك المترهب المذكور دخلت سوق الكتب فرأيت القاضي قد مال الى أحد اعوانه وسأل الرومي الذي معي فقال له ان من نيابة المسلمين في عادتهم اليه وأحبوه لا يبعث الى أحد أصحابه وهم يسمون القاضي المسلمي كما في فارسية وكما في يدعوك فصعدت اليه الى القبة التي قدم ذكرها فرأيت شيخا حسن الوجه واللحية عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود ومعه نحو عشرين من الكتب كبار فسلم الرومي وسلم أصحابه وقال أنت ضيف الملك ويجب علينا اكرامك وسألني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا تفارقني واتبعني الى داري فما فارقت عنه ولم ألقه بعد

(ذكر الاسطول الذي على القسطنطينية)

وبظهر ان كان في جملة الحاجين من الاندلس اهل دين أيوب ورعيته فاقام معه طلبوا منه الاذن في العود الى بلادهم فأذن لهم وأعدهم عدة اخر فلما بعث معهم من يوصلهم الى بلادهم اميرا يسمى سار وجه الصغير في خمسمائة فارس وبعث معي فاعطى ثلاثمائة دينار من دهم سم وهم يسمونه البرد وليس الشيء الذي لهم عندنا وثمنه ملف من عمل البندقية وهو أحد انواعه وعشرة أثواب من حرير وكتان وصوف وعرس وذلك من عطاء أبيها وأوصت بي سار وحفظها وانصرفت وكانت مدة مقامي عندهم شهرا وستة أيام وسافرنا

صحبة سارو جة فكان يكرمني حتى وصلنا الى آخر بلادهم حيث تركنا اصحابنا وعرباتنا وركبنا العربات ودخلنا البرية ووصل سارو جة معنا الى مدينة ماسلطوق وأقام بها ثلاثا في الضيافة وانصرف الى بلاده وذلك في اشتداد البرد وكنت لبست ثلاث فروات وسروالين احدهما مبطن وفي رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بفرو ثقال وفوقه خف من الرعاني وهو جلد الفرس مبطن بجلد دئب وكنت أتوضأ بالماء الحار بقربة من النار فما تقطر من الماء قصرة الا جمد خيها واذا عدلت وجهي يمص الماء الذي يجمد فاحركها فيسقط منها شبه الثلج والماء الذي يبرد من الانف يجمد على الشارب وكنت لا أستطيع الركوب لاكثرة ما على من الثياب حتى ركبني أصحابي ثم وصلت الى مدينة الحاج ترخان حيث غارة السلطان اوزبك فوجدنا قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسرنا على نهر اتل وعليه من الميرة ثلاث وهي جامدة وهكذا الى احتضاننا قلعة عاصي الجديد وجعلنا في الغد حتى صيرنا فنشرب منه وتجاوزنا الى مدينة السرا (وضبط اسمها بين مهملة وراء مفتوحين وألف) وتعرف بسراركة وهي حضرة السلطان أوزبك ودخلنا على السلطان فسألنا عن كيفية سفرنا وعن ملك الروم وعدته وعماله وأمر باجراء النفقة علينا ونزلنا بمدينة السرا من أحسن المدن منتزهة كثيرة في وسيط من الارض تعشى بالعيون الكثيرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركبت يوما مع بعض كبرائها وعرجنا على بساتينها ومعرفة مقدارها وان نزلنا في طرف منها فركبنا السفن وسرنا في انهارها الى آخرها ثم عدنا في انهار وعدنا نتفرج وأكلنا طعامنا فيها ووصلنا الى المدينة الاخرى المعروفة بسراجوق وهي على نهر اتل وراجعون في نصف يوم وللناس في عمارتها قصد الدور للخراب منها وللبساتين وفيها ثلاثة عشر مسجدا للجمعة أحدها للشافعية وأما الباقي فحنفي ثم ذكر جدا وفيه صوالح من الناس منهم العدل وهم أهل البلاد والسرحيين وبعضهم مسلمون ومنهم ناس وهم مسيحيون ومنهم فرنج وهم كرس والروس وارومي وهم صناع وكل طائفة تسكن محلة على حدتها وأسواقها والتجار والعرفاء من أهل العراقين ومصر والشام وغيرها ساكنون محلة عليها سور واحيطت على أموال التجار وتصب السلطان عليهم ليستخلص طيشون وأحدون (بفتح الحمزة وسكون اللام وضم الدال المهملة وواو ومد وون) ومعناه الدهب وطائر (بفتح الطاء المهملة وشين معجمة) ومعناه الحرير وقاضي هذه الحضرة صدر الدين الاعرج من خيار القضاة وجاءني مرتين اشفاعة عقيه الامام الفاضل صدر الدين سليمان المذكور احد الصدور الذين لقيتهم من اهل الكياسة والتودد وهو من بيت علم في بلاده وهم اولاد الصالح حسام الدين أحد من رأيتهم أكرم منهم وهو جد الامام العالم نعمان الدين الحوارزمي الذي رأيته بها وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم

النفس

الدهس شديد التواضع شديد السطوة على اهل الشام يأتي اليه السلطان أو ربك زائرا في كل جمعة ولا يستقبلونه ولا يقوم الا هو بعد السلطان من بين يديه ويكلمه أضعف كلام ويتواضع له واسمع نصف ذلك وقعد مع الفقراء والمساكين والوارد بن خلاف قعوده مع السلطان فانه يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم وأكرمني جزاه الله خيرا وبعث الى بغلام تركي وشاهدت له بركة

(كرامة)

كنت أردت السفر من السراة الى حوارم وهي على ثلاثة أيام وحيث تسافر فيه عني النفس ووجدت رفقة كثيرة آخذة في السفر فيه فصار أعرفهم بالتفت معهم على السفر في جملتهم وكرت له الاقامة في الطريق لا لشيء من الاقامة فعزمت على السفر وأتى لي علام أبيض بسيم وهذه من الكرامات الظاهرة فيما كان عمر ذلك الغلام ثلاث عشرة سنة أحببت ذلك الغلام الآبق عن مدينة الحاج يحمل بقلة الى حيث سافرت لي الى حوارم وبينها وبين حضرة السراة مسيرة أربعين يوما لانه عرف فيه الخيل لقلة الكلأ وعدم العربات بها الجمال فسرنا من السراة عشرة أيام فوصلنا الى مدينة تسمى الحوة وحوق (ضم الحاء المهملة وواو ساكنة وقاف) ومعنى حوق صغير فكانهم قالوا سراة الصغيرة وهي على شاطئ نهر كبير يعرف له الوصول (ضم الحمزة واللام وواو وضم الصاد المهملة وواو) وبعد الصاد الكبير وعليه جسر من قوارب كجسر بغداد وفي هذه المدينة انتهى سفري بالجمال التي تجر العربات وبعتها بها بحساب أربعة دنانير دراهم للفرس وأول من دخل الحوة صعفها وحضرها هذه المدينة واكترينا الجمال لجر العربات وبهذه المدينة اودع الرجل صاحبي معه من الترك يقال له أطا (فتح الهمزة والطاء المهملة ومعناه الوالد أضاف فيها ودعا لنا وأوصاه بنا أيضا فيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوما سفرا واحدا لا نمر الا على عشرين احداها عند الضحى والاخرى عند المغرب وتكون الاقامة قدر ما يحلبون الدوق ويشربونه وهو يعمل من علبة واحدة وكنت معهم الجميع من اللحم يحملونه عليه ويصنعون عليه اللبن وكل ثلاثة ايام أو يأكل في عربته حال السير وكان لي في عربتي ثلاث من الحواري ومن عادة المسافرين في هذه البرية الاسراع لقلة علفها بها وحمل التي تقتضيها بهذه معطيها وما يفي منه لا يتتبع به الا في سنة أخرى بعد أن يسمن وأما في هذه البرية فتأكل كل معزة بعد الومين والثلاثة وشوماء المطر والحصباء ثم ما صادفت هذه البرية وقطعناها كما ذكرته وصلنا الى حوارم وهي أكبر مدن لازاك وأعمرها وأحلاها وأصحها على الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الغزيرة وهي ترخص بكثرتهم وتموج بهم موج البحر ولقد ركبت بها

يوما وحلت السوق فيها وسطه وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الثور (بفتح الثاء المثلثة وسكون الواو) فاستطعت أن أحور ذلك الموضع لكثرة الازدحام وأردت الرجوع فما أمكنني لكثرة الناس فبقيت متحيرا وبعد جهد شديد رجعت وذكر لي بعض الناس ان تلك السوق يحف زحامها يوم الجمعة لانهم يسمون سوق التيمارية وغيرها من الاسواق فركبت يوم الجمعة وتوجهت الى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة من طاعة السلطان أويزبك وله فيها أمير كبير يسمى قصلو مور وهو الذي عمر هذه المدرسة وسماها من المواضع المضافة وأما المسجد فعمره وسنته الخاتون الست عزيزبك وزاد (بضم التاء المعجمة وفتح الراء وألف وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبحوارزم مارستان له صيت شائع يعرف بالصيوني نسبة الى صيبون من بلاد الشام ولم أر في الاداب أحسن أخلاقا من أهل خوارزم ولا أكرم نفوسا ولا أحسن في الغربا وهم عازمون على الصلاة لم أرهم لغيرهم وهي ان المؤذنين عند حدها يصوف كل واحد منهم على دور حيال مسجده معتما لهم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام عشرا جماعة وفي كل مسجد درة معدة رسم بذلك ويعزم جسة دنانير تنفق في مصالح المسجد أو غيرها للغرباء وأكثر المدرسين هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان وبجارح خوارزم نهر جيحون أحد الانهار الاربعة التي من الجنة وهو يجمد في أوان البرد كما يجمد نهر أتل ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جموده جسة أشهر وربما سلكوا عليه عند أحمد في الدوبان فهلكوا وبما يزرعه في أيام الصيف ما يدرك الى ترمذ ويحملون منه القمح والشعير وهي مسيرة عشر للمحمل وبجارح خوارزم نهر وينسبة على تربة الشيخ نجم الدين الكبرى وكان من كبار الصالحين وبها لقدمام لموارزم والصالحين وشيخها المدرس سيف الدين بن عصبة فمن دار أهل خوارزم وبها أيضا وبتشيخها الصالح المجاور جمال الدين المعمر قدس من كبار الصالحين أصحابها وبجارجها قبر الامام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة وبمحشر قريبة على مسافة أربعة أميال من خوارزم وما أتيت هذه المدينة رأيت بجارجها وتوجه بعض اصحابي الى القاضي الصدر أبي حفص عمر الكبرى فبعث الي تأنيبه بنور الاسلام فسلم علي ثم عاد اليه ثم أتى القاضي في جماعة من أصحابه فسلم علي وهو فتى السن كبير الفعال وله ثلاثة أخوة أحدهما بالاسلام المذكور والآخر برز الدين الكرماني من كبار الفقهاء وهو أشدهم في أحكامه التقوى في دار الامارة حالا وبما حصل الاجتماع بالقاضي قال لي ان هذه المدينة كبيرة الزحام وحولكم نهار الا يأتي وبه أتى اليكم نور الاسلام لتدخلوا معه من أحراميل فتعلموا لله وترتد مدرسة جديدة ليس بها أحد ولما كان بعد صلاة الصبح أتى الينا القاضي المذكور ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا بهاء الدين ومولانا برين الدين

المقدسي

المقدسي ومولانا رضي الدين يحيى ومولانا فضل الله الرسوي ومولانا جلال الدين العمادي ومولانا شمس الدين السنجري امام أميرها وهم أهل مكارم وفضائل والعساكر على مذهبهم الاعتزال لكنهم لا يظهرونه لان السلطان أورنك وأمره على هذه المدينة فضلو مورمن أهل السنة وكنت أيام اقامتي بها أصلي الجمعة مع القاضي أي حضر عمر المذكور بمسجده فاذا فرغت الصلاة ذهبت معه الى داره وهي قريبة من المسجد فاذا حضر معه الى مجلسه وهو من أوسع مجالس فيه عرش الخلافة وحيطانه مكسوة بالملف وفوقه طيلسان حمر وفي كل طرف منها أواني الفضة امتوهة بالذهب والاواني العراقية وكذلك عدة أعمدة تحت السلاطين يصعدون اليها بمراقي ثم يأتي بالطعام الكبير وهو من أشر الوجبة والطعام الكبير والرابع وهو سلف الامير قطلودمور متزوج بأخت امرأته واسمها خنجي أغا وهي مدبرة المدينة حسنة الوجه والمذكرين أكرمهم مولانا بارس الدين المقدسي والخطيب مولانا حسام الدين الشاطبي الخطيب المصقع أحد الخطباء الاربعة الذين اجتمع في المدينة أحسن منهم

(وأمير حوارزم)

هو الامير الكبير قطلودمور وقطلو (بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم اللام) ودمور (بضم الدال المهملة والميم وواو ومدورا) ومعنى اسمه الحديد المبارك لان قطلو هو المبارك ودمور هو الحديد وهذا الامير ابن خالة السلطان المعظم محمد أورنك وأكبر أمرائه وهو واليه على خراسان وولده هرون لما تزوج بابنة السلطان المذكور التي أمها بدكة طيبة على المتقدم ذكرها وامرأة الخاتون براك صاحبة المكارم الشهيرة والمآثر العصي مسماعلى كما ذكرته فان لي ان الامير قد علم قدومك وبه بقية مرض ممنعه من الاتيان اليك فركبت مع القاضي الى زيارته وأتيت داره فدخلنا مشورا كبيرا أكثر سعته خشب ثم دخلنا مشورا صغيرا فيه قبة خشب من خرقة قد كسيت حيطانها بالملف الاوزبكي وسقفها الحرير المذهب والامير على فرش له من الحرير وقد عطى رجليه لما بهما من الحرس وهي عبد حبشية في الدرك فسلمت عليه وأجلسني الى جانبه وقعد القاضي والفقهاء وسألني عن سلطانه المؤيد محمد أوزبك وعن الخاتون بيلون وعن أولادهما وعن مدينة القسطنطينية وعن ملكها ثم أوتي بالموائد فيها الطعام من الدجاج المشوية والكراكي واقراح الحمام وغير ذلك مما يسمونه الكليجا والكعك والحلواتم أوتي بموائد أخرى فيها الواكدس لونه يحسن في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق الذهب وهي عندهم في الرتبة العراقي ومعه ملاعق الخشب ومن العسل والمصبح العجيب ومن عوائد هذا الامير أن الناس في كل يوم اما مشوره يجلس مجلس معدله ومعه القضاة والفقهاء ويجلس في مقابلته أحد الامراء الكبار ومعه

ثمانية من كبراء أمراء الترك وشيوخهم يسمون الارغجية (مرغوجي) ويتحاكم الناس اليهم فما كان من الحصايا الشرعية حكم به القاضي وما كان من سواها حكم فيه وكان الامر وأحكامهم منسوبة عادلة لانهم لا يتهمون بميل ولا يقبلون رشوة ولهم عطايا في المدرسة بعد الخمسين مع الامر بعث اليه الارز والدقيق واللحم والسمن والارز وأجمل الحطب وقلت البلاد كلها لا يعرف بها اللحم وكذلك الهند وخراسان وبلادهم وأما المصريون فيرون فيها تجارة تشتغل فيها لمصالحهم كما تشتغل في الغنم ثم اذا صاروا الى المحموة بالمدوحة وهو والشمس وطبخوا لها نايسة كذلك حتى تتلاشا

(حكاية وكرمة لهذا القاضي والامير)

صليت في يوم أيام الجمع على عادتي عند قاضي أبي حنيفة فقال لي ان الامير أمرك يحضرتك فقلت له وأمر أن يصلي الناس عوضي فقال نعم فحضرها المشايخ والفقهاء وأوجوه فلما أمر بذلك قال لي أيها الامير تسمع عوضاً كل من حضر من القمة أو لتقسيم لو جعلت له جميع المال كان أحسن له مع بعض الفقراء فلما تم الدعاء ثم بعثها الامير محفة امرأة من الدور الاخرى في حرصة فجلها عليه وصرفها فلما ذهب المغربي : ثم أنه ديسار وكنت قد اشتريت في ذلك اليوم فرساً أدهم اربع بخمسة وثلاثين ديسارا دراهم وركبته في رهاني الى المسجد وأعطيت ثمنه الامير ثلاثة آلاف وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت الى عدد لا أذكره حيث ما كنت بكتب به ولم يزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند وكانت عندي خيل كثيرة لكني كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه امام الخيل ويبقى عندي الى انقضاء ثلاثين سنة وما علمت تغيرت حالي وبعثت الى الخاتون جيجا أعلمها أمر أة القاضي مائة دينار دراهم وصنعت لي اختها تراب زوجة الامير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة فراويتها التي يسمونها لعمة للورد والصادر وبعثت الى عروة ثوب وفرس جيد وشيء من فضل الطعام وأصلحوا وأكرمني الله خيرا

(حكاية)

ولما فصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي جارية امرد عليها ثياب دسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نحو عشرة آلاف درهم فسلمت على فردت علي السلام ولم أقف معها وذهبت اليها فلما خرجت أدركني بعض الناس وقال لي ان المرأة التي سلمت عليك في الخاتون تحملت عندك وأردت الرجوع اليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت اليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مني لعدم معرفتي بها

)*

(ذكر بطيخ خوارزم)

وبطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا وغربا الأحمر من بطيخ بخارى ويليه بطيخ اصفهان وقشره أحمر ولبه أحمر وعصارته أحمر وعليه سلالة من الخارف الذي يعقد ويبس في الشمس ويحمل في الاسفار كما يصنع عندنا بالتمر هندي وليس المدلي ويحمل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين وليس في جميع الدنيا كلها بليخة أطيب منه وكنت أيام اقامتي ببلاد الهند دار أوان ابه بشيء منه بعث الى بلدنا يعلم من يحتاج فيه ومن عنده بالطرف العراقية هواكه لبلادهم وبضاعتهم بلاد

(ذكر)

كان قد بعثني من مدينة السرا الى خوارزم شريف من أهل كرمان يسمى علي بن منصور وكان من التجار وكنت أكلمه أن يشتري لي ثيابا وسواد فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير وقول اشتريته بثمانية وخمسة وأعطيه الدنانير من عنده وأنا لا علم لي بفعله الى أن عرفت ذلك على ألسنة التجار وبعد مدة قد سلمني دنانير فلما وصل الى احسان أمير خوارزم ورددت اليه الأسلحة ورأيت أن أحسن عوده الي مكافأته فعاملته بما عامل به حاتم طيئ لا بمن ولا بد أن أحسن في كل ما عمله كما قيل لا أفعل وكان أكرم من ليث العرين وعزم على السير معي الى بلاد المسلمين فاجتمع من جماعة من أهل بلده وصار الى خوارزم رسم الشراب الذين في أحشائهم وقالوا لهم ما سبب قدومكم فقال هؤلاء أهل لدعوة وأريد أن أقضي نذرا كنت نذرته وهو أن سافرت الى أرض الهند أن أسلم بلدا بلغ الى مدينة الملك وهي آخر البلاد التي من عمالة الصور وهي البهرو وكان من أمر الصنم أنه قام بها وبعث في له ما كان عنده من المال وأمر بحمله الى عليه وأن يحمل من بلده بعض التجار ومن معه في فريق واحد وطلب منه الشريف أن يسلمه شيئا فحمل ما يصل فتاده فلم يفعل ثم أكد عليه في عدم التزعة على الشريف أن أراد أن يعطيه في الملك الذي كان له بالعنبر فبلغ ذلك الشريف فعلم منه وعلى يديه فعل ذلك وبعد مدة رمى واتهموا غلاما كان له بقتله فقال لهم لا تقتلوه فقد كنت قد قضيت وقت من يومه فغفر الله له وقد حكى لي عنه أنه أحضر من عند تجار دمشق سبعة آلاف درهم فراصا فاعطاه لك تاجر مدينة جماعة من أرض الشام وعاد الى الملك وكان قد باع ما اشترى من المتاع بالدين واستقال من صاحب الملك ودخل الى البيت وورى عنه فسقط لبيت وأراد أن يحرق

نفسه وكان في أحد أخبر فتذكر صاحبه من الصيارفة فقصده وذكر له القصة فسعفه بما دفعه للتاجر ولما أردت السفر من خوارزم اكتريت حملا واشتريت بخارة وكان عديلي بها عفيف الدين الدوري وركب الحمام بعض الخيل وحملت فيها الاحمال المرد وحملنا البرية التي بين خوارزم وبخارى وهي مسيرة ثمانية عشر يوما لا عمارة بها لا بلدة واحدة فوقعت الاسرة فصرت دهورا وخلع على جلسه وخلع على القاضي أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعي وسرنا أربعة أيام ووصلنا الى مدينة الكات وليس بهذا الطريق عمارة سواها (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون اللام وآخره ثاء مثلثة) وهي صغيرة حسنة نزلنا خارجها على بركة ماء قد جمدت من البرد فكان الصبيان يلعبون فوقها ويتقلبون عليها وسمع بقدومي قاضي الكات ويسمى صدر الشريعة وكنت قد بعثت اليه كتابا من خوارزم فجاء الى مخيمنا مع الصلبة وشيخ المدينة الصالح الفقيه محمود الخوقي فعرض على القاضي الوصول الى أميرة من المدينة فقال له السيخ محمود القادم ينبغي له أن يزار وان كان لك همة فاذهب الى أمير المدينة وأتى به فعلوده وأى الامير بوساعة في أصحابه وحشمه فسلم عليه وكان غرضه تجميل السفر فصلى صلاة الاقامة وصنع دعوة جمع فيها الفقهاء والصوفية وأكرمهم ووقف الشعراء بمدحونه وأعطى كسوة فرسا جيدا وسرنا على الطريق المعروفة بسيباية وفي تلك الصحراء مسيرة ستة أيام ووصلنا بعدها الى بلدة وكيه (وضبط اسمها بفتح الواو وإسكان الباء الموحدة وكاف ونون) وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أنهار وبساتين وهم يحرقون العشر من سنة الى سنة وعندهم فاكهة يسمونها العلو (الآلو) بالعين المهملة وتشديد اللام) فيبسونه ويحملونه الناس الى الهند والصين ويجعل عليه ماء ويشرب ماؤه وهو أيام كونه أخضر حلوى وبالناس بخارة به يسير وصفة وحمية كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام ثم سرنا من وكيه وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملا ووصلنا الى مدينة بخارى التي ينسب اليها الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء النهر حصورين من الاتراك وخرجهم اللعين تكبر التركي حتى ملك العراق فساحدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة لا القليل وأهلها أذلاء وشياطينهم لا تقبل تحوارزم وغيرها الاشرارهم لتعصبهم ودعوى الباطل والبكاء الذي يليس بها اليوم من الناس من يعرف شيأ من العلم ولا من له عندية به

(ذكر ولاية التتر وتحويلهم بخارى وسواها)

كان تنكير حصن حاجبا لأرض الخطا وكان به كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وعلب على بلده وقوى واشتد

شوكته

شوكته واستحصل أمره وغلب على ملك الختا ثم على ملك الصين وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالق وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان ومن وراء النهر له قوة عظيمة وشوكة فهابه الكفار وأحجم عنه ولم يتعرض له على اتساق ان بعث تنكز تجارا بأمتعة الصين وغلمان الشباب الحربية وسراريها الى بلاد أطراز (بضم الهمزة) وهي آخر مملكة جلال الدين فبعث اليه عدة جوار من جملتهن وأسأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب اليه بأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع أعضاءهم ويردهم الى بلادهم لأن الله أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنتهم رأيه ثلاثة وتدبيرا خبيثا مشؤما فعند ذلك تجهز تنكز بعساكره في عساكر لا تحصى كثرة من مسلم وملة الاسلام فلما سمع عامل اطرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر أن أحدهم دخل محله بعض أمراء تنكز في صورة سائل ويجد من يضعه ويرى الى جانب حمل منهم فلم يرعنده دابة ولا أطعمه شيئا فلما أمسى أخرج مصرانا يابسة عنده وبلها بالماء وقعد فرمه وملأها شحما وعقدها وشواها وأكل طعامه وعاد الى اطرار فأخبر عامله بأمرهم وأعلمه ان لا طاقة لاحد منهم بعساكر ملكه جلال الدين فأمنه بسبب الغارة على من كان عنده من العساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكز ودخل مدينة أطرار بالسيف وقتل الرجال وسبى الذراري وأتى جلال الدين بقيته لمحاربته فكانت بينهم وقائع لا يعلم في الاسلام مثلها وآل الامر الى أن قتل تنكز وراء النهر وحرب بخارى وسمرقند وترمذ وغير النهر وهو بر خيجون الى مدينة بلخ كلها ثم الى الباميان (الباميان) فقتل وأوغل في بلاد خراسان وعراق العجم وسار عليه المسلمون في كل وجه وفي وراء النهر وكر عليهم ودخل بالسيف وركبهم بالخيل عن عرضها ثم عن طولها مثل ذلك في ترمذ فخربوها ثم عمرت بعد لكم بيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ وقتل أهل الباميان (الباميان) وشدخهم بالسرج الا صومعة جمعهم وعدا عن أهل بخارى وسمرقند ثم عاد بعد ذلك الى العراق وانتهى أمر التتر حتى دخلوا حضرة الاسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف وبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله

(قال ابن خرداذبه) أخبرنا شيخنا صدر القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزه الله قال سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول نفيت بمكة نور الدين ابن ارحاب من علماء العراق ومعه ابن أخيه فتذاكرا وصنا الحديث فقال لي عمه انتشر بالعراق اربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غير ي وعدد لك وأشار الى ابن أخيه

(رجع) قال ورأيت من بخارى ربعها المعروف بقبة أبا حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين الباخرزي وكان من كبار الاولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث رأيتها

عظيمة لها أوقاف جسيمة تعم منها الوارد والصادر وشيخها من ذريته وهو الحاج السيد يحيى الاخرى وأضافني هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ القراء بالاصوات الحسان ووعظ الواعظ وغنوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة ومرت لنا ليلة بديعة من أنجب الليالي ولقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم من هرات وهو من الصلحاء الفضلاء وزرت بخارى قبر الامام العالم أبي عبد الله البخاري مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضي الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر محمد بن اسماعيل البخاري وقد صنف من الكتب كذا وكذا وكذلك على قبور علماء بخارى أسمائهم وأسماء تصانيفهم وكنت قيدت من ذلك كثيرا وضاع مني في جملة ما ضاع لي لما سلبني كفار الهند في البحر ثم سافرنا من بخارى قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طرمشيرين وسمعت كره فورنا على بخارى البلدة التي ينسب اليها الشيخ أبو تراب النخشبي وهي صغيرة تخصها البساتين والمياه تدخل بخارحها نهار لامير هاوكان عندي جارية قد ولدت الولد وكنت أردت حملها الى سمرقند لتلد بها فلما كانت في المحمل وضع المحمل على الجمل وسافر أصحابنا ومن معهم وأقمت أنا حتى أرحل بأرامغ بمن معي فسدكوا طريقا وسلكت طريقا سواها وصلينا عشية النهار الى محلة السلامي المذكور وقد جعفر لنا علي بعد من السوق واشترى بعض أصحابنا ما سد به وعاء وأعار بعض التجار حمله فبتنا تلك الليلة وبقي أصحابنا من العدي البحث عن الجمال وباقي الاصحاب ووجدوهم عشيا وحملوا بهم وكان السلطان غائبا عن المحلة في الصيد فاجتمعت نائبه الامير بقطاي أرلي قرب مسجده وأعطاني خرقة (حركاه) وهي شبيه الخام وقد كرمني بها وقد تقدم لي قبل ذلك الخرقة الخارية في تلك الخرقة فولدت تلك الليلة مولودا وأخبروني انه ولد ذكر ولم أكن علمت بذلك بعد العهدة أشعر بعض الاصحاب ان المولود ست جاء صحبت الجواري وسألوني فأخبرتهم بذلك وكانت هذه البنت مولودتي في ظلع سعد فرأيت كل ما يسرني ويرضيني عند ولادتها وتوفيت عند وصولي الى الهند بشهرين وسيذكر ذلك واجتمعت بسيدي المحلة بالشيخ الفقيه العالم مولانا حسام الدين اليماني (بالياء آخر الحروف وبالعين المهملة) ومعناه بالتركية السائر وهو من أهل أطرار وبالشيخ حسن صهر السلطان

(ذكر سلطان ماوراء النهر)

وهو السلطان المعظم علاء الدين طرمشيرين (وضبط اسمه بفتح الصاد المهملة وسكون الراء وفتح الميم وكسر الشين المعجم وياء ساكنة وراء مكسورة وياء مثناة تحتية ونون) وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر صحيح المملكة شديد القوة تحت الحكم وبلاده متوسطة بين أربعة من ملوك

الدنيا

الدسا الكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق والملك أوزبك وكلهم يهادونه ويعظمونه ويكرمونه وولى الملك بعد أخيه الحكمى (وضبط اسمه بضم الحاء المعقودة والكاف والطاء المهملة وسكون الياء) وكان الحكمى هذا كافرا وولى بعد أخيه الاكبر كبك وكان كبك هذا كافرا أيضا لكنه كان عادلا محكما منصفا للمسلمين يكرم المسلمين ويعظمهم

(حكاية)

يذكر أن هذا الملك كبك تكلم يوما مع الفقيه الواعظ المذكر بدر الدين البيدانى فقال له انت تقول ان الله ذكر كل شئ فى كتابه العزيز قل نعم فقال أين اسمى فيه فقال هو فى قوله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك وأعجبه ذلك وقال يحشى ومعناه بالتركية جيد فأكرمه اكراما كثيرا وزاد فى تعظيم المسلمين

(حكاية)

ومن أحكام كبك ما ذكر أن امرأة شكت له يا أحد الامراء وذكرت انها فقيرة وان أولاد وكان لها لبن تقوتهم بثمنه واغتصبه ذلك الامير وشربه فقال لها أبو وسطه قومى حرج اللبن من جوفه معدى لسبير والا وسطتك عند ولادة المرأة تحدثه ولا أخلصه بشئ فأمر به فوسط فخرج اللبن من دبره ولما ذكر السلطان طرمشيرين ولد أقت بالمحبة وهم يسمونها الاردو أيام دهبت يوما لصلاة الجمعة بالمسجد على عادتى فلما صليت ذكرلى بعض الناس ان السلطان بالمسجد فلما قام عن مصلاه تقدمت للسلام عليه وقام الشيخ حسن والفقيه حسام الدين الرازى وأعلمه بحالى وقدومى منذ أيام فقال لى بالتركية خش مسن يحشى مسن قصاو أوسس ومعناه خش ميسن فى عربيتك ومعناه يحشى ميسن جيد أنت ومعنى مطلوا يوس مبارك قدومك وكان عليه فى ذلك الحين قباقندسى أحمر وعلى رأسه شاشية مذهبة ثم انصرف الى مجلسه فجاء الناس يتعرضون له بالشكايات فيفصل لكل مشتك منهم صغيرا أو كبيرا ذكرا أو أنثى ثم بعث على فوصلت اليه وهو فى خرقة والناس خارجها ميمنة وميسرة والامراء منهم على الكراسى وأصحابهم وقوف على رؤسهم وبين أيديهم وسائر الجند قد جلسوا صفوفا وامام كل واحد منهم سلاحه وهم أهل النوبة يقعدون هناك الى العصر ويأتى آخرون فيقعدون الى آخر الليل وقد صنعت هناك سقاية من ثياب القطن كونون بها ولما دخلت الى المنبسط احرا الخرقة وجدته جالسا على كرسى شبه المنبر مكسو بالحرير المزركش بالذهب وداخل الخرقة ملبس ثياب الحرير المذهب والتاج المرصع بالجوهر واليواقيت معلق فوق رأس السلطان بينه وبين رأسه قدر ذراع والامراء الكبار على الكراسى عن يمينه ويساره وأولاد الملوك بأيديهم المذاب بين يديه وعند باب الخرقة النائب والوزير

والحاجب وصاحب العلامة وهم يسمون آل طمغى وآل (بفتح الهمزة) معناه الاحمر وطمغى (بفتح الطاء المهملة وسكون الميم والغين المعجمة المفتوحة) ومعناه العلامة وقام اى أرتفعتهم حين دخولى ودخلوا معى فسلمت عليه وسألنى وصاحب العلامة يترجم بينى وبينه عن مكة والمدينة والقدس شرفه الله وعن مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملكهما وبلاد الاعاجم ثم أذن المؤذن ما جهرة نصرفنا وكان يحضر معه الصلوات وذلك أيام البرد الشديد الهبوب فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء فى الجماعة ويقعد للذكر بالبركية بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس ويأتى اليه كل من فى المسجد فيمسحه ويشد يده على يده وكذلك يفعلون فى صلاة العصر وكان الأوهيه من ريب او تمر والتمر عزيز عندهم وهم يتبركون به يعطى منه يده لكل من فى المسجد

* (حكاية) *

ومن فضائل هذا الشيخ انه حضرت صلاة العصر يوما ولم يحضر السلطان فجاء أحد خدامه إلى محرابه ووضع سجادته بالمحراب حيث جرت عادة السلطان يصلى وقال للامام حسام الدين البيمى ان مولانا يريد ان ينتظره الى الصلاة فنيلا فلم يتوضأ فقام الامام المذكور وقال عمار ومعناه الصلاة يرحمك الله واورأى طرمشيرين اى الصلاة الله اوالطر مشيرين ثم أمر المؤذن باقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى منهار كعتان فصلى الركعتين الآخرتين حيث انتهى به القيام وذلك فى الموضع الذى تكون فيه أهله الناس عند باب المسجد وقضى صلاته وقام الى الامام ليصافحه وهو يصلى وجلس قبالة المحراب والشيخ الامام الى جنبه وأتى الى جانب الامام فقال لى أداء شيت الى بدرك فجذب ان فقيرا من فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان التراك وكان هذا الشيخ يعظ الناس فى كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبكى وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيأ ولم يأكل قط من طعامه ولا يلبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيرا ما أرى عليه ما قميص مبدد اما القطن بحشوانه وقميص ممزق وعمر رأسه قلنسوة لبد يساوى مثلها قيراطا اولا عمامة عليه فمكثت له فى بعض الايام بعيدى هذا فما الذى أنت لابسه انه ليس بجيد فقال لى يا ولدى ليس هذا الفقر لى وانما هو لاستتر فرغبت منه ان يأخذ بعض ثيابى فقال لى عاشت الله منذ خمسين سنة ان لا أقبل من أحد شيأ ولو كنت أقبل من أحد لقبلت منك ولما عزمت على السفر بعد مقامى عند هذا السلطان أربعة وخمسين يوما أعطى السلطان سبعمائة دينار دراهم وفروة سمور قيمتها ثلثمائة دينار طلبها منه لاجل البرد يذكر تمام أحد أكامى وجعل يقبلها بيده ويضعها على رأسه وقبل لاجل حلقى وأعطانى فرسين وجملين ولما أردت

وداعه أدركه في أثناء طريقه إلى متصيده وكان اليوم شديد البرد جدا فوالله ما قدرت على
ان أنطق بكلمة لشدة البرد فعلم ذلك وصحت وأعطاني يده وانصرف وبعد سنتين من
وصولي إلى أرض الهند بلغني الخبر بأن الملك أمر قومه وأمرائه اجتمعوا أقصى بلاده المجاورة
للصين وهنالك معدن عظيم عندهم يسمى عملة ويدورون أعلى وكل من كان من أبناء الملوك
فهم يسمونه أعلو (بضم الهمزة وسكون العين المهملة وكسر اللام وواو ورا) (بضم الباء الموحدة
وضم الراي) وكان سبب ذلك ان قاضي الدين سنى باسمه وصف بعضهم له وحذرهم لانه مشير بن
ان طرمشيرين خالف أحكام جدهم تسكين المعبر الذي حرف بلاد الاسلام وقد تقدم ذكره
وكان تنكيز ألف كتابا في أحكامه يسمى عندهم اليساق (بفتح الياء آخر الحروف والسين
المهملة وآخره قاف) وعندهم ان من خالف أحكامه هذا الكتاب خلعه وأخذ ومن جملة
أحكامه انهم يجتمعون يوما في السنة يسمونه القوى ومعناه يوم الصيافة ويأتي أولا تسكتر
والامراء من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الاحفاد ان كان لملكهم قد غير
شيأ من تلك الاحكام يقوم اليه كبار قومه ويضربونه عشرة عشرة وعشرين عشرين وهلم كذا وقد
وجب حلفك ويأخذون يده ويضعونه على رأسه ويعدون عده من أسماء تنكيز وان
كان أحد الامراء الكبار أساء في بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان البلاد بين طرمشيرين
قد أصل حكم هذا اليوم ومحى رسمه فذكروه عند ذلك الانكار وذكروا عليه أيضا كونه
أقام أربع سنين في بلاد ولم يقسم الى اخوته اتى يوالي الصين والعادة ان
الملك يقصد تلك الجهة في كل سنة فتحته أحوالها وحال بعده الآن أصبح ملكهم منها وداره
الملك هي مدينة الملق فلما بلغوا تورا أتى في عسكر عظيم وخالف طرمشيرين عن نفسه من
أمر الله ولم يأتهم فركب في جمعة عشر فارسا يريد بلاد عمه وهي من عملكته ووالي بها كبير
أمر الله وصاحب سره دين نصيبه وهذا الامر محب في الاسلام والمسلمين قد عمر في مملكته نحو
أربعين زاوية فيها الدعاء للوارد والصادر وتحت يده العساكر العديمة وهم أرفق من رأيته من
الآدميين بجميع بلاد الله وأعظمهم خلقه مع عمر بهر حيحون وقصد طريق بخارى (بخاء معجمة
الاتراك من اصحاب بيتي ان أخيه كبك وكان السلطان طرمشيرين اذ كور فلما كبك
اذ كور وبقي ابنه بيتي بيخ فمن أخبار الركبي تحدث معه عن الامر حدث عليه فركب
في أعماله وقبض عليه وسجنه ووصل تورا ان ابنه دوا بخارى فبايعه الناس وجاءه
بيتي بطرمشيرين فيد كرا لما وصل ا [illegible] وعمره [illegible] وهلم جرا وقدم
برايته الشيخ شمس الدين كردي يريد اوجين (بضم الهمزة وكسر الجيم وياء ساكنة معجمة
وراء مكسورة ودال مهملة مفتوحة ونون) ومعناه معتق ويريد (بضم الباء الموحدة وكسر الراء

و ياءمدود ال مهمل) معناه المقطوع وسمي بذلك لضربة كانت في عنقه وقد رأيته بمرض الهند ويقع ذكره فيما بعد ولما مات ابن عم أبي السلطان ظرمشيرين وهو نشاي أعني (أغلي) وأخته وروحها فيروز وصل الهند فعظمهم وأنزلهم منزلة عالية بسبب ما كان بينه وبين ظرمشيرين من الود والمكاتبة والمهاداة وكان يحدثه بالاح ثم بعد ذلك أتى رحل من أرض السند وادعى انه هو ظرمشيرين وأحداث الناس فيه فسمع بذلك عماد الملك سرتير غلام ملك الهند ووالي بلاد السند وسمي ملك عرض وهو الذي تعرض بين يديه عساكر الهند واليه أمرها ومعزه علتان فاعتمد السند فبعث اليه بعض الأمراء العارفين به فعادوا اليه وأخبروه انه هو ظرمشيرين حقا فأمر له بالسراحة وهي اقراح فضرب خارج المدينة ورتب له ما يرتب لمثله وخرج لاستقباله وترحل له وسلم عليه وأتى في خدمته الى السراحة فدخلها راكبا كعادة الملوك ولم يشك أحد انه هو وبعث الى ملك الهند يخبره وبعث اليه الامراء يستقبلونه بالصيافات وكان في خدمة ملك الهند حكيم ممن خدم ظرمشيرين في تقدم وهو كبير الحكماء بالهند فقال لملك انا أشبه انه وأعرف حقيقة أمره فاني كنت تلميذه ولازمته ركنته وبقي أشهر وبه أعرفه فاني اليه الملك الحكيم واستقبل مع الامراء ودخل عليه ولازمه لسابقته عنده واحتفل بزيارته وكشف عن الاثر في قدمه وقال له ترى ان تنظر الى الدمل الذي عالجته هذا هو ذا وارني أثره فحقق انه هو وعاد الى ملك الهند فأخبره بذلك ثم ان أمير رحواحه جهان أحمد بن اياس وكبير الامراء بلوخان معلم السلطان أيام صغره دخلا على ملك الهند وقالا له يا سيدنا عالم هذا السلطان ظرمشيرين قد وصل وصحبه هو وهاهو من قومه نحو أربعين الفا وولده وصهره فرأيت ان اجتمعوا عليه ما يكون من الغم فوقع هذا الكلام موقع عظيم وأمر أن يؤتى بظرمشيرين محتفلا فحضر عليه أمره بملحمة كثيرة الوارين ولم يعلم ولا له السلطان بما دبر فكان وهي شتمه صحة كيف يكذب وتقول انك ظرمشيرين وظرمشيرين قد قتل وهذا اعلم ترتته عندي والله لولا المعرفة بصدقك ولكن اعطوه خمسة آلاف دينار وادفعوه الى دار نشاي أعني واحتفلوا ولدي ظرمشيرين وقولوا لهم ان هذا الكاذب يزعم انه والدكم فدخل عليهم فعرفوه وبانت عندهم والخراس يحرسونه وأخرج بالعدة وخافوا أن يهدكوا امره فاكرموه وبقي عن بلاد الهند والسند فسلك طريق كنبي ومكران واهل البلاد يكرمونه ويضيفونه ويهادونه ووصل الى شيراز فاكرمه سلطانها ابو اسحاق وأجرى له كفايته ولما دخلت عند وصولي من الهند الى مدينة شيراز ذكر لي انه باق بها واردت لقاءه ولم أفعل لانه كان في دار لا يدخل له احد لا بادن من السلطان ابي اسحاق فخفت مما يتوقع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه

(رجع

(رجع الحديث الى بورن) وقد اشتد الحاح ضيق على المسلمين وظلم الرعية واباح للنصارى واليهود عماره كنائسهم فصنع المسلمون من ذلك وتربصوا الدوائر واتصل خبره بخليل بن السلطان اليدور المهزوم على حراسان فقصد هراب وهو السلطان حسين ابن السلطان غياث لدين الغوري وعلمه ما كان في نفسه وسأل منه الاعانة بعساكر والمال على ان يشد طرد الملك اذا استقام له فبعث معه الملك حسين عسكرا عظيما وبين هرات والترمذ تسعة أيام فلما سمع امراء السلطان بقدوم خليل تلقوه بالسمع والطاعة والرغبة في جهاد العدو وكان اول قائم عليه علاء الملك حداوبنداده صاحب ترمذ وهو أمير كبير شريف حسيني النسب فانضاف اربعة آلاف من المسلمين فسار به ولقاه بورن وهو من اعماله وكان من الابطال وجاء الامراء من كل ناحية واجتمعوا على خليل والتقى مع بورن فكسب العساكر الى خليل وأسلموا بورن وأتوا به أسيرا فقتله خليل بيده انتقاما وتلك عادة لهم أنهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك الا صبرا واستقدم الملك خليل وعرض عساكره فسار قندق كبار امراء التركمان عليهم وعلى جميعهم الدروع فصرف العسكر الذي جاء به من هرات وقصد بلاد المالق فتقدم التتر على أنفسهم واحد اسمهم ولمود على مسيرة يومين من المالق بقرية من اطراز (طراز) وهي القتال وصبر الفريقان فحمل لامير حمداو بن براده وبرد في عشرين الفا من المسلمين حملة لم تثبت لها فانهزموا واشتد فيهم القتل وأثخن خليل بالمالق ثلاثا وخرج الى استقبال من بقي من التتر وقاد عساكره بنفسه وجاء الى تخوم الخطا والصين ودخل مدينة قراقورم ومدينة بش بالغ وبعث اليه سلطان الخطا بالعساكر ثم وقع بينهم الصلح وعقد أمر خليل وهابه الملوك وأظهر العدل ورتب العساكر بالمالق وتركهم وزيره حمداو بن براده وانصرف الى سمرقند وتجاري ثم ان التتر أرادوا الغدر به فعلموا الى خليل بن براده بذلك فكر راجعا وهو يريد الثورة وعمل انه أحق بالملك لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وصحبه فبعث واليا الى المالق عوضه عنه وأمره ان يقدم عليه في عشرين من الجند فما قدم عليه قتله عند وصوله من غير تثبت فكان ذلك سبب خراب مملكته وكان خليل لما عزم أمره على صاحب هراب الذي ورثه الملك وجيوشه بالعساكر والمال فكتب اليه أن يخلص في بلاده اسمه ويعتبر الدنانير والدراهم على سكته فغاظ ذلك الملك حسينا وأنف منه وأجابه بأقبح جواب فظهر خليل لقتاله فلم يوافقه عساكر الاسلام ورأوه عيانا عليه وبعث حينئذ الى الملك حسين خبر انعساكر معاس عمه ملك بورن والتقى الجمعان فانهزم خليل وأوقع به الملك حسين اسرا فمن عليه بالعفو وجعله في دار وأعطاه جارية واجرى عليه النفقة وعلى هذا الحال تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجي من الهند ولم تعد الى ما كان بسببه ولما ودعت السلطان طرمشيرين

سافرت الى مدينة سمرقند وهي من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جد الامدينة على شاطئ واد يعرف بوادي القصارين عليه اثنا عشر تنتي ابسابين وعدد يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والتمرح ولهم عليه مساطب ومحال يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات وكانت على شطه قصور وعصمة وعمارة تنبي عن علوهم وغلبهم قد ثرأ كثر ذلك وكذلك المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليه وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند لهم مكارم اخلاق وحشمة في العرب وهم خير من أهل بخارى وبخارى سمرقند قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن آله وهو المشهد حسن فخم ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته والتبرك بأنوار له المذور العجيبة ويأتون اليه بالنذور والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة عظيمة على أربع أرجل ومع كل رجل سارية تان من الرخام منها الخضر والسود والبيض والحمر وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرصاص وعلى القبر حشب الابنوس المرصع مكسو لاركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وفرش القبة بالصوف والقصب وخارجها نهر كبير شرقي الزاوية التي هناك وعلى حافتيه الاشجار وراء النهر مقابر المسلمين وبالزاوية مساكن لسكنها الوارد والصادر ولم يغير اسم أيام كفرهم شيء من حال هذا الموضع لمبارك بن كانوا يتبركون به لمبارون له من الآيات وكان الناظر في كل حال هذا الضريح المبارك ومتوليه حسين رولاته الامير غياث الدين محمد بن عبد العزيز بن عبد العزيز بن يوسف بن الخليفة المستنصر بالله العباسي قدمه لذلك السلطان محمد بن تكش لما قدم عليه من العراق وهو الآن عند ملك الهند وسيأتي ذكره ولقيت بسمرقند شيخها المسمى عندهم صدر الجهان وهو من الصلحاء ذوي المكارم وسافر الى بلاد الهند بعد سفري اليها وأدركته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند

(حكاية)

لما مات هذا الشيخ في ملتان كتب صاحب الهند بأمر والي ملك الهند وانه قدم برسم بابه فاحترم دون ذلك فطالع الخبر الى الملك امر أن يبعث الى أولاده عدده من آلاف الدنانير لا اذكره الآن وأمر أن يعطى لاصحابه ما كان يعطى لهم لو وصل معه وهو بقيد الحياة ولملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له كل ما يجري في ذلك البلد من الامور ومن يرد عليه من الواردين والى أتى الوارد كتبوا من اي البلاد ورد وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخدامه وهيئته من الملبوس وما يأكل وجميع شئونه وتصرفاته وما يظهر منه من

فضيلة

قصبة أوصدها فلا يصل الوارد الى الماء الا وهو عارف بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجتزنا بمدينة نسف وهي البلد التي منها أبو حفص عمر النسفي مؤلف كتاب المعصومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الاربعة رضي الله عنهم ثم وصلنا الى مدينة ترمذ التي ينسب اليها الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والاسواق تحتفها الانهار وبها البساتين الكثيرة والعنب والسفرجل بها كثير متناهي الطيب واللحوم بها كثيرة وكذلك الالبان وأهلها يعسلون رؤسهم في الحمام بالتين عوضا عن الطين وكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوءة بالعسل فاذا دخل الرجل الحمام أخذ منها في اناء صغير فعسل رأسه وهو رطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجعلون في رؤسهم ريت السمسم ويسودونه الشباب ويعسلون الشعر بعده والطفل فيعم الجسم ويصقل الشعر ويطيبه وبدلالات على اهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ الحديثة مبنية على شاطئ جيحون والماء جار كبير بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر وكان بر والمها زاوية الشيخ الصالح عمر بن كبار المشايخ وكرامتهم كثيرة المنال والرباع والبساتين يسوق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي الى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك حفيد ومدراه وكتب لي البراءة لصيافة فكانت تحمل الي أيام مقامنا بها في كل يوم ولقيت أيضا فاضيها قوام الدين وشوهد متوجها لرؤية السلطان ظهر مشيرين وطالب للاذن له في السفر الى بلاد الهند وسيأتي ذكر لقائه له بعد ذلك ولاخويه ضياء الدين وبرهان الدين علتان وسفرنا جميعا الى الهند وسيأتي ذكر أخويه الآخرين عماد الدين وسيف الدين ولقائي لهما بحضرة ملك الهند وذكر وفديه وقدومهما على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما بنتي الوزير خواجه جهان وما جرى في ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم أخرنا سفر جيحون الى بلاد خراسان وسرنا بعد اقامتنا بترمذ وأجرة الواحد يوما ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الى مدينة بلخ وهي حاوية على عروشها غير عامرة ومن رآها طلها عامرة لاتقان بنائها وكانت بحصنة مسيجة ومساجدها ومدارسها قائمة الرسوم حتى الآن ونقوش مبانيه مدخرة وصيغة الآبار ورد والناس يشربون للآن ورد الى خراسان وانما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب اليها الياقوت البدخشي والعامة يقولون البلخش وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى وخرب هذه المدينة تتكبير المغول وهدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه وهو من احسن مساجد الدنيا وأفسحها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه ومسجد بلخ أجل منه في سوى ذلك

(حكاية)

ذكر في بعض أهل السير بحان مسجد بنشه امرأة كان زوجها أميرا يسمى العباس يسمى داود بن علي فاتفق ان الخليفة غضب مرة على أهل بلخ فبعث أحد أولاده لهم من يغرمهم مغرما فاما بلغ الى بلخ بنى قصرا وضيافها الى بيت المرأة التي بنت المسجد وهي زوج أميرهم وشكوا لها لهم وما حكم به عليهم من هذا المغرم فبعثت الى الامير الذي قدم برسم تعزيتهم بثوب لها مرصع بالجوهر مع أكثر ما أمر بتعزيته فقال له اذهب بهذا الثوب الى الخليفة فقد أعفيتك صدقة عن أهل بلخ لضعف حالهم فذهب به الى الخليفة والقى الثوب بين يديه وقص عليه القصة فحمل الخليفة وقال أكون المرأة أكرم منا وأمر برفع المغرم عن أهل بلخ والعودة اليهم بالمرأة بثوبها وأسعد عن أهل بلخ خراج سنة فعاد الامير الى بلخ وأتى منزل المرأة وقص عليها ما له الخليفة ورد عليها الثوب وقال له أوقع بصر الخليفة على هذا الثوب وقال لم وقالت لا البس ثوبا وقع عليه بصر غير بصر محرم مني وأمرت بهدمه فبنى منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلته مبني بالكدان وهو باق حتى الآن وقص من الثوب مقدار شبر وذكر انها أمرت بعد ذلك بهدم سواري المسجد ليكون هذا المقدار شبرا ان اجتمع اليها خراجه فأخبرت بكثرة نفقة هدم سواري المسجد فهدم منها نحو الثلث ولم يحدث شيء أزال الباقي على حاله وخارج بلخ نهر يسمى كرانه نهر عكاشة من محمص الاسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى حساب الاسدي حمل الصدقة وعلى هذا الزاوية معظمة بها كان يزورها ويصلي بها ركعتين بحجرة بحجرة عليها نخلة يزل الواردون في الصيف تحت ظلها وشرع هذه الزاوية يعرف بالحاج جرد وهو الصعود من النهر صلاة وركب معها وأراد مرارا ان هذه المدينة بها قبر حزبين الى عليه السلام وعليه قبة حسنة وزيارة أيضا قبورا كثيرة من ذرية الصالحين لا أذكرهم الآن وقصاعة دار ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه وهي دار محدثة بالصخر الابيض الذي يشبه الكدان وكان زرع الزاوية معسرا بها وقد سدت عليه فلم يدخلها وهي على نهر بلخ من المسجد الجامع ثم سافر بنا من مدينة بلخ فسرنا في جبال قوماستان (قوماستان) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة بها المياه الجارية والاشجار المورقة وأكثرها شجر التين وبها رمان كثير وبها الصالحون المتقربون الى الله تعالى وبعد ذلك كان وصولنا الى مدينة هرات وهي أكبر المدن العامرة بخراسان ومدن خراسان العظمة أربع نيسابور عامرتان وهما هرات وبلخ سابور وثمان خرتان وهي بلخ وهي ومدينة هرات كبيرة عصمة كثيرة العمار ولاهلها اصلاح وعفاف ودينة وهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وبلدهم طاهر من الفساد

*

(ذكر سلطان هرات)

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري صاحب الشجاعة المأثورة والتأييد والسعادة ظهر امره من ابتداء امره تعالى وتأييده في موطنين اثنين ما يقضي منه العجب أحدهما عند ملاقاة جيشه للسلطان حسين الذي بغى عليه وكان منتهى امره حصوله أسيرا في يد والموطن الثاني عند ملاقاته نفسه لسعود سلجوق الرافضة وكان منتهى أمره تبديده وفراره دون هراب ملكه وولي السلطان حسين الملك بعد أخيه المعروف الخ فظ وولي أخوه بعد أبيه غياث الدين

(حكاية الرافضة)

كان بخراسان رجلان أحدهما يسمى مسعودا والآخر يسمى محمدا وكان لهما جماعة من الاصحاب وهم من الاتراك ويعرفون بالعراق بالشطار ويعرفون بخراسان بسرداران (سربداران) ويعرفون بالمغرب بالصعاليك فاتفق سعيهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الاموال وشاع خبرهم وكثروا حتى لم يبق بمدينة من مدينة بيهق وتسمى اليوم مدينة سبزوار (سبزوار) وكانوا يكمنون بالليل ويجرون بالليل والعشي فيغيرون على القرى ويقطعون الطرق ويأخذون الاموال واستولى عليهم أشياعهم من أهل الشر والفساد فكثر عددهم واشتدت شوكتهم وغلبهم الناس وصاروا على مدينة بيهق فحكموها ثم ملكوا سواها من المدن وانتهبوا الاموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمى مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرون عن مواليهم اليه فكل عبد فر منهم يعطيه الفرس والمال وان ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فوطم جيشه واستقل أمره وتمذهب جميعهم بمذهب الرفض وطمعوا الى استيصال أهل السنة بخراسان وان يجعلوها كلها واحدة رافضية وكان يشهد طوس شيء من الرافضة يسمى بحسن وهو عندهم من الصلحاء فوافقهم على ذلك وسموه بالخليفة وامرهم بالعدل فاظهروه حتى كان الدراهم والدنانير تنفق في معسكرهم فزيلنقطوا أحدا حتى يأتي بها فيأخذها وعلوا على نيسابور وبعث اليهم السلطان طغيتمور بالعساكر فهزموه ثم بعث اليهم نائبه أرغون شاه فهزموه وأسروه ومنوا عليه ثم غزاهم طغيتمور بنفسه في جيش لجب فانهزم لتتر فهزموه وملكوا البلاد وتغلبوا على سرخس والزاوه وطوس وهي من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خليفتهم شهدا على موسى الرضي وتغلبوا على مدينة الجام وبرنوا بحارجها وهم قاصدون مدينة هرات وبينها وبينهم مسيرة ست ليال بلغ ذلك الملك حسين جمع الامراء والعساكر وأهل المدينة واستشارهم هل يقيمون حتى يأتي القوم أو يمضون اليهم فيحاربونهم فوقع اجماعهم على الخروج اليهم وهم قبيلة واحدة يسمون الغورية ويقال انهم منسوبون

الى غور الشام وان أصلهم منه فتحوروا وأحمون واجتمعوا من اطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى والصحراء مرغيس (بن عيس) وهي مسيرة أربعة لا يزال عشبها أخضر ترعى منه ماشيتهم وحيلهم وأكثر شغلهم السوق ومنها يحمل الى أرض العراق وعضدهم اهل مدينة سمان وفد رواجميعا الى الرافضة وهم مائة وعشرون الفا ما بين رحالة وفرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفا من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وصبر الفريقان معا ثم كانت الدائرة على الرافضة وهزمت وسلطانهم مسعود وثبت حليفتهم حسين في عشرين ألفا حتى قتل وقتل اكثرهم واسر منهم نحو أربعة آلاف وذكر لي بعض من حضر هذه الوقيعة ان ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى وأتي بالطعام فكان هو وكبراء اصحابه يأكلون وسائرهم يضربون باعناق الاسرى وعاد الى حضرته بعد هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه وأطفأ نار البدعة وكانت هذه الوقيعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين وثلثمائة بين من الزهد والصلاح الصلاء واسمه نصر الدين مولانا وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون الى قوله وكان يعظهم ويذكرهم وواقفه معه على تغيير المنكر وتعاقد معهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بملك وزير وهو أبو عم الملك حسين وهو تزوج بزوجة والده وهي من أحسن الناس صورة وسيرة والملك يحافظ على عمه ويسدد كرجه وكانوا متى عصوا بمنكر ولو كان عند الملك غيروه

(حكاية)

ذكر لي انهم تعرفوا يوما ان بدار الملك حسين منكرا فاجتمعوا للتغيير وتحصن منهم بداخل داره فاجتمعوا على الباب في سنة آلاف رجل فخاف منهم فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فأقاموا عليه الحد بداخل قصره وانصرفوا عنه

(حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور)

كانت الاتراك المجاورون لمدينة هرات لما كانوا بصحراء وملكهم طغيتور الذي مر ذكره وهم نحو خمسين ألفا يجافيهم الملك حسين ويهدي لهم الهدايا في كل سنة ويداريهم وذلك قبل هزيمته للرافضة وأما بعد هزيمته لهم فتغلب عليهم ومن عاداهؤلاء الاتراك الترداد الى مدينة هرات وربما شربوا الخمر وأتوا بعض ما يغضبهم وهو سكران فكان نظام الدين يحدهم منهم سكارى وهؤلاء الاتراك اهل جلدة وباس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون وربما سبوا بعض المسلمات اللاتي يكن بأرض الهند بين الكفار فاذا رجعوا بهن الى خراسان يطلق نظام الدين المسلمات من أيدي الترك وعلامة الاسرة المسلمات بأرض

الهند

الهند ترك ثقب الادن والكافرات أدابهن مثقوبات فاتفق مرة ان أمير امن أمراء الترك يسمى تمور الطى سبى امرأة وكانت فى يدها اكلة شديدة فحركت اصبعها فانتزعها الفقيه من يده فباع ذلك من التركى مبلغا عظيما وركب فى آلاف من أصحابه وأغار على خيل هرات وهى فى مرعاها بصحراء مرغيس (بدغيس) واحتملوا ما قدروا عليه وتركوا الاهل هرات ما يركبون ولا ما يحلبون وصعدوا بها الى حصن هناك لا يقدر عليهم فيه ولا يحد السلطان ولا جنده حيلا يبعثونهم بها فبعث اليهم رسولا يعاتبهم فرد أحدهم من المماشية والخيل ويذكرهم العهد الذى بينهم فأجابوا بأنهم لا يردون ذلك حتى يكتب امان الفقيه نظام الدين فعاد السلطان لاسبيل الى هذا وكان الشيخ أبو أحمد ابن الشيخ حميد الشيخ مودود الجشتى له بخراسان شأن عظيم وقبول معتبر لديهم فركب فى جماعة جيل من أصحابه ومريديه فلما رأى أبا أحمد الفقيه نظام الدين مشى الى الترك ليرضوا بذلك ثم أرادوه فكان الناس مالوا الى قوله ورأى الفقيه نظام الدين بقاءهم على ذلك فركب مع الشيخ أبى أحمد ووصل الى الترك فقام اليه الامير تمور الطى وقال له أنت أحدثت امرأتى هذه وضرب يده ليوسعه كسرا فاغمه فخر ميتا فسقط فى أيدى الشيخ أبى أحمد وانصرف من هناك الى بلده ورد الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والمماشية وبعد مدة قدم ذلك التركى الذى تنش الفقيه على مدينة هرات فتقيه جماعة من أصحاب الفقيه فقدموا اليه كأنهم مسلمون عليه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ولم يكن بعد هذا بعث الملك حسين ابن عمه ملك وربا الذى كان رفيق الفقيه نظام الدين فى تعبير المسكر رسولا الى ملك سجستان فلما حصل بها بعث اليه أن يقيم هناك ولا يعود اليه فقصد بلاد الهند ولقيته وأما خارج منها بمدينة سيوستان من السند وهو أحد الفضلاء وفى طبعه حب الرياسة والصيد والمرة والخيل والمماليك والاصحاب والناس المولى لغاخر ومن كان على هذا الترتيب فانه لا يصلح له بأرض الهند فكان من أمره ان ملك الهند ولاه بلدا صغيرا وقتله بعض أهل هرات المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند دس عليه من قتله بسعى الملك حسين فى ذلك ولا بد له خدم الملك حسين ملك الهند بعده وملك وربا المذكور وهاداه ملك الهند وأعطاه مدينة بكار من بلاد السند ومحياها خمسون ألف مثقال دينار الذهب فى كل سنة

(وبعد) الى ما كان سبيله فنقول سافر ناصر هرات الى مدينة الجام وهى متوسطة حسنة ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار وأكثر شجرها الدرت والحرير بها كثير وهى تنسب الى أولى العباد الزاهد شهاب الدين أحمد الجامى وسنذكر حكايته وحفيده الشيخ أحمد المعروف بزاده الذى قتله ملك الهند والمدينة لا بأس بها ولا بأس وهى محررة من قبل السلطان ولهم بها ذمة وثروة وقد كر لى من أثق به ان السلطان أبا سعيد منذ عراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه

المدينة وبها زاوية الشيخ فأضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل حيه بمعلمه رأس غنم ولكل أربعة رجال رأس غنم ولكل دابة من المحلة من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في المحلة حيوان الا وصلته ضيافته

(حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب اليه مدينة الحمام)

ذكر انه كان صاحب راحة كثيرا من الشراب وكان له من الدنان خمسون وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يوما في منزل كل واحد منهم فتدور النوبة على أحدهم بعد شهرين وهم على ذلك مدة ثم ان النوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين فعند ذلك تنوبذ له النوبة وعزم على اصلاح حاله مع ربه وقال في نفسه ان دعوت لاصحابي الى قد ثبت قبل اجتماعهم عندي طواويك مخزاعن مؤنتهم فأحضر ما كان يحضر له قبل من مأكول ومشروب وجعل الخمر في الزقاق وحضر أصحابه فلما رأوا الشراب حاضرا هاله أحدهم فوجده حاضرا ثم قصوا ثانيا فوجدوه كذلك ثم ناشدوه فكذلك فكلمهم الشيخ في ذلك فشرح لهم عن حقيقة أمره وصدقهم من ذكره وعرفهم توبته وقال لهم وانه هذا الشراب الذي كنتم تشربونه فيما تقدم فتوا جميعا الى الله تعالى وسوائبه الزاوية وانفضوا أيها العباد الله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات ثم سافر من الحمام الى مدينة طوس وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها وبها الامام الشهير أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وبها قبره وزرناه منها الى مدينة مشهد الرضى وهو علي ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي أيضا مدينة كبيرة صحيحة كثيرة الفواكه والمياه والارجاء فصيحة وكان بها الظاهر محمد شاه والد الظاهر عندهم يعني الغيب عدو أهل مصر والشام والعراق وأهل الهند والسند وتركستان يقولون السيد الاجل وكان أيضا بهذا المشهد الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف علي ولداه أمير هندو ودولة شاه وهو من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المكرم عليه قبة عظيمة في داخل زاوية فيها مدرسة ومسجد وحيه وباطن الايوان مصنوع الخيصان بالقاشاني وعلى القبر كابة خشب ملبسة بصفائح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة وعشرون قنية فضة وعلى بابها ستر حرير مذهب وهي مبسوطة بأنواع البسط وأرباب هذا القبر وخدامه من الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه وعليه دكانة يصعون عليها السماط التي يعرفها أهل المغرب بالحسلة والمتولي اذ ذاك من الراقضي للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله وسلم على الرضى ثم سافرنا الى مدينة سرخس وإليها ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسي رضي الله عنه ثم سافرنا منها الى مدينة زاوة وهي مدينة الشيخ

الصالح

الصالح قطب الدين حيدر واليه تنتسب طائفة الحيدرية من الفقراء وهم الذين يحلقون حلق
الحديد في أيديهم وأعناقهم وآذانهم ويحضرونها أيضا في ذكورهم حتى لا يتأتى لهم النكاح
ثم رحلنا منها فوصلنا الى مدينة نيسابور وهي احدى المدن الاربع التي هي قواعد خراسان
ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسن تحرفها بالأربعة من
الانهار وأسواقها حسنة متسعة ومسجدها متسع وفي وسط السوق وباب ربع من المدارس
يجري بها الماء العذب وهي من الصلبة خلق كثير يقرأون القرآن والله وهي من حسان
مدارس تلك البلاد ومدارس خراسان والعراق بعد دمشق وبغداد ومصر وان طلعت الغاية من
الاتقن والحسن هو كلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله
المجاهد في سبيل الله عالم الملوك وواسطة عقد الخلفاء العادلين أبو عنان وصل الله سعده
ونصر جنده وهو التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى وهي لا تنصر لها سعة
وارتفاعا وتقن بحيث لا قدرة لأهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من الخ
واسكها وغيرهن وتحمل منها الى الهند وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الامام العالم القصب
العابد قصب لدين البيسابوري أحد الرباط العلماء الصالحين نزلت عنده فأحسن القرى
وأكرم ورأيت له آيات باهرة وكرامات عجيبة

(كرامة له)

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاما تركيا وهو الذي دفن لي هذا الغلام لا تصلي ذلك فبعد مدة لم
وبعت الغلام في غد ذلك اليوم واشتراه بعض التجار وباعت الخ وانصرفت فما حللت
مدينة بسطام كتب الي بعض أصحابي من نيسابور وذكر ان الغلام المذكور قتل بعض أولاد
الامراء وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه وسافرت من نيسابور الى مدينة
بسطام التي بها الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي الشهير رضي الله عنه وبهذه المدينة
قبره ومعه في قبره واحد أحد أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه وبهذه بسطام أيضا قبر الشيخ
الصالح الولي أبي الحسن الخرقاني وكان نزولي من هذه المدينة زاوية الشيخ أبي يزيد البسطامي
رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند حيرا الى قدوس وهي قرى
بها مشايخ وصالحون وبها البساتين والانهار فمررنا بقدوس على حوض عند زاوية لاحد شيوخ
الفقراء من أهل مصر يسمى بشير سياه ومعنى ذلك بالعجمي الاسود واصحابه والى تلك الارض
وهو من أهل الموصل وسكناه بستان عظيم هناك وأقمت بحارج هذه القرية نحو أربعين يوما
لرعي الجمال والخيل وبها من أنواع طيبة وأعشاب كثيرة والامن بها شامل بسبب شدة احكام
الامير عليه وقد قدمنا ان احكام الترك في مشرق فرسان بحيث معي معه تسعة منهم فان لم يجد

ذلك اخذ فيها أولاده فان لم يكن له أولاد ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم مهملة دون راع بعد ان يسم كل واحد دابته فى اخذارها وكذلك فعلنا فى هذه البلاد واتفق ان تفقدنا حيلنا بعد عشرين فراسخ فاخذ منها ثلاثة أفراس ولما كان بعد نصف شهر جاء التتر بها الى منزلنا خوفا على أنفسهم من الاحكام وكنا نرعى فى كل ليلة فراسا جديدة فرسين لما عسى أن يقع بالليل وعقدنا الفرسين دان ليلة وسافرنا من هناك و بعد ثنتين وعشرين ليلة حاذينا بها فى أثناء طريقنا وكان أيضا من أسباب أقامتنا خوف الثلج فان سلوك الطريق حينئذ يقال له هندوكوش ومعناه قاتل الهنود لان العبيد والجوارى الذين يؤتى بهم من بلاد الهند يموت هناك الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقمنا حتى تمكن دخول الحر وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا جميع نهارنا الى العروب وكانت الثلوج بين أيدى الجمال تطأ عليها الثلاث تغرق فى الثلج ثم سرنا الى موضع يعرف بأندر وكانت هناك بما تقدم مدينة تعرف برسمها ورأينا بقرية عظيمة فيها أربعة آلاف نفس الا يسمى بمعمد المهروى ونزلنا عنده وأكرمنا وكان متى غسل أيدينا بماء الطعام يشرب الماء الذى غسلنا به لحسن اعتقاده وقضينا وسافر معنا الى ان صعدنا جبل هندوكوش المذكور ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فتشققت وتألمنا لذلك ثم رأينا موضعا يعرف بدمج شير ومعنى دمج خمسة وشير الجبل فعلمنا خمسة جبال وهناك مدينة حسنة كثيرة العمارة على نهر عظيم أزرق كأنه بحر يمر بين جبال بدخشان وهذه الجبال يوجد الياقوت الذى يعرفه الناس بالبدخش ومن هذه البلاد تشترى ملك التتر فلم نمر عند وبهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المكى وهو معظم عندهم ووصلنا الى جبل يشاى (وضبطه بفتح الياء المعقودة والشين المعجم وألف وياء ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أحد أولياء وأحد (بفتح الهمزة) معناه بالتركية الان وأولياء باللسان العربى فمعناه أنوار الاولياء ويسمى أيضا سيد صالحه وسيد (بسين مهمل مكسور وياء مثناة تحت وصاد مهمل مفتوح ودال مهمل) ومعناه بالفارسية ثلاثمائة وصالحه (بصاد مهمل ولام) معناه عام وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسون عاما ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من البلاد والقرى ويقصده السلاطين والخواتين وأكرمنا وأضافنا ورأينا عنده نمر عند اويه ودخلنا اليه وسلمت عليه وعانقنى وجسته رضيع لم أر لين منه وبعض رأيته ان عمره خمسون سنة وذكر لى انه فى كل مائة سنة يميت له اشعر والاسنان وانه رأى أنا رهم الذى قبره بعلبك من السند وسألته عن رواية حديث فأخبرنى بحكايات وشككت فى صدقه والله أعلم بصدقه ثم سافرنا الى برون (وضبطها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخرها نون) وفيها لقيت الامير ربطيه

(وضبط

(وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون النون وفتح الطاء المهملة وياء آخر الحروف مسكن وهاء) وأحسن الى أكرمني وكتب الى نوابه بمدينة غزنة في اكرامي وقد تقدم ذكره وذكر ما أعطى من البسطة في الجسم وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء أهل الزوايا فسافرنا الى قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقودة وإسكان الراء وخاء معجم) وهي كبيرة لها بساتين كثيرة وفواكهها طيبة قدمناها في أيام الصيف ووجدنا بها جماعة من الفقراء والطلبة وصلينا بها الجمعة وأضافنا أميرها محمد الجرخي ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافرنا الى مدينة غزنة وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين الشهير الاسم وكان من كبار السلاطين يلقب بيمين الدولة وكان كثير الغزو الى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون وقبره بهذه المدينة عليه زاوية وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها الا اليسير وكانت كبيرة وهي شديدة البرد والساكنون بها يخرجون عنها أيام البرد الى مدينة الغدهار وهي كبيرة حصينة ولم أدخلها وبينهما مسيرة ثلاث وبرك الجراح غربية في قرية هناك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمني أميرها هناك ذلك أعاوم ردنه (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة) ومعناه الصغير وأعا (بفتح الهمزة والعين المهملة) ومعناه الكبير الاصل ثم سافرنا الى كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة وهي الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية وأكثرهم قطاع الطريق وحملهم الكبير يسمى كوه سليمان ويذكرون ان نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر الى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها وسمي الجبل به وفيه يسكن ملك الافغان وبكابل زاوية الشيخ اسماعيل الافغاني تلميذ الشيخ عباس من كبار الاولياء ومن هناك رحلنا الى كرماش وهي حصن بين جبلين تقطع به الافغان وكانوا حين حوارنا عليه قد تلهموا وهم يسمون الجبل وريم بالشاب فيمرون وكانت رفقتنا محفة ومعهم نحو أربعة آلاف فرس وكانت لي جمال انقطعت عن القافلة لاجلها وهي جماعة بعضهم من الافغان وطرحنا بعض الزاد وركبنا احمال الجمال التي أعيت الطريق وعادت اليها خيلنا بما لفقدها حملتها ووصلنا الى القافلة بعد العشاء الآخرة فبتنا بمرحل شبنغار وهي آخر العمارة مما يلي بلاد الترك ومن هناك رحلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس عشرة لا تدخل الا في فصل واحد وهو بعد نزول المطر بارض السند والهند وذلك في اوائل شهر برمهات وتهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تعفن الجسوم حتى ان الرجل اذا مات تتسلخ اعضاؤه وقد ذكرنا ان هذه الريح تهب أيضا في البرية بين هرمز وشيراز وكانت تقدمت امامنا رفقة كبيرة فيها حداو بندزاده قاضي ترمذ هات لهم جمال وحمل كثيرة ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله تعالى الى بنج آب وهو ماء السند وبنج (بفتح الباء الموحدة وسكون النون والجيم) ومعناه خمسة

وآب (همزة مفتوحة ممدودة وباء موحدة) ومعناه الماء فمعنى ذلك الاودية الخمسة وهي تصب في النهر الاعظم وتسقي تلك النواحي وسنذكرها ان شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذي الحجة واستهل علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ومن هنالك كتب المحررون سيرا الى أرض الهند وعرفوا ملوكها بكيفية أحوالهم وهاهنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر والحمد لله رب العالمين

الجزء الاول

من رحلة الشيخ المعرف المشهور بابن بطوطه

بطريقة صحيحة مضبوطه

وبلسه ان شاء الله تعالى

الجزء الثاني

بمباشرة مصححها ومحرر ربطها ومنقحها على هذا الوجه الجميل

العبد الضئيل ابي السعود أفندي محرر صحيفة وادي النيل

عامله الله سبحانه وتعالى الذي هو حسبه عميل بكرمه

الجليل في آخر رجب الفرد سنة ١٢٨٧

من هجرة سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم وعلى آله

وأصحابه من قبل

ومن بعد

﴿تذييل﴾

يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المعربي المعروف بابن بطوطة الى هذا الجزء وهو اول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر ما شاهده من العجائب والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأينا من المفيد ان نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن خلدون رحمه الله تعالى مما يتعلق بهذا القصد تتميما للفائدة وتقييدا للشاردة ونصها بفصها ونصها

ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها ذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واحتمد في خدمة القضاء بمذهب المالكية في عهده ثم ارتاب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغرب به السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم ورتق سنة أشهر يدفع لهم من خمائه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك المحفل مصيفات على الظهر يرمي بها اكثار الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وأمثال هذه الحكايات فتماحى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت ايام وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت فحدثته في هذا الشأن وأريته انكار أحبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لو برفارس ايانك ان تذكر مثل هذا من أحوال الدول عما انك لم تره فتكون كابن الوزير الماشي في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه فمكث في السجن سنين ربى فيها ابنه في ذلك المحبس فلما أدرك وعقل سأل عن الحمان التي كان يغتذي بها فاذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت نراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول بين الغنم من الفأر وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفأر فيصفها كلها أبناء جنس للفأر وهذا كثيرا ما يعترى الناس في الاخبار كما يعترى الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فيرجع الانسان الى أصوله وليكن هو بيننا على بصيرة وميزان بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شيء فلا نفرض حدا بين الواقعات واعما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا أصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته احرينا الحكم في ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل ربي زدني علما (اه بحروفه)

(فهرست الجزء الثانى من كتاب رحلة ابن بطوطه)

صحيفه	
٣	الخطبه
٣	ذكر البرد
٤	ذكر الثلج كذلك
٦	ذكر السفر فى هذا البر وترتيب ذلك
٧	ذكر غريبة رأيتها بخارج مدينة دهلى
٨	ذكر أمر ملك وتربيته حاله
٩	ذكر من اجتمعت به فى هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند
١٠	ذكر أسعار بلاد الهند وفواكهها
١١	ذكر الحبوب التى يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها
١٢	ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهى أول غزوة شهدتها ببلاد الهند
١٣	ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار
١٥	ذكر وصف مدينة دهلى
١٦	ذكر سور دهلى وأبوابها
١٦	ذكر جامع دهلى
١٧	ذكر الحوض الذى بخارجها
١٨	ذكر بعض مزاراتها
١٨	ذكر بعض علمائها وصلحائها
١٩	ذكر فتح دهلى ومن تداولها من الملوك
٣٠	ذكر السلطان شمس الدين ألتمش
٣٠	ذكر السلطان ركن الدين بن السلطان شمس الدين
٣١	ذكر السلطانة رضيه
٣١	ذكر السلطان ناصر الدين بن السلطان شمس الدين
٣١	ذكر السلطان غياث الدين بلبن
٣٣	ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين
٣٤	ذكر السلطان جلال الدين
٣٥	ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجى
٣٦	ذكر اتمة السلطان شهاب الدين
٣٧	ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين
٣٩	ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه
٣٩	ذكر مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك
٣١	ذكر مسير تغلق الى بلاد التلكوتى وما اتصل بذلك الى وفاته
٣٢	ذكر السلطان أبى المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذى قدمنا عليه وذكر وصفه الى آخر ما ذكر
٤٠	ذكر بعض أخباره فى الجود والكرم وذكر عطائه الى آخر ما ذكر
٤٧	ذكر تزوج الامير سيف الدين باخت السلطان
٤٩	ذكر سجن الامير غدا
٥٠	حكاية فى تواضع السلطان وانصافه
٥٠	ذكر اشتداده فى اقامة الصلاه
٥١	ذكر اشتداده فى اقامة احكام الشرع
٥١	ذكر رفعه للمغارم والمظالم وقعوده لانصاف المظلومين
٥١	ذكر اطعامه فى العلاه
٥١	ذكر فتكات هذا السلطان وما نقم من أفعاله
٥٢	ذكر قتله لاخيه
٥٣	ذكر قتله لثلاثمائه وخمسين رجلا فى ساعة واحده

صحيفه

٥٣ ذكر تعديه بشيخ شهاب الدين وقتله
٥٤ ذكر قتله للفقيه المدرسي عفيف الدين الكاساي وقتيرين معه
٥٤ ذكر قتله ايضا لقتيرين من أهل السند كانا في خدمته
٥٤ ذكر قتله للشيخ شود
٥٥ ذكر سخطه لابن تاج الله رهين وقتله لاولاده
٥٦ ذكر قتله للشيخ الحيدري
٥٦ ذكر قتله لصوعان واجيه
٥٧ ذكر قتله لابن منت الحمار
٥٧ ذكر صرير سقفيب الخصاء حتى مات
٥٧ ذكر تحريره لدهلي وبني اعمامه وقتل الاعمى واعمامه
٥٨ ذكر ما انتضى أمره قتل ولايته من بعده على ما يذكر بعده
٥٨ ذكر ثورة ابن عمه وما انصل بذلك
٥٩ ذكر ثوره كشلوخان وقتله
٦٠ ذكر لوثيفة تحيل فراجين على جيش السلطان
٦١ ذكر ثوره ابن شرف خلال المدن بلاد المعبر وما انصل بذلك من قتل ابن اخت الوزير
٦٠ ذكر ثورة هلاكون
٦٢ ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان
٦٢ ذكر الارجاف بموته وقوار الملك هوشيم
٦٣ ذكر ما هم به الشريف ابراهيم من الثوره وما آل اليه
٦٣ ذكر خلاف بانسا السلطان بلاد البندك
٦٤ ذكر انتقال السلطان لمسرا الكبك وقيامه عين الملك

صحيفه

٦٧ ذكر عوده السلطان لحضرته وما اقتضاه على شاه كر
٦٨ ذكر فرار امير خسرو وأخذه
٦٩ ذكر خلاف شاه افغان مرض السلطان
٦٩ ذكر خلاف ابن عاطي خلان
٦٩ ذكر خلاف ابن المتوكل
٧٠ ذكر خروج السلطان لتصفيه اقي الكبابية
٧١ ذكر قتال مقبل وابن الكوتل
٧١ ذكر العلاء الراقم مرض السيد
٧٢ ذكر وصول اقي دار السلطنة عند قدومها وقوعة تلك
٧٢ ذكر وصول لدار السلطنة وذكر قصائدها
٧٣ ذكر السيفه
٧٤ ذكر وفاة بيتي وما وقع في ذلك
٧٥ ذكر حسان السلطان وانورز اقي في أيام غيبة السلطان عن الحضره
٧٦ ذكر العيد الذي جدد فيه السلطان
٧٦ ذكر قدوم السلطان وعاده
٧٧ ذكر وصول السلطان الى حضرته وما أمر لبانيه من الدار اقات
٧٧ ذكر وصوله اليه وما عمه من الاحسان والولايه
٨٠ ذكر طلب العرب مصالحهم في ومدحي السلطان وأمره بخلاص دين وتوقف ذلك مدة
٨٢ ذكر خروج السلطان الى الصيد وخروجي معه وما صنعت في ذلك
٨٣ ذكر الجمل التي اهديته للسلطان الى آخر ما ذكر
٨٤ ذكر الخيل التي اهديتها اليه

صحيفه

٨٥ ذكر خروج السلطان وأمره لي بالاقامة بالحضره

٨٦ ذكر مدته في ترتيب الفقير

٨٧ ذكر عادتهم في اطعام الناس في الولائم

٨٧ ذكر خروجي الى مزار أمروها

٨٨ ذكر مكرمة بعض الاعيان

٨٩ ذكر خروجي الى محلة السلطان

٨٩ ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى

٨٩ ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي عن الدنيا

٩٠ ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين في الرساله

٩٠ ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معي وذكر الهديه

٩٢ ذكر عزمة تم دناها بكول

٩٣ كرامتي بالاسر وخلاصي منه وخلاصي من شدة بعده على يد ولي من أولياء الله تعالى

٩٧ ذكر أميرة كنور وما تشوره

٩٨ ذكر لمحة الحوكيه

١٠٢ ذكر سوق المعين

١٠٤ ذكر ملطان مدينة قندهار

١٠٤ ذكر دكور البحر

١٠٥ ذكر سلطان مدينة فوه

١٠٦ ذكر سلطان شهور

١٠٧ ذكر ترتيب طعامه

١٠٩ ذكر الفقس

١٠٩ ذكر سلطان مدينة كنور

١١٠ ذكر ملطان مدينة هرمز

١١٠ ذكر سلطان مدينة هرمز

صحيفه

١١١ ذكر شجرة العجيبة الشأن التي بداخل المدينة

١١٢ ذكر سلطان مدينة قالوط

١١٢ ذكر مراكب الصين

١١٣ ذكر أحداثي في السفر الى الصين ومنتهى ذلك

١١٤ ذكر اغرقه والهتم

١١٥ ذكر سلطان مدينة كولم

١١٦ ذكر توجهي الى العروج سند اوبر

١١٨ ذكر جاردفا

١١٨ ذكر أهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم

١٢٠ ذكر نسائها

١٢١ ذكر السبب في اسلام هذه الجزائر

١٢٢ ذكر سلطانة هذه الجزائر

١٢٣ ذكر أرباب الخطط وسيرهم

١٢٣ ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل حالي بها

١٢٥ ذكر بعض احسان الوزير لي

١٢٦ ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامي بعد ذلك

١٢٦ ذكر العيد الذي شاهدته معهم

١٢٧ ذكر تزوجي وولايتي القضاء

١٢٨ ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الخضرمي الذي هاد السلطان شهاب الدين الى السويد وما وقع بيني وبينه

١٢٨ ذكر انفصالي عنهم وسبب ذلك

١٣٠ ذكر اسم الدولة الحسنى الواحد

١٣١ ذكر سلطان سيلان

١٣٢ ذكر سلطان مدينة كنكار

١٣٣ ذكر انسانوت

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanarb.com
رابط بديل

صحيفه	
١٣٣	ذكر الفرود
١٣٤	ذكر لعلق الطيار
١٣٤	ذكر حمل مرتدس
١٣٥	ذكر القدم
١٧٣	ذكر سلطان بلاد المغرب
١٣٧	ذكر وصول الى السلطان عياث الدين
١٣٨	ذكر ترتيب رحيله وشديع فعله في قتل النساء والولدان
١٣٩	ذكر هزيمه للكفار وهي من اعظم فتوحات الاسلام
١٤٠	ذكر وفاة السلطان وولايه اخيه وما جرى عليه
١٤١	ذكر قتل الكبار لها
١٤٣	ذكر سلطان بحمله
١٤٤	ذكر لنج حلق الشعر
١٤٧	ذكر سلطان الجاوة
١٤٨	ذكر دخولنا الى داره واحسانه الينا
١٥١	ذكر سلطان مل جاوة
١٥١	ذكر عجيبة رأيتها بمجلسه
١٥٢	ذكر هذه المملكة
١٥٤	ذكر الشعر الصيني والنحاة
١٥٤	ذكر بعض من أحوال أهل الصين
١٥٥	ذكر الباب الذي يؤوى ويمكان الحكم
١٥٥	ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات
١٥٦	ذكر عادتهم في تقييد ما في المراكب
١٥٦	ذكر عادتهم في منع التجار عن الفساد
١٥٧	ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق
١٦٢	ذكر الامير الكبير قرطي
١٦٤	ذكر سلطان الصين واحد الملاعب بالنار
١٦٤	ذكر قتره

صحيفه	
١٦٤	ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله
١٦٦	ذكر رجوعي الى الصين ثم الى الهند
١٦٦	ذكر زرع
١٦٦	ذكر اعراس ولد الملك الظاهر
١٦٧	ذكر سلطان صفار
١٦٨	ذكر سلطان بغداد
١٧١	ذكر سلطان القاهره
١٧٢	ذكر سلطان مدينة تونس
١٧٤	ذكر بعض فضائل مولانا ايده الله
١٨٤	ذكر التكشف
١٨٥	ذكر مسوغة الكبس بالوالي
١٨٨	ذكر سلطان مدن
١٨٨	ذكر ضيافتهم الفاخرة وتعظيمهم لها
١٨٩	ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك واحسانه الى
١٨٩	ذكر جلوسه بقصره
١٩٠	ذكر جلوسه بالمشور
١٩	ذكر سلطان السودان الكريم وتعريفهم له وغير ذلك من أحوالهم
١٩١	ذكر فعله في صلاة العيد وايامه
٩١	ذكر الاضحية وكذلك الشعراء للسلطان
١٩٣	ذكر ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحته منهم
١٩٤	ذكر سفري عن مالي
١٩٤	ذكر الخيل التي تكون بالنيل
١٩٨	ذكر معدن النحاس
١٩٨	ذكر سلطان تكدا
١٩٩	ذكر وصول الامير الكريم الى
٢٠٠	تمت الكتاب

كتاب رحلة ابن بطوطه

المسمى

تحفة النظار في غرائب الامصار

وعجائب الاسفار

م

(الطبعة الاولى)

بقاعدة حروف مطبعة وادى النيل الجديدة

في مطبعة وادى النيل بمصر القاهرة بالموسكى

سنة ١٢٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم﴾

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطه رحمه الله تعالى

ولما كان بتاريخ العشرين من شهر الله المحرم سنة خمس وأربعين وسبعمائة وصلنا الى وادي السند المعروف بمهران ومعنى مهران بلغة الهند كثرة المياه وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض في أوائل الحمرم زرع أهل تلك البلاد عند فيضه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض النيل وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند ولما وصلنا الى هذا النهر عدنا الركاب لاختيار المركاب منها وكنا اخبرنا الى قطب الملك أمير مدينة ملتان وكان أمر أن لا يعدى هذا النهر ممن لا سند من السلطان يسمى بالبرير وهو عرض الملك وهو بين يديه عرض عساكر السلطان ومعنى اسمه الحاذ الراس لأن البر (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء) هو الرأس والبير (بكسر الباء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها) معناه الحاذ وكان في حين قدومنا عند مدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة هلي مسيرة خمسين يوما وذلك أن المخبرين الى السند ان من بلاد السند يقصد الركاب اليه في خمسة أيام بسبب البريد

﴿ذكر البريد﴾

والبريد ببلاد الهند صنفان عاما يريد الخيل يسمونها الاولاق (الواو) (بضم الواو وآخره قاف) وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة اربعة أميال وأمير يدار حالة ويكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث وتب ويسمونها الداوة (بالدال المهملة والواو) والداوة هي ثلث ميل والميل عندهم يسمى الكروة (بضم الكاف والراء) وتيب دست ان يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين اعلاها حلاجل نحاس فاذا خرج البريد من المدينة

أحد

احد الكتاب باعلى يده والمقرعة ذات الخلاخل باليد الاخرى ويرجع يشتد منهى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقلعة صوت الخلاخل تأهبوا للقتال واول ما أحدثوه هم الكتاب من يده ومن بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يسمع الناس اصوات الخلاخل لا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب الى حيث يراه وهذا النوع من الحيل ورثوه جيلا عن جيل هذا البريد الذى وكله بالمسلمين قوا كحراس يحرسونهم ليلا ونهارا لا يفترون ولا يتثاءبون حتى تصل الى السلطان وكذلك يجيبون أيضا الكتاب من ذوى الحاجات يجعلون الرجل منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤسهم ويديرون شدا وكذلك يجلبون الماء لشرب السلطان اذا كان بعيدا ان يجلبوه من نهر الكنك الذى تجمع الهند اليه وهو على مسيرة اربعين يوما منها واذا كتب المخبرون الى السلطان بخبر من يصل الى بلاده استوعبوا الكتاب وأمعنوا فى ذلك وعرفوه انه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكم عدد أصحابه وغلمانه وحذاقه وجماله وترتيب حاله فى حركته وسكونه وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كله شيأ فاذا وصل الوارد الى مدينة ملتان وهى قاعدة بلاد السند أقام بها حتى يرد أمر السلطان فى معنى يجرى له من تلقيه واكرام الانسان حسب خطره ومرتبته وهو ما لا يعرف مثله من حسنه ولا رأوه ومن عادة ملك الهند السلطان أن يخاطب بعض ملوك الاكراد العربان ومحمهم وتحضيضهم على ولايات وامارات يرده مقومهم مراسمه وتجلده وورائه وفضائله وأضداده غرباء وهذا أمر يأبى العربان فى بلادهم وغير بلادهم لا يسمعون عليا ولا يذلون لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها اليه وتقدمها وسيلة من يريد ويكافيه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة وسيرهم من بلاد الهند اليه كثيرة ولكل تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين بلاد السند والهند يعصون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير ديناريا ويحملونه معا يريد أن يهديه اليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والامتعة ويحدمونه بأموالهم وأنفسهم ويقدمون بين يديه كل ما يقدم واذا وصل الى السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضى دينهم ووفاهم حقوقهم وعظمت تجارتهم وكثرت أرباحهم وصار لهم بذلك عادة مستمرة ولما وصلت الى بلاد السند سلكت ذلك المسلك واشتريت من التجار الخيل والجمال والمماليك وغير ذلك ولقيت مسافرين من تجار العراق من أهل تكريت يعرف بمحمد الدورى بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرسا وحملا عليه حمل من الثياب فاشتريت منه جميعها وهى الى السلطان وذهب التاجر المذكور الى خراسان ثم عاد الى الهند وصاحبت تجارى معه واستفدت بسببه فائدة عظيمة وعاد من كان التجار وقيمته عدة حلب بعدة سنين كثيرة وقد سلبنى الكفار جميع ما كان بيدى فلم ألق منه خيرا

(ذكر الكركدن)

ولما أجزنا نهر السند المعروف بمهران دخلنا غيضة فقصب اسلوك الطريق لانه فى وسطها فخرج علينا الكركدن وصورته انه حيوان أسود اللون عظيم الجرم رأسه كبير متفاوت الصخامة وذلك بضرب به المثل فيقال الكركدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة أذرع وعرضه نحو شبر وقد خرج علينا عارضة بعض العرسان فى طريقه فسرب الفرس الذى كان تحته بقرنه فى بطنه وصرعه وعاد الى الغيضة فلم نقدر عليه وقد رأيت الكركدن مرة ثانية فى هذا الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعى تبن الارض فلما قصدناه هرب منا ورأيته مرة أخرى ونحن مع ملك الهند دخلنا غيضة فصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة ودخلت الرجالة والفرسان فى ثاروه وضبوه واستداروا رأسه الى الجهة ومررنا من نهر السند يوم بن ووصلنا الى مدينة جندى (وضبط اسمها بفتح الجيم والنون الاولى وكسر الثانية) مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة وبساتين نقية يحمل لهم الى مرة استوطنوها قديما واستقروا بها اسلافهم حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما تثبت المؤرخون فى فتح السند وأخبرنى الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين ان الشيخ العفيف الصالح شمس الدين بن الشيخ الامام العابد الزاهد بهاء الدين زكريا القرشى وهو أحد الثلاثة الذين أخبرنى الشيخ الولى الصالح برهان الدين الاعرج بمدينة الاسكندرية انى سألقاهم فى رحلتى فلقيتهم والحمد لله اى حذاء الاعلى كان يسمى محمد بن قاسم القرشى وبها دفن السند فى العسكر الذى بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام امارته على العراق وأقام بها وتكاثرت ذريته وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسمرة لا يأكلون مع أحد ولا يطرد اليهم أحد حيث يأكلون ولا يصاهرون أحدا من غيرهم ولا يصاهر اليهم أحد وكان لهم فى هذا العهد أمير يسمى ومر (بضم الواو وفتح النون) وسنذكر خبره ثم سافرنا من مدينة جندى الى أن وصلنا الى مدينة سيوستان (وضبط اسمها بكسر السين الاولى المهملة وياء مثناة تحت واو ومفتوح وسين مكسورة ونون معلوة وآخره نون) وهى مدينة كبيرة وشجرها السمر اء ورمال لا شجر بها الا شجر أم غيلان ولا يزرع على نهرها شئ ماعدا البطيخ وطعامهم الذرة والحمص ويسمونه اشنك (بميم وشين معجم مضمومين ونون مسكن) ومنه يصنعون الحسو وهى كثيرة السمك والالبان الجاموسية وأهلها يأكلون السقنقور وهى دويبة شبيهة بأم حبين التى يسميها المغاربة حنيشة الحنة الا أنها الاذنب لها ورأيتهم يحمرون الرمل ويستحرجونها منه ويشفون بصنها ويرمون بها فيه ويحشونه بالكركم وهم يسمونه زردشويه ومعناه العود الاصفر وهو عندهم عوض الزعفران ولما رأيت تلك

الدويبة

الدويبة وهم يأكلونها استقدرتها فلم آكلها وحضرت هذه المدينة في احتدام القيظ وحرها شديد فكان أصحابي يقعدون عريانين يحمي احدهم فوطة على وسطه وفوطة على كتفيه ويبلها بالماء ما يصفي اليسير من الرشاش حتى يبس ثم بلها مرة أخرى شكدا ابدا وبقيت هذه المدينة خطيرها المعروف بشيباي وان كاتب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بلغه الاعلى بخطابة هذه المدينة وهم يتوارثونها من ذلك العهد الى الآن

(ونص الكتاب) هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز اعلان وبار بحضرة تسع وتسعين وعليه مكتوب تحت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الحمد لله وحده على ما احدى الخطيب المذكور ولقيت ما أيضا الشيخ المعمر محمد البغدادي وهو بار اوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرندي وذكر ان عمره يزيد على مائة وأربعين سنة وانه حضر لقتل المستعصم بالله خرجا بني العباس رضي الله عنهم لما قتله الكافر هلاون بن تكنر البري وهذا الشيخ على كبر سنه قوي الجثة يتصرف على قدميه

(حكاية)

كان يسكن هذه المدينة الامير وبار السامري الذي تقدم ذكره والامير قيصر الرومي وهما في خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانمائة فارس وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رتن (بفتح الراء وسكون التاء المعجمة والنون) وهو من الحذاق بالحساب والكتابة فوفد على ملك الهند مع بعض الامراء فاستحسنه السلطان وسماه عظم السند وولاه بتلك البلاد وأقطعه سيوستان وأنعم لها وأعطاه المراتب وهي الاعمال والعلامات كما يعطى كبار الامراء فلما وصل الى تلك البلاد عظم على وبار وقيصر وغيرهم تقديم الكافر عليهم فاجمعوا على قتله فلما كان بعد أيام من قدومه أشار واعليه بالخروج الى احواز المدينة ليطلع على أمورها فخرج معهم فلما حن الليل أقاموا بمحلة ما نحلوه ورموا ان السبع ضرب عليها وقصدوا ضرب الكافر فقتلوه وعادوا الى المدينة فأخذوا ما كان معه من مال السلطان وذلك اثنى عشر لكا والملك مائة ألف دينار وصرف الذلك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند وصرف الدينار الهندي دينار ان ونصف دينار من ذهب المغرب وقسموا على أنفسهم وبار المذكور وسموه منك فيروز وقسم الاموال على العسكر ثم خاف على نفسه لبعده عن قبيلته فخرج فيمن معه من أقاربه وقصد قبيلته وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي واتصل خبرهم بعظم الملك سرتيز مملوك السلطان وهو يومئذ أمير أمراء السند وسكناه ملتان فجمع العساكر وتحوز في البر وفي بحر السند وبين ملتان وسيوستان عشرة أيام وخرج اليه قيصر فوقع اللقاء وانهزم

قيصر ومن معه اشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة فحصرهم وضيق عليهم واشتد عليهم الحصار فطلبوا الامان بعد أربعين يوما من نزوله عليهم فاعطاهم الامان فخرجوا اليه فغدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم فكان كل يوم يضرب أعناق بعضهم ويوسق بعضهم وسبع آخرين منهم وعمل أجلادهم تبنا ويعلفها على السور فكان معلقة عليه مثل الجلود مصورة ترعب من ينظر اليها وجعل رؤسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هذا لك ورأيت تلك المدينة اثر هذه الوقيعة مندرسة فيها كبيرة وكنت أقام على سطحها فاذا اسيفظت من الليل ارى تلك الجلود المصلوبة فتثير النفس منها ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة فانتقلت عنها وكان الفقيه الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بصبيح الدين قاضي هرات في متقدم السابع قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لاهري واسمها بالهندي دلاد السند وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سرتيز فمن معه من العساكر فعرضت على السعر معه في مدينة لاهري وكان له خمسة عشر مركبا قدم بها في نهر السند نحن اثنا له فسافرت معه

(ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك)

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف بالاهورة (بضم الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء) وهي نوع من السريدة عندنا الا انها اوسع منها وأقصر وعلى قدرها معرش من خشب يصعد له على درج وفوقه تخلص مهيأ لجلوس الامير ويجلس أصحابه بين يديه ويقف المماليك يمنة ويسرة والرجال يقدمون وهم نحو أربعين ويكون مع هذه الاهورة اربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيها مراتب الامير وهي العلامات والطبول والابواق والانفار والصرنايات وهي العيصات والاخران فيهما أهل الضرب فتضرب الطبول والابواق نوبة ويعنى المغنون نوبة ولا يزالون كذلك من أول النهار الى وقت الغداء فاذا كان وقت الغداء اجتمعت المراكب ووصل بعضها ببعض ووصلت بينهما الاصقالات وأتى أهل الضرب الى أهورة الامير فيضربون الى أن يفرغ من أكله ثم يأكلون واذا انقضى الاكل عادوا الى مراكبهم وشرعوا أيضا في المسير على ترتيبهم الى الليل فاذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ونزل الامير الى مصاربه ومد السماط وحضر الطعام معظم العسكر فاذا اصلوا العشاء الاخيرة سمر الصبر بالليل يوما وأما هل النوبة هم نوبتهم يدعى مسامرهم بصوت عال يا فلان ملك قد مضى من الليل كذا من الساعات ثم يسمر أهل النوبة الاخرى فاذا أتموا نادى مساميرهم ايضا بمثل ما نادى من الساعات فاذا كان الصبح ضربت الابواق والطبول وصليت صلاة الصبح وأتى بالطعام فاذا فرغ الاكل احتدوا في المسير فان أراد الامير ركوب النهر ركب على ما ذكرنا من الترتيب وان أراد المسير في البر ضربت الاطبال

والابواق

والاتوق وتقدم حجابه ثم تلاهم المشاؤون بين يديه ويكون بين أيدي الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم اطبال قد قلدوها وعند ثلاثة صرنايات فاذا أقبلوا على قرية أو ماهو من الارض مرتفع صرنوا تلك الاطبال والصرنايات ثم يضرب أطبل العسكر وأبواقه ويكون عن يمين الحجاب ويسارهم المغنون فغنوا بما كان وقت العداء ولما وسافرت مع علاء الملك حسة أيام ووصلنا الى موضع ولا سيما وهو مدينة لاهري (وضبط اسمها بفتح الهاء وكسر الراء) مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير وهو بحر السند في البحر فيلتقي بهما بحران وهما مرسى عظيم يأتي اليه اهل اليمن وأهل فارس وغيرهم وبتلك عظمت حباياتها وكثرت أموالها أحبرني الامير علاء الملك المذكور ان مجبى هذه المدينة ستون لكا في السنة وقد ذكرنا مقدار اللك وللامير من ذلك (ثم) ذهبنا ومعناه نصف العشرة وعلى ذلك يعطي السلطان البلاد لعماله يأخذون منها الاعشر نصف العشر

(ذكر غريبة رأيتها بهذه المدينة)

وركبت يوما مع علاء الملك فانتهينا الى وسط من الارض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتارنا فرأيت هنالك ما لا يحصره العد من الحجارة على مثل صور الادميين والبهائم وقد تغير كثير منها وقد ثرت أشكاله فبقي منه صورة رأس أو رجل أو سواهما ومن الحجارة أيضا على صور الحبوب من البر والحمص والعدس وهنالك تارسور وحدران دور ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة محبوت وفي وسطه كأنه حجر مصور كأنها حجر واحد عليها صورة آدمي الا ان رأسه طويل وفمه في جانب من وجهه ويداه خلف ظهره كالمكتوف وهنالك مياه شديدة النتن وكتابة على بعض الجدران بالهندي وأخبرني علاء الملك ان أهل الاخبار يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة أكثر أهلها الفساد فمسخوا حجارة وان ملكهم هو الذي على الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي الى الآن تسمى دار الملك وان الدكانة التي في بعض الحيطان هنالك بالهندي هي ملك أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة او نحوها وأقمت بهذه المدينة مع علاء الملك حسة ايام ثم أحسن في الزاد وانصرفت عنه الى مدينة بكار (بفتح الباء الموحدة) وهي مدينة حسنة شقها خليج من نهر السند وفي وسط ذلك الخليج رابية حسنة فيها الصنم الذي يرد والصادر عمرها كثيرون ايام ولايته على بلاد السند وسيقع ذكره ولقيت بهذه المدينة الفقيه الامام صدر الدين الحنفي ولقيت بها قاضيها المسمى بالحنيفة وليت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين ذكر لي ان سنه يزيد على مائة وعشرين عاما ثم سافرت من مدينة بكار فوصلت الى مدينة اوجه (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم) وهي مدينة كبيرة على نهر السند لها أسواق حسنة وعمارة

حميده وكان الامير بها الدرك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكبير احد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه

(مكرمة لهذا الملك)

وشأن بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة وتأكدت بيننا الصحبة والمحبة واجتمعنا بحضرة دهلي لما سافر السلطان الى دوله آباد كما سيذكر وأمر بالاقامة بالحضرة قال لي جلال الدين انك تحتاج الى نفقة كبيرة والسلطان تطول غيبته فخذ قريتي واستغلها حتى أعود وفعلت ذلك واستغللت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن جزائه ولقيت بمدينة اوجه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي والسيني الخرقه وهو من كبار الصالحين ولم يزل انيسي الذي أنسيه معي الى أن سلبني كفار الهنود في البحر ثم سافرت من أوجه الى مدينة ملتان (وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلوة) وهي قاعدة بلاد السند ومسكن امير أمرائه وفي الطريق اليها على مسافة عشرة أميال منها لوادي المعروف بحسر وآباد وهو من الاودية الكبار لا يجسر الا في المراكب وبه بحث عن أصنعة المجتازين أشد البحث وتفتش رحالهم وكانت عادتهم في حين وصولنا اليها أن يأخذوا الربع من كل ما يحمله التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنانير معرما ثم بعد وصولنا اللوادي بستة أميال رفع السلطان تلك المغارم وأمر أن لا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر لما بايع للخليفة أبي العباس العباسي ولما أخذنا في اجازة هذا الوادي وفتشت الرحال عمم على تفتيش رحلي لانه لم يكن فيه طائل وكان يظهر في أعين الناس كبيرا فكنت أكره أن يطلع عليه ومن لطف الله تعالى ان وصل أحد كبار الاجناد من جهة قطب الملك صاحب ملتان يأمر أن لا يعرض لي بحث ولا تفتيش فكان كذلك فحمدت الله على ما هيأ لي من لطائفه وتذاكرت النعمة على ساحل الوادي وقدم علينا في صحبتها ملك الترك واسمه دهقان وهو سمرقندي الاصل وهو الذي كتب للسلطان بأخبار تلك المدينة وعمالتها وما يحدث بها ومن يصل اليها فتعرفت به ودخلت في صحبته الى أمير ملتان

(ذكر أمير ملتان وترتيب حاله)

وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الامراء وفضلائهم لما دخلت عليه قام الي وصافحني وأجلسني الى جانبه وأهديت له عمامة كوفر ساوشيء من الزيب والتمور وهو من أعظم ما يهدى اليهم لانه ليس ببلادهم وانما يجلب من خراسان وكان جلوس هذا الامير على دكانة كبيرة عليها البساط وعلى مقربة منه العاضي ويسمى سالار والخطيب ولا أذكر اسمه وعن يمينه ويساره أمراء الاجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين يديه وهنالك

صبي كثيره فاذا أتى من بريد أن يثبت في العسكر راميا عصى قوسا من تلك القسي يزع فيها
وغير ذلك مما ذكرنا في القسي قدر نزعه يكون مرتبه ومن أراد أن يتخذ قوسا فهو تلك صفته
مصنوعة في بلاد فرسه وبرميها رشقه وخمسة أصابع تبعث من حائط صعيد في بلاد فرسه
التي يحاذيه فان رفعه عن ذلك فهو عندهم من أردأ ما يرمى به وهذه القسي كرة
موضوعة في الأرض في بلاد فرسه وبرميه وغيرها وهي من الأسباب التي تمنع من الاصابة
يكون مرتبه ولما دخلت على هذا الأمير وجدت عنده كاتبا كرده أمره بالخروج الى مدينة
هي لا تحاب الشيخ العالم ركن الدين الذي تقدم ذكره وتقدم أن ذكر بيتا وأحدا حتى يأتي
أمر السلطان بتسميته

(ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من العرب الواردين على حضرة هذا الملك)

هم جداوبراده قوام الدين وهي ترمذ قدم بأهله وولده ثم ورد عليه بها أخوه عماد الدين
وحياء الدين وبرهان الدين ومنهم مبارك شاه أحد كبار عسكر قندز ومنهم أرتغا أحد كبار بخارى
ومنهم ملك داد أخت جداوبراده ومنهم بدر الدين الخصي وكل واحد من هؤلاء معه
أهله وخدامه وأتباعه على ما مضى ذكره في المثال نهرا وعن أحد حجاب السلطان
وهو شمس الدين البوشجي والملك المعظم من الكبراء هم هذا الصنف لأنه ان جداوبراده
وقومهم لا ينتمون الى بيت منهم أحد ومعظم هؤلاء الأمراء لا يستعملون روحة
جداوبراده المذكورين بل يأخذ كل واحد منهم ويذهب به الى بلاده أو غيرها
ويسألون لماذا قدمت فأحضرتم ان لم يكن معه مكتوب بالم وهو السلطان
ومهما يعطى لواحد منهم فان أمر أن يعطى شيء من ذلك من يحمل الى الهند
الذي لا يرسم الا من مقدم عظيم منهم اذا قدمت عليه استدعوا عندي والعدول وكتبوا
عقد اعتى وعلى من أراد لا قامة من يحمل وأين يحضر من قدم وتحضر بضاعته وتحضره
وبين ملتان ويدم مسيرة أربعين يوما في كبار متحدة وحرس الحاجب وصاحبه الذي يبعث
معه يحتاج اليه في تلك الطريق قوام الدين وهو يحمل من ملتان نحو عشرين طباخا وكان
الحاجب يقدم اليه كل يوم أن كل من يريد أن يحمل جداوبراده حتى يكون
الصعام متيسرا ويدل كل واحد منهم على ذكر ما يحمل من الزاد على حدة عند ما يريد وأيما به وزعما
حضروا الصعام الذي يصنع جداوبراده ولم يحضروا الا مرة واحدة وترتيب ذلك الصعام
انهم يحملون الخبز وحبهم الرقاق وشيء من الجراد المشوي ويقطعون اللحم المشوي قطعا كبارا
بحيث تكون الشاة الواحدة أربع قطع أو ستا ويحملون الكل في حمل تسعة ويحملون أقراصا
مصنوعة من شيء شبيه بالخبز المشرك ولا يحملون من سائر أجزاء الصناعة ويحملون

كل قرص منها رغيف حلوا يسمونه لخشتى وهذا الاخير مصنوع من الدقيق والسكر والسمن ثم يجعلون الخبز المصنوع بالسمن والعسل والجبن الاخضر فى صينية ثم يجعلون شيأ يسمونه عوسك وهو لحم مهروس مطبوخ بالبهار والحوز والبسباس والابزير موضوع فى حوض رقاقة مقدرة بالسمن يسمون سم كل سبع جمس فيعمل ذلك أو اربعة يجعلون الابزير المصنوع بالسمن وعليه يسمح ثم يجعلون الخبز الاخضر ويسمونها الهمانى ثم يجعلون الخبز هريد ويقف الحاجب عن طعامين الاكل ويعلم الجهة التى فيها السلطان ويخدم جميع من حضر لخدمته والخدمة عندهم حد الرأس بحوار كوع عاد فعلوا ذلك جلسوا للأكل ويؤتى بقدح الدهن والصفة والزجاج ملوءة من السمات وهو الجلاب محلولا فى الماء ويسمون ذلك الشربة ويشربونه قبل الطعام ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشرعون فى الأكل فاذا أكلوا أتوا بأحكوار الشواء وقد شووه أثرا بالسبول والفوهر وقد تقدم ذكرهما فاذا حدوا السبول والفوهر فى الحاجب بسم الله ويقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولا ويشربون وسافر ماس من ملتان وهم يجرون هذا الترتيب على حسب ما سطرناه فى أول بلاد الهند وكان فى بلد حسن عند أبو نصر (صح الهناء) وهى أول بلد الهند يضع فيه ذكر الهند قال أبو نصر وليس هناك من الحجر الا شئ ما عند بلد يسمى له كمه عند هم عظم الجرم تكون الحبة منه بمقدار حبة العنب شديد الحلاوة وهم أصحاب كمه وليس بهذه من بلاد ولا أسوء

(ذكر أصناف بلاد الهند وقوانينها)

فمنها العنبة (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهى شجرة تشبه شجرة الصنار الا أنها أعظم اجراما وأكثر أوراقا وهذا أكثر ما يكون عن شجرة الجوز فى عظم جرمها وعلو قدرها على قدر الاخاص الكبيرة الا أن أحمرها قبل نضجه أحمر حدرا ما يسقط منه وجعلوا عليه الملح وصيروه كما يصيرون الليمون سواء وكما يصيرون أيضا الزعبل الاخضر وعناقيد العنب ويأكلون ذلك مع الطعام يأخذون أثر كل لقمة يسيرا من هذا الموجان فانه تحدث العنبة فى أول الخريف اصفرار حمرة فاذا كملت فبعضهم يقطعها لسكين وبعضهم يعصها عصا وهى حلوة تمازج حلاوة تمايسر حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما يزرع نوى السفرجل وهو من الشكى والبركى (بفتح الشين المعجم وكسر الكاف وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضا) وهى أشجار عالية أوراقها كأوراق الجوز وثمرة يخرج من أصل الشجرة تتصل منه بالارض فى البركى وحلاوته أشد وطعمه أطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكى وثمرته تشبه الفرع الكبار وحلاوته تشبه جلود القرعان الصغار

فى

في أوان الخريف قضبو وشقوه فكون في داخل كل حبة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبات سميها الخيار من كل حبة غرجبة سحق صغر اللون ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير وداخل تلك النواة وصيحب يكون فيها كنعم اللون ادليس يوجد هنا لك ويدخرون هذا اللوبي في انواب الاجرة من سنة اخرى وهذا الشكل وابركي هو حبها كله بلاد الهند ومنها التندو (بضم التاء المثناة من فوق وسكون النون وضم الدال) وهو ثمر محمر لاسود وحباته في قدر حبات المشمش ولونها شديد الحمرة وطعمها بحلو (بضم الخاء المعقودة) و شجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو أسود اللون و الواحدة تكون بين سنة اشهر الى الحلو وهو عندهم كثير وأما سارع الحامض فهو ثمر الوحوه وهو على ثلث كون بين الحلو والحامض وثمره على قدر اللبم وهو صيف جدا وما ت فصلي كله ومنها الليمو (بضم اللام والواو) وأشجاره عديمة الورق كالوراق الا ان ثمره اكبر من ثمر الوراق وهو ثمر مدور داخل شديد الحمرة وفي أعلى كل حبة منه نقطة صغيرة بارزة تعلو شوكة وطعمها كطعم الحامض الا ان الاكثار من أكلها يحدث في الرئة صداعا ومن أعجب ان هذا الحامض اذا يبست في الشمس كان مطعمها كطعم التين وكنت آكله هو وصغار الفواكه وهم يسمون هذه الفاكهة الانكور (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة وبالواو والراء) وتفسيره باسانهم العنب والعنب بارض الهند عزيز جدا بل لا يكون بها الا في مواضع مخصوصة في بلاد أخر وهو ثمر مرتين في السنة ويرى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستخرجونه ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسرا (بفتح الكاف وكسر السين المهملة وبالمد وبالراء) يحفرون عليها الارض وهي شديدة الحمرة تشبه الصندل وهذا الحب من قوا كد الادخار الزمان وثمر مرتين في السنة ورأيته ببلاد حراثر بية المهل لا ينقطع ثمره وهم يسمون الثمر (بفتح الهمزة والنون) وأظن ذلك هو الاصل في تسمية الحامض الذي من الفارسية الزهر وأثار الزمان

(ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها)

وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة وأول المزرعة عندهم في أوان القيظ وزرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستة اشهر ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكدرو (بضم الكاف وسكون الدال المعجمة وضم الراء وبعدها واو) وهو نوع من الذرة وهذا الكدرو هو أكثر الحبوب عندهم ومنها القال (بفتح القاف وتشديد اللام) وهو شبه الشاماخ (بالشين والخاء المعجمتين) وهو أصغر حبا من الشاماخ وأطول سنبلا وأكثر غلة من الشاماخ من غير زراعة وهو طعام الصالحين وأهل الزهد من الهنود لا كس يخرجون حبه من سنبله من غير زراعة فعسل احدهم قفة كبيرة ثم يدوسه وتكون بيده مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة فيجمعون منه

[illegible] جميع السنة وحد الشام [illegible] واذا جمع حصر في الشمس ثم دق
في مهاريس الخشب فيصير تمرا ويبقى نيئا ايام ويصنعون منه عسيدة ويطبخونها بحليب
الجواميس وهي أحب ما عندهم آكلها كثيرا [illegible] ويقوتهم في مدة الثلج وخروج
من الجبل وهم الميج (نعم مشهور وزوجه) وخروج من الجبل الاسم عندهم مستقيمة
وزيتهم الحمرة وتدخرون [illegible] كثيرا ما عندهم ويصنعون كثيرى (الكاف
والشين المعجمة والراء) وعليه يعتمدون في أكثر معاشهم الحمرة تسمى [illegible]
اللوبيا وهي نوع من الفول وهم الورد (سماهم) يشوونه ويأكلونه والاسم حمرة أصفر وهو
من عيش الدواب عندهم ونعم الدواب [illegible] لا قوة له وما عند الدواب
من هذا الحب والتبن يحرسونه ويحرسونه [illegible] ويعلفونها من تشرين
أول الى الربيع وان لم يجد الدابة تعشى عندهم ثلاثة أيام من كل [illegible] أوراقه
ولا يركبون في تلك الايام وعندهم [illegible] الذي ذكرناه وهذا الحب
الذي ذكرناه هي الحمرة [illegible] من زرعتها وزرعوا منه
الربيعة وهي القمح والشعير والعدس [illegible] في الارض التي كان الحبوب
الصيفية فيها وأما الارض التي لم يزرعوها فانها تعرف
في اللغة وهي أكثر الحبوب عندهم يزرعونها كثيرا ويحبون الحبوب
الشتوية التي تقدم ذكرها وبعد ان ذكر سعيد بن سافر من مدينة برقة وما يليها
يوم في اطراف جبل ميعة [illegible] كما ذكر لهتودورس ما قطعوا الطريق وأهل بلاد الهند
أكثرهم كفار وهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون البرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين
يقدمه لهم من أولاد الخديم الذي يسكن الفرية في أقطاعه وهم عساكر يحرسون ما حول
ويقطعون الطريق

(ذكر غزوة لهذا الفريق وهي أول غزوة غزوها [illegible] الهند)

ولما أراد السفر من مدينة أبرهرخ الناس من أول النهار وأقاموا الى نصف النهار
في القمص أصحاب ثم حملوا على ثمانين وعشرين فارسا منهم غرب ومعهم أصحابهم فخرج عليهم
في تلك الحراقف [illegible] من الكفار وفارسان وكل أصحابه [illegible] وعناك فقاتلهم
أشد القتال [illegible] فارسين منهم وعقر فرسه وقتل منهم [illegible] عشر رجلا
وأصيب شاة وأصابوا فرسين [illegible] ومن [illegible] الرمقة الآن [illegible] لا فرق بينه
وخرج لأحد أصحاب فرس عوضه [illegible] الكفار وقتل فرسه الخر وقتل
الترك من أصحابنا رأوا علامات الروس اى حصن أبى بكر فعدلوا على سورية وكان وصولنا

في نصف الليل الى حصن أبي كثير الذكور (وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف
وبالراء في آخره وبالراء) وهو على نهر يعرف بالمدينة جديش (وضبط اسمها بفتح
الجيم وبعدها ياء مثناة من تحت وبعدها شين معجمة) مدينة صغيرة فيها نخل لصالح فريد
بن الصاوي الذي أحسن الي أيام ولايته هذا الصقع وأعرض عن الاعتراض علي بالاسكندرية على
سائر ما فعلته به وحسده وشرع في سبب الحسد وأعلم عليه بهذه المدينة وهذا الشيء مثلي
بالوصاية والعين ولم يعلم أحد ايلاء يرمونه وإنما أتى من قبل نون أحد عمي أبويه
وهما راوية وأمونة وهما من أهل هذا الصقع وهما ابنا رهبان الدير المعروف بدير أبي
فانا وهو دير كبير في الجبل الشرقي من هذه المدينة وعلى نحو ميل منها وهي على نهر
يسمى نهر أبي فريدة الذي ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب (وهي بفتح الباء
الموحدة وبعد الالف الساكنة ميم مضمومة ثم واو ساكنة وجيم) وأنا أذكر ما عرض لي عن هذه المدينة على
سبيل الاختصار من رؤية وسماع وأذكر ما وقع عليه الوقوف عن سماع لوقوعه في باب بين وتمة كبيرة لها
رواية وهي ما ذكرته في جامع وقعة هلاكو وسأذكره

(ذكر أهل البلد الذين يحرقون أنفسهم بالنار)

ولما فرغت من هذا الذي رأيته لي من الاعتبار عرفت من عسكر بارعيم عن أصحابه فسألتهم
عما عزموا عليه من أمر النار فقالوا إن هذا الرجل أمرنا أن نحرق نفسها معه ولما
اختبرت حالهم وأيقنت أنهم لا يبقى لي الرفق معهم وعلمت كنت في تلك البلاد
أرى المرأة من كبارهم وهي تقود بقرة والبقرة تحمل من متاعها وصغار الاطفال والانواق
بين يديها ومعها لبراهمتهم كبراء الهنود وإذا كان للرجل من أصحابه أن تأثر لسيدان
في احراقها فيالله لم يحرقها ثم إني بعد مدة أتيت مدينة أكثر سكانها الكمار تعرف
بحري وأمر السلطان من عامر السند وعلى مقربة منها نهر كبير فعبرنا النهر وسرنا على طريق يوما
واحدا والامير المسلم لقتالهم وخرجت معه عدة من المدينين والكمار وقع بينهم قتال شديد مات
فيه من رعية الكمار سبعة عشر ألفا فلما تحققهم الهزيمة وخافوا على أنفسهم
واحرق المرأة بعضهم بعضا فمنهم من يحرق الرجل أصحابه ومنهم من احرقت نفسها
بعضهم وجها الجرة فاستقبلوا النار وهي لم تحرق بعضهم لشدة خشية
النيران وأعجب ما رأيته أن امرأة منهم بقيت واقفة على احراق نفسها وأبت
ما عاينت من شدة النار وأخبرني عن احراق نفسها أنها قضت تلك الثلاثة أيام في
عناء وتعب وأكل شيء وشرب ماء فلما كان اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بعرس فركبته وهي مريضة متعسرة وفي يمناها جوزة

نار جيل تلعب بها وفي يسراها مرآة تنظر فيها وحولها البراهمة يحوطون بها وبنارها معها وعن يديها الاطبال والابواق والمزمار وكل انسان من الكفار قد قرب لها شيئا من الطعام الذي أوتي أو أتى أو أمي أو صاحبي وهي تقول هم وتحمل لهم وكنت مع صحابي لا نرى كيفية صنعهم في الاحتراق فسرنا معهم نحو ثلاثة أميال وانتهينا الى موضع مدلهم كثير المياه والاشجار متكاثف الظلال وبين كل شجرة واربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة وعن اليمين صهريج عظيم قد تكاثفت عليه الظلال وتراجعت الاشجار فلا تخلص اليها الشمس فكأن ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم أعاذنا الله منها ولما وصلنا الى تلك القباب نزل الى الصهريج وانغمس فيه وخلع ما عليه من ثياب وحلي فتصدق به وتبت كل واحد منهن ثوب قصب خشن غير شيء قرظ بعضه على بعضها وبعضه على رأسه وكتفيها والنيران قد اضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع معين وقف عليه رجل يعين (كهند) وهو رئيس الحلالين فزاد في اشتعالها وهنالك نحو خمسة عشر رجلا من أمهم حزم من الحطب قد ارتفق ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار وأهل الاطبال والابواق وقرب من ثلاثين امرأة وقد حفت النار بالمحفة يمسكها الرجال بأيديهم لتلاعب عشاقها اياها وأتى الداعش بها وحملت الى تلك المحفة وعنها من أيدي الرجال عوض لهم منارا ميسرا ان داعش (آشر) من ميدام او اطش استرهاكي مارا وهي تضحك ومعنى هذا الكلام أنه سار بها وفوى انا اعلم انها نار محرقة ثم جمعت يديها على رأسها حمدة لله وسرت بقيتهن على فعلها وعند ذلك ضربت الاصال والانغار والابواق ورمى الرجال بأيديهم على الحطب عليها وحمس الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تحرك وارتفعت الاصوات وكبر الجمع وهللوا وسبحوا وكذلك يفعلون اذا طلعت أيضا في تعرق يعرق كثير منهم انفسهم في نار الكفر وهو الذي اليه يحجون وفيه يرمي برماد هؤلاء المحرقين وهم يقولون انه من الجنة وانا أن احدهم ليغرق نفسه قبل ان حسرة لا تدوا الى اعرق نفسي لاجل شيء من أمور الدنيا أو لقلة مال عندي التقرب الى كساي وكساي (بضم الكاف والسين المهملة) اسم الله عز وجل بلسانهم ثم يعرقه ثلاثة أيام ثم يخرجونه وأخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في النهر المذكور ولهذا هو الكلام الاول فقول سافرت من مدينة احودهن فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام الى مدينة برستي (وضبط اسمها بسينين مهملتين مضمومتين بينهما راء ساكنة ثم تاء مثناة مكسورة ثم ياء مثناة مكسورة ثم نون) مدينة كبيرة كثيرة الانهار والأشجار عظيمة ومنها يحمل الى حضرة دهلي وهي ذات محبى كثير جدا حدثني بعض من لقيته شمس الدين الترشحي عن اخباره واحيته ثم سافرت منها الى مدينة قنوسي (وضبط اسمها بضم القاف والنون وألف وواو ساكنة

وسين مهملة مكسورة وياء) وهي من أحسن المدن وأتقنها وأكثرها عمارة وأعظمها سورا عظيم ذكروا ان سوره حوى من كل شيء الا الكبريت يسمى سيرى (بكسر السين المهملة وفتح الراء) وله عندهم حكايات وأخبار ومن شهد المدينة شوكال الدين صدر الجهان قاضي قضاة الهند وأخوه قطب الدين معلم السلطان واخواهم نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع الى الله وجاور بمكة حتى مات ثم مسافر خان جاسي فوصلنا يوميين الى مسعود آباد وهي على عشرة أميال من حصرة دهلي واقمنا بها ثلاثة أيام وهي وسعودآباد هذه بلدان المعظم هوشنج (بضم الهاء وفتح الشين المعجمة وسكون النون وبعدها جيم ان المعظم كان كرك وكرنك (بكافين معقودين اولاهما مضمومة) ومعناه الذئب وسيأتي ذكره وكان سلطان الهند الذي قصد حضرته عائبا عنها بحيث قيل قتوح وبيهاوين حضره على عشرة أيام وكانت باحضره والدته وبدعى المحدومة جهان وجهان اسم المدينة وكان بها وزيره خواجه جهان المسمى بأحمد بن أياس الرومي الاصل فبعث الوزير اليه جماعة ليقتلوه وعين للقاء كل واحد منهم كان من صنفه فكان من الذين عينهم للقائي الشيخ المسندي والشريف المارندراني وهو صاحب العرياه والعبيه وهذا الذي المعاني المعروف بقمره (بضم العين وفتح الميم وتشديدها) وكتب الى السلطان محمد وبعث اليه بمع رأسه وعلى يد الرسالة حسام كرماه فوصل الى السلطان وأتاه الخبر في تلك الايام وهذه التي أشاهد مسعود آباد وبعد ذلك الايام خرج الى لقائنا بقصاة واقفة بها والمشايخ يعني الامراء وهم يسمون الامراء ملوكا حيث يقول اهل ديار مصر وغيرهم للامير ملوكهم الملك وخرج الى لقائنا الشيخ طيبر الدين الزنجاني وهو كبير المراء عند السلطان ثم رحلنا من مسعود آباد فمررنا بمقبرة من قرية تسمى بالم (بفتح الباء الموحدة وفتح اللام) وهي للسيد الشريف ناصر الدين مبشر الاوهري أحد ندماء السلطان ومن له عنده الحرمة والمكانة وفي غد ذلك اليوم وصلنا الى حضرة دهلي قاعدة بلاد الهند (وضبط اسمها بكسر الدال المهملة وسكون الهاء وكسر اللام) وهي المدينة العظيمة الشان الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير وهي أعظم مدن الهند من الاسلام كلها بالمشرق

(ذكر وصفها)

ومدينة دهلي كبيرة السائحة كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متصلات احداها المسماة بهذا الاسم دهلي وهي التي تسمى سيرى الكفار وكان افتتاحها سنة اربع وثمانين وخمسمائة والثانية تسمى سيرى (بكسر السين المهملة والراء وبعدها ياء مثناة) وتسمى بدار الخلافة وهي التي اعتمدها سلطان السلاطين غياث الدين حميد خليفة المستنصر العباسي لما

قدم عليه وبها كان سكنى السلطان عماد الدين واسمه قسيم الدين وسيد كرهما والثالثة تسمى تعلق أدمياسم بها السلطان تعلق والسلطان الجمدارى قدم عليه وكان سبب سكناه لها انه وقف يوما بين يدى السلطان فقال له يا جوبان كان يدعى بذلك هنا مدينة فقال له السلطان متى كانت سلطانا قديما فكان من قدر السلطان كان سلطانا فسماها وسماها باسمه والرابعة تسمى جن بناه وهى مسكنة بسكنى السلطان شمشاد بيت الجمدار الآن الذى تسمى عليه وهو الذى ساق ماء ان اراد ان يدخل هذا المدن فارغ تحت سور واحد فسمى منه بعضا وترك ساقية لعلم ما يلزم فى ذلك

(ذكر سور طوبا وأبوابها)

والسور المحيط بمدينة طوبا لا يوجد مثله سورا عرض ساقه احدى عشرة ذراعا وفيه بيوت يسكنها الحمار وحفاظ الابواب وفيه مخازن للطعام ويسمونها الاسراب ومخازن للعدد ومخازن للمجانيق وارعادات ويبقى الزرع بها مدة طويلة لا تعفن ولا تضرها ولقد شاهدت الارز يخرج من بعض تلك المخازن وهو جديد وكل شىء طيب ورأيت أيضا الكذر يخرج منها وكل ذلك من جهات السلطان التى هى تسعون مدينة وبنى فى داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة الى آخرها وفيه طريق مسقف من حجارة المدينة يحمل منها الصوف وأسفل هذا السور مبنى بالحجارة والجير بالاحكام وارتفاعه كارتفاع المدينة ولهذه المدينة ثمانية وعشرون بابا وهم يسمون الباب دروازة وهى ثمانى دروازة ساوى وهى الكبرى ودروازة المندوى وبها حجارة الزرع ودروازة دهل (اسم اعجمى) وهى بموضع البساتين ودروازة شاه اسم رجل ودروازة دهلم اسم قرية قد ذكرناها ودروازة اسم رجل ودروازة كمال كذلك ودروازة غرنة بها الى مدينة غرنة التى تصرف حرائر وحجارة اسمها العيدو بعض المعمار ودروازة الحالسة (عند انبار الجمر والصاد المهملة) وخارج هذا الدروازة مقابر وهى وهى مقبرة حسنة يسمون بها الصاب ولا تدفن كل قبر من شراب ومن لا يسقاه ويزرعون بها الاشجار المثمرة مثل شفه (كل شجيو) ورمان (رانجين) وسمرقند وسواها ولا اعلم هنالك لانقطع فى فصل من الفصول

(ذكر جامع طوبا)

وجامع دهلى كبير الساحة حسن البناء وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة اسمع تحت ملصقة لرصاص تقى الصدع ولا حشفة فيه وفيه ثلاثمائة عمود من حجارة ومسيره ايضا من الحجر وله أربعة صحون وفى وسط الصحن الاول العمود الذى لا يرى من أى المعابد هو وذكر لى بعض حكمائهم انه يسمى بعمر حوش (شخ زمان وسكين الماء ونحوه

وجسم مشموم وآخر شبيه بالعلم) ومعنى ذلك سبعة معادن وأنه مؤلف منها وقد حكى من هذا العمود مقدار السنة وأنك اذا مررت به بريق عصر ولا يخرج فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعا وادبرانه عمامة فكل الذى أحدثه من أدرع وعدد الباب الشرقى من أبواب المسجد صفان كبيران جذامن النحاس مدروطان بالارض قد ألصقت ظهوره وتطأ عتبهما كل داخل الى المسجد أو خارج منه وكان موضع هذا المسجد بيعة وهو بيعة الاصنام فلما اختط جعل مسجدا وفى الجهة الشرقى من المسجد الصومعة التى لا نظير لها فى بلاد الاسلام وهى مبنية بالحجارة الجر جلا فالحجارة سائر المسجد من جانبه وحجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وخلطوا من الرخام الابيض الناصع وتقاعيدها من الذهب الخالص وسعة قعرها بحيث تصعد فيه العربة حتى مر أنيق به انه رأى الفيل حين يثبت يصعد بالحجارة الى أعلاها وهى من بناء الناصر معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن وأراد السلطان قطب الدين أن يبنى بالجهة الغربى صومعة أعظم منها ومنى مقدارا ثلث منها واحكم دون تمامها وأراد السلطان محمد اتمامها فلم يرك ذلك تساوما وهذه الصومعة من عجائب الدنيا فى ضخامتها وسعة قعرها بحيث تصعد ثلاثة من الفيلة متقاربة وهذا الثلث الذى منها ساوا لارتفاع جميع الصومعة التى ذكرناها أنها على اتساعها وسعة تهامرة قرأت معظم دور المدينة وعامتها لا سوار على ارتفاعها ومنظرها محيط وظهور الناس فى أسفلها كأنهم الصغار وطيورها وغيرها اسفلها لان ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها وكان السلطان قطب الدين أراد أن يتم مسجدا جامعا يسرى المسماة دار الخلافة فهدم منه غير الحائط القبلى والمحراب وساوه بالحجارة البيض والسود والحمر والخضر ولو كمل لم يكن له مثل فى البلاد وأراد السلطان محمد اتمامه وبعث عرفاء البناء ليقدروا النفقة فيه فرعموا انه يحتاج فى اتمامه خمسة وثلاثون لكافترك ذلك استكثارا له وأحب فى بعض خواصه ان يدركه استكمالا لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

﴿ذكر الحوض الذى بجهة المشرق من المسجد﴾

وبجارح دهلى الحوض العظيم المنسوب الى السلطان شمس الدين لمش ومنه يشرب أهل المدينة وهو بالقرب من مصلاها وماؤه يجمع من ماء المطر وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج يدخل عليها الى الماء وبجانب كل دكان منه حجارة فيها مجالس للمتنزهين والمتفرجين وفى وسط الحوض قبة عظيمة من

الحجارة المنقوشة مجعولة طبقتين واذا كثر الماء في الحوض لم يكن يسقى منها الا في القوارب فاذا قل الماء دخل اليها الناس وداخلها مسجد وفي أكثر الاوقات يقيم بها الفقراء المتعبدون الى الله المتوكلون عليه واذا حفر الماء في جوانب هذا الحوض وزرع فيه قصب السكر والخيار والقثاء والبصل الاحمر والاصفر وغير ذلك اخذ ما يصلح لهم وهذا الحوض داخل باب الحرم وهو من داخل دار الخلافة حوض الخاص وهو أكبر من حوض العامة الذي شمس الدين وجيه حوله ثلاثين قبة ويسكن حوله اهل الضرب وهو معهم يسمى ضرب آباد والهم سوق هناك من أعظم الاسواق ومسجد جامع ومساجد وحمامات كثيرة وحسبان لهذا الماء يأتي اليه كل هناك يصلين التراويح في شهر رمضان يبث الله احد مجتمعات ويقوم بها خلق كثير وكذلك الرجال المعروف ولقد شاهدت الرجال أكثر من ضرب في عرس الامير سيف الدين غدا اس مهنى لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته وراجع الاذان في مقصورة وصلى

(ذكر بعض مزاراتها)

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي وهو ظاهر تركه كثير المعظم وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي انه كان اذا أتاه المدين عليهم المديون شاكين من الفقر أو الغرماء أو غير ذلك لهم السمات ولا يصدون ما عندهم من المال أو واحد من بعض غرمائهم كعكة من الذهب أو من الفضة حتى عرف من أجل ذلك بالكعكي وجعله الله وسيلة لقضاء حوائج الناس (بضم الكاف وسكون العين المهملة والكاف الثانية) معناه لغة عند هذه الامة الكرمة المستديرة الى كرمن وهو ما يخبز كبسط الخبز وهكذا تسمى بالعربية مخصوص وبتلك اللغة الموضع مقبور رجال صالحين كثير نفع الله تعالى بهم

(ذكر بعض علمائها وصلحائها)

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكاتب (بالحاء المهملة) وهو من كبار الصالحين والناس يزعمون انه يسقى من الكوثر لانه كان لا يطعم الوارد والصادر ويعطي ذهبا والناس يعطونه الفضة والفلوس وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بها وله مقبرة كثيرة وحصلت له بركته وهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين البيلوكي وهو مشهور في جميع مصر وانه أعلم من في أصبهان الشيخ العالم حسن بن علم الدين الارواني وهو يجلس في يوم كل جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه ويحلقون رؤسهم ويتواجدون ويغشى على بعضهم

(حكاية)

شاهدت في بعض الايام وهو يعظ الناس في المسجد الجامع (يا أيها الناس انتم في كل لحظة الساعة شيء عظيم يوم يرد بها على كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس

الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم كرر الفقيه علاء الدين فصاح أحمد للفقراء من ناحية المسجد صيحة عظيمة [illegible] فصاح الفقير ثانية ووقع ميتا وكنت ممن صلى عليه وحضر دفنه وهم السبع الصالح العالم صدر الدين الكاوراني (بضم الكاف وسكون الهاء وراء ونون) وكان يصوم الدهر ويقوم الليل ويخبر عن الغيب جميعا وسمعها وابن اسعد عباءه ويزوره السلطان وأهل الدولة ويرى احتشامهم فرعد السلطان منه أن يقتله فرئي يضم عمامة السوداء والوارين فأبى فناداه وارأيت في الليلة العشرة آلافا يسارقون يعلمانها وذكروا انه لا يفطر الا بعد ثلاث وقيل له في ذلك فقال لا أصبر حتى اصير وفصل لي المائة ومنهم الامام الصالح العالم العامل الورع الخاشع الزاهد وحمد عشره كمال الدين عبد الله العمري (بفتح العين وسكون الميم وراء) سمعت أبا عمران يذكره مصرحا على منبر شمس رأويه الشيخ سيف الدين البداوي ورقة بهذا العمر نحو مرات

(ذكر كرامة له)

كان لي غلام فأبق مني والضيعة ضاعت من أجله فمضيت أتفرج عليه فقيل لي الشيخ ان هذا الغلام لا يعود اليك فلا تتعب نفسك في طلبه فتركت المطالبة فعاد بعد أيام فاشتريت له ثيابا وركبته على حمار وطفت به في شهر فتن مرده وأن يسلم فأسلم فأعتقته ولاذ سيده فاعتذر وقال هذا الشيخ هذه كرامة اعتقت الله ولا منه وتركت الدنيا وتبعت جميع ما كان عندي للفقراء والمساكين وأقمت عنده مدة فكنت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوما ويقوم أكثر الليل ولم أزل معه حتى مشى على السنن وشئت في الدنيا ثابتة والله تعالى يختم لي بخير وسأذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وكيفية رجوعي الى الدنيا

(ذكر من تداولها من الملوك)

حدثني الفقيه الامام العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي الملقب بصدر الجهان ان مدينة دهلي اختطت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمسمائة وقد قرأت أنا هذا مكتوبا على محراب الجامع الأعظم بها وأخبرني ايضا بها الشيخ العالم قطب الدين بختيار (وهو بضم الخاء المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوق وبعدها ياء) سألته معناه فقال مقدم الجيوش وهو أحد مماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك غزنة وخراسان المتغلب على ملك ابراهيم بن السلطان العادل محمود بن سبكتكين الذي ابتدأ فتح الهند وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الامير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم

شأنه وسعى به الى السلطان وألقى اليه خلسة وانه يريد الاغراء على الحسد والله قد عصى وخالف وبلغ هذا الخبر ان قصد ان يقبض عليه فقام من ليلته وهرب على غرته ليلا ودخل على السلطان ولاعلم عند الدين وشوانه اليه لما كان بعد العشاء الآخرة جلس على سرير ودعا ايبك تحت السرير بحيث لا يشعر وجاء الدماء والخواص الذين سعوا به الى استقرهم الجرس سألهم السلطان عن شأن ايبك فذكروا له ما عصى وخالف وانه سمع عندنا انه ادعى الملك لنفسه فضرب السلطان سريره برجله فصفق بيديه وقال يا ايبك ليك وخرج عليهم فسقط في أيديهم وهرعوا الى تقبيل الارض فقال لهم السلطان قد غفرت لكم هذه المرة فتوبوا كم والعودة الى الكلام في ايبك وأمره ان يعود الى بلاد الحمد ويقيم بالبواري بمدينة دهلي وسواها واستقر بها الاسلام الى هذا العهد وأيام قطب الدين بها قصار

(ذكر السلطان شمس الدين التمش)

(وسط اسمه بفتح اللام الاولى وسكون الثانية وكسر الميم وبين معجم) وهو أول من ولي الملك عديه دهلي مستقره وكان قبل ذلك مملوكا لملك قطب الدين ايبك وصاحب عسكره وباشاعه فلما مات قطب الدين استبد بملك وأحدث له بيعة فأتاه الجميع فبايعهم فاضى القضاة ذلك الوجيه الذي لكاشان فصعد عليه وتعهد بين يديه وقعد تحته في جانبه على العادة وهم السلطان عهم ما أرادوا ان يعهدوه فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه وأخرج لهم عقد شمس عنه فقرأه القاضي وأشهد وبايعوه جميعا واستقل بالملك وكانت مدته عشرين سنة وكان عادلا حسن السياسة ومن مآثره انه استدعى برد المظالم وانصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا وأهل الحمد حينئذ يلبسون البياض فكان متى تعدى لباس أو ركب فرأى أحدا عليه ثوب مصبوغ بغير قميصه وصاعه من ظلمه ثم انه أعيى في ذلك فكان ان بعض الناس تجري عليهم المظالم بديل وأربى تحصيل انصافهم فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هناك وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان ويبعث في أمره فتعين ويتصفه ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الاولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الذي بعده ومعز الدين وناصر الدين وبنت تسمى رضية هي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه

(ذكر السلطان ركن الدين بن السلطان شمس الدين)

ولما بويع ركن الدين بعهد من أبيه فتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته فنكرت ذلك عليه فأرادت قتلها فما كان في بعض أيام جمع خرج ركن الدين الى

الصلاة

صلاة فصعد رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم وهو يسمى دولة معنة ولبست عليه ثياب الملوك وتعرضت نساس وكتمتم من أعلى السطح وقالت لهم ان أبي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه وقد كرتهم أمامي بها وفعلته لخير واحسن اليهم فثاروا عند ذلك الى السقيفة ركب الدين وهو في المسجد فقتلوه عليه وأتوا اليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه فصاحت اخيه وكان أخوهما ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على توليه رضية

(ذكر السلطانة رضية)

ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية الدين فولوها واستقامت الملك أربع سنين وكانت تركب كما يركب الرجال ولا تستتر وجهها ثم انها اتهمت بعد ذلك من الحبشي الذي كان على حفظها وتزوجته فخلعت وروجت من بعض اقاربها وولي الملك أخوها ناصر الدين

(ذكر السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين)

ولما خلعت رضية ولي ناصر الدين اخوهما الاصغر واستقل بالملك مدة ثم ان رضية وزوجها حالفا عليه وركبا في عساكرهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتوجهوا نحوه وخرج ناصر الدين ومعه عساكره النائب عنه غياث الدين بلبن متولي الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرت بنفسها فأدركها الموت واجهدها الاعياء فصعدت حرثا راته يجرن الارض فصلبت منه مأكلة فأعطاها كسرة فحرقت أكلتها وعجت عليها النوم وكانت في زي الرجال فلما نامت نظر اليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباء مرصعا فعلم انها امرأة فقتلها وسلبها وطرد فرسها ورمى بها في قناة واحدة من ثيابها فذهب الى السوق ليبيعها فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فسيره الى قرية قتلوا وظلم على مدة فهي تسمى حرثا وكفنوها ودفنت هناك وبنى عليها قبة وقبرها الآن يزار ويتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الامر عشرين سنة وكان ملكا صالحا يسمع من المظلوم الكتاب العزيز ويعينها ويقيم بنفسه وعدوه في تمام كل ليلة على مصحف بخطه متقن محكم الكتابة ثم ان نائبه غياث الدين بلبن قتله وملك بعده ولنذكر هذا الحرف بذكره

(ذكر السلطان غياث الدين بلبن)

(وصفته سمته سائس موحدتين بينهما الف والجميع مفتوحات وآخره نون) ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة وقد كان قبلها نائبا له عشرين سنة أخرى

وكان من خيار الملاعين ما لا يحلى ما يعتمد من مكارمه انه بنى دارا وسماها دار الامن فمن دخلها من الغرباء قضى دينه ومن دخلها من الجند أعطى وظيفة ومن دخل أحدا أرضى عنه اولياء المتوفى ومن دخلها من الرعايا أرضى غرماءه عنه وتلك الدار في ما بلغنا وقد درست فيما

(حكاية العروسة)

يذكر أن أحد الفقراء مر برأى بها ابن عباد وكان قد أحضر جهازا وما له يا تركا وهي لعبة تعرف عن الاحتفار فقال له يا سيدي أنت كلامه فقال ما لي من هذا الزمان واشار الى رمس بيع ما عنده وقال هم واخرج هذه العروسة واشتري بها من مال الزمان فما أحدث نفسه بذلك له وهب له فقال يا سيدي يعطيك قوت يومك وقلت وحيث واستمر ذلك في جميع واتفق ان بعث السلطان شمس الدين ليتش تاجرا يشتري له لما يليق بحرقه وصحاري ورمد فاشترى له ما تحمله كل من حلقه من ذلك وحمل ليتش على السلطان أعجبه جميع ما اشتراه فقال له أقض عنا فقال له ما عندي باحضر عالم لما اشتريت هو ذا ما لك فحسن منه وقال له يوم السبت فقضى ذلك الامر عن وحمل فقال نعم وقبله وجعله في حجره فاشتهر بين الناس بأنه يعرف ما في الغيب فصاروا يقولون للسلطان شمس الدين ان أحدهم ليملك يا خذ المال من مالك ويستولي عليه ولا يرالون يقولون له ذلك وهو لا يلتفت الى قولهم لصلاحه وعدله الى ان ذكروا ذلك للعالمون الكبرى ام أولاده وكرت لهما وأثرى نفسه وبعث عن المنجمين فقال أتعرفون الملوك الذي يأخذ منه اي دار أتوه فقالوا له نعم عندنا بالقاهرة فعرفه فامر السلطان بعرض جماعة من الحمير فعرضوا عليه فلم يعجبه منها شيء وقال لهم لم يبق عندكم غير فقالوا له لم يبق عندنا غير حمار الدراشم فقال ائتوني به فاحضروه فلما رآه قال هذا هو فاخذه وركب وسار به الى السوق فاشترى له ما أكله فجمعوا الدراشم وعلفوها له فلم يكن يوم أحقر منه فلم يجد السوق ما يأكله فتوجه الى سوق أخرى وأوجبت نوبة السقائين في العرض وهو ان يأخذ كل واحد منهم قربة ويعرضها على السلطان فمن قبل قربته اخذها ومن لم يقبلها لم يأخذها فاخذ حمار الصبي من يديه وانقضى العرض ولم يقبل الصبي قربته فاخذها وجاء بها بعد تمام العرض لما أراد منها فاعادها ثم انه صيرها تحت أمير السقائين ثم صار من جملة الامراء ثم من الامراء ثم تزوج السلطان بنت شمس الدين منه فمن ان بلي الملك لما ولي امتحن بثلاثة عشر سنة ثم قتل وتولى واستولى على ملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكره وكان للسلطان بليان ولدان أحدهما الخان الشهيد ولي عهده وكان

واليا

والياً لابيه بلاد اسندسا كما مر بعد سلطان وقتل في حرب له مع التتر وترك ولدين كي قباد وكي خسرو وولد السلطان عز الدين صاحب سيواس وكان وليّ عهد ابيه بلاد الاكسوتي وبعد قتله شهد لسان الشهيد حمل السلطان غياث الدين بلبن ابنه الى ولده كي خسرو وعدر عن ان نفسه بامر الدين وكان الصاحب فخر الدين أصار اندساكن تحت يده فلما مع جده يسمى معز الدين وهو الذي تولى املاك بعد جده في حجر تربيته وكفالته كما ذكرنا

(ذكر السلطان معز الدين بن صاحب الدين بن السلطان غياث الدين بلبن)

وبعد وفاة السلطان غياث الدين ابيه بلاد صاحب الدين عائد سندسا الاكسوتي وحسن العهد لابن اخيه الشهيد كي خسرو وحفظ ما قصد ساعة من حيث الامراء فلما السلطان غياث الدين عدوا لكي خسرو واداره بسببه وبعث له وهي انه كتب بيعة دلس فيه على خطوط الامراء الكبار بأنهم بايعوا معز الدين ابن السلطان بلبن ودخل على كي خسرو وكان مستصحبا له فقال له ان الامراء قد بايعوا ابن عمك وأخذ على ذلك منهم فقال له كي خسرو وما الخبر فقال أجمع معسكرك واركب لاستقبله فقال وكيف اخرج ولا اراك مسدود فقال له ان المال بيدي وأنا اعطيه فشكره على ذلك وقبض يده وركب الى خركاه في خاصته وهم نيكه وفي له الباب وأخرجه وسدّ في أثره واستدرك عن معز الدين بما فعله فقال كيف لي بذلك وولاية العهد لابن عمي وقد عاهد أبي على ذلك وحلف له عليه فقال له نكره ذلك الى داره ويبعث عن الامراء والاجناد ويعرفهم ما فعله معه ابن عمه من الغدر والخيانة وكان أبوه حين ارسل الكتاب الى الامراء قد ارسل الى ابيك وبعث الى ابي الملك ويستعين به وأقطعه اياه وفي جيوشه فلما خرقه بني وخرج في جيوشه أيضا قاصدا لمحاربته عنها فلما وصل فعل معه ما ذكر وهي على ما حكى الذي تجمع اليهود اليه فعمل ناصر الدين على شاكلته فعاملني كما عامل معز الدين مع ابي احمد الاخرس وابن بيهسه وعرض عن العمل ثم ان بعد ذلك أراد حمل ناصر الدين ولقي في ذلك ناصر الدين الرجفة فسار من دمشك بلاد شرف وأراد أن يرعب في ذلك وألقى في قلب السلطان معز الدين الراعبة لانه عزم كثيرا واحتشم حاشى عزمه معرضا عن جيوشه والتعب في وسط نهر حسن السعدين وحاربه واعتدر له فقال له أنوه فسوعبتك ملكي وبيعتك ما بيعوأراد الرجوع الى بلده فقال له لا سبيل لك من الوصول الى بلدي فقضي معه الى دهلي وحبس الغدر وأقعده وعلى سرير ملكه ووقف بين يديه وسمى ذلك لقاء لدى حكى بينهما ولم يزل السعدين لك يحسن حتى اعاد ما توانى عنك وانصافه عن المنازعة وأكثر الشعراء في ذلك وعاد ناصر الدين الى بلاده فمات بها بعد سنين وترك

بهادرية منهم غياث الدين بلبن الدوراني الذي أشيره السلطان بعلق واطلقه اسمه محمد بعد وفاته واستقام الملك لمعز الدين اربعة أعوام بعدت كانت كالاعياد رأيت بعض من أدركه يصف خيراتها ورخص أسعارها وحسن معز الدين وكرمه وهو الذي بنى الصومعة بالنجف الشمالي من جامع دهلي ولا نظير لها في البلاد وحكى لي بعض أهل الهند ان معز الدين كان يكثر النكاح والشرب فاعترته علة أخر الاطباء دواؤها وليس أحد شفيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخلجي (بفتح الخاء المعجمة واللام والجيم)

(ذكر السلطان جلال الدين)

ولما اعترى السلطان معز الدين ما ذكرناه من يأس أحد شفيه خلف عليه نائبه جلال الدين وخرج الى ظاهر المدينة ووقف على تل هناك بجانب جبة يعرف بعبة الجيش فبعث معز الدين الامراء الذين كانوا معه فكان كل من يعتقد منهم بايع جلال الدين ودخل في جملته ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام وحدثني من شاهد ذلك ان الجند من معز الدين أصابهم الجوع في تلك الايام فلم يجدوا ما يأكلونه فبعث اليه أحد الشرفاء من حيرانه ثريدة ودخل عليه القصر فقتله وولي بعده جلال الدين وكان حليما فيما حكاه وحشمه أعداء الى القتل كما سنذكره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف باسمه وهو الذي أعده السلطان محمد شهره لانه مر عندا ان مهى لما رأوه ناشئه وسيذكر ذلك فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين وابن أخ اسمه علاء الدين وجعله اقطاعه وولاه مدينة كره وما يكون وراء نهر جون وهي من أخصب بلاد الهند كثيرة القمح والارز والسكر وتصنع بها الثياب الرفيعة ومنها تحمل الى دهلي وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوما وكان كثير الوحشة علاء الدين تؤديه فلا يزال يشكوها الى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بعد ذلك وكان علاء الدين شهما مجربا مقدما معظما عند الناس محببا اليهم لا تأخذه في نصرة الحق لومة لائم لم يكن له مال الا ما يفيده بسيفه من غنائم الكفار وهو حق انه ذهب مرة الى العراق وبلاد الروم وغيرها وتسمى بلاد الاتكة يقصد سندكرها وهي كرسي بلاد المملوة والمرهتة وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفر فعثرت بعلاء الدين في تلك العروة دابة له عند حجر فسمع له صيحة فأمر بحفر ذلك الموضع فاستخرج كنزا عظيما ففرقه في اصحابه ووصل الى الدوبقصد فدعى له سلطانها الى طاعته وكتب من المدينة التي عين حرب وأهدى له هدايا يعتذر فيها فرجع الى مدينة كره ولم يبعث الى عمه شيأ من الغنائم فأغرى الناس عمه به فبعث عمه فامتنع من الوصول اليه فقتل السلطان جلال الدين أخاه اليه وآتى به وابنه محمد ولدا صغيرا في عساكره وطوى المراحل حتى حل بساحل مدينة كره حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج الى لقائه اليه صهره الدين وركب النهر برسم الوصول اليه من أخيه

وركب

وركب ابن أخيه أيضا فى مركب ثان عازما على القتال به ودل لاصحابه اذا أنا عانقته فاقتلوه فلما توسط النهر عانقه ابن أخيه وقتله أصحابه كما وعدهم واستولى على ملكه وعساكره

(ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجى)

ولما قتل عمه استقل بالملك وقرب اليه أكثر عساكر عمه وعاد بعضهم الى دهلى واجتمعوا على ركن الدين وخرج الى دفاعه فهزموا جيوشه الى السلطان علاء الدين وفر ركن الدين الى السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الامر عشرين سنة وكان من خيار السلاطين وأعدل الهند يثنون عليه كثيرا وكان يتفقد أمور الرعية بنفسه ويسأل عن أسعارهم ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس فى كل يوم برسم ذلك وبه كرانه سأله يوما عن سبب غلاء اللحم فأخبره أن ذلك لكثرة المغرم على الغنم فى الرتب فأمر برفع ذلك وأمر باحضار التجار وأعطاهم الاموال وقال لهم استروا بها الغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها الى بيت المال ويكون لكم أجرة على بيعها ففعلوا ذلك وقس مثل هذا على الاثواب التى تؤتى بها من دولة اباد وكان اذا غلا ثمن الزرع فتح المخازن وباع الزرع حتى يرخص السعر وبه كران السعر ارتفع ذات مرة فأمر ببيع الزرع بثمن عينه فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فأمر أن لا يبيع أحد زرعا غير زرع المخزن وباع للناس ستة أشهر فخاف المحتكرون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤدن لهم فى البيع فأذن لهم على ان يبيعوه بأقل من القيمة الاولى التى اشتروا من بيعه بها وكان لا يركب لجمعة ولا لعيد ولا سواهما وسبب ذلك انه كان له ابن أخ يسمى سليمان شاه وكان يحبه ويريد أن يعهد له فركب يوما الى العيد وهو معه وأضمر فى نفسه ان يفعل به ما فعل هو بعمه خلال الدين من القتل فما زال للعداء يرميه بنشابة فقصر عنه وعطاه بعض عبيده بترس وأتى ابن أخيه ليحوزه عليه فقال له العبد انه قد مات فصدقهم وركب فدخل القصر على الحرم وأفاق السلطان علاء الدين من غشيته وركب واجتمعت العساكر عليه وقرأس أخيه فأدرك وأتى به اليه فقتله وكان بعد ذلك لا يركب وكان له من الاولاد خضر خان وشادى خان وأبو بكر خان ومبارك خان وهو قطب الدين الذى ولى الملك وشهاب الدين وكان قطب الدين مهتما بأمر الصلاة عند موته فقص احد قلبى الحصوة وأعطى جميع اخوته المراتب وهى الاعلام والاطبال ولم يعط شيئا وقال له يوما لابد أن أعطيك مثل ما اعطيت اخوتك فقال له الله هو الذى يعطينى فهل أنا وهذا الكلام وفزع منه ثم ان السلطان أصابه المرض الذى مات منه وكانت زوجته أم ولد خضر خان وتسمى ماه ملك والماه القمر بلسانهم لها أخ يسمى سنجر فعاهدت أخاها على تمليك ولدها خضر خان وعلم ملك

ملك نائب أكبر امراء السلطان وكان يسمى الالفى لان السلطان اشتراه بألف تنكة وهى ألفان وخمسمائة من دنانير المغرب فوشى الى السلطان بما اتفقوا عليه فقال لخواصه اذا دخل على سحرفاى معظيه ثم اقاد لسه فامسكوا له كلامه واضربوا به الارض وافعلوا به فلما دخل عليه فعلوا ذلك وقتلوه وكان حصرحان غائبا موضع يقال له سدست على مسيرة يوم من دهلى توجه لزيارة شهداء مدفون به لنذر كان عليه من بشى تلك المسافة راجلا ويد عولوالده بالراحة لما بلغه ان أباه قتل خاله حزن عليه حزنا شديدا وفرق جيشه وتلك عادة لاهل الهند يفعلونها اذا مات لهم من يعز عليهم فجلع والده فصبر فكره ذلك فلما دخل عليه عمه ولامه وأمره فقيدت يداه ورجلاه وسجنه الملك نائب المذكور وأمره أن يذهب به الى حصن كالبور (وضبطه بسج الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخره راء) ويقال له أيضا كالبر بزيادة باء ثانيه وهو حصن منقطع بين كفار الهنود سبع على مسيرة عشرة من دهلى وقد سكنه أناس قبلنا أوصى الى هذا الحصن سيده الملك توان وهو أمير الحصن والمقدمين وهم الزمينون وقال لهم لا تقولوا لهذا ابن السلطان فتكرموه انما هو اعدى عدو له فاحبسوه كما يحبس العدو فاتاه المرض اشتد بالسجن فقال الملك نائب ابعث من يأتى بابنى حصرحان لا وليسه العهد فقال له هم وما طلبه سلك حتى سأله عنه قال هو ذا يصل الى أن توفى السلطان رحمه الله

(ذكر ابنه السلطان شهاب الدين)

ومات فى السلطان علاء الدين أقعد الملك نائب ابنه الاصغر شهاب الدين على سرير الملك وبايعه الناس وتغلب الملك نائب عليه وسمل أعين أخى بكرخان وشادى خان وبعث بهما الى كالبور وأمر بسمل عينى أخيهما حصرخان المحبوس هنالك وسملوا وسمل قطب الدين لكنه لم يسمل عينه وكان السلطان علاء الدين مملوكا من خواصه يسمى أحدهما بشير والآخر عنبر فعذب عنبر الخصيان لكدى زوجة علاء الدين وهى بنت السلطان معز الدين فذكرتهما بنعمة مولاهما وقالت ان هذا الذى نائب الملك قد قعد فى أولادى ما تعلمن انه يريد أن يقتل قطب الدين فعلا لهما سترين ما نصنع وكانت عادتهما أن يبيتا عند نائب الملك ويدخلا عليه بالسلاح فدخلا عليه ليلا وهو فى بيت من الخشب مكسو بالقف يسمونه الخرمقة ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر فحقق بنو أحد السيف من يد أحدهما فعلاه به وردد اليه فضربه المملوك وثنى عليه صاحبه واحتز رأسه وانيا به الى محبس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كانه نائبه ثم عزم على خلعه فخلعه

)*

(ذكر السلطان قطب الدين أخي السلطان علاء الدين)

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقبض أصحابه وبعث به الى كليور فحبس مع اخوته واستقام الملك لقطب الدين ثم انه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي الى دولة اباد وهي على مسيرة أربعين يوما منها والطريق بينهما كلها من الاشجار من الصنصاف وسواه فكان الماشي به في بستان وفي كل ميل منه ثلاث داوات وهي البريد وقد ذكرت ترتيبه وفي كل داوة جميع ما يحتاج المسافر اليه فكأنه يمشي في سوق مسيرة الاربعين يوما وكذلك تتصل الطريق الى بلاد التلنك والمعبر مسيرة ستة أشهر وفي كل مرحلة قصر للسلطان وزاوية للوارد والصادر ولا يفتقر الفقير الى حمل زاد في ذلك الطريق ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة ألهق بعض الامراء على الخروج عليه ونوبة ولد أخيه خضر خان المحبوس وسبعة وعشرة أعوام وكان مع السلطان في تلك السفرة أحد ابني أخيه المذكور واسمه بركلجه وضرب رأسه في الخيمة حتى ينفرد بعد ذلك بأحد الامراء ويسعى من عنده الى كليور حيث أولاد الولد واخوانه وأمرهم جميعا بحفظ ابني أخيه وبركلجه مبارك فاصبح هذا الحصن وقد قدم عليه ملك شرف بحوة يوم وكسر عسكر خضر خان بحصنه الى سمع بقدومه خاف وتحير لونه ودخل على الامير فقال له بيما نحن قول في ساحة حصن اذ لم نقل له نفسي سالمة فقال نعم وخرج عنه واستحضر الكشوال وهو صاحب الحصن والمقربين وهم الرماميون وكانوا ثلاثة آلاف رجل وبعث عنهم وعن العدول واستشهر بأمر السلطان فقرأوه وأتوا الى شهاب الدين المخلوع فسر بوا عنه وهو منتشر غير خارج ثم صربوا عنق أبي بكر خان وشادي خان ولما أبو البصر بوا عنق خضر خان قرع وهو ذل وكانت أمه معه فصدوا لبابها وقتلوه وحبسوهم جميعا في حجرة من ذكفين ولا عشر وأخرجوا بعد سبعة فدفنوا مقابر آبائهم وعاشت أم خضر خان مدة وأربعين سنة وثمانية أشهر وعشرين وحصن كليور هذا في رأس شاهق كأنه محفور من الصخرة يحيط به جبل وبداخله حباب الماء ونحو عشرين بئرا عليها الاسوار محيطة الى الحصن منحدرة عليها الحجارة والرعدات وبعد الى الحصن في طريق متسعة يصعدها الفيل والفرس وعند باب الحصن صورة فيل محفور من الحجر وعليه صورة فيال وادار أن الانسان على البعد لذلك انه فيل حقيقة وأسفل الحصن مدينة حسنة عليها كلها سور الحجارة البيض المحفورة مساجدها ودورها ولا حشب فيها ما عدا الابواب وكنت دار الملك بها الذهب والجواهر وأكثر سوقتها كفار وفيها ستمائة فارس من جيش السلطان لا يزالون في جهاد لا بهاين الكفر ولما قتل قطب الدين اخوته واستقل بالملك فلم يبق من يدافعه ولا من يحالفه بعث الله تعالى عليه

خاصته الخطى لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين حسر وخان فقتله به وقتله واستقل بملكه لان مدته لم تطل فى الملك فبعث الله عليه أيضا من قتله بعد خلعه وهو السلطان تغلق حسما يشرح ذلك كله مستوفى ان شاء الله تعالى أثر هذا ونسعده

(ذكر السلطان حسر وخان ناصر الدين)

وكان حسر وخان من أكبر أمراء قطب الدين وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جنديرى وبلاد المعبر وهى من أخصب بلاد الهند وبينهما وبين دهلى مسيرة ستة أشهر وكان قطب الدين يحبه محبة شديدة ويؤثره فجرد له جنده على يديه وكان لقطب الدين معلم يسمى قادى خان صدر الجهان وهو أكبر أمرائه وكليت (كليد) دروهو صاحب مفاتيح القصر وعادته أن يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم ألف رجل يبيتون مساوية بين أربعة ليال ويكونون صفين فيما بين أبواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحد الا بما بين سماء يهم وادا نام الليل أتى أهل نوبة النهار ولا هل النوبة أمراء وكتاب يبيتون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر وكان معلم السلطان قادى خان مكرما لحسر وخان ويراه مما رامن ايثاره بكثير المحمود وميله اليهم واصلاحه منهم ولا يرال يلقى ذلك الى السلطان فلم يسمع منه ويقول له دعه وسايرنا لما أراد الله من قدره على يديه فلما كان فى بعض الايام قال خسر وخان للسلطان ان جماعة من الهنود يريدون أن يسلموا ومن ورائهم بتلك البلاد الهندى اذا أراد الاسلام أدخل الى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره فقال له السلطان ائتنى بهم فقال انهم يستحيون ان يدخلوا اليك نهارا لاجل أقرانهم وأهل ملتهم فقال له ائتنى بهم ليلا فجمع خسر وخان جماعة من شجعان الهنود وكبرائهم فيهم أخوه خان خانان وذلك أوان ما تار واسلطان يسام فوق سطح القصر ولا يكون عنده فى ذلك الوقت الا بعض الاحيان فلما دخلوا الابواب الاربعة وهم شاكون فى السلاح ووصلوا الى الباب الخامس وعليه قادى خان أنكر شأنهم وأحس بالشر فمنعهم من الدخول وقال لابد أن أسمع من خوند عالم سيدى لاحد فى دخولهم وحينئذ سل خسر وخان سيفه فمنعهم من الدخول فهجموا عليه فقتلوه وعلت الصيحة بالباب فقال السلطان ما هذا فقال خسر وخان هم الهنود الذين أتوا ليسلموا فمنعهم قادى خان من الدخول وراء الصحيح فى السلطان وقام يريد الدخول الى القصر وكان بابه مسدودا والنيان عنده فقرع الباب واحتضنه خسر وخان من خلفه وكان السلطان أقوى منه فصرعه ودخل الهنود فقال لهم خسر وخان هود افرقى فى قتلوه فقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر الى صحنه وبعث خسر وخان

من

من حينه عن الامراء والملوك وهم لا يعلمون بما اتفق فكلما دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك فبايعوه ولما أصبح أعلن بأمره وكتب المراسم وهي الاوامر الى جميع البلاد وبعث لكل أمير خلعة فطاعوا له جميعا وادعوا الانتماء الى شاه والد السلطان محمد شاه وكان اذ ذاك أميرا بدمال بور من بلاد السند فلما وصلته خلعة خسرو خان مزقها بالارض وجلس فوقها وبعث اليه أحد خانات خان فهزمه ثم آل أمره الى أن قتله كما سنشرحه في أخبار تغلق ولما ملك خسرو خان آثر المحمود وأظهر أمورا منكرة منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود فانهم لا يحبون ذبحها وحراموا من يذبحها عندهم ان يحتاط في جلدها و يحرق وهم يعظمون البقر و يشربون ابوالها للتبرك وكذلك استقذاره امر عنوا ويلطخون بوثهم وحيطانهم بارواثها وكان ذلك مما يغض خسرو خان الى المسلمين وأما لهم عنه الى تغلق فلم تطل مدة ولايته ولا امتدت أيام ملكه كما سنذكره

(ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه)

(وضبط اسمه بضم التاء المعجمة وسكون الغين المعجمة وضم اللام وآخره قاف) حدثني الشيخ الامام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين بن الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله ابن الولي الامام العالم العابد بهاء الدين زكريا القرشي الملتاني براوية عنهما ان السلطان تغلق كان من الاتراك القراونة (بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون) وهم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك وكان ضعيف الحال فقدم بلاد السند في خدمة بعض التجار وكان كلوائيا له والد كاوائي (بضم الكاف المعقودة) هو راعي الخيل (حلوبان) وذلك على أيام السلطان علاء الدين وأمير السند اذ ذاك أخوه أولوخان (بضم الهمزة واللام) فخدمه تغلق وتعلق بحبائه فرقاه في السيادة (بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف) وهم الرجالة ثم طهرت نجابته فأثبت في الفرسان ثم كان من الامراء الصغار وجعله أولوخان أمير خيله ثم كان بعد من الامراء الكبار وسمي بالملك الغازي ورأيت مكتوبا على مقصورة الجامع بملتان وهو الذي أمر بعملها اذ فتحت اثنتين وسبعين وعشرين مرة فهرمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي ولما ولي قطب الدين ولاه مدينة دمال بور وبعمالتها (وهي بكسر الدال المهملة وفتح الباء الموحدة) وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله وكان يسمى حوجة (بضم الجيم والنون) ولما ملك تسمى بمحمد شاه ثم لما قتل قطب الدين وولي خسرو خان أبقاه على امرة الخيل فلما أراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم في القتال وكتب الى كشلوخان وهو يومئذ ببتان وبينها وبين دمال بور ثلاثة أيام يطلب منه القيام بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره

وكان ولد كشلوخان بدهلى فكتب الى تغلق ان لو كان ولدى عندى لاعنتك على ماتريد فكتب تغلق الى ولد محمد شاه يعنفه ممن عزم عليه ويأمره أن يقر اليه ويستصحب معه ولد كشلوخان فاداروا له الحيلة على خسرو خان وتمكنوا له كما أراد فقال لهان الحيل قد سمعت وتحدث وهى محتاجة الى براق وشواشتهر وأذن له فى تصيد شاه فكان يركب كل يوم فى أصحابه فيسير بها الساعة والساعتين والثلاث واسمرا الى أربع ساعات الى أن عاب يوما الى وقت الزوال وذلك وقت طعامهم فأمر السلطان بالركوب فى طلبه فيرجد له حتى وتبعه بأيه واستصحب معه ولد كشلوخان وجميع أمراء تغلق الخلاف وجميع العساكر وخرج معه كشلوخان فى أصحابه وبعث السلطان أحد خان خان لقتاله فهزمه شر هزيمة وهزم عسكره اليهم ورجع خان خان الى أخيه وقتل أصحابه وأخذت خزائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة دهلى وخرج اليه خسرو خان فى عساكره ونزل خارج دهلى بموضع يعرف بصيرى باد (أسيرى باد) ومعنى ذلك رخاء الريح وأمر بالخرائن فنهبت وأعطى الاموال بلا حصر لا يدرى ولا يعد ووقع الماء بينه وبين تغلق وقتلت الهنود أشد قتال وانهزمت عساكر تغلق وهمت محلته ونهب فى أصحابه الا قليلين التحقوا بتغلق فقال لهم انى أرى الرأى حيثما أدركنا قتلنا واشتغلت عساكر خسرو خان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا قليل وقصد تغلق وأصحابه موقعه والسلطان هسانك يعرف بالشهر (حتر) الذى يرفع فوق رأسه وهو الذى يسمى بديار مصر الصفة والطير ويرفع ما فى الاعياد وأمام الهند والصين فلا يفارق السلطان فى سفر ولا حضر فلما قصده تغلق وأصحابه جرى القتال بينهم وبين الهنود وانهزم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب فمال عن فرسه ورمى ثيابه وسلاحه وبقى فى قميص واحد وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهنود ودخل سماهمنك واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فأتاه الكثير ليلا فى الطريق ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشلوخان أنت تكون السلطان فقال كشلوخان لى أب يكون السلطان وتنازعا فقال له كشلوخان فان أبيت أن تكون سلطانا فتولى ولدك فكره هذا وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك وبايعه الخاص والعام وذلك كان بعد ثلاث من ابتداء خروج خسرو خان وهو مختف بالبستان خوف وطمع به فوجد القمر فسأله طعاما فلم يكن عنده فأعطاه خاتمه وقال اذهب فأرهنه فى طعام فذهب به الخادم الى السوق فذكر الناس أمره ورفعوا الى الشحنة وهو الحاكم فأدخل على السلطان تغلق فاعلمه من دفع اليه الخاتم فبعث ولده محمد الى أبى به فقبض عليه وأتاه به راكبا على بغل (شقين مشقين) ولاهما مصوحة والثانية مصمومة) وهو البرذون الماشل بين يديه فنزل له الى جانب فاتى بالطعام فأمر له بالشربة ثم بالطعام

ثم القطاع ثم التمول فلما أكل قام قائما وقال ياتغاق أفعل معي فعل المملوك ولا تفضحني فقال له لك ذلك وأمره فحسر ثوبه وذلك في الموضع الذي قتل هو به قطب الدين ورمى رأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو برأس قطب الدين وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام وكان عادلا فاضلا

(ذكر مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك)

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده محمد لفتح بلاد التلنك (وضبطت بكسر الباء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقود) وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلي وبعث معه عسكرا عظيما فيه نحو الأمراء من الملك المعمور (فتح التاء المعلوة وضم الميم وآخره راء) ومن الهند تلكين (بكسر التاء المعلوة والكاف وآخره نون) ومن ملك كادور المهردار (بضم الميم) ومثل ملك بيرم (بباء موحدة مضمومة وياء آخر الحروف والراء مضمومة) وسواهم فلما بلغ الى أرض التلنك أراد المخالفة وكان له نديم من الفقهاء شاعر يعرف بعيد فأمره أن يلقي الى الناس ان السلطان تغلق توفي وظهر ان الناس سايروه وسيروا عيالهم واسعفوا ذلك على ألقى ذلك الى ليس أكره الامر الا وضرب كل واحد منهم حمله وخلف فلم يبق معه من أحد وأرادوا قتله فعرفهم ما فعله لتغلق ودعاهم الى أن يعرفوا أمره في عشرة من العرسان ممن هم بالري موافق معه وأصحاب الموافقون فأعطاهم أموال الاموال واستكروا منه بالعود الى الملك فعاد اليه وعلم أنه عما كان أراد وفعل له عيدا وأمر عنك كادور المهردار فضرب له عمود في الارض تحدود الظهر وركز في عنقه حتى خرج من جنبه طرفه ورأسه الى أسفل وبرك على ذلك الحال وفر من بقي من الامراء الى السلطان شمس الدين بن سلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن واستقر عنده

(ذكر مسير تغلق الى بلاد التلنكيوي وما حصل بذلك الى وفاته)

وأقام الامراء هناك عند السلطان شمس الدين ثم ان شمس الدين توفي وعهد لولده شهاب الدين بجلوس مكان أبيه ثم غلب عليه أخوه الاصغر غياث الدين بهادور ونوره ومعه من عنده من الاسود والسودان على المدينة وقتل أخاه فتح الدين وسائر اخوته وقر شهاب الدين وناصر الدين سوم الى تغلق فتوجه معه فضل أخيهما وحلف ولده محمدا نيابة عنه في ملكه وحسن السير الى بلاد التلنكيوي فتغلب عليها وأمر سلطانها غياث الدين بهادور وقدم به أسيرا الى حضرته وكان عدي مدينة دهلي فلوني - نام الدين البذاوني ولا زال محمد شاه ابن السلطان يتردد اليه ويعظم جذامه ويسأله الدعاء وكان بأحد الشيخ حال تغلب عليه فقال ابن السلطان لجذامه اذا كان الشيخ في حالة التي تغلب عليه فاعلمني بذلك قبل أن أحدثه

الحال اعلموه فدخل عليه فلما رآه الشيخ قال وهسالله الملك ثم توفي الشيخ في ايام غيبة السلطان فحمل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فاسكر دوتوعد دوكان قد رابته منه أمور ونقم عليه استكباره من شراء المماليك واجرائه العطايا واستمالته قلوب الناس فراد حقنه عليه وبلغه ان المنجمين زعموا انه لابد خل مدينة دهلي بعد سفره ذلك فيتوعدهم ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصرا وهم يسمونه الكشك (بضم الكاف وشين معجم مسكن) على وادهنالك يسمى افغان بور فبناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعا على الارض قائما على سواري خشب وأحكمه بهندسة يولي الدطر فيها الملك زاده المعروف بعبد دلك خواجة جهان واسمه أحمد ابن اياس كبير وزراء السلطان محمد وكان اد ذاك شحنة العمارة وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه انه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط ويزل الملك ان بالقصر واعلم الناس وتفرقوا واستأذن ولده في ان يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة فأذن له وحدثني الشيخ ركن الدين انه كان يوم تذمع السلطان ومعهم ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد بن السلطان فقال للشيخ ياحمود هذا وقت العصر انزل فصل قال لي الشيخ فدرت وأتى بالافيال من جهة واحدة حسبما دبروه فلما وطئتها سقط الكشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ سمعت الصيحة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط فأمر ابنه أن يؤتى بالفرس والمسحي للحفر عنه وأشار بالابطاء عليه يؤتيهما الا وقد غربت الشمس فحفروا ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقيه الموت فرعم بعضهم انه أخرج ميتا ورعم بعضهم انه أخرج حيا فأحفر عليه وحمل ليلا الى مقبرته التي بناها بخارج دهلي المعروفة باسمه تعلق انه فدفن بها وقد ذكرنا السبب في سائله لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وتصور وهو القصر الاعظم الذي جعل قوائمه مذهبة فاذا طلعت الشمس كان لها لون عصيم وبصيص يمنع البصر من ادامة النظر اليها وحدثني بها الاموال الكثيرة ويذكر انه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب افراغا فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي وبسبب ما ذكرناه من هندسة الوزير خواجه جهان في بناء الكشك الذي سقط على تغلق كانت حظوته عند ولده محمد شاه وايثاره له فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم

(ذكر السلطان أبي المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذي قدمنا عليه)

ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه

وقد

وقدمنا انه كان اسمه محمودة فلما ملك تسمى بمحمد واكنى بأبى المحاسن وكل ما ذكرت من شأن سلاطين الهند فهو مما أخبرت به وتلمذته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان العروى قاضى القضاة وأحد أحبار هذه الملة وعظمائها مشاهدته أيام كونى بسلاده

(ذكر وصفه)

وهذا الملك احب الناس فى أسداء المعروف باوراقة الدماء فلا يحتلو بابه عن فقير يغنى أو محتاج يقتل وقد شهرت فى الناس حكايات فى اكرامه واصطناعه وحكايات فى القتك والبطش بدوى الحاجات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اصغاء للعدل والحق وشعائر الدين عنده محفوظة وله اشتداد فى أمر الصلاة والعقوبة على تركها وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وحرق العادة فيمن تقدمهم ولكن الاغلب عامته الكرم وسنذكر من أخباره فى ذلك ما لم يسمع بنظيره عمن تقدمه وأنا أشهد بذلك وثلثه ورسمه ان جميع ما أنفل عنه من الكرم الخارق للعادة فحق على وكفى بالله شهيدا واعلم ان بعض ما آثر من ذلك لا يسع فى عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ولكنه شيئا عاينته وعرفت عينه وأحدث عنه وافر مسه لا يسعنى الا قول الحق فيه وأكثر ذلك ثابت بالتواتر فى بلاد المشرق

(ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك)

ودار السلطان بدهلى تسمى دار سرا (سير) وهى بمعنى (الراء) ولها أبواب كثيرة فأما الباب الاول فعليه حجابة من الرجال موكلون به من أهل الاحترام والاوراق والضربايات فاذا جاء أمير أكبر ضربوه بعصيهم على ما جرت به عادتهم وكذلك أيضا فى الباب الثانى والثالث وحجاب الباب الاول هم الذين تعد عليهم الخلق وهم الذين يقتلون الناس على العادة عندهم بغير أمر السلطان عن أحد من على باب المشورة وبين هناك ثلاثة أبواب الباب الاول يسمى دهليز كرفى وهو كالكيس مبنية من حجارته يقعد عليه أهل النوبة من حفاظ الابواب وأما الباب الثانى فيقعد عليه الحواجون الموكلون به وبما بين الباب الثالث وكذلك كثيرة تقعد عليها بغير البقاء وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده وعلى رأسه كلاه من الذهب مرصع فى أعلاه ريش الطواويس والبقاء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفى وسطه منطقة وبيده سوط نصابه من ذهب أو فضة ويقضى هذا الباب بنحو الى مشور كثير متسع يقعد فيه الناس وأما الباب الثالث فعليه كاكير يقعد فيها كاكير الباب ومن عوائدهم أن لا يدخل على هذا الباب أحد الا من عينه السلطان لذلك ويعين لكل انسان عددا من أصحابه ويسمى يدخلون معه

وكل من يأتى الى هذا الباب يكتب الكتاب ان ولا ناجاء فى الساعة الاولى او الثانية أو ما بعدهما من الساعات الى آخر النهار ويصالح السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة ويكتبون أيضا بكل ما يحدث بالباب من الامور وقد عين من أبناء الملوك من يوصل كل ما يكتبونه الى السلطان ومن عوائدهم أيضا انه من غاب عن دار السلطان ثلاثة أيام فصاعدا اعذر أو لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها الا باذن من السلطان فان كان له عذر من مرض أو غيره قدم بين يديه هدية مما يليق به اهداؤه الى السلطان وكذلك أيضا لا يدخلون من الاسفار والغيبة يهدى المتصف والكتاب وشبهه والفقير يهدى المصلى والسبحة والمسواك ونحوها والامراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح ونحوها هذا الباب الثالث يفضى الى المشور الهائل لفسيح الساحة المسمى هزار اسطون (بفتح الهاء وبالزاى وألف وراء) ومعنى ذلك ألف سارية وهو سوارى من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش يجلس الناس تحتها وهذا المشور يجلس السلطان فيه للجلوس العام

(ذكر ترتيب جلوسه للناس)

وأكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس أول النهار وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض فوقها مرتبة ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك وقعوده كجلوس الانسان للتشهد فى الصلاة وجلوس أهل الهند كلهم هذا جلس وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان ونائبه وهو أدنى الحجاب من السلطان ثم يليه خواص حاجب ثم نائب خاص حاجب ووكيل الدار ونائبه وشرف الحجاب وسيد الحجاب وجماعة تحت أيديهم ثم يشير الحجاب النقباء وهم نحو مائة وعند جلوس السلطان ينادى الحجاب والنقباء بأعلى أصواتهم بسم الله ثم تقف على رأس السلطان امه الكبير قبوله وسيده المذبة يشرتيها الديباج ويقف سائقو الجمازة عن يمين السلطان ومشاهم عن يساره بأيديهم الدرق والسيوف والقسى ويقف فى الميسرة وبيسرة المشور قاضى المشور قاضى الحضراء ثم صدر القضاء ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشعراء ثم المشايخ ثم اخوة السلطان وأصهاره ثم الامراء الكبار ثم كبار الاعزة وهم أمراء القوم ثم يؤتى بستين فرسا مسرجة ملجمة بحمايات سلطانية فيها ما هو شعار الخلافة وهى التى ذهب ودواثرها من الحرير الاسود المذهب ومنها ما يكون ذلك من الحرير الاحمر المذهب ولا يركب ذلك غير السلطان فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال حيث يراها السلطان ثم يؤتى بخمسين فيلا مزينة بثياب الحرير والذهب مكمزة أيها بها ياعدة اعداد لقتل أهل الجرائم

وعلى

وعلى عنق كل فيل قبالته وبيده شبه الصولجان من الحديد يؤدبه به ويقومه لما يراد منه وعلى ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك وبنحو بحسب جسامة الفيل وعظم جرمه ويكون في أركان ذلك الصندوق أربعة أعلام من كورة وتلك الهيئة معلمة أن يخدم السلطان ويحمي رؤسها فإذا اقترب قال الحجاب بسم الله بأصوات عالية ويوقف أيضا صفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكل من يأتي من الناس المعينين للوقوف في الخيمة أو المباشرة يخدم عند موقف الحجاب ويقول الحجاب بسم الله ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صيت الذي يخدم فإذا أخدم انصرف من موقفه من الخيمة وإذا شرع في الخدمة أساور من كان من كفار الهنود يخدم ويقول له الحجاب والعياذ بهذا الله ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترسة والسيوف فلا يمكن أحدا الدخول بينهم إلا بين يدي الحجاب القائمين بين يدي السلطان

(ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه)

وإن كان الباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب إلى السلطان على ترتيبهم يقدمهم أمير حاجب وبابه حلقه ثم من حاجب وبابه حلقه ثم وكيل الدار وبابه حلقه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ويخدمون في ثلاثة مواضع ويقومون السلطان يمنى في الباب فإذا أمرهم أن يأتوا به دخلوا بالهدية التي جاء بها بأيدي الرجال فيقومون بها أمام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول إلى السلطان ثلاث مرات ثم يخدم عند موقف الحجاب فإن كان رجلا كبيرا وقف في صف أمير حاجب والا وقف خلفه ويخاطبه السلطان بنفسه ألطف خطاب ويرحب به وإن كان ممن يستحق التعظيم فإنه يصافحه أو يعانقه ويطلب منه من هديته فيحضر بين يديه فإن كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده وأظهر استحسانها بحيث الخاطر مهديها وإيناسه ورفقه به وحلم عليه وأمر له بمال لعسل رأسه على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدي

(ذكر دخول هدايا عماله إليه)

وإذا أتى العمال بالهدايا والأموال المجتمعة من نحاء البلاد صعدوا الأواني من الذهب والفضة مثل الصوت والأباريق وسواها وصعدوا من الذهب والفضة قطعا شبه الآجر يسمونها الخشت (بكسر الخاء المعجمة وسكون الشين المعجمة وتاء معلوة) ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفا والهدية بأيديهم كل واحد منهم خشت قصعة ثم تقدم الفيلة إن كان في الهدية شيء منها ثم الخيل المسرجة الملجمة ثم الجمال عليها الأحمال ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة آباد ولقيه بها في ظاهر مدينة

بيانة فأدخلت الهدية اليه على هذه الترتيب ورأيت في جملتها صينية مملوءة باختيار الياقوت وصينية مملوءة باختيار الزمرد وصينية مملوءة بالبرلوا الساجر وكان حاضرا وان عم السلطان أبو سعيد من العراق حاضرا عنده حين دخلت فأعاد جميع ذلك عليه فيما بعد ان شاء الله تعالى

(ذكر جلوسه للعيد ولوازم يتصل بذلك)

واذا كانت ليلة العيد بعث لسائر الملوك والخواص وأرباب الدولة والاعيان والكتاب والحجاب والفقهاء والامراء والعبيد وأمين الاخبار وجميع الذين تعلم جميعا بانه كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والديباج وهو شيء يكون من ستة عشر فيلا يركب أحد اثنى عشر منها ويركب الاثنان ويرفع عليها ستة عشر حفيرا (حفيرا) من الحرير مرصعة بالجوهر قائمة كل شطار منها ذهب خالص وعلى كل فيل من هذه الحفير مرصعة بالجواهر ويركب السلطان فيلا منها وترفع امامه العلامة وهي ستة وعشرون علما مكون من مرصعة بأنفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم يكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر ويمشي بين يديه أمراؤه وهم نحو ثلثمائة وعلى رأس كل واحد منهم اقراوف ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة تصابها ذهب ويركب قاضي القضاة حذرا جيهان كل الذين العراق وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الذين الخوارزمي وسائر القضاة وكبراء العرب من الحرابيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة كل واحد منهم على حدة وجميع العرباء عندهم يسمون العراسانيين وركب المؤذنون أيضا على الفيلة وهم ثلثمائة ويصرح لهم بان يصرخوا على هذا الترتيب والعساكر بمنصوره كل أمير بوجهه على حدته مع صوته وعلامته فيقدم السلطان وامامه من ذكرناه من المشاة وامامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى وخلف السلطان مراتبه وهي الاعلام والصولجان والاطواق والاعلام والصرباب وحاشيهم جميع أهل دولته ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعساكره ثم يليه سلطان بهرام خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن عمه ملك دولر بمراتبه وعساكره ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك محمد بن ذي الرحمن بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك كبير قبولة بمراتبه وعساكره وهذا الملك كبير القدر عند عساكر الهند ثم يليه سلطان حسن صاحب دولة ثقة الملك علاء الدين علي المدعو المعروف بن الشرايشي ان نفقته ونفقة عبيده ومرتبه ثم ستة وثلاثون لكاني السنة ثم يليه الملك ذكية بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك بقره بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك

قطب

قطب الملك عراتبه وعساكره وهؤلاء هم الامراء الكبار الذين لا يفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بسوطه وركب غيرهم من الامراء دون مراتب وجميع من ركب في ذلك اليوم يكون مدرعا ومسلحا وأكثرهم يحمل السلطان فاذا وصل السلطان الى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الامراء وكبار الاعزة ثم نزل السلطان ويصلي الامام وخطب على عادته في كل عيد الاضحى أن السلطان يحمل مصحفا مرصعا ويسمونه النير (كمرانوس وتخ ري) بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل ويعود الى قصره

(ذكر جلوسه يوم العيد وذكر السرير الاعظم والمصحف المرصع)

وفرش القصر يوم العيد وزين بأبدع الزينة وضرب السادكة على المشور كله وهي شبه حنية عظيمة تقوم على أعمدة أمام كبير وتجعل عليها أقمشة من كل حنية ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها أشكال طيور ويجعل بين كل ثلاثة صفوف بالمشور ويجعل بين كل شجرتين كرسي عليه مرتبة معدة ويصف السرير الاعظم في صدر المشور وهو من الذهب الخالص كله مرصع بالجواهر وطوله ثلاثة وعشرون شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك وهو مفصل وتجمع قطعه فتنتصب وكل قطعة منه يحملها رجال لثقل الذهب وتجعل فوقه المرتبة ويرفع المصحف المرصع بالجواهر على رأس السلطان وعند ما يصعد على السرير يبدي الحجاب والنقباء أصوات عالية بسم الله ثم يتقدم الناس للسلام فأولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشايخ أصحاب السلطان وأقاربه وأصهاره ثم الاعزة ثم الوزير ثم أمراء العساكر ثم شيوخ المماليك ثم كبار الاجناد بسلم واحد أثر واحد من غير تزاحم ولا تدافع ومن عوائدهم في يوم العيد أن كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدينار ذهب مضروبة في حرقة مكتوب عليها اسمه ويلقيها في طست ذهب هناك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء فاذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم ويصعد في ذلك اليوم المحرة المعمى وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة فاذا أرادوا اتخاذها وصلوها وتجمع القطعة الواحدة منها جمع من الرجال وفي داخلها ثلاثة سوت يجلس فيها المحرمون وهم الطواشي الحمادي والدقي والعسراء الشهب والجاموي حتى يتم ذهاب المشور كله ويكون أي الثلاثة رأيس المحرمة والقصبة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صباحا هذا السرير وهذه المحرة لا يخرجان الا في العيدين خاصة ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب تاركته بعيدة لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الاول منها عماد الملك سرتيز

وعلى الباب الثانى المثلث تكبية وعلى الباب الثالث يوسف بعرة ويقف على ليمين امراء
امالايك اسلحدارية وعن اليسار الكاشف ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك صغير
بيده عصى ذهب وبيده الاخرى عصى فضة يرتب الناس ويسوى الصفوف ويقف الوزير
والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء شرباتى عن الضرب فاولهم حاجب الحجاب الكبار
من الخدود المسيبيات فى تلك الستة تيغتين ويرقص ويهنى السلطان للامراء والاعزة ثم يأتى
بعده من سائر مماليك الكبار فيغنى ويرقص ويهنى كل واحد واقفا مواضعهم وأماكنهم
المعلوم ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر ثم يجلس فى اليوم الذى بعده بعد العصر
أيضا على ذلك الترتيب ويؤتى بمغنى فيغنى ويرقص ويهنى الامراء انما ايك وفى اليوم
الثالث يروح الامراء ويهنيهم على الميرة الرابع يعتق العبيد وفى اليوم الخامس يعتق
الجوارى وفى اليوم السادس يروح لعيد الحوارى وفى اليوم السابع يعطى الصدقات
ويكثر منها

(ذكر ترتيبه اذا قدم من سفره)

واذا قدم السلطان من أسفاره زينت القاهرة ورتبت على سبعة عشر فيلا منها ستة عشر شطرا
منها مركش ومنها مرصع وحملت امامه العاشية وهى الستارة المرصعة بالجوهر النفيس
وتصنع قباب من الخشب مغشوة على طبقات وتكسى بثياب الحرير وتكون فى كل طبقة
الحوارى المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حلية ومنهن رواقص ويجعل فى وسط كل
قبة حوض كبير مصنوع من الخلود تملأ عماء الجلاب مجلوبا بالماء يشرب منه جميع الناس
من وارد وصادر وبدوى أو عربى وكل من يشرب منه يعطى التمر والقرفل والبكوب مابين
العساكر مفرق وشاشيات الحرير على رأس عامة مراكب السلطان وترتب حصان الشارع الذى
يمر به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير وتمشى امامه المشاة من عبيدهم آلاف
وتكون الافواج والعساكر خلفه ورأيته فى بعض قدمته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو
أربع من الرعادات الصغار على الميدان تضرب بالدبابير وقدراهم على الناس فيلتقطونها من
حين دخوله الى المدينة حتى وصل الى قصره

(ذكر ترتيب الطعام الخاص)

والطعام بدار السلطان على قسمين طعام الخاص وطعام العام فأما الخاص فهو طعام
السلطان الذى يأكل منه وعادته أن يأكل فى مجلسه مع عدة حاضرين ويحضر لذلك الامراء
الخواص وأمير حاجب حاجبان عن السلطان وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس ومن شاء السلطان
تشريفه أو تكريمه من الاعزة أو كبار الامراء دعاه فأكل معهم وربما أرداف تشريف

أحد

أحد من الحاضرين فأخذ احدى الخصاف بيده ويجعل عليها خبزة ويعطيه اياها فيأخذ احدها المعطى ويجعلها على كفه اليسرى ويجعل يده اليمنى الى الارض ورما يأخذ من ذلك الطعام الذى هو عند من المجلس فيجعله كما يصنع الحاضر ويأكله مع من حضره وقد حضرت مرات هذا الطعام الحاضر فرأيت هذا الذى يحضرون له نحو عشرين رجلا

(ذكر ترتيب الطعام العام)

وأما الطعام العام فيؤتى به من المطبخ ومعه النقباء فيحضرون سم الله وينيب النقباء امامهم بيده عمود ذهب وبيده معه عمود فضة فاذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور اصواتهم فى مراتبهم أجمعين ولا يتخلف أحد قاعدا الا لسلطان وحينئذ اوضع الطعام بالارض واصطف النقباء صفا واحدا وقف أمرهم امامهم وتكلم كلام يمدح فيه السلطان ويثنى عليه ثم يخدم ويخدم النقب خدمته ويخدم جميع من بالمشور من كبير وصغير وعادتهم انه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف ان كان ماشيا ولزم موقفه ان كان واقفا ولا يحرك أحد ولا يبرح عن مقامه حتى يفرغ ذلك النقيب من كلامه ثم يتكلم أيضا نقيب كلاما نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب الباب معترفين بحضور الطعام وان كان السلطان قد علم بحضوره ويعطى المكتوب لصبى من اصاغر المماليك موكل بذلك فيأتى به الى السلطان فاذا رأى عين من شاء من كبار الامراء اقرب الناس وطعمهم واطعامهم ارز مفلق والشوى من لاقراص ذات الحواتب المتوسطة الحمراء والارز والدجاج والسمك وقد ذكرنا ذلك وحصر ما ترتيبه وعادتهم ان يكون فى صدر بساط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ ثم أرباب السلطان ثم الامراء الكبار ثم سائر الناس ولا يقعد أحد الا فى موضع معين له فلا يكون بينهم تزاحم البتة فاذا جلسوا الى البساط دارية وهم السقاة أيديهم وانى الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالسلسل المحلول بالماء فيشربون بذلك قبل الطعام وقد ذكرنا ان الخصاف سم الله ثم يشرعون فى الاكل ويجعل امام كل انسان من جميع من يجلسون عليه السماط يأكل منه وحده ولا يأكل أحد مع أحد فى صحفة واحدة فاذا فرغوا من الاكل أو اما منع فى أكوارا لقصد رفع أحد وقبل الخصاف سم الله ثم يؤتى باطباق النبول والفوفل فيعطى كل انسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من النبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر فاذا أخذ الناس النبول قبل الخصاف بسم الله فيقومون جميعا ويخدم لامير المعين للاطعام ويخدمون خدمته ثم ينصرفون وطعامهم مرتان فى اليوم احداهما قبل الظهر والاخرى بعد العصر

(ذكر بعض أخباره فى الجود والكرم)

واما أكرمها ما حضرته وشاهدته وعاينته ويعلم الله تعالى صدق ما أقول وكفى به شهيدا مع ان الذى أحكيه مستفيض عند سوار والبلاد التى تقرب من أرض الهند كاليمن وخراسان وفارس معروفة بأخباره يعلمون حقيقة ولا سيما حرده على العرب فانه فضلهم على أهل الهند ويؤثرهم ويجعل لهم الاحسان ويسبغ عليهم الانعام ويوليهم الخطط الرفيعة ويولهم المواهب العصبة ومن احسانه اليهم ان سماهم الاعزة ومع من سماهم العرب فان ان الانسان اذا دعى غريبا اذكر خاطره وغير حاله وسنذكر بعضا مما لا يحصى من عطاياه الجزيلة ومواهبه ان شاء الله تعالى

(ذكر عطائه لشهاب الدين الكاروني التاجر وحكايته)

كان شهاب الدين هذا صديقا لملك التجار الكاروني الملقب بيرو برو كان السلطان قد أقطع ملك التجار مدينة كسايه ووعده أن يوليه الوزارة فبعث شهاب الدين ليقدم عليه فاتاه وأهدى هدية سلطانية وهى سرحة من ابدع المصنوع المزين بورقة الذهب وصيوان مما يناسبها وحباء وتاسع وحباء راحه كل ذلك من المنسوج المزين وبغال كثيرة مما قدم شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وحمد أحد اياد القدوم على الحضرة فيما اجتمع عنده من بحائى بلاده وهديته للسلطان وعلم الوزير رحمه شهاب الدين وعده بها السلطان من ولاية الوزارة فعاد من عنده وقلق بسببه وبيت له كسايه والحرارات قبل ذلك المدة فى ولاية الوزير ولا يمكنه بعد ان تحاماه واعتاض به وتحكم له وأثرهم لسار وبعضهم عصاه يمتنعون بالجبال فدس الوزير اليهم من دبر لهم على ملك التجار فاخرج الى الحضرة فاخرج بالحراس والاموال ومعه شهاب الدين بهديته للسلطان وعلم الوزير رحمه شهاب الدين على عادتهم وتفرقت العساكر وبقام أكثرهم فضرب عليهم الكمار فى جمع عظيم فقاتلوا ملك التجار وسلبوا الاموال والحراس وحديثة شهاب الدين وجماعة معه وكتب المخبرون الى السلطان بذلك فأمر أن يعطى شهاب الدين من مجبى بلاده عشرة آلاف دينار ويعود الى بلاده فعرض عليه ذلك فأبى من قبوله وقال ما قصدى الا رؤية الخاص فقبل الارض بين يديه فكتبوا الى السلطان بذلك فأعجبه قوله وأمر بوصوله الى الحضرة فكرمه وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخول من عاينه فخلع عليه جميعا وأمر بارزاقه واعطى شهاب الدين عطاء جزلا فيما كان بعد ذلك من مال السلطان لسنة آلاف تنكه كما سنذكره وسأل فى ذلك اليوم عن شهاب الدين ان هو فعال له شهاب الدين ان له ملكى يحوه عالم قيد انعم عطاءه ما ندرى ثم قال له شنيدم مرحمت داره (دارد) معناه سمعت ان له عندنا

فضل

فقال له السلطان بروهمين زمان درخزانة يك لك تنكه ريكرى اويش أوبه ى مادل اوحش (خوش) شود معناه امش الساعة ان الخزانة وحدها مائة الف تنكه من الذهب واجلب اليه حتى يبقى خاطره طيبا فعن ذلك فأعطاه ذهبا وأمر الناس أن يشترى بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشترى أحد من الناس شيئا حتى يجهز هو وأمر له بثلاثة مراكب محوزة من آلاتها ومن مرتب الحربية وزادهم ليسافر فيها فسافر ونزل بجزيرة هرمز وبنى بها دارا عظيمة رأيتها بعد ذلك ورأيت ايضا شهاب الدين وقد فنى جميع ما كان عنده وهو بشيراز يستجدى الناس بها أراه الله وهكذا حال هذه البلاد الهندية قل يخرج أحد منها الا الصادر والخارج منها ووصل الى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفنى ما بيده كما اتفق لشهاب الدين هذا ولم أحدثه فى الفتنة التى كانت بين ملك هرمز وابنى أخيه جميع ما عنده وخرج سليما من ماله

(ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين)

وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة ببغداد بمصر أبى العباس وطلب منه ان يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقادا منه فى الخلافة فبعث اليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ سيد ركن الدين فلما قدم عليه بالغ فى اكرامه واعطاه عطاء جزلا وكان قد مرض فدخل عليه وعاده ثم صرفه واعطاه أموالا طائلة وفى جملة ما أعطاه جوهر من صفائح الخيل ومسامير ها كل ذلك من الذهب الخالص وقال له اذا ارتحلت من البحر فانزل امراس سفنها وجه الى كنباية تركب البحر منها الى بلاد اليمن فوقعت قضية خروج القاضى جلال الدين وأحد عشر انسانا الكولمى فأخذ أيضا ما كان اعطى الشيوخ وقرر عليه مع اس الكولمى الى السلطان فلما رآه السلطان قال له مما رحا مدى كرر (كدر) برى باذكرى (دلرباى) صم جرى رنجرى وبرهى معناه حتى تحمل الذهب تأكله مع الصور الحسن فلا تحمل ذهبا وأرسله عليه عما قليل فقال له لك على معنى الانبساط ثم قال له اجمع حاصرك فهو أنا سائر الى الخط الغربى وأعطيك اضعاف ما أخذ منك وبلغنى بعد الانفصال عن بلاد الهند انه وفى له بما وعده وحلف له جميع ما ضاع منه وانه وصل بذلك الى ديار مصر

(ذكر عطائه لواعظ الرمدى ناصر الدين)

وكان هذا الفقيه الواعظ قدم على السلطان وأقام تحت احسانه مدة عام ثم أحب الرجوع الى وطنه فأذن له فى ذلك ولم يكن سمع كلامه وعظه فخرج السلطان يقصد بلاد المغرب أحب سماعه فسأل احد افراده فأمر أن يعطاه منخر من الصندل الابيض المقاصرى وجعلت مسامير وصفائحه من الذهب والصق باعلاه حجر ياقوت عظيم وخلع على

ناصر الدين خلعة عباسية سوداء مذهبة مرصعة بالجوهر وعمامة مثله ونصب له المنبر داخل السراجة وهي افراج وقعد السلطان على سرير دونه حراس عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والامراء مجالسهم بحسب حصة اليه ووعظ وذكر ولم يكن يوما مشهودا لكثرة سعادته ساعدته فيه المقادير من المشرق والسلطان اليه ونقه وأركبه بحمل فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكنت في جملة من مشى الى سراجته ضربت له مقدمة سراجة السلطان جميعها من الحرير المذهب وصيوانها من الحرير وحباوها أيضا كذلك خمس وعشرون حباوة وكان نحاس من السراجة أواني الذهب التي أعدها السلطان لياكلها وسماط كبير بحيث يسع في حوضه الرجل الماشي وقد ران الناس ونحو ألف ذكر عددهم وحدهم كوار وركوة ومسندة وماندهلها أربعة أرجل ومحمل للكتب كل ذلك من ذهب خالص ورفع عماد الدين اسماعيل تدين من أوتار السراجة أحدهما نحاس والآخر قصدير يوهم بذلك انهما من ذهب وفضة ولم يكونا كما ذكرنا وقد كان أعطاه حسين قدومه مائة ألف دينار درهم ومئتين من العبيد سرى بعضهم وحسن بعضهم

(ذكر عطائه لعبد العزيز الاردبيلي)

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدثا قرأ بدمشق على بني الدين ابن تيمية وبرهان الدين ابن البرهان وجمال الدين المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهم ثم قدم على السلطان فاحسن اليه واكرمه واتفق يوما انه سرد عليه أحاديث في فضل العباس واسرد في ذلك عنه شيئا من مآثر الخلفاء أولاد فرح فتعجب ذلك السلطان لحفظه في العباس وقبل قدمي الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها اثنا عشر كيسا فصب عليه بيده ومن هي ذلك مع الصينية وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم

(ذكر عطائه لشمس الدين الاندكاني)

وكان الفقيه شمس الدين الاندكاني حكى شيئا من شعره امتدح به السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدد أبياتها تسعة وعشرين بيتا فاعطاه عن كل بيت منها ألف دينار درهم وهذا أعظم ما يحكى عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على البيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء السلطان

(ذكر عطائه لعضد الدين الشونكاري)

وكان عضد الدين فقيها اماما فاضلا كبير القدر عظيم الصيت شهير الذكر سلاده قبلغت السلطان أخباره وسمع آثاره فبعث اليه الى بلد شونكار عشرة آلاف دينار درهم ولم يره قط ولا وفد عليه

)*

﴿ذكر عطائه للقاضي مجد الدين﴾

ولما لمعه أيضا حسن اعتقاده في العالم الصالح الكبير العابد الشهير مجد الدين قاضي شيراز الذي سطر أخباره في السير وسيأتي ذكر خبره بعد هذا أيضا بعث اليه الى مدينة شيراز صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم

﴿ذكر عطائه لبرهان الدين الصغرشتي﴾

وكان برهان الدين أحد الوعاظ الائمة الكبار الذين لا يملكه حتى الملوك الكبار يأخذ الديون ويؤثر على الناس فبعث حسرة الى السلطان فبعث اليه أربعين الف دينار وطلب منه أن يصل الى حضرته فقبل الدنانير وقضى دينه منها وتوجه الى بلاد الخطا وأبى ان يصل اليه وقال لا أمضي الى سلطان يقف العلماء بين يديه

﴿ذكر عطائه لحاجي كاون وحكايته﴾

وكان حاجي كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكا بعض بلاد العراق فوفد حاجي كاون على السلطان فاكرمه وأعطاه لعطاء الجزيل ورأيته يوما وقد أتى الوزير خواجة جهان بهدية وكان منها ثلاثون صبية بيضا أحدها مملوءة ياقوتا والاخرى مملوءة زمردا والاخرى مملوءة جوهرا وكان حاجي كاون حاضرا فأعطاه من ذلك حظا جزيلا ثم انه أعطاه أيضا لما عزم بعض ممالك العراق فوجد أثناء قد توفي وولي مكانه سليمان خان فطلب ارث أخيه وادعى الملك وباعته العساكر وقصد بلاد فارس وزل بمدينة شوشكارة التي بها الامير عضد الدين الذي تقدم ذكره أنفا فحاربه فلما رأى خيارجها أنه خرج وجها عن الخروج اليه ساعة ثم خرجوا فقال لهم ما منعكم عن تعجيل الخروج الى مبايعتنا فاعتذروا له فلم يقبل منهم وقال لا سبيل بلاحه فيخبار (جفار) معنا فجردوا السيوف فجردوها وصبروا أعطاهم وكانوا جماعة كبيرة فجمع من بجاورهم من هذه المدينة من الامراء بما فعله فغضبوا لذلك وكتبوا الى شمس الدين الصحراوي وهو من الامراء الفقهاء الكبار فاعلموه بما جرى على أهل شوشكارة وطلبوا منه الاجابة على قتاله فتجرد في عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بثأر من قتل حاجي كاون من المشايخ وصبروا على عسكر ليلا فوجدوه وكان هو بقصر المدينة وأحاطوا به وحبسوه في بيت النساء فعثر وعليه وقصموا رأسه وبعثوا به الى سليمان خان وتوزعوا أعضاءه على البلاد تشفيا منه

﴿ذكر قدوم ابن الخليفة عليه وأخباره﴾

وكان الامير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي قد وفد على السلطان علاء الدين طرمشيرين ملك ما وراء النهر

ما كرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضي الله عنهما واستوطن بها عواما ثم لما سمع محبة السلطان في بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه وبعث له رسولين أحدهما صاحبه القديم محمد بن ابي الشرف الخرباوي والثاني محمد الهمداني الصوفي فقدما على السلطان وكان ناصر الدين الرمدي الذي تقدم ذكره قد التقى غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه فشهد هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسولاه الى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما ثلاثين ألف دينار الى غياث الدين ليتزود بها اليه وكتب له كتابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه فلما وصله الكتاب رحل اليه فلما وصل الى بلاد السند وكتب المحرر يرد قومه بعث السلطان من يستقبله على العادة ثم لما وصل الى سرستي بعث أيضا لاستقباله صدر الحوباني قاضي القصة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء ثم بعث الامراء لاستقباله فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم فخدم له السلطان وكان قد استصحب هدية في جملتها فيلان فأحد السلطان أحد الفيلين وحمله على كتفه وحدم كما يفعل الناس معه ثم قدمت الخيل فأحد السلطان أحدها بيده وقدمه له وحلف أن يركب وأمسك ركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسائر من لشصر بطه معهما وأحد التسول بيده واعطاه اياه وهذا أعظم ما أكرمه به وانه لا يتعهد مع أحد وقال له لولا اني بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضا على تلك البيعة وقال له غياث الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلما من أحيى ارضا موانا فهي له وأنت احييتها فجاوبه السلطان بلطف جواب وأمره ونهاه وصلا الى الدراجة المعتد لنزول السلطان امر له فيها وضرب للسلطان غيرها وباتا تلك الليلة بخاوج الحضرة فلما كان بالغد دخلا الى دار الملك وامر له بالمدينة المعروفة بسيري وبدار الخلافة فنصا في القصر الذي سماه علاء الدين الخلجي واسمه قصر الدين وأمر السلطان جميع الامراء أن يصوا معه اليه وأعد له فيه جميع ما يحتاج اليه من الاواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب وبعث له أربعمائة ألف دينار لغسل رأسه على العادة وبعث له خلعا من القبيان والخسم والجواري وعين له عن نفقته في كل يوم ثلاثة دينارو بعث له زيادة اليها عددا من الموائد بالطعام الخاص وأعطاه جميع مدينة سيري اقطاعا وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من سائر المحترف وأرضه وأعطاه مائة قرية واعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلي واعطاه ثلاثين بغلة لسروج الذهبية ويكون علفها من المحترف وأمره أن لا يزل عن دابته اذا أتى دار السلطان الا في موضع خاص لا يدخله أحد راكبا سوى السلطان

وأمر

وأمر الناس جميعا من كبير وصغير أن يخدموه كما يخدموا السلطان واذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره وان كان على الكرسي قام قائما وخدم كل واحد منهما بما يصلحه ويجلس مع السلطان على بساط واحد واذا قام السلطان لقيامه وخدم كل واحد منهم ما واذا انصرف الى خارج المجلس حمل له بساط قعد عليه ماشاء ثم ينصرف يفعل هذا مرتين في اليوم

(حكاية من تعظيمها اياه)

وفي أثناء مقامه بهذه البلاد ورد من بلاده بعض حاله فأمر السلطان كبار الامراء أن يخرجوا الى استقباله ثم خرج بنفسه الى استقباله وعظامه تعظيما كثيرا وصنعت القباب بالمدينة كما تصنع للسلطان اذا قدم وخرج بن الخليفة بغلة شهباء وأصناوا بها والنصاد والاعيان فلما عاد السلطان الى قصره قال للوزير امض الى دار المخدوم وراده وبلغه عني دعوة ومعنى ذلك ان المخدوم فسار الوزير اليه واهدى له لؤلؤ تمكة من الذهب وأثوابا كثيرة وحضر الامير قبولة وغيره من كبار الامراء وحضرت أنا كذلك

(حكاية نحوها)

وقد عمل السلطان ملك عربة المسمى بيبرس وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة قديمة فأمر السلطان بأن له بعض دور مدينة سيري التي لابن الخليفة وأمر أن يبنى له بها دار فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى الى دار السلطان فجلس على البساط الذي عادته الجلوس عليه وبعث عن الوزير فقال له سلم عن خوشداشك وقل له ان جميع ما اعطانيه هو بمرأى لم أصرف في شيء منه بل رد عندي وما أريد أقيم معكم وقام وانصرف فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا فاعلمه ان سبب أمر السلطان ببناء الدار لملك عربة في مدينة سيري فدخل الوزير على السلطان فاعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من باسه وأتى منزل ابن الخليفة فاستأذن له ونزل عن فرسه ودخل القصر حيث نزل الناس فتلقاه واعتذر له فقبل عذره وقال له يا سلطان والله ما أعلم انك راض عني حتى تضع قدمك على عنقي فقال له هذا ما لا أفعله ولو قتلت فقال له السلطان وحق رأسي لابد لك من ذلك ثم وضع رأسه في الارض وأخذ الملك الكبير قبوله رجل ابن الخليفة بيده ووضعها على عنق السلطان ثم قام وقال الآن عمت بالك راض عني وطاب قلبي وهذه حكاية غريبة لم نسمع بمثلها عن ملك ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير يبلغ سلام من عند السلطان مع فرجة فوضعها على مكان عقد الحرير التي تعلق بها حبات جوهر قدر البندق الكبير وأتى الملك الكبير بالفرجة حتى نزل من قصره فكساه بها والذي أعطاه جوهرا لا يحصره العد ولا يحيط به الحدس وان الخليفة مع ذلك كله أبخل خلق الله تعالى وله في البخل أخبار عجيبة يعجب منها سامعها وكأنه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولنذكر بعض أخباره في ذلك

(حكاية من بخل ابن الخليفة)

وكانت بيني وبينه مودة وكنت كثير التردد الى منزله وعنده بركت ولد الى سميته أحمد لما سافرت ولا أدري ما فعل الله بهما فقلت له يوما لم تأكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام فقال لي لا أستطيع أن أعرضهم على كثرتهم وهم يأكلون طعامي فكان يأكل وحده وبعض صاحبه محمد بن أبي الشرفي من الطعام ما أحب ويتصرف في باقيه وكنت أتردد اليه فأرى دهليزه قصرا الذي يسكن به مصطبا الاسراج به ورأيته مرارا يجمع الاعواد الصغار من الحطب بداخل بستانه وقد ملأ منها محبارين فكلمته في ذلك فقال لي يحتاج اليها وكان يخدم أصحابه ومماليكه وعياله في خدمة البستان وسائله وقول لا أريد بي أن يأكلوا طعامي وهم لا يحمدون وكان على مرتدين فجلست يوما عنده فقال لي في بعض الايام والله لقد هممت ان أؤدي عنك دينك فلم تسمح نفسي بذلك ولا ساعدتني عليه

(حكاية)

حدثني مرة قال خرجت من بغداد وأنا رابع أربعة أحدهم محمد بن أبي الشرفي صاحبه ونحن على أقدامنا ولا زاد عندنا فمر لنا على عين ماء بعض القرى فوجد أحدنا في العين درهما فقلنا وما نصنع بدرهم فاتفقنا على أن نشتري به خبزا فبعثنا أحدنا لشرائه فأتى اخبار تلك القرية أن يبيع الخبز وحده واما بدرهم خبزا بفراط وبنصف بقيراط فاشترى منه الخبز والتين فمر بنا النهر ولا زاد له لنا تأكله وتسعف الخبز لقمة لقمة وقد انتهى حالي اليوم الى ما تراه فقلت له ينبغي لك أن تحمد الله على ما أولاك وتوثر على الفقراء والمساكين وتتصدق فقال لا أستطيع ذلك ولم أره قط يجود بشيء ولا يفعل معروفا ونعوذ بالله من الشح

(حكاية)

كنت يوما ببغداد بعد عودتي من بلاد الهند وأنا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التي بناها جده أمير المؤمنين المستنصر رضي الله عنه فرأيت شابا ضعيف الحال يشتد خلف رجل خارج عن المدرسة فقال لي بعض الطلبة هذا الشاب الذي تراه هو ابن الامير محمد حميد الخليفة المستنصر الذي بلاد الهند فقلت له اني قدمت من بلاد الهند وأي أعرف أباك بخبر أبيك فقال قد جاءني خبره في هذه الايام وهو يشتد خلف الرجل فسألت عن الرجل فقيل لي هو الشاطر في الحمس وهذا الشاب هو امام مسجد الحمس وله على ذلك أجرة درهم واحد في اليوم وهو يطلب أجرته من الرجل فعجبت منه والله لو بعث اليه جوهرة من الجواهر التي في الخلع التي واصلة اليه من السلطان لاغتنمها ونعوذ بالله من مثل هذه الحال

*)

(ذكر عطاء السلطان للامير سيف الدين غداي هدية الله بن مهنى أمير عرب الشام)

ولما قدم هذا الامير على السلطان أكرم مثواه وانزله بقصر السلطان جلال الدين داخل مدينة دهلي ويعرف بكشك لعل معناه القصر الاحمر وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جدا وهلير هائل على باب قاعة تشرف على هذا المشور وعلى المشور الشاني الذي يدخل منه الى القصر وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتلعب الكرنبيس بين يديه في هذا المشور وقد دخلت هذا القصر عند نزوله به فرأيته مملوءا أثاثا وفرشا وبسطا وغيرها وذلك كله متمزق لا ينتفع فيه فان عادتهم الهند أن يتركوا قصر السلطان اذا مات بجميع ما فيه لا يتعرضون له ويبقى المتولي بعده قصر النعش ولما دخلته صعقت به وصعدت الى أعلاه فكانت لي فيه عبرة نشأت عنها عبرة وكان معي الفقيه الطيب الاديب جمال الدين المعربي الغرناطي الاصل الحصائي المولد مستوطن بلاد الهند قد مها مع أبيه وله بها أولاد فأنشدني عند ما عاينا ه (خفيف)

وسلاطينهم سل الطين عنهم * فاترؤوس العظام صارت عظاما

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما ذكره وكان السلطان شديد المحبة في العرب مؤثرا لهم معترفا بفضائلهم فلما وصل هذا الامير أجزل له العطاء وأحسن اليه احسانا عظيما واعطاه مرة وقد قدمت عليه هدية أعظم ملك اساريدي من بلاد منكبور أحد عشر فرسا من عتاق الخيل وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة ثم زوجه بعد ذلك بأخته فيروزخوندة

(ذكر زواج الامير سيف الدين بأخت السلطان)

ولما أمر السلطان بتزويج أخته للامير عداي للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونويس (بشين معجم مفتوح وواو وأو لهما ساكن والاخرة مكسورة بينهما نون وآخره سين مهملة) وعيني للاقامة الامير عداي والكون معه في تلك الايام فأتى الملك فتح الله بالصيوانات فطفن بها المشورين بالقصر الاحمر المذكور وضرب في كل واحد منهما قبة عظيمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مماليك السلطان وأحضر الصاحين والخبازين والشوائين والحلوائيين والشرسارية والقبول داران وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ويحضر الامراء الكبار والاعزة ليلا ونهارا فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا الى هذا القصر فزينه وفرشته بأحسن الفرش واستحضر الامير سيف الدين وكان عربيا غريبا لا اقرباء له يخصونه واجلسته على مرتبة معينة له وكان السلطان قد أمر ان تكون زينته أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير

غداوان يكون امر أدأخرى من الخواتين مقام أحتـه وأخرى مقام عمتـه وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أعينهن ولم أر لسه على المرأة حتى له الحق عليه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن ويصرفن الى قدر الكفاف وأقام هو مع خواص أصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء كونوا من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به حلوتها على زوجها وبأيدي الزوج جماعته فلا بد حتى يعطوا الاان عدوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخلعة حرير ورقاء مركشة مرصعة قد علت الجواهر عليها فرضوا لونها مما عليها من الجوهر وبشاشية مثل ذلك ولم أر قط خلعة أجمل من هذه الخلعة وقد أتى بها السلطان على سائر أصهاره مثل ابن ملك الامراء عماد الدين السمناني وابن ملك النحل وابن شيخ الاسلام وابن صدر جهان البخاري فلم يكن فيها مثل هذه ثم ركب الامير سيف الدين في أصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصى قد أعدها وصنعوا شيئا كاليل من الياسمين والنسرين والريحان وله رفرف يغطي وجه المتكال به وصدره وأتوا به الامير ليجعله على رأسه فأبى من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بأمور الملك والحضر فخلته وجلس عليه حتى جعله على رأسه وأتى باب القصر واستعونه باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم أصحابه حتى عربة وصرعوا كل من رصدهم فعبروا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات ولما رأى ذلك السلطان فأعجبه فعبر وجلس الى المشور وقد حملت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر والمشور ملآن بالنساء والمغنيات قد أحضرن أنواع الآلات المصرية وكاهن وقوف على قدم الحلالاله وتعطيا فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عمدأ ولى درجة منه وقامت العروس وتمشت حتى صعدت فأعطته القبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه ولبعض النساء والمغنيات فغنين حينئذ بالاطبال والاوتار والازمار فتصرف حاجب الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه بيد أبيها فمرش والنسر ونثرت الدنانير عليه وعلى أصحابه وجعلت العروس في محفة وحملها العبيد على أعناقهم الى قصره والخوانين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء شيئا واحدا أمر وأكبر خرج اليوم ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته حتى أوصلوها الى قصره ولما كان بعد يبعث العروس الى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم واعطى السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبدرة دراهم من ألف دينار الى مائتي دينار وأعطى المغنيات فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة

والبدر

والبدو وكذلك لاهل الطرف وبلادهم بلاد لهند أن لا يعطى أحد شيئا لاهل الطرف انما
يعطيهم صاحب العرس وأنعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضى العرس وأمر السلطان
أن يعطى الامير غدا بلاد المالوة والجزات وكنبايه وبهروج وحمل في ايديهم كورباتات عليه
عليها وعمائم تعد بمائة شيدا وثمن عمائم لم يقدر قدرها وعلت عليه خلع البادية
وأذن لهم بالانصراف اليه بعد عشرين يوما من زفافه

(ذكر خبر الامير غدا)

ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق انه وصل الى دار السلطان فأراد الدخول فمنعه أمير
الدرد (اليوم) داربه وهم الحواجب من الدخول فرجع منه وأراد التقدم فمنعه البواب
بدوته وهي الصعبة ورد دفعه بالامير غدا حتى كاد يقتله حتى أدماه وكان هذا البواب
من كبار الامراء يعرف أبوه بقاضي عرب وهو من ذرية السلطان محمود بن سبكتكين والسلطان
يحاميه بالاب ويحب طباعه هذا وبلغ فدخل على السلطان والدم على ثيابه فأخبره
بما صنع به الامير غدا فكره السلطان هيبته ثم قال له القاضي يفصل بينكما وأنت حرمة
لا يعبرها السلطان لاحد من بلده ولا يذم الموت عليها وانما احترمه لعزته وكان القاضي
كمال الدين بالمشورة وأمر السلطان الذي تراه يقف معهما عند القاضي وكان نهر حاجب
حجور والحسن العريف حاضرين معهما وقال للامير أنت صرته أوقن لا اعصد أن يعيد الخف وكان
سيف الدين جاهلا معتزا بنفسه ثم انه ضربه وأبى والحاضرون فرام الاصلاح بينهما فلم يقبل
سيف الدين فأمر القاضي بتسجيله بذلك الى الغد فرأيته عند له وحنقه فراش سام عليه
ولا سألت عنه خوفا من السلطان وخاف أصحابه فهودعوا أمواتهم وودعت زيارته لبعض
فتنني بعض الامراء فهم على أن أزور زيارته فعرفني أنه ربما كره بعضهم تعلقت لي
في زيارته الشيخ شهاب الدين بن شيخ الشيوخ وكيف أراد السلطان أن يعمل ذلك جميعا يعلم
ذكره فرجعت ولم أزره وجلس الامير غدا عند الباب ثم من مجلسه فأظهر السلطان اهماله
واضرب عما كان أمر له ولا تعرض له ولا لاحد من أصحابه وكان للسلطان وزير يسمى تميث بن منث المولى
وكانت أخت السلطان تشتهيه ولا تحب الى أن مات فذكر حوار بينهما ما تب يسبب قهره
لها وكان في نسبه معروفا كتب السلطان بخطه يطلب الامير يعتبه ثم كتب ويطلب موش خوار
معناه أكل الفئران يعني بذلك الامير غدا لان عرب البادية يأكلون اليربوع وهو شبيه
الفأر وأمر بحرقهما فلما فعل ذلك الحرحوه فأراد دخول دار دوداع فمنعه قرادو القبه *
في صدره فخرج باكيا وتوجهت حسين ذلك الى دار السلطان وبت بها فسألني عن مبيتي بعض
الامراء فقلت له حتى لا تكلم في الامير سيف الدين حتى يرد ولا يسفي فقال لا يكون ذلك

فقلت له والله لا سمن مدار السلطان ولو بلغ مبيتي ثمانية ليلة حتى يرد فبلغ ذلك السلطان فأمر برده وأمر ان يكون في خدمة الامير من قبوله الا ضروري فأقام أربعة أعوام في خدمته يركب لركوبه ويبيت في داره حتى تأدب وتهذب ثم أعاده السلطان الى ما كان عليه أولا واقطعه البلاد وندبه على العساكر ورفع قدره

(ذكر تزوجه السلطان بنتي وزيادة في حظوته وارتفاع قدره الى ان صار من جملة خواصه)

ولما قدم حظوة وسيادة أعداء السلطان عليه حسدوه وأحس ابن هبيرة احساسا عظيما وبالغ في اكرامه ثم زوجه ولدي في بنتي لؤلؤ وحولها معي الى داره ليلا وحضر عقد النكاح كاتبه ابن الزبير ووقف حتى تزوجها في الصداق المعتاد والعقد المعتاد ولما مضى من الليل ما شاء الله انصرف بها الى داره وولدي محمد ومعه الامراء وأرباب الدولة فأدخلوها على زوجها في داره وانصرفوا

(حكاية في تواضع السلطان وانصافه)

ادعى عليه رجل من كبار الخوارزمية أنه غصبه أرضا من عقيرة موحد وساقه القاضي فقضى عليه ولا سلاح معه اي مجلس القاضي فسل وحمل عليه فقام القاضي فدخل الى داره ادا جاءه الى مجلسه ولا قعد له ولا يزال قاعدا في انتظاره ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه أن يرضي خصمه من دم أخيه فأرضاه

(حكاية اخرى)

واذعى عبد السلطان على رجل من الاتابكية انه غصبه حقا له فحاكمه الى القاضي عبد الواحد الحكم على السلطان لأعداء الدين فأعداه

(حكاية مثلها)

واذعى عليه صبي من أبناء الملوك انه غصبه عقيرة موحد ورفعه الى القاضي فتوجه الحكم عليه أن رضيه بدل ان قتل بذلك والأمر كما ذكرته من قصاص وشاهدته يوميا وقد عاد فحلفه واستحضر الصبي واعطاه عصى وقال له وحقي رأسي تضربني كما ضربتك فأخذ الصبي العصى وضربه احدى وعشرين ضربة حتى رأيت الكلاوة قد طارت عن رأسه

(ذكر اشتداده في اقامة الصلاة)

وكان السلطان شديدا في إقامة الصلاة آمرا بالمعروف في احيائه يعاقب على تركها أشد العقاب ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها كان أحدهم معيارا كان يبعث ارجال

الموكلين

الموكلين به ذلك في الاسواق فمن وجدهما عند اقامة الصلاة عوقب حتى انتهى الى عقاب الستارين الذين يمسكون دواب الخدام على باب الدار واذا سمعوا الصلاة وأمر ان يطلب الناس بعلم فرائض وضوء وصلاة وشروط الاسلام فكانوا يسألون عن ذلك فمن لم يحسنه عوقب وصار ذلك دأبا مستمرا يتدارسون به المشور والاسواق ويكسونه

(ذكر شدته في اقامة أحكام الشرع)

وكان شديدا في اقامة الشرع ومما فعل في ذلك ان أمر أحد مباركه حين ان يكون قعوده للمشور مع قاضي القضاة كمال الدين في نحبة مرتفعة هناك مفروشة بالبسط وللقاضي بها مرتبة تحف بها المحابر تكرمة للسلطان ويقعد أحد الحاجبين عن يمينه حيث كان عليه حق من كبار الامراء وامتنع من اداء ذلك لصاحبه بحضرة رجل أحي السلطان عند القاضي ليعتصف منه

(ذكر رفعه للمظالم وايام وقوده لانتصاف المتظلمين)

ولما كان في سنة احدى وأربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس الا ركاة عشر حبة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس برحبة باب المشور ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم الا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب وشرف الحجاب لا غير ولا يمنع أحدا من أراد الوقوف بين يديه وعن أربعة من كبار الامراء يجلسون في الايوان الاربعة من المشور لاحد القصص من المتكلين والرابع منهم هو ابن عم الملك فيرفع رقعة أحد صاحب الباب الاول الرفيع من الشاكي الخمس والأحد الثاني أو الثالث أو الرابع وان رأى أحدهم وجه القضاء به الى صدر الجهات قاضي المماليك فان أخذ بدعه والا شكى ان السلطان قد صرح عند ما يقضي به الى أحدهم فلم يأخذه منه اذنه وكل من يجتمع من القصص في سائر الايام يدفع للسلطان بعد العشاء الآخرة

(ذكر اطعامه في الغلاء)

وما استولى الفقعة على بلاد مصر والشدة واشتد الغلاء حتى بلغ من القمح الى ستة دنانير أمر السلطان أن يعمل في جميع أهل خيله دقيقة ستة أشهر من المخزن بحساب رطل ونصف من ارطال المغرب لكل انسان في اليوم صغير أو كبير حر وعبد وخص الفقهاء والقضاة بكثيرين الاردبة بأهل الحارات ويحضرون الناس ويعطى لكل واحد عولة سته أشهر يقتات بها

(ذكر قتل كان هذا السلطان وظلمه من أنعم له)

وكان على ما قدمناه من تواضعه وانصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير الفحش سريع على اراقة الدماء لا يحجم عن مقتول الا في النادر وكنت كثيرا ما أرى الناس يقتلون على يديه ويحرقون هم لك ولقد حضرت يوما مقتل في القرس ونظرت الى قطعة بيضاء

فى الارض فقلت ماهذه فقال بعض أصحابه هى صدر رجل قطع ثلاث قطع وكان يعاقب على الصغيرة الكبيرة ولا يحترم أحدا من أهل العلم والصلاح وكان يواظب فى كل يوم برد على المشورمن المسلمين والمعبرين والمفيدين مئون من أن يقتل قتيل أو للعداب عند أو للضرب ضربا وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من فى سجنه من الناس الى المشور ماعدى يوم الجمعة فانهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم يتنعمون فيه وبستريحون فى ذلك اليوم من البلاء

(ذكر فتنة لاجين)

وكان له أخ اسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجمل صورة رأيتها فى الدنيا فتمه بالقيام عليه وسأله عن ذلك فأقر وقال ان الامراء جاءوه من اسكر مايدعونه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب فيرى الناس ان القتل أهون عليهم من العذاب فأحرقه فصرخت عنه فى وسط السوق وبقى مصروعا ثلاثة أيام على عادتهم وكانت أم هذا المقتول قد رحمت فى ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين لأجل ولدها فانها زوجة قرجمها القاضى كمال الدين

(ذكر فتنة لاجين وحسين رجل فى ساعة واحدة)

وكان مرة عين جملة من العسكر وجههم الى يوسف بغرة الى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بهندوستان فى قرب يوسف وخرج معهم معظم العسكر وتخلف قوم منهم فكتب يوسف الى السلطان انه بلغه أن لاجين أمر أن يدخل المدينة ويقتل على من وجد من أولاد المخلصين ففعل ذلك وقبض على ثلاثمائة وحسين منهم وأمر بقتلهم جميعا فقتلوا

(ذكر تعذيب شيخ شهاب الدين وقتله)

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الاسلام الخراسانى الذى تنسب مدينة الجام بخراسان الى جده حسما قصصناه لك من كبار المشايخ الصلحاء الفضلاء وكان يواصل أربعة عشر يوما وكان السلطان قتب الدين وعلق بعمامته وبرورائه وبتيركان به قبل ولى السلطان محمد أراد أن يخدم الشيخ فى بعض خدمته فكان عادته أن يخدم الفقهاء والمشايخ والصلحاء محتجا ان الصدر الاول رضى الله عنهم لم يكونوا يستعملون الا أهل العلم والصلاح فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة وشافههم السلطان بذلك فى مجلس العلم فأصر الامتناع فغضب السلطان من ذلك وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمنانى أن يقتل لحيته فجاء ضياء الدين من ذلك وقال لم أفعل هذا فأمر السلطان بقتل كل واحد منهما وقتل ضياء الدين الى بلاد التلنك ثم ولاه بعد مدة قضاء ورنكل مات بها وفى شهاب الدين الى دولة آباد

فأقام

فأقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه ورفعه وجعله على ديوان المستخرج وهو ديوان [illegible] من يستخرج ما [illegible] الضرب والعين ثم زاد في [illegible] وأمر الامراء أن يأتوا للسلام عليه بقلعة [illegible] فلم يأت أحد فبعث إليهم فأتوا فعمل السلطان الى السكن على نهر لكام وبنى هناك القصر المعروف ببرك وارتفع شأنه جدا وأمر الناس بالبناء هناك فبنى منه الشيخ شهاب الدين أن بنى له في لاقامة بحضرة أمير له الى أرض موات على مسافة نصف أميال من دمشق فعمرها كما كبيرا وصنع في حوضه البيوت والبساتين والقرى واجتمع اليه من هرجوس وعمر بها الارض وجمع عددا كثيرا من مستغلها لانها كانت السنون فاخصة وأقام هناك عامين ونصف ثم مدة غيبة السلطان وكان عبيده يخدمون تلك الارض نهارا ويدخلون العمارية ليلا ويستولون على نفسهم وأتباعهم خوفا من الكبار لانهم في حبس ضيق شديد والسلطان الى حضرته استقبله الشيخ وقبله على سبعة أميال منها وعاد السلطان وباقه عند قلعة نجم وعاد الى غاره ثم بعث عنه بعد أيام قليلة يعرفه أن [illegible] بعث اليه يخلص اليه السدر بارى وكان من كبراء الملوك فتصدق له في القرى وحضر بين السلطان فقال له لا أسلم حتى أعاد عليه الملك الى السلطان فأخبره بذلك فأمر أن يأتي به فقال له أنت القائل لي ظلم فقال نعم أنت ظالم ومن فعلك كذا وكذا وعدد أمورا منكرة فعزله ولم يزل واجه أهلها فأخذ السلطان سيفه وقدمه لصدر الجهان وقال ثبت هذا الى يوم القيامة عنقي بهذا السيف فقال له شهاب الدين ومن يرضى بهذا فيقول وكل أنت تعرف نعم فصل وأمر بقتله فلما نكبته رأس الدويدار فيه فعيد بأربعة أيام وعمل يوم وأقام كذلك أربعة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب وفي كل يوم يؤتى به الى المشور ويجمع الفقهاء والمشايخ ويقولون له ارجع عن قولك فيقول لا أرجع عنه وأريد أن أكون في زمرة الشهداء فلما كان اليوم الرابع عشر بعث اليه السلطان يطعام مع خواص الملك فأبى أن يأكل وقال قد رفعت رقبتي من الارض ارجع بطعامك اليه فلما أحضر ذلك السلطان أمر عند ذلك ان يصنع الشيخ حسة أستار (أستير) من العدرة وهي رطلين ونصف من أرطال المغرب فأحضر ذلك الموكلون بمثل هذه الامور وهم ثقاة من كبار الهند وقدوه على ظهره وأوجروه بالكلتين وحلوا العدرة بالماء وسقوه ذلك في اليوم بعده أن يرد الى دار القاضي صدر الجهان وجمع الفقهاء والمشايخ ووجوه الاعزة وعصوه وألزموه أن يرجع عن قوله فأبى ذلك فصربت عنقه رحمه الله تعالى

(ذكر قتل الفقيه المدرسي عتيق الدين الكاساني وقتلهن معه)

وكان السلطان في سني القحط قد أمر بتعمير آبار حائر داريا وأن يزرع بها الدرع واعتنى الناس البدو وما يلزم على الزراعة من النفقة وكثير مزرع ذلك لمن يزرع فيه فسلم الفقيه عتيق الدين فكان هذا الزرع لا يحصل المراد منه فعوتب به إلى السلطان فسخطه وقال له لأي شيء تدخل نفسك في أمور الملك ثم أمر بسجنه بعد مدة وقد شغل دار وقفيه في مزرعته إلى صاحبيه لعدم الفقهاء فقال له الحمد لله على خلاصك وقال الفقيه الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وغرقوا فلم يصبروا إلى دورهم حتى ضرب الدهار فأمرهم فاحتفروا ثم بين يديه فقطعوا رؤوسهم وهذا يعني عتيق الدين وهو راكع فقطع رأسه مع الدراع وبعض الصدر والآخر راكع فقالوا له أمشوا يسحق فقال له أنا وأنت في جريمة واحدة فما فعل لهما كما معهما كلامه فذكروه فضحكا وقتلا عليه فنضروا جميعا رحمهم الله تعالى

(ذكر قتل أيضا بعض من أهل الدندكان في خدمته)

وأمر السلطان هندو الفقيهين السندين أن يصيا مع أمير عينه إلى بعض البلاد وقال لهما انما سألت أحوال البلاد والرعية لكما تكون هذا الأمير معكما تصرف عن تأمر به فقالا له انما نكون كالشاهدين عليه ونوبين له وجه الحق إن تبعه فقال لهما انما قصدكما أن تأكلا أموالي وتضيعاها ونسبتماني إلى هذا التركي الذي لا معرفة له فقالا له حاشاه يحوسنا لم ما قصدنا هذا فعدل لهما لم يتعمدا غير هذا فهبوا بهما إلى الشيخ زين الدين وهو الوكيل بالعذاب فذهب بهما إليه فقال لهما السلطان ربما تلكما فقرأت قولكما إياه ولا تعذبا أنفسكما فقالا والله ما قصدنا الا ذكر فقال لزين الدين وقوهما بعض شيء يعني من العذاب فبطحا على أقفيتهما وجعل على صدر كل واحد منهما صخرة عظيمة فصاحا صيحة عظيمة فذهبت بلحمهما فذهب بلحم صدورهما ثم أخذ البول وأراد أن يجعل على تلك الجراحات فقرأ على أنفسهما أنهما لم يقصدا الا ما قاله السلطان وأنهما محرمان مستحقان للقتل فلا حق لهما ولا عذر لهما في دمائهما فأدركهما الأجل وكتبا بخطهما ما ذكرناه واعترفا به عند القاضي فحكم على العقد وكتب فيه أن اعترافهما كان عن غير إكراه ولا حضر ولا أكرها على ذلك بأشد العذاب ورأيا تعجيل ضرب العنق خيرا لهما من الموت بالعذاب الأليم فقتلا رحمهما الله تعالى

(ذكر قتل الشيخ هود)

وكان الشيخ زاده المسمى هودا حفيد الشيخ الصالح الولي ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي زكريا الملتاني وجد الشيخ ركن الدين معظما عند السلطان وكذلك أخوه عماد الدين الذي كان

شيبا

شبيهاً بالسلطان وقتل يوم وقيعة كشلوخان وسنذكره ولما قتل عماد الدين أعطى السلطان
لأخيه ركن الدين سنة تريتالياً كرسي واويتم اعتبر واوارد براوته صوفي الشيخ ركن الدين
وأوصى عكاشة من اراويتاله به الشيخ هود وعرفه ذلك ان أخاه الشيخ ركن الدين وصل أن
أخيه ان كي فعداه على السلطان وهو دولة ما بينه وبين مائة فرسخ فاعطى
السلطان المشيخة لهود حسب وصية أخيه له الشيخ ركن الدين ابن أخي الشيخ فتى واكرمه
السلطان وأمر بتصييره في كل منزل يحل به ويخرج له السلطان كل يوم ما يليق بالسلطان
وتصنع له فيه دعوة فما وصل الأمر فحضر يخرج له عساكره وامرائه والمشايخ والاعيان
للقائه وكنت فيمن خرج له فشاهدته وهو راكب في دوليجة الرحل وبين يديه ثنوية من
عليه واكرمني أكثر مما كان من قبل في الدولة وكنت كلما كان يسنح لي أن أركب الفرس
وأسير من حيث شئت من العسكر فعلت ذلك فشاهدته كلما ركب الفرس واعتدل فيه
أولا كان يسأل عني عن ركوبي الفرس ويحسن الاعتراض عليه فدعوت له بدعوة أسوق فيها
من مال السلطان عدد كثير وحضر الفقهاء والمشايخ والقضاة والاعزة بمدينة سيواس وأولوا
بالصعام على العادة ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه فاعطى قاضي
القضاة خمسة دينار وأعطيت أنا ثلثين وحسين بين ذلك وهذه عادتهم في الدعوة السلطانية
ثم انصرف الشيخ هود الى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي عند السلطان اعلمه على عمارة
جامع اراويته ويصنع له الدعوة فمن من السلطان واستقر براويته وأقام بها اعواما ثم
ان عماد الدين أمير دادست كتب الى السلطان يذكر ان الشيخ وقراءه يشتغلون بجمع
الاموال وانفاقها في الفقراء ولا يصلون أحداً من اراويته فامر السلطان بمصادرتهم على الاموال
فصادرهم عماد الدين بها وحبس بعضهم وضرب بعضهم وصار يأخذ منهم كل يوم عشرين ألف
دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووجد لهم كثير من الامور والذخائر من جملتها
ثلاثمائة من صعمان بالجوهر واليواقيت بمقدار سبعة آلاف دينار فعلى ذلك اشتد الحال على الشيخ هود وقل اسريته فلما اشتد الحال على الشيخ هود زاد الارتاقة فمن عليه وكتب
كتاب السلطان الى السلطان فأمره أن يعفو عما اخذ منه فقبض عليه كلا هما في حكم
الصعاف فساوى ما اخذ منه الذي قبض عليه وهو ثلثمائة ألف أو أربعمائة ألف دينار فقال
السلطان اما أردت ان يذهب الا الاثر انما فقول أدرس الشيخ الدين زكريا
وقد كان السلطان مبني كتاباً في مسجد حلب اصر نوعه وسمعت عنه رحمه الله تعالى

(ذكر شيخ الاسلام تاج العارفين وقطب الاولياء)

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكناً بمدينة كول منقطعاً للعبادة كبير

القدر ودخل السلطان الى مدينة كول فبعث عليه من يأتيه فدخل السلطان اليه ثم لما قارب مدينة الطرف ولم يردوا فقيل بعدنا ان أمر الامراء الامر اعلاء على السلطان بعض الجهات وبايعه الناس فقال للسلطان انه وقد ذكر هذا الامر عند مجلس الشيخ شمس الدين فأثنى عليه وقال انه يصلح لذلك فبعث السلطان يعلمه بالامر الى الشيخ فقبله وقبله ولا يدوقيد قاضي كول ومحتسبها لانهما كانا حاضرين للمجلس الذي وقع فيه ثناء الشيخ على الامير المخالف وأمرهم فحضروا جميعا بعد ان حمل عيبي القاضي وعيبي المحتسب وبات الشيخ بالسجن وكان القاضي والمحتسب محرضين معه على الخروج عليه ألا ان الناس ثم ردان الى السجن وكان قد بلغ السلطان ان ولد الشيخ كانوا يلطون كفار الثغور وعصاتهم ويحببونهم فمات أبوهم أمر جدهم من السجن وقال لهم لا تعودوا الا ما كنتم تفعلون فقالوا له وما فعلنا فاغتاظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعا فقتلهم ثم استحضر القاضي المذكور وهو أخيرني بمن كان يرى رأي هؤلاء الامراء قبل ومن أفعالهم على أعضاء رجال كثيرين من كفار البلد فلما عرض ما أملاه على السلطان لم يحب أن يضرب للداصر براعته فضربت عنقه رحمه الله تعالى

(ذكر قتل الشيخ الحيدري)

وكان الشيخ علي الحيدري سكن مدينة كمليا من ساحل الهند وهو عديم القدر شهير الذكر بعد ان صيت بندر له الخيار بالشرق والبحر الكثير والواقد والهند والسلام عليه وكان يكاشف بأحوال الهند ورعا ما در أحدهم الندر وهم عليه فرأى الشيخ السلام عليه اعتمد ما در له وأمر مالوه به واتفق له ذلك مرارا فاشتهر عند الخاص والعام حلال الاوصاف وقيل انه بلغ الخبر بلغه السلطان ان الشيخ الحيدري دخانة ناري حذر واعدا شاشيته من رأسه وذكر أيضا انه بايعه لما خرج السلطان ايهم منه واهرم الحيدري حذر من حيث السلطان شرف الدين أمير بعث أحد الزاهدين معه على بكاية وأمره بالبحث عن أهل الخلاف وحمل معه فقيها يحكم بقولهم فحضر الشيخ علي الحيدري بين يديه وثبت انه أعطى للفقير شاشيته ودعا له فحكم بقتله فلما ضربه السياف لم يصنع شيئا وبقي الناس لذلك وظنوا انه يحيى حتى بسبب ذلك فأمر سياقا آخر فضرب عنقه فضربه رحمه الله تعالى

(ذكر قتل طوغان وأخيه)

وكان طوغان الفرعاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرعانه وفد على السلطان فأحسن اليهما وأعطاهما عطاء جزيلا وان ما عنده من قماش أراد الرجوع الى بلادهما وولاهما ولاية فوشي بهما أحد أصحابهما الى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسطا واعطى للذي وشى بهما جميع مالهما وكذلك عادتهم بتلك البلاد اذا وشى أحد بأحد وثبت ما وشى به فقتل اعطى ماله

*)

❋(ذكر قتله لابن ملك التجار)❋

وكان ابن ملك التجار شابا صغير الاسنان معاربه ذا وجه حلو لان عين الملك وقبامه وقتاله للسلطان كما سبق ذكره غلب على ابن ملك التجار هذا فكان في جملة مقهورا فلما هزم عن الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملتهم ابن ملك التجار وصهره ابن قطب الملك فأمر بهما فحبسا من أيديهما في حشب وأمر أساء الملوك فرموهما بالسهام حتى ماتا وأما ابن الحاجب خواجه أمير علي التتري لقاضي القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل فلما علم السلطان قتل هذا قال هذا قد قتل موتة وأمر به فضرب مائتي مقرعة أو نحوها وسجن وأعطى جميع عمله لامير السيفين فرأسه في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فصفق به هو وأصحابه بالسجن شهورا ثم سرحه ورده الى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية وساءه الى حراسان فاستقر بها وكتب اليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابه اكرار آمدى بار (أى) معناه ان كسب تبت عار جع فرجع اليه

❋(ذكر ضربه لخطيب الخصاء حتى مات)❋

وكان قد ولى خطيب الخصاء بدهلى المصرى حراد الحوا شر في السفر فاتفق ان جماعة السكمار ليلا فصربوا على تلك الحراد وذهبوا بثلثين منها فأمر بضرب الخطيب حتى مات رحمه الله تعالى

❋(ذكر تخريبه لدهلى وبقى أهلها وقتل الاعمى والمقعد)❋

ومن أعظم ما كان ينعم على السلطان الحلاوة لاهل دهلى عنها وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائف فيها شتمه وسبه ويحتون عليها ويكتبون عليها وحق رأس خوند عالم ما يقرأها غيره ويريها المشورليلا فاعظم ذلك وحقد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب دهلى واشترى من أهلها جميع دورهم وضياعهم ودفع لهم ثمنها وأمرهم بالانتقال عنها الى دولة آباد فأبوا ذلك فناداهم مناديه ان لا يبقى بها أحد بعد ثلاث فمن تثقل بعضهم واحتوى بعضهم في الدور فأمر بالبحث عمن بقى بها فوجد عبيده مار تهار جلين أحدهما مقعد والآخر أعمى فأتوا بهما فأمر بالمقعد فرمى به في المنجنيق وأمر أن يجر الاعمى من دهلى الى دولة آباد مسيرة أربعين يوما فتمزق في الطريق ووصل منه رجله ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا أثقالهم وأمتعتهم وبقيت المدينة طاوية على عروشها فحدثني من أثق به قال صعد السلطان ليلة الى سطح قصره فنظر الى دهلى وليس بها نار ولا دخان ولا سراج فقال الآن طاب قلبي وتهدئت خاطري ثم كتب الى أهل البلاد أن ينتقلوا الى دهلى ليعمروها فخربت بلادهم ولم

تعمر دهلي لاتساعها وصحاتها وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها خالية ليس بها الا قليل عمارة وقد ذكرنا كثيرا من ما ثرهذا السلطان ومما تقدم عليه أيضا فلنذكر جملا من الوقائع والحوادث الكائنة في أيامه

(ذكر ما افتتح به أمره أول ولايته من مسه على بهادور ونوره)

ولما ولي السلطان الملك بعد أبيه وبايعه الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادور ونوره الذي كان أسره السلطان تغلق شاه على وقت قيوده وأحل له العطايا من الأموال والخيل والعدة وصرفه الى مملكته وبعث معه من أخيه ابراهيم خان وعاهده على أن تكون تلك المملكة مشطورة بينهما وكتب أسماؤهما معا في السكة ويخطب لهما وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمدا المعروف بمرناط يكون رهينة عند السلطان وتصرف غياث الدين الى مملكته والترم ما شرط عليه الا انه لم يبعث ابنه وادعى انه امتنع وأساء الادب في كلامه فبعث السلطان العساكر الى بن أخيه ابراهيم خان وأميرهم دلجي انترى فقاتلوا غياث الدين فقتلوه وسلخوا جلده وحشي بالتبن وطيف به على البلاد

(ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك)

وكان للسلطان تغلق ابن أخت يسمى بهاء الدين كشت اسب (بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وتاء معلوة) واسب (بالسين المهملة والباء الموحدة وسكين) بجعله أميرا بعض النواحي فيما مات خاله امتنع من بيعة ابنه وكان شجاعا مقداما فبعث السلطان اليه العساكر فهزمهم الامراء الكبار مقبل الملك محيرو الوزير رجواجه جهان أمير على الجميع والتقى الفرسان واشتد القتال وصبر كلا العسكرين ثم كانت الكرة لعسكر السلطان فهزمهم بهاء الدين الى معبر من ملوك الكفار يعرف بالراى كنبيله وارای عندهم كمن ماهو بسلطان الروم عبارة عن السلطان وكنبيله اسم الاقليم الذي هو به وهو (بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء ولام مفتوح) وهذا الراى له بلاد في جبال منيعة وهو من أكابر سلاطين الكفار فلما هرب اليه بهاء الدين اتبعته عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد واشتد الامر على الكافر وتدانا عنده من الزرع وخاف أن يؤخذ باليد فقال لبهاء الدين ان احسانك قد لعمت لما تراه وأنا عازم على هلاك نفسي وعيالي ومن تبعني فاذهب أنت الى السلطان فلان لسلطان من الكفار سماه له فأقم عنده حتى يبعث اليك ويبعث معه من أوصله اليه وأمر راى كنبيله بنار عظيمة فأججت واحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته اني أريد قتل نفسي فمن أرادت موافقتي فلتفعل فكانت المرأة منهن تغتسل وتدهن بالصندل المقاصري وتعبر الارض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتى هلكن جميعا وفعل مثل ذلك نساء مرائه وورائه وأرباب

دولته

دولته ومن اراد من سائر النساء ثم اغتسل الراى واذهن بالصندل ولبس السلاح ما عدى الدرع وفعل كفعله من أراد الموت معه من اصحابه وخرجوا الى عسكر السلطان فقاتلوا حتى قتلوا جميعا ودخلت المدينة فأسرت أهله وأسرت من أولاده اربعة كنيته أحد عشر ولدا فأتى بهم السلطان فأسلموا جميعا وجعلهم السلطان أمراء وعصمهم لاصطناعهم ولدهم أبيهم فرأيت عند ذكرهم نصرا وختيارا والمهردار وهو صاحب الخاتم الذى يختم به على الماء الذى يشرب السلطان منه وكنيته أبو مسلم وكانت بينى وبينه صحبة ومودة ولما قتل راى كنيته توجهت عساكر السلطان الى بلد الكفار الذى له اليه بهاء الدين وأحاطوا به فقال ذلك السلطان أنا لا أقدر على ان أفعل مع عمه راى كنيته فيمن على بهاء الدين وأسلمه الى عسكر السلطان فقيدوه وغيروه وانوا به اليه فلما أتى به أمر بادخاله الى فراشه من النساء فشمه وتصفى فى وجهه وامر بسجنه وهو بقيد الحياة فسجن وسجن معه الازر وبعث لاولاده واهله وجعل باقيه فى محفة وطرح للفيلة لتأكله فماتت اكله وامر جلده فحشى بالتبن وقرن بجلد نمر ودور نوره وطيف بهما على البلاد فمات وصار الى بلاد السند وأمر أمير بها بوذ كشلوخان صاحب السلطان تعنق ومعينه على أحد الملك وكان السلطان يعظمه ويحاظبه ولم يخرج لاستقباله الا وهو من بلاده أمر كشلوخان بدفن الجلدين فلما علم ذلك السلطان فشق عليه فعله وأراد القتك به

(ذكر ثورة كشلوخان وقتله)

ولما اتصل بالسلطان ما كان من فعله فى دفن الجلدين بعث عنه وعلم كشلوخان انه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الاموال وجمع العساكر وبعث الى الترك والافغان وأهل خراسان فأتاه منهم العدد الجم حتى كان فى عسكره عسكر السلطان أو أربى عليه كثرة وخرج السلطان بنفسه لقتاله فكان التقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبوهر وأحد السلطان بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشعر عوضا منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين الملتانى وهو حدثنى هذا وكان شيخا له فلما حمى القتال انفرد السلطان تحته فقتلوا عماد الدين وشاع فى العسكرين ان السلطان قتل فاشتغلت عساكر كشلوخان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا القليل فقصده السلطان ممن معه فقتله وحز رأسه وعلم بذلك جيشه فعاد وورد حصل السلطان مدينة ملتان وقبض على قاضيها كريم الدين وأمر بسجنه فسجن وأمر برأس كشلوخان فعلق على بابه وقد رأيته معلقا لما وصلت الى ملتان وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخى عماد الدين ولابنه صدر الدين مائة قرية انعاما عليهم ليأكلوا منها ويضموا براويتهم المنسوبة

لجنتهم بهاء الدين زكريا وأمر السلطان الوزير خواجه جهان ان يذهب الى مدينة كمال بور وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر وكان أهلها قد سمعوا فأحضر الى بعض الفقهاء به حضر دخول الوزير اليها فقال واحضر بين يديه القاضي بها والخطيب فأمر بسلخ جلودهم فقالا له أقتلنا بغير ذلك فقال لهما بم استوجبتما القتل فقالا بحكم أمر السلطان فقال لهما فكيف السلف أن أمره وقد أمرني ان أقتلكما بعد القتل وقال للمتولين لقتلهما أحضروا لهما حصرا تحتهما وحوهما مائة فسأل بهاء الدين ما فعلوا بعد القتل فحرروا على وجوههم وما فعل ذلك تمهدت بلاد السند وعاد السلطان الى حضرته

(ذكر الوقيعة بجبل قراجيل على جيش السلطان)

(وأول اسمه واو وجيم معقودة) وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة أشهر وبينه وبين دهلي مسيرة عشر وسلطانه من أكبر سلاطين الكفار وكان السلطان محمد ملك بكية رأس الدويدارية الى حرب هذا الجبل ومعه مائة ألف فارس ورجالة سواهم كثير فسار مدينة بجدية (وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهملة وفتح الباء آخر الحروف) وهي أسفل الجبل ومنها يليها وسبي وحرب وأحرق وقرر بكفار على الجبل وتركوا لاصنامهم وأموالهم وحرائث ملكهم والجبل طريق واحد وعر أسفل منه واد وفوقه الجبل فلا يحور فيه لا فارس منفرد خلفه آخر فصعدت عساكر المسلمين على ذلك الطريق وعلى كل امدينة ورتل التي بأعلى الجبل (وضبطها بفتح الواو والراء وسكون النون وفتح الكاف) واحتووا على ما فيها وكتبوا الى السلطان بالفتح فبعث اليهم قاضيا وخطيبا وأمرهم بالاقامة فمكثوا وقت نزول المطر فرغب المرض على العسكر وصعقوا ومائت الخيل واتخلت القسي فكتب الامراء الى السلطان واستأذنوه في الخروج عن الجبل والنزول الى أسفله لعلل ما ينصرم فصل نزول المطر فيعودون فأذن لهم في ذلك فأخذ الامير بكية الاموال التي استولى عليها من الخزائن والمعادن ووقرها على الدواب ليرفعوها ويوجهوها الى أسفل الجبل فعندما علم الكفار بخروجهم تعقبوهم بثبت المهاوي وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يتبعون الاشجار المعادية قطعا ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمر بأحد الا أهلكته فهلك العسكر من الناس وأسر الباقون منهم وأخذ الكفار الاموال والاسلحة والخيل والسلاح ولم يسلم من العسكر الا ثلاثة من الامراء كبيرهم بكية وبدر الدين المدعو دولة شاه وثالث لهما لا أذكره وهذه الوقيعة أثرت في جيش المسلمين أثرا كبيرا وأوهنته ضعفا بينا وصالح السلطان بعدها أهل الجبل على مال يؤدونه اليه لان لهم البلاد اسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها الا بذلك

)*

(ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتصل بذلك من قتل أخت الوزير)

وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر وبيهاوبين دهلي مسيرة ستة اشهر الشريف جلال الدين أحسن شاه فحالف واذعى الملك لنفسه وقوى بزوال السلطان وعماله وضرب الدنانير والدراهم باسمه وكان يكتب في احدى صفحتي الدينار سلالة قطب ويس أبو الفقراء والمساكين جلال الدنيا والدين وفي الصفحة الاخرى الواثق بتأييد الرحمان أحسن شاه السلطان وخرج السلطان لما سمع بثورته بريدة له فعمل توصل به الى كشلو ردعه فقصر الذهب وأقام به ثمانية أيام لقصد الحوض في الماء وفي تلك الايام أتى ناس أخت الوزير خواجه جهان وأربعة من الامراء أولاده وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدمته فوصل الى مدينة قطهار وهي على مسيرة أربع وعشرين من دهلي وأقام بها أياما وكان ابن أخته شجاعا بطلا فاتفق مع الامراء الذين أتى بهم على قتل خاله والهروب بما عنده من الخزائن والاموال الى الشريف القائم بملاد المعبر وعزموا على الفتك بالوزير عند دخوله الى صلاة الجمعة وشي بهم أحمس فدخلوا في أمرهم الى الوزير وكان يسمى المستعرة الحاجب وأخبر الوزير ان آية مارو وهو لبسهم الدروع تحت ثيابهم وعند الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم الى السلطان وكنت بين يدي السلطان حين وصولهم فرأيت أحدهم وكان طويلا أسود وهو يرتعد ويتلو سورة يس فأمر بهم فطرحوا للفيلة المعدة لقتل الناس وأمر بان أخت الوزير فرد الى خاله ليفقده ففقده وسد كر ذلك وتلك الفيلة التي تقتل الناس تكمن أنيابها حتى انه مسنونة شبه سكاكين احدث لها أطراف كالسكاكين ويركب الفيال على الفيل فاذا رمى بالرجل بين يديه لف عليه حبل طويل ورمى به الى الهواء ثم يتلقفه بسيفه ويضربه بين يديه ويجعل يده على صدره ويفعل به ما أمره الفيال على حسب ما أمره السلطان فان أمره بقطيعه قطعه الفيل قطعا بتلك السكاكين وان أمره بتركه تركه مضروبا جائعا وكذلك فعل بهؤلاء وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقد ملئت بطونهم بالتبن والعياذ بالله ولما تجهز السلطان لهذه الحركة أمر بالاقامة بالحضرة كما سنذكره ومضى في سفره الى أن بلغ وله آباد فاستقبله الامير هلاجو فسلم وخرج ذلك الوزير خواجه جهان قديفي أيضا بالحضرة لحشد الجنود وجمع العساكر

(ذكر ثورة هلاجو)

ولما بلغ السلطان الى وله آباد بلغه عن بلاده ثائر الامير هلاجو بمدينة لاهور واذعى الملك وساعده الامير قلجخان على ذلك وصيره وزيرا له واتصل ذلك بالوزير خواجه جهان وهو بدهلي فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيما من الخدام بدهلي

اخذ اصحابه وأخذ فى الجملة أصحابى لانى كنت بها مقيما وأعانه السلطان بأميرين كبيرين أحدهما قيران ملك صفدار ومعناه مرتب العساكر والثانى الملك تمور التشبدار وهو الساقى وخرج هلاجون بعساكر فكان التقاء على صفة احد الاودية الكثيرة بهم هلاجون وهرب وغرق كثير من عساكره فى النهر ودخل الوزير المدينة فنهب بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل وكان الذى تولى قتلهم محمد بن التحيب نائب الوزير وهو المعروف بأجد ملك ويسمى أيضا صك (سك) السلطان والصك عندهم الكلب وكان ظالما قاسى القلب ويسميه السلطان أسد الاسواق وكان رمى عرض أرباب الحايات باسنانه شرها وعدوانا وبعث الوزير من نساء المحلفين نحو ثلاثمائة الى حمص كاليور فسجن بها ورأيت بعضهن هنالك وكان أحد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يرحل اليها حتى ولدت منه فى السجن

(ذكر وقوع الوباء فى عسكر السلطان)

ولما وصل السلطان الى بلاد الملك وهو واصدا الى قتال الشريف بلاد المعبر بل مدينة بدركوت (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف وواو وتاء معلوة) وهى قاعدة بلاد الملك (وضبطها بكسر التاء المعجمة واللام وسكون النون وكاف معقودة) وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر ووقع الوباء اذ ذاك فى عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد والمماليك وكبار الامراء مثل ملك دولة شاه الذى كان السلطان يحاطبه بالعم ومثل امير عبد الله الهروى وقد تقدمت حكايته فى السفر الاول وهو الذى أمر السلطان ان يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فرفع ثلاثين عشرة حوطة باعصادها ورفعها ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد الى دولة آباد وخلت البلاد وانتقضت الاطراف وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته

(ذكر الارجاف بموته وفرار الملك هوشنج)

ولما عاد السلطان الى دولة آباد مرض فى طريقه فأرجف الناس بموته وشاع ذلك فنشأت عنه فتن عريضة وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد وكان بينه وبين السلطان عهد أن لا يبايع غيره أبدا الا فى حياته ولا بعد موته فلما أرجف بموت السلطان هرب الى سلطان كافر يسمى برر ديسكن بجبال متفقة بين دولة آباد وكوكن تانة فعظم السلطان بهراره وخاف وقوع الفتنة فجد السير الى دولة باد واقتفى أثر هوشنج وحضره بالحيل وأرسل الكافر أن يسلمه اليه فأبى وقال لا أسلم دخيلى ولو آل الى الامر لما آل الى كبيره وخاف هوشنج على نفسه فراسل السلطان وعاهده على أن يرحل السلطان الى دولة آباد ويبقى هنالك قطلوخان معلم السلطان ليستوثق منه هوشنج وينزل اليه على الامان فرحل السلطان

ونزل هو وشيخ الى قطلوخان وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحط منزلته وخرج بعياله وأصحابه وقدم على السلطان فسر بقدومه وأرضاه وخلع عليه وكان قطلوخان صاحب عهد يستريح الناس اليه ويعولون فى الوفاء عليه ومنزلته عند السلطان علية وتعظيمه له شديد ومتى دخل عليه قام له احتراما فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذى يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له وهو محب فى الصدقات كثير الايثار مولع بالاحسان للفقراء والمساكين

(ذكر ما هم به الشريف ابراهيم من الثورة ومآل حاله)

وكان لشريف ابراهيم المعروف بالخربندة دار وهو صاحب الكاغد والاقلام بدار السلطان واليا على بلاد سنى ومرسى لما تحول السلطان الى بلاد المعبر وأنوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه فلما أرجف بموت السلطان طمع ابراهيم فى السلطنة وكان شجاعا كريما حسن الصورة وكنت متزوجا بأخت حور نسب وكانت صديقة لى جدا تقول ولما أورد من ذكر الله عز وجل وولدت منى بنتا ولا أدرى ما فعل الله فيهما وكانت تقرأ لكم الا تكتب فهاهم ابراهيم بالثورة اجتاز به أمير من أمراء السند معه الاموال يحملها الى دهلى فقال له ابراهيم ان الطريق مخوف وفيه الصبع فأقم عندى حتى يصلح الطريق وأوصلك الى المأمن وكان قصده أن يتحقق موت السلطان فيستولى على تلك الاموال فلما تحقق حياته سرح ذلك الامير وكان يسمى ضياء الملك ابن شمس الملك ولما وصل السلطان الى الحضرة بعد غيبته سنتين وعفا وصل الشريف ابراهيم اليه فوشى به بعض عماله واعلم السلطان بما كان هم به فأراد السلطان أن يقتله ثم تأنى لمحبته فيه واتفق ان أتى يوما الى السلطان بعراق مذبوح سطرانى ذبحته فقال ليس بجيد الذكاة اطرحوه فقرر ابراهيم فقال ان ذكاته جيدة وانما آكله فأخبر السلطان بقوله فذكر ذلك وحمله دربعة الى أخذه فأمر به فقيد وغلل ثم قرره على ما رمى به من انه أراد أخذ الاموال التى مر بها ضياء الملك وعلم ابراهيم انه انما يريد قتله بسبب أبيه وانه لا تنفعه معذرة وخاف ان يعذب فرأى الموت خيرا له فأقر بذلك فأمر به فوسط وترك هنالك وعادتهم انه متى قتل السلطان أحدا أقام مصر وحاجبه قتله ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث أخذه طائفة من الكفار موكلون بذلك فحملوه الى خندق خارج المدينة يطرحونه به وهم يسكنون حول الخندق لئلا يأتى أهل المقتول فيرفعونه وربما أعطى بعضهم لهؤلاء الكفار مالا فمنعوه فوالله عن قبيح حتى يدفنه وكذلك فعل بالشريف ابراهيم رحمه الله تعالى

(ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك)

ولما عاد السلطان من التلنك وشاع خبر موته وكان ترك تاج الملك نصرة خان نائبا عنه ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه بلغه ذلك فعمل عزاء السلطان ودعى لنفسه وبايعه الناس بحضرة

مدركوت فبلغ خبره الى السلطان فبعث معه قطلوخان فى عساكر عظيمة فحضره بعد قتال شديد هلك فيه أمم من الناس واشتد الحصار على أهل مدركوت وهى منيعة وأحسد قطلوخان فى نفسها فكتب اليه يحرضه على الامر فى نفسه فأمره وبعث به الى السلطان وأمر أهل المدينة والعسكر

(ذكر انتقال السلطان لنهر الكيلك وقيام عين الملك)

ولما استولى القحط على البلاد انتقل السلطان بعساكره الى نهر الكيلك لما يجبى اليه الجود على مسيرة عشرة أيام من دهلى وأمر الناس بالمسير وكانوا قبل ذلك صنعوا حبالا من حشيش الارض فكانت الدار كثيرا ما تقع فيها وتؤذى الناس حتى كانوا يصنعون كوما تحت الارض فاذا وقعت الدار رموا أمتعتهم بها وسدوا عليها بالتراب ووصلت باقى تلك الايام بحمد السلطان وكانت البلاد التى يغمرها النهر حينئذ السلطان شديدة القحط والبلاد التى بشرقيه خصبة وأميرها عين الملك الناصر ومنها مدينة عوض ومدينة ظفر آباد ومدينة المكنو وغيرها وكان الامير عين الملك يحضر كل يوم جمعة ألف من منها قمح وارز وحمص لعلف الدواب فأمر السلطان أن تحمل اليه ومعظم الخيل والبغال الى ناحية الشرقية المخصبة لترعى هنالك وأوصى عين الملك بحفظها وكان لعين الملك أربعة اخوة وهم شهر الله ونصر الله وحسن الله ولا أذكر اسم الآخر فتواصوا مع أخيهم عين الملك على أن يأخذوا فيه الامان ودوابه ويبايعوا عين الملك ويقوموا على السلطان ويهرب اليهم عين الملك بليل ويتم الامر لهم ومن عادة ملك الهند ان يجعل مع كل أمير كبير أو صغير ممن يكاتبه رقيبا عليه ويعرفه بجميع حاله ويجعل أنصاريا فى الدور كلها على عيونه على أمرائه وسود بسمين الخاصات يدخلن الدور بالاستئذان ويخبرهن الجواري بما عندهن فيخبرن الخاصات بذلك الملك المخبرين فيخبر ذلك السلطان ويتفق ان بعض الامراء كان فى فراشه مع زوجته فأراد مجامعتها فحقنته رأس السلطان أن لا تفعل فلم تسمع منها فبعث عليه السلطان من قتله وكان سبب هلاكه وكان للسلطان مملوك يعرف ان عين الملك هو عين على عين الملك المذكور فأخبر السلطان بخبره وخبر الهند فسقط فى يده وظن انها الداهية عليه لان الجيش والاعمال والرعايا كل ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مفترقة فأراد ان يقصد حضرته ويجمع العساكر وحينئذ يأتى لقتاله وشاور أرباب الدولة فى ذلك وكان أمر اخراسان والعراق أشد الناس خوفا من هذا القائم لانه هندى وأهل الهند يبغضون فى الغرباء لاضرارهم السلطان لهم فذكروا ما ظهر له وقالوا ما خوفه علم ان فعلت ذلك طغى الخبر فاشتد أمره ورتب العساكر واشتغل عليه طلاب الشرور وعاد النفس والاولى معاجلته قبل استحكام قوته وكان أول من تكلم بهذا

ناصر

ناصر الدين مظهر الاوهري وواقفه جميعهم فعمل السلطان باشارتهم وكتب تلك الليلة الى من قرب منه من الامراء والعساكر فأتوا من حينهم وادار في ذلك حيلة حسنة فكان اذا قدم على محلته مثلاثة فارس بعث الالاف من عنده تلقاهم ليلا ودخلوا معهم الى المحلة كان جميعهم مدد له وتحرك السلطان مع ساحل النهر ليعمل مدينة قنوج وراء ظهره ويتحصن بها لمنعتها وحصانتها وبينها وبين الموضع الذي كان به ثلاثة أيام فرحل أول مرحلة وقد عبأ جيشه للحرب وجعلهم صفا واحدا عتدر ولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفرسه الى جانبه ومعه جباء صغير يأكل منه ويتوضأ ويعود الى محلته والمحلة الكبرى على بعد منهم ولم يدخل السلطان في تلك الايام الثلاثة خباء ولا استظل بظل وكنت في يوم منها بخبائي فصاح بي فتى من فتيان اعمه سبل واستحثني وكان معي الجواري فحرجت اليه فقال ان السلطان امر الساعة أن يقتل كل من معه امرأة أو جارية فتسمع عنده لامراء أمر ان لا يبقى الساعة بالمحلة امرأة وان يحمل الى حصن هناك على ثلاثة أميال يقال له كديل فم تبق امرأة المحلة ولا مع السلطان وتقدمت اليه على تعبئة تلك كان في اليوم الثاني رتب السلطان عسكره أفواجا وجعل مع كل فوج الفيلة المدرعة عليها الاتراك فوقها المقاتلة وتدرع العسكر وتهيؤا للحرب وما زالوا تلك الليلة على أهبة ولما كان اليوم الثالث طلع الخبر من عين الملك الشرقي احد امراء النهر فعلم السلطان من ذلك وتوقع انه لم يبعد الا بعد مراسلة الامراء الباقين مع السلطان فأمر في الحين بقسم الخيل لعتاق على خواصه وبعث الى حصانها وكان لي صاحب يسمى أمير أمراء الكرماني من الشجعان فاعطيته فرسا منها أشهب اللون فلما جرّكه جمح به فلم يستطع امساكه ورماه عن ظهره فمات رحمه الله تعالى وحدث السلطان في ذلك اليوم في مسيره فوصل بعد العصر الى مدينة قنوج وكان يخاف ان يسبقه القائم اليها وبات ليلته تلك مرتب الناس بنفسه ووقف عليها وجعل في المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز ومعه الامير غدا الى مهبى وسيد ناصر الدين مظهر وامراء خراسان فاضافها الى خواصه وقال أنتم اعرة على ما بلغني ان تفارقوني وكان في عاقبة ذلك الخبر فان القائم ضرب في تلك الليل على المقدمة وفيها نور برخواجه جهان فقامت صحة في الناس كثيرة فحينئذ أمر السلطان أن لا يبرح أحد عن مكانه ولا يقاتل الناس الا بالسيوف واستل العسكر سيوفهم ونهضوا الى أصحابهم وحمي القتال وأمر السلطان ان يكون شعار جيشه دهلي وعزنة فاد الى أحدهم فارسا قال له دهلي فان أجابه بغزنة علم انه من أصحابه والا قاتله وكان القائم انما قصد ان يضرب على موضع السلطان فلما رأى انه انحاز ففقد موضع الوزير فضرب عنق الدليل وكان في عسكر الوزير الاعاجم والترك والخراسانيون وهم أعداء المحمود فصدقوا

القتال وكان جيش القاهم بحوالحسين ألفا فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك ابراهيم المعروف بالبحي (بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم) التترى قد اقطعه السلطان بلاد سديدة وهي قرية من بلاد عين الملك فاتفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن قطب الملك وابن ملك التجار على قيلة السلطان وحيله فوافقاه ايضا وجعل داود حاجبه وكان داود هذا الماضربوا على محفة الوزير بحضرة السلطان ويشتمه اقبح شتم والسلطان يسمع ذلك ويعرف كلامه فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التترى ماذا ترى يا ملك ابراهيم قد فرّ أكثر العسكر وذوا نجدة معهم فهل لك ان تحمو بأنفسنا فقال ابراهيم لاصحابه بلسانهم اذا أراد عين الملك ان يعرفاني سأقبض على دبوقته فاذا فعلت ذلك فاضربوا انتم فرسه ليسقط الى الارض فنقبض عليه ونأتي به السلطان ليكون ذلك كفارة لذنبي في الخلاف معه وسبب الخلاص فلما أراد عين الملك الفرار قال له ابراهيم الى أين يا سلطان علاء الدين وكان يسمي بذلك وامسك بدبوقته وضرب أصحابه فرسه فسقط الى الارض ورمى ابراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء أصحاب الوزير ليأخذوه فمنعهم وقال لا أتركه حتى أوصله للوزير أو اموت دون ذلك فتركوه فأوصله الى الوزير وكنت أنظر عند الصبح الى الهيئة والاعلام يؤتى بها الى السلطان ثم جاءني بعض العرافين فقال قد قبض على عين الملك وأتى به الوزير فلم أصدقه فلم يمر الا يسير وجاءني الملك تمور الشرندار فأخذ بيدي وقال ابشر قد قبض على عين الملك وهو عند الوزير فتحرك السلطان عند ذلك ونحن معه الى محلة عين الملك على نهر اليمك فنهبت العساكر ما فيها واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا وأخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وحنق كثير معهم ونهبت الاموال والخيل والامتعة ورحل السلطان على المجاز وجاء الوزير بعين الملك وقد أركب على ثور وهو عريان مستور العورة بخرقة من بوطة بحبل وباقيه في عنقه فوقف على باب السراجة ودخل الوزير الى السلطان فأعطاه الشريفة عنايته به وجاء الوزير الى عين الملك فجعلوا يسبونه ويبصقون في وجهه ويصفعون أصحابه وبعث اليه السلطان الملك الكبير فقال له ما هذا الذي فعلت فلم يحر جوابا فأمر به السلطان ان يكسى ثوبا من ثياب الرماة وقيد بأربعة كبول وغلت يداه الى عنقه وسلم للوزير ليحفظه وحاز احونه النهر هاربين ووصلوا مدينة عوص فأخذوا أهلهم وأولادهم وما قدروا عليه من المال وقالوا لزوجة أخيهم عين الملك احلصي بنفسك وبيتك معنا فقالت أفلا اكون كنساء الكفار اللاتي يحرقن انفسهن مع أزواجهن فعادوا أيضا أموت لموت زوجي وأعيش لعيشه فتركوها وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيرها وأدركته لها رقة وأدرك الفتى سهيل نصر الله من أولائك الاحوة فقتله وأتى السلطان برأسه وأتى بأم

عين

عين الملك واختسه وامر أنه فسلم الى الوزير وجعل فى خباء بقرب خباء عين الملك فكان يدخل اليهن ويجلس معهن ويعود الى محبسه ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لفيف الناس الذين مع عين الملك من الزمالة والسوقة والعبيد ومن لا يعبأ به وأتى بملك ابراهيم البحيى الذى ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نوايا خوند عالم اقتل هذا فانه من المحاربين فقال الوزير انه قد فدى نفسه بالف ثم فعق عنه السلطان وسرحه الى بلاده ولما كان بعد المغرب جلس السلطان بمرج الخشب وأتى باثنين وستين رجلا من كبار أصحاب القائم وأتى بالعيسلة فطرحوا بين أيديها فجعلت تقصمهم بالحدائد الموضوعة على اليابها وترمى بعضهم الى الهواء وتتلقفه والابواق والانفار والصبول تضرب عند ذلك وعين الملك واقف يعاين مقتلهم ويطرح منهم عليه ثم أعيد الى محبسه وأقام السلطان على حوار النهر أياما لكثرة الناس وقلة العرابين واجرا منعته وحراثته على العبيد وفرق القبيلة على حواصله ليميزوا المنتهبين وبعث الى بغين منها الجرن عليه رحلى وقصد السلطان ونحن معه الى مدينة بهرايج (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء ساكن وراء والف وياء آخر الحروف مكسورة وجيم) وهى مدينة حسنة فى عدوة نهر السرو وهو واد كبير شديد الانحدار واجاره السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البصل سالار عمود الذى هو أكثر تلك البلاد وله اخبار عجيبة وغرر وأمور شهيرة وتكاثر الناس للحوار وزاحوا حتى غرق مركب كبير كان فيه نحو ثلاثمائة نفس لم ينج منهم الا العربى من اصحاب الامير غداو كنا كنا نحن فى مركب صغير فسلمنا الله تعالى وكان العربى الذى سلم من الغرق يسمى سالم وذلك اتفاق عجيب وكان أراد ان يصعد معنا فى مركبنا فوجدنا قد ركبنا النهر فركب فى المركب الذى غرق فلما خرج ظن الناس انه كان معنا فقامت ضجة فى أصحابنا وفى سائر الناس وتوهموا انا غرقنا فلما رأونا بعد استبشروا بسلامتنا وزرنا قبر الصالح المذكور وهو فى قبة لم نجد سبيلا الى دخولها لكثرة الزحام وفى تلك الوجهة دخلنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكركدن فقتل وأتى الناس برأسه وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وقد ذكرناه

﴿ذكر عودة السلطان لحضرته ومحالفة على شاه كر﴾

ولما سفر السلطان بعين الملك كما ذكرنا عاد الى حضرته بعد مغيب عامين ونصف وعفى عن عين الملك وعفى أيضا عن نصرة خان القائم بلاد التلنك وجعلهما معا على عمل واحد وهو المقرر على بساتين السلطان وكساهما واركبهما وعين لهما نفقة من الدقيق واللحم فى كل يوم وبلغ الخبر بعد ذلك ان أحد أصحاب قدلوخان وهو على شاه كر ومعنى كر الاطرش حالف على

السلطان وكان شجاعا حسن الصورة والسيرة فغلب على بدركوت وجعلها مدينة ملكه وخرجت العساكر اليه وأمر السلطان معسكره ان يخرج الى قتاله فخرج فى عساكر عظيمة وحصره ببدركوت وتقيت ابراجها واشتد به الحال فطلب الامان فأمنه فنزل وبعث به الى السلطان مقيدا فحبسه وبقى عنده وبعثه الى مدينة هربة من طرف خراسان فأقام بها مدة ثم اشتاق الى وطنه فأراد العودة اليه لما قصد الله من حينه فقبض عليه بلاد السند وأتى به السلطان فقال له انما حملتك لشر الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه

* (ذكر فرار أمير بخت وأحد) *

وكان السلطان قد وجد على أمير بخت المقب بشرف الملك أحد الدين وقد وامعنا على السلطان خط مرتبه من أربعين ألف الى ألف واحد ويعنه فى خدمة الوزير فى دهلى واتفق ان مات أمير عبد الله الهروى فى الوباء فى التلث وكان ماله عند أصحابه بدهلى فاتفقوا مع أمير بخت على الهرب فلما خرج الوزير من دهلى الى لقاء السلطان شرعوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا الى أرض السند فى سبعة أيام وهو مسيرة أربعين يوما وكانت معهم الخيل محنونة وعزموا على ان قصدوا بها سند عوم وبرك أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم فى معدية فنصب يصعبونها وكانوا قد اعدوا حبالا لأمر الحرير برسم ذلك فلما رسموا الى النهر عوامن عبور ما العوم فبعثوا رجلين منهم الى جلال الدين صاحب مدينة اوجة وقالا له ان هاهنا تجارا أرادوا أن يعبروا النهر وقد بعثوا اليك بهذا السرج لتعلفهم الجوار فأمر الامير ان يعلق الحصار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين فأحدهما ولحق بشرف الملك وأصحابه وهم نيام لم يفقهم من الاعياء ومواصلة السهر فاحتوشهم بظاهر فركبوا مذعورين وفروا وأمر جلال الدين بضرب الرجل الذى قبض عليه فاعترف بقصة شرف الملك فأمر جلال الدين نائبه فركب فى العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فتبعوا أثرهم فأدركوهم فرموا العسكر بالدشاب ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الامير جلال الدين بسهم فاثبته فى ذراعه وغلب عليهم فأتى بهم الى جلال الدين فقيدهم وغل أيديهم وكتب الى الوزير فى شأنهم فأمره الوزير ان يبعثهم الى الحضرة فبعثهم اليها وحبسوا بها فمات طاهر فى السجن فأمر السلطان ان يصرف لشرف الملك نفقة مقرعة فى كل يوم فبقى على ذلك مدة ثم عفى عنه وبعثه مع الامير نظام الدين امير بحله الى بلاد جندبرى فانتهت حاله الى ان كان يركب البقر ولم يكن له فرس يركبه وأقام على ذلك مدة ثم وقد ذلك الامير على السلطان وهو معه فجعل السلطان شاشكيرة (جاشكير) وهو الذى يقطع اللحم بين يدى السلطان ويمشى مع الطعام ثم انه بعد ذلك نوه به ورفع مقداره وانتهت حاله الا ان مرض فقرره السلطان وأمر بوزنه بالذهب وأعطاه

ذلك

ذلك وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الاول وبعد ذلك توجه بأخته واعطاه بلاد جندير التي كان بها البقرى خدمة لامير نظام الدين فسبحان مقلب القلوب ومحيل الاحوال

(ذكر خلاف شاه افغان بأرض السند)

وكان شاه افغان خالف على السلطان بأرض ملتان من بلاد السند وقتل الامير بها وكان يسمى بهرام وادعى السلطنة لنفسه وتجهز السلطان لقتاله فعلم انه لا يقاومه فهرب ولحق لقومه الافغان وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليها فاغتاظ السلطان مما فعله وكتب الى عماله ان يقبضوا على من وجدوه من الافغان — فلاذ فكان ذلك سببا لخلاف القاضي جلال

(ذكر خلاف القاضي جلال)

وكان القاضي جلال وجماعة من الافغانيين فاطنين بمقربة من مدينة كنبايه ومدينة بلوارة فلما كتب السلطان الى عماله بالقبض على الافغانيين كتب الى ملك مقبل نائب الوزير بلاد الجرزات ونهروالة ان يحتال في القبض على القاضي جلال ومن معه وكانت بلاد بودرة قطاعا لملك الحكماء وكان ملك الحكماء صهر والد زوجة السلطان زوجة ابيه تعلق ولها بنت من تعلق هي التي تزوجها الامير عداو ملك الحكماء ادرك في صحبة مقبل لان بلاده تحت بلاده فلما وصلوا الى بلاد الجرزات أمر مقبل ملك الحكماء ان يأتي بالقاضي جلال واصحابه فلما وصل ملك الحكماء الى بلاده حذرهم في خفية لانهم كانوا من أهل بلاده وقال ان مقبلا طلبكم ليقبض عليكم فلا تدعوا عليه الا بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثمائة مدرع وأتوه وقالوا لا ندخل الاحملة فصهرله انه لا يمكن القبض عليهم وهم مجتمعون وخاف منهم فأمرهم بالرجوع واصهر تأمينهم فخلعوا عليه ودخلوا مدينة كنبايه ونهبوا خزانة السلطان بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن الكرلي التاجر وهو الذي عمر المدرسة الحسنة باسكندرية وسنذكره أثر هذا وجاء ملك مقبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة وجاء الملك عز برالحمار والملك جهان بنبل لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم أيضا وتسامع بهم أهل الفساد والجرائم فانضموا عليهم وادعى القاضي جلال السلطنة وبايعه أصحابه وبعث السلطان اليه العساكر فهزمهم وكان بدولة آباد جماعة من الافغان فحالفوا أيضا

(ذكر خلاف ابن الملك مل)

وكان ابن الملك مل ساكنا بدولة آباد في جماعة من الاغنياء فكتب السلطان الى نائبه بها وهو نظام الدين أحمد معلم قصلوخان ان يقبض عليهم وبعث اليه باحمال كثيرة من القيود والسلاسل وبعث بخلع الشتاء وعادة ملك الهند ان يبعث لكل أمير على مدينة ولوحوه

عسكره خلعتين فى السنة خلعة الشتاء وخلعة الصيف واذا جاءت الخلع يخرج الامير والعسكر للقائها فاذا وصلوا الى الرسل يبهاز لوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعته وحملها على كتفه وخدم لجهة السلطان وكتب السلطان لنظام الدين اذا خرج الافغان وبرزوا عن دوابهم لاخذ الخلع فاقبض عليهم عند ذلك وأتى أحد العرسان الدين أوصلوا الخلع الى الافغان واخبرهم بمرادهم فكان نظام الدين بمن احتال فانعكست عليه فركب وركب الافغان معه حتى اذا القوا الخلع ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيرا من أصحابه ودخلوا المدينة فأخذوا الخزائن وقدموا على أنفسهم ناصر الدين ابن ملك مل وانشال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم

(ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنبايه)

ولما بلغ السلطان ما فعله الافغان بكنبايه ودولة آباد خرج بنفسه وعزم على ان يبدأ بكنبايه ثم يعود الى دولة آباد وبعث أعظم ملك اليابريدى صهره فى أربعة آلاف مقدمة واستقبلته عساكر القاضى جلال فهزموه وحصروه بسورة وقاتلوهم وكان فى عسكر القاضى جلال شيخ يسمى جلول وهو واحد الشجعان فلا يزال يفتك فى العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته واتفق يوما انه دفع فرسه فكبا به فى حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه الى السلطان وصلبوا جسده بسورباذرة وبعثوا يديه ورجليه الى البلاد ثم وصل السلطان بعساكره بكل للقاضى جلال من ثبات فقوى أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فنهب ذلك كله ودخلت المدينة وأقام بها السلطان أياما ثم رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك أمير بخت الذى قدمنا ذكره وقضية فراره وأخذه بالسند وسجنه وما جرى عليه من الذل ثم من العز وأمره بالبحث عمن كان فى طاعة جلال الدين وترك معه الفقهاء ليحكم بأقوالهم فأدى ذلك الى قتل الشيخ على الحيدرى حسبما قدمناه ولما هرب القاضى جلال لحق بناصر الدين بن ملك مل بدولة آباد ودخل فى جملته فأتى السلطان بنفسه اليهم واجتمعوا فى نحو أربعين ألفا من الافغان والترك والهنود والعبيد ونحالفوا على ان لا يفروا وان يقاتلوا السلطان وأتى السلطان لقتالهم ولم يرفع الشطر الذى هو علامة عليه فلما استحر القتال رفع الشطر فلما عاينوه دهشوا وانهزموا اقبح هزيمة ولحق ابن ملك مل والقاضى جلال فى نحو أربعمائة من خواصهما الى قلعة الدويقير وسدوكرها وهى من امنع قلعة فى الدنيا واستقر السلطان بمدينة دولة آباد والدويقير هى قلعتها وبعث لهم ان يدلوا على حكمه فأبوا أن يدلوا الا على الامان فأبى السلطان أن يؤمنهم وبعث لهم الاطعمة تهاديهم وأقام هنالك على ذلك آخر عهدى بهم

*(ذكر

(ذكر قتال مقبل وابن الكولى)

وكان ذلك قبل خروج القاضى جلال وخلافه وكان تاج الدين بن الكولى من كبار التجار وفد على السلطان من ارض الترك مهدايا جليلة منها المماليك والجمال والمتاع والسلاح والثياب فاعجب السلطان فعله واعطاه اثنى عشر لكا وبذكر انه لم تكن قيمة هديته الا لكا واحدا وولاه مدينة كمباية وكانت لنظر الملك المقيل نائب الوزير فوصل اليها وبعث المراكب الى بلاد المليبار وحرير قسيلان وغيرها وحاءته التحف والهدايا فى المراكب وعظمت حاله ولما لم يبعث اموال تلك الجهات الى الحضرة بعث الملك مقبل الى ابن الكولى ان يبعث ما عنده من الهدايا والاموال مع هذا يأتى الجهات على العادة فامتنع ابن الكولى من ذلك وقال انا اجلها لسيدى او ابعثها مع حذامى ولا احكم لنائب الوزير على ولا للوزير واعتزما أولاد السلطان من الكرامة والعطية فكتب مقبل الى الوزير بذلك فوقع له الوزير على ظهر كتابه ان كنت عاجزا عن بلاده فاتركها وارجع البنا فلما بلغه الجواب تجهز فى عسكره وهم لبكه والتقيا بظاهر كمباية فانهزم ابن الكولى وقتل جماعة من الفريقين واستحوى ابن الكولى فى دار الناخودة (الناخدا) الياس أحد كبراء التجار ودخل مقبل المدينة فضرب رقاب أمراء عسكر ابن الكولى ونعت له الامان على ان يأخذ ماله المختص به ويترك مال السلطان وهديته ويخلى البلد وبعث مقبل بذلك كله مع حذامه الى السلطان وكتب شاكيا من ابن الكولى وكتب ابن الكولى شاكيا منه فبعث السلطان ملك الحكماء ليتنصف بينهما وبأثر ذلك كان خروج القاضى جلال الدين فنهب مال ابن الكولى وقتل ابن الكولى فى بعض ممالكه ولحق بالسلطان

(ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند)

وفى مدة مغيب السلطان عن حضرته اخرج بقصد بلاد المعبر وقع الغلاء واشتد الامر وانتهى المن الى ستين درهما ثم زاد على ذلك وضاقت الاحوال وعظم الخطب ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعا من جلد فرس مات منذ أشهر ويأكلنه وكانت الجلود تطبخ وتباع فى الاسواق وكان الناس اذا ذبحت البقرة أخذوا ماءها فأكلوها وحدثنى بعض طلبة خراسان انهم دخلوا بلدة تسمى اكروهة بين مانسى وسرستى فوجدوها خالية وقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا فى بعض بيوته رجلا قد اضرم نارا وبيده رجل آدمى وهو يشويها فى النار ويأكل منها والعياذ بالله ولما اشتد الحال امر السلطان ان يعطى لجميع أهل دهلى نفقة ستة أشهر وكانت القصاة والكتاب والامراء يطوفون بالارقة والحارات ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف

من ارطال المغرب فى اليوم لكل واحد وكنت فى تلك المدة اطعم الناس من الطعام الذى اصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين حسبما يذكر فكان الناس يبتدرون ذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه وقد ذكرنا من اخبار السلطان وما كان فى أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعد الى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا اولا الى حضرته وتنقل الحال الى خروجنا عن الخدمة ثم خروجنا عن السلطان فى الرسالة الى الصين وعودنا منها الى بلادنا ان شاء الله تعالى

(ذكر وصولنا الى دار السلطان عند قدومنا وما وقع لنا)

ولما دخلنا حضرة دهلى قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الاول ثم الثانى ثم الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا اليهم تقدم بنا قيدهم الى مشور عظيم متسع وجدنا به الوزير خواجه جهان بنتظارنا فتقدم صباح الدين حداونتزادة ثم ثلاثة أخوة قوام الدين ثم اخوهما عماد الدين ثم قلونهم ثم ثلاثة أخوهم برهان الدين ثم الامير مبارك السمرقندى ثم اربغا التركى ثم ملك زاده ثاني أخت خداوندزاده ثم بدر الدين لفصال ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزار اسطون (استون) ومعنى ذلك الف سارية وبه يجلس السلطان الجلوس العام فتقدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الارض وحدمنا نحن بالركوع وأوصلنا أصابعنا الى الارض وحدمنا الناحية مر بر السلطان وحدم جميع من معنا فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء باصوات عالية بسم الله وخرجنا

(ذكر وصولنا الى دار أم السلطان وذكر فضائلها)

وأم السلطان تدعى المخدومة جهان وهى من افضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الاطعام للوارد والصادر وهى مكفوفة البصر وسبب ذلك انه لما مات بها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والامراء فى أحسن زى وهى على سرير الذهب المرصع بالجوهر فجعل بين يديها جميعا فذهب بصرها للحين وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برورا بها ومن بروره بها انه لما قرب معه مرة قفل السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهى فى المحفة بمرأى من الناس أجمعين ولما قصدناها فقبل ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه الى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهناك سكنى المخدومة جهان فلما وصلنا بها ترجلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا صبى قصاة المماليك كمال الدين بن ابرهيم فخدم الوزير والقاضى عندنا بها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بالهدايا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكلموه سرا ثم عادوا الى القصر ثم رجعوا الى الوزير

ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمر بالجلوس في سقيفة هناك ثم أتوا بالطعام وأتوا بالغلال من الذهب يسمونها السبن (بضم السين وبالياء آخر الحروف) وهي مثل القدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبلة (بضم السين وبضم الباء الموحدة) وأتوا بالقداح وطسوت وأباريق كلها من ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان وتكون في رأس الصف كبير القوم الوارد ثم وما تقدم من الطعام خدم الحجاب والنقباء وحدمته ثم أتوا بالشربة فشربنا وقال الحجاب بسم الله ثم أكلنا وأتوا بالدفاع ثم بالمنديل ثم قام الحجاب بسم الله فحمدنا الله جميعا ثم دعينا الى موضع هناك فجلس عليه جلوس الحرير المذهبة ثم أتوا بنا الى باب القصر فحمدنا عنده وقال الحجاب بسم الله ووقف الوزير وقصصنا معه ثم أخرج من داخل القصر تحت ثياب غير محيصه من حرير وكان وقصص فاعطى كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بالبخور ذهب فيه العاكمة الياسة وبعبه وورمثله فيه الحلاب وطيفور ثالث فيه القبول ومن عادتهم ان الذي يخرج لذلك أحد الديه ورسده ويجعله على كاهله ثم يقدم بيده الاخرى الى الارض فأخذ الوزير الديه ورسده قصد ان يعلمني كيف افعل ليسلامه ويواصفه ومن دعا له الله خيرا فعلمت كيفيته ثم اصرف الى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلي ومعنا قرية من دروازة بالم منها وبعثت لنا الضيافة

(ذكر الضيافة)

ولما وصلت الى الدار التي أعدت لنزولي وجدت فيها ما يحتاج اليه من فرش وبسط وحصر واوان وسرير الزقاد وأمرتهم بالهند خفيفة الحمل يحمل السرير منها الرجل الواحد ولا بد لكل أحد ان يستصحب السرير في السفر يجعله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم محروطة يعرض عليها أربعة أعواد وتنسج عليها شفاثر من الحرير أو القطن فاذا نام الانسان عليه لم يحتج الى سابر طبسه بل لا يعطى الرطوبة من داته وحوله مع السرير حصير ستير ومحدتين ولحاف كل ذلك من الحرير وعادتهم ان يحملوا المسوحات والشوب (والتحف) ونحوها تغشيها من كان أو قطن بصافي بيض محت غسلوا الوحيد المذكورة وبقي ما في داخلها مصونا وتوانك الليلة ترحلين أحدهم الطاحون ويسمونه الحراس والآخر احرار ويسمونه القصاب فقالوا لماذا حدوا من هذا كذا وكذا من الدقيق ومن هذا كذا وكذا من اللحم لا وراق لا أذكرها الآن وعادتهم ان يكون اللحم الذي يعطون يقدرون الدقيق وهذا الذي ذكر بادصيافة أم السلطان وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان وسنذكرها ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا الى دار السلطان وسلمنا على الوزير فاعطاني عن كل مدة من ألف دينار درهما وقال لي هذه مرشقتي (شستي) ومعناه لغة رأسك واعطاني خلعة من المرعز وكتب جميع أصحابي

وخدامي وغلماني فجعلوا أربعة اصناف فالصنف الاول منها أعطى كل واحد منهم مائتي دينار والصنف الثاني اعطى كل واحد منهم مائة وخمسين دينارا والصنف الثالث أعطى كل واحد مائة دينار والصنف الرابع اعطى كل واحد خمسة وسبعين دينارا وكانوا نحو أربعين وكان جملة ما اعطوه أربعة آلاف دينار وعدا ذلك عيشت ضيافة الساطان وهي ألف رطل هندية من الدقيق ثلثها من البر والثلثان من الذرة وثلثها من الخشكار وهو المدهون وألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليف والعسل كثيرة لا أذكر عددها والاف من ورق التبغول والرطل الهندي عشرون رطلا من أرطال المغرب وخمسة وعشرون من أرطال مصر وكانت ضيافة خمسة أيام وعدد ما أكل فيها أربعة آلاف رأس من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه

﴿ذكر وفاة ستي ومن تعين في ذلك﴾

ولما كان بعد شهر ونصف من وفاة ستي توفيت ستي لي سم ادون السنة فاتصل خبر وفاتها بالوزير فأمر ان تدفن في زاويتها خارج دوارة المغرب مقبرة هناك لشيخنا ابراهيم القوتوي وغيرها فيها وكتب بحبسها الى الصعان وأباد اب في عشي اليوم الثاني وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة أيام وعادتهم ان يخرجوا الى قبر الميت صبيحة الثالث من دفنه ويفرشون حوالي القبر البسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الازاهر وهي لا تنقطع هناك في فصل من الفصول كالياسمين وقل شهه (كل شهر) وهي زهر أصفر يميل وهو أحمر والنسرين وهو على صنفين أبيض وأصفر ويجعلون الغصان السارح والمجون بثمارها وان لم يكن فيها ثمار على القبر منها حبات بالخيوط ويصبون على القبر الماء كالمبالغة وحول القبر جيس ويجتمع الناس ويأتي بالمصاحف فيقرأون القرآن فاذا ختموه أتوا بماء الجلاب فشربه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبا ويعطون النسول وينصرفون ولما كان صبيحة الثالث من دفن هذه البنت خرجت عند الصبح على العادة واعددت ما تيسر من ذلك كله فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك وأمر بسراجة فضربت على القبر وجاء الحاجب شمس الدين الاوشحي الدي، قضاء السعد وانقاضي بهدم الدين الكرواني وجملة من كبار أهل المدينة ولم آت أنا والقوم المذكورون قد أخذوا محالهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرؤون القرآن فقعدت مع أصحابي بقربة من القبر فاقرأ غوامض القراءة فقرأ القراء باصوات حسان ثم قام القاضي فقرأ شيئا في البيت ثم خرج وثناء على السلطان وعدد ذكر اسمه فقام الناس جميعا فقعدوا ثم جلسوا وقد القاضي دعا حسنا ثم أحمد الحاجب وأصحابه براميل ماء الورد فصبوه على الناس ثم داروا عليهم بأقداح شربة النبات ثم

فرقوا

فرقوا عليهم التمول ثم أتى باحدى عشرة خلعة لى ولاصحابى ثم ركب الحاجب وركبنا معه الى دار السلطان فجعد متالسر ير على العادة وانصرفت الى منزلى فما وصلت الا وقد جاء الطعام من دار المحدومة جهان ماملا ادارو وراً صحابى وأكلوا جميعاً وأكل المساكين وفصلت الاقراص والحلواء والبيات فأقامت بقاياها ثلاثة وكان فعل ذلك كله بأمر السلطان وبعد أيام جاءتنى من دار المحدومة جهان الدولة وهى المحفة التى يحمل فيها النساء ويركبها الرجال أيضا وهى شبيه السرير مظلم من صفر الحرير أو لقص وعليها عود شبيه الذى على الروحات عند نا معوج من لقصب المتدى المعوق ويحملها ثمانية رجال فى نوبتين يستريح اربعة ويحمل أربعة وهذه الدول بالهند كثيرة بها مصر عليها تصرف أكثر لباس من كان له عبيد جاءوه ومن لم يكن له عبيد اكترى رجالا يحملونه ولبلادهم جماعة يسيرة يقعون فى الاسواق وعند باب السلطان وعند أرباب الناس للكرى ويكثرون دول النساء معشية يعشاء حرير وكذلك كانت هذه الدولة التى أتتنى من امرأة السلطان فحملوا فيها جارية حبشية التى هى أم الطفل المتوفاة وبعثت امعها عن هدية جارية تركية فأقامت الجارية أم ليلة عندهم ليلة وجاءت فى اليوم الثانى وقد اعدوا لها الدينار راهم واسوردهم من صفة وثمانية اساور من الذهب من صف أبيض كان مركبا بالذهب وخلعة حرير مذهبة وتختا بالثوب ولما جاءت بذلك كله اعطيته لاصحابى ولنفر الذين هم على الدين محافظة على نفسى وصونا للعرض لان المحترمين يكسبون فى السلطان بجميع احوالى

(ذكر احسان السلطان واوزاره الى فى أيام غيبة السلطان عن الحضرة)

وفى اثناء مقامى أمر السلطان ان يعين لى من القرى ما كون فائدة خمسة آلاف دينار فى السنة فعينوا لى لوربر وهى الديوان وخرجت اليها فوجدتها قرية تسمى بدلى (بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام) وقرية تسمى بسهى (بضم الباء الموحدة وتسكين السين المهملة وكسر الهاء) ونصف قرية تسمى بالره (بضم الباء الموحدة واللام والراء) وهذه القرى على مسافة ستة عشر كروها وهو الميل بصدى يعرف بصدى هندبت والصدى عندهم مجموع مائة قرية واحوار المدينة مقدومه اصداء كل صدى له حوطرى وهو شيخ من كفار تلك البلاد ومتصرف وهو الذى يضم محاربيها وكان قد وصل فى ذلك الوقت سبى من الكفار فبعث الورراى عشر حوارمه فاعطيت لاسى جاريتين واحدة منهن فارضى بذلك وأخذ أصحابى ثلاثا صغارا مهرة ثمانيهن لا اعرف ما اتفق لهن والسبى هناك رخيص الثمن لان هن قدرات لا يعرفن مصالح الحضر والمعلمات رخيصات الاثمان ولا يتيسر أحد الى شراء السبى والكفار بلاد الهند فى برمتصل وبلاد متصلة مع المسلمين والمسلمون غالبون عليهم وانما يمتنع الكفار

بالجمال والاوعار ولهم غيضات من القصب وقصبهم غير مخوف وبعظم والتف بعضه على بعض ولا تؤثر فيه النار وله قوة عجيبة ويكون بنبت الغياض وهي لهم مثل السور وداخلها تكون مواشيهم وزروعهم ولهم فيها المياه التي تجتمع من ماء المطر ولا يقدر عليهم الا بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بآلات معدة لذلك

(ذكر العيد الذي شهدته أيام غيبة السلطان)

واصل عيد النحر والسلطان لم يعد بعد الى الحضرة فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على الفيل وقد مهد له على ظهره شبه السرير وركب أربعة أعلام في اركانه الاربعة ولبس الخطيب ثياب السواد وركب المؤذنون على الفيل يكبرون امامه وركب فقهاء المدينة وقضاتها وكل واحد منهم بيده مخصرة يتصدق بها حين الخروج الى المصلى ونصب على المصلى صيوان فخم وفرش بسط واجتمع الناس ذاكرين الله تعالى ثم صلى بهم الخطيب وخطب وانصرف الناس الى منازلهم وانصرفنا الى دار السلطان وحمل الطعام فحضره الملوك والامراء والاعزة وهم الغرباء وأكلوا وانصرفوا

(ذكر قدوم السلطان ولقائنا له)

ولما كان في رابع شوال نزل السلطان بقصر يسمى تلبت (بكسر التاء المعلوة الاولى وسكون اللام وفتح الباء الموحدة ثم تاء كالاولى) وهي على مسافة سبعة اميال من الحضرة فأمر بالوزير بالخروج اليه فخرجنا ومع كل انسان هديته من الخيل والجمال والاواكد الخراسانية والسيوف المصرية والمماليك والنعم المحلوبة من بلاد الاتراك فوصلنا الى باب القصر وقد اجتمع جميع السادة بين فكانوا يدخلون الى السلطان على قدر مراتبهم ويخلع عليهم ثياب الكمخا المزركشة بالذهب ولما وصلت النوبة الي دخلت فوجدت السلطان قاعدا على كرسي فقبلته أحد الحجاب حتى رأت معه ملك الامراء ناصر الدين الكاشي الهروي وكنت عرفته ايام غيبة السلطان فحدثم الحاجب فحدمت واستقبلني أمير حاجب وهو ابن عم السلطان المسمى بهرور وحدمت ثانية فلما قمت قال لي ملك الامراء باسم الله مولانا بدر الدين وكانوا يدعوني بأرض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل العلم اسمه يقال له مولانا فقربت من السلطان حتى أخذ بيدي وصافحني وامسك يدي وجعل يخاطبني بحسن خطاب ويقول لي بلغة الفارسي جات البركة قدومك مبارك اجمع خاطرك اكمل معك من المراحم واعطيك من الانعام ما يسمع به أهل بلادك فقبلت اليد ثم سألني عن بلادي فقلت له بلاد المغرب فقال لي بلاد بعيدة المؤمن فقلت له نعم وكان كلما قال لي كلاما جيدا

قبلت

قبلت يده حتى قبلتم اسبع مرات وخلع عليه وانصرفت واجتمع الواردون فقسم بينهم وقف على رؤوسهم قاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وكان من كبار الفقهاء وقاضي قضاة الممالك صدر الجهان كمال الدين العمروي وعماد الملك عرض الممالك والملك جلال الدين السكيني وجماعة من الخدام والامراء وحضر شيخ خداوندزاده فخيار الدين ابن عم خداوندزاده قوام الدين قاضي الرمد الذي قدم معنا وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالاخ وتردد اليه مرارا من بلاده والواردون الذين خلع عليهم في ذلك هم خداوندزاده قوام الدين واخوته ضياء الدين وعماد الدين وبرهان الدين وابن أخته أمير بخت ابن السيد تاج الدين وكان جده وجد والده الدين وزير خراسان وكان خاله علاء الدين أمير هند ووزيرا أيضا والامير بهاء الدين الفلكي التبريزي وكان أبوه نائب الوزير بالعراق وهو الذي بنى المدرسة الفلكية بتبريز ومنهم كراي من أولاد بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى وهو من أهل جبل سحشان الذي منه يجلب اباقوت المحمش والازورد والامير مبارك شاه السمرقندي وأرون بعا البحتري وصدر زاده الترمذي وشهاب الدين الكازروني التاجر الذي قدم من تبريز بالهدية الى السلطان فغلب في طريقه

(ذكر دخول السلطان الى حضرته وما أمر لنسائه من المراكب)

وفي الغد من يوم خروجنا الى السلطان أعطى كل واحد منا فرسا من مراكب السلطان عليه سرج ولجام مجلسان وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا في مقدمته مع صدر الجهان وريت الى بيت امام السلطان وعلقت عليه الاعلام ورفعت عليها ستة عشر شطرا منها عشر ركشة ومنها مرصعة ورفع فوق رأس السلطان شطر منها وحملت امامه العاشية وهي سبارة مرصعة وجعل على بعض لعيلة ريات صغار منها ووصل السلطان الى قرب المدينة فمر بي في تلك الزعادات بالمدينة واسراهيم مختلفة والمسلمين يدي السلطان وسواهم ممن حضر يلتقون دلك ولم يزالوا يسيرون بها الى ان وصلوا الى القصر وكان بين يديه آلاف من المشاة على الاقدام وصنعت قباب الخشب المذكورة وقباب الحرير وهب المغنيات حسبما ذكر ذلك

(ذكر دخول اليه وما انعم به من الاحسان والولاية)

ولما كان يوم الجمعة ثاني يوم دخول السلطان اتيت باب الماشور فجلست في سقائف الباب الثالث ولم يكن الاذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الهوشنجي فأمر الكتاب ان يكتبوا اسماءنا وأن نقوم في دخولنا ودخول بعض أصحابنا وغيرنا دخول معي ثمانية فدخلنا ودخلوا معنا ثم جاؤا بالبدر والقباب وهو الميزان وقعد قاضي القضاة والكتاب

ودعوامن ملياب من الاهزة وهم العربان فعينوا لكل انسان صيه من تلك البدر فحصل لى منها خمسة آلاف دينار وكان مبلغ المال ستة آلف دينار تصدقت به أم السلطان لما قدم اليها وانصرفنا من ذلك اليوم وكان السلطان بعد ذلك يتعذب بالطعام بين يديه ويسأل عن أحوال الناس محاطبنا ما جل كلام ولقد قال لنا فى بعض الايام ثم شرفتمونا بقدومكم هنا فقد رعلى مكافأتكم فالكبير منكم مقام والدى والكهل مقام أخى والصغير مقام ولدى ومافى ملكى أعظم من مدينتى هذه أعطيكم اياها فشكرنا وده وعوضه ثم بعد ذلك أمر لنا بالمرتبات فعين لى اثنى عشر ألف دينار فى السنة وزادنى قرية على الثلاث التى أمر لى بها قبل احداها قرية حورة والثانية قرية ملك بور وفى بعض الايام بعث لنا حسداو يدراده عيبات الدين وقطب المنبر صاحب السيد فقال لنا ان حسداو عالم يقول لكم من كان منكم يصلح للوزارة أو للكتابة أو للامارة او للقضاء أو للتدريس أو للمشيخة اعطيته ذلك فسكت الجميع لانهم كانوا يريدون تحصيل الاموال والانصراف الى بلادهم وتكلم أمير بخت ابن السيد تاج الدين الذى تقدم ذكره فقال أما الوزارة فغير انى وأما الكتابة فشغلى وغير ذلك لا أعرفه وتكلم هبة الله بن الملكى فقال مثل ذلك وقال لى حسداو يدراده العربى ما تقول أنت يا سيدى وأهل تلك البلاد يدعون العربى لانه لقب يدل على حسب صاحبه السلطان تعظيما للعرب فقلت له أما الوزارة والكتابة فليست شغلى وأما القضاء والمشيخة فشغلى وشغلى أبى وأما الامارة فمعلوم ان لا عاجم ما أسلم الا باسياف العرب فلما بلغ ذلك الى السلطان أعجبه كلامى وكان بهزار اسطوس يأكل الطعام فبعث عباء كانت بين يديه وهو يأكل ثم انصرف الى خرج هزار اسطوس فقعد أصحابى وانصرفت بسبب دمل كان بمعى الحلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابى واعتذر والدى وجئت بعد صلاة العصر فصليت بالمشور المغرب والعشاء الآخرة ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل حسداو يدراده وصيا الدين وهو أكبر الاخوة المذكورين فجعل السلطان أمير داد وهو من الامراء الكبار مجلس مجلس القاضى من كان له حق على أمير أو كبير احضره بين يديه وجعل مرتبه على هذه الحصة خمسين ألف دينار فى السنة عين له مجاشر فائدها ذلك المقدار فأمر له بخمسين ألف عين يد وجلع عليه خلعة حرير مركشة تسمى صورة الشير ومعناه صورة السبع لانه كون فى صدرها وظهرها صورة سبع وقد خيط فى باطن الخلعة بطاقة بمقدار مركش فيها من الذهب وأمر له بفرس من الجنس الاول واخيل عبدهم أربعة أجناس ومروحة هم كسروج أهل مصر ويكسون اعطيا بالقصة المذهبة ثم دخل أمير بخت فأمر له أن يجلس مع الوزراء فى مسنده ووقع على محاسبات الدواوين معين له مرتبا أربعين ألف دينار فى السنة أعطى مجاشر فائدها بمقدار ذلك

وأعطى

واعطى اربعين الفا عن يده واعطى فرسا مجهزا وخلع عليه مكلفه الذى قبله ولقب شرف الملك ثم دخل هيبة الله ابن الملكى بجعله رسول دار ومعه حاجب الارسال وعين له مرتبا أربعين ألف دينار فى السنة أعطى محاشر يكون فائدها مقدار ذلك واعطى أربعة وعشرين ألف عين يد واعطى فرسا مجهزا وخلعة وجعل لقبه بهاء الملك ثم دخلت ووجدت السلطان على سطح القصر مستندا الى السرير والوزير واحمد جهان بين يديه والملك الكبير قبولة واقف بين يديه فلما سمعت عليه قال لى الملك الكبير احمد فقد جعلناك خوند عالم قاضى دار الملك دهلى وجعل مرتبك اثنى عشر ألف دينار فى السنة وعين لك محاشر بمقدارها وأمر لك باثنى عشر ألفا نقدا أحدها من الخزانة عند ان شاء الله واعطاك فرسا بسرجه ولجامه وأمر لك بخلعة مختارة وهى التى تكون فى صدرها وظهرها شكل محراب فقدمت وأخذت بيدى فتقدم بى الى السلطان فقال لى السلطان لا تحسب قضاء دهلى من اصغر الاشغال هو أكبر الاشغال عندنا وكبيرهم تولاه ولا أحس الجواب عنه وكان السلطان يفهم العربى ولا يحسن الجواب عنه فقلت له يا مولانا ان على مذهب مالك وهؤلاء حنفيه وانا لا أعرف اللسان فقال لى قد عينت لها امين الملتان وكمال الدين الصورى ينوبان عنك ويشاورانك وتكون أنت تمضى على العقود وأنت عندنا مقام الولد فقلت له بل عبدكم وخادمكم فقال لى باللسان العربى بل أنت سيدنا ومخدومنا وتواضعا منه وفضلا وإنسانا منه قال الشرف امين أمير بخت ان كان الذى ترتب له لا يكفيه لانه كثير الانفاق فاما أعطيه راتبا ان قدر على ان مثله حمل العمر اموال قل له هذا العربى وكان يظن انه يحسن العربى ولم يكن كذلك وفهم السلطان ذلك فقال له رو وكم بخصبى (بخصبى) وان حكاية راو وكوى وفهم كبى (كبى) تعرف ان شاء الله بيش من يانى (و) حواب او بكرى (بكوى) معناه امشوا الليلة فارقدوا فى موضع واحد وفهمه هذه الحكاية فاذا كان بعد ان شاء الله يجئ الى وتعلمنى الكلام فصبرت على ذلك فى ثلث ليال وقد صرت النوبة والعادة عندهم اذا صرت لا يخرج أحد فانتصر بالنور حتى خرج وخرجنا معه ووجدنا أبواب دهلى مسدودة فبتنا عند السيد أبى الحسن العمادى العراقى رفاق يعرف بسراج الرحمن وكان هذا الشيخ يتجر مال السلطان ويشترى له الاسحمة والامتعة العراق وخراسان ولما كان بالغد بعث عمالا فبضعوا الاموال والخيل والخلع وأخذ كل واحد منا البدرة مال فقطعها على كاهله ودخلنا كذلك على السلطان بعد منا وأتينا الافراس فقبلنا حوافرها بعد أن جعلت عليها الخرق وقدناها بأيدينا الى باب دار السلطان فركبناها وذلك كله عند هم ثم انصرفنا وأمر السلطان لاصحابى بألفى دينار وعشر خلع ولم يعط لاصحاب احد سواى شيئا وكان أصحابى فى مرواء ومنظرة فعجبوا السلطان وحدثوا بين يديه وشكرهم

(ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقفه مدة)

وكنت يوما بالمشور بعد أيام من تولي القضاء والاحسان الي والي عند تحت شجرة هناك والى جانبي مولانا ناصر الدين الترمذي العالم الواعظ فأتى بعض الحجاب فدعى مولانا ناصر الدين الدين فدخل الى السلطان فاطلع عليه وأعطاه مصحفا كالبلجوهر ثم أتاني بعض الحجاب فقال اعطني شيئا واحدا لك خط خرد اثني عشر ألف أمر لك بها خوند عالم فلم أصدقه وظننته يريد الحيلة علي وهو محمد في كلامه فقال بعض الاصحاب ان أعطيه فاعطاه ياربن أوثلاثة وجاء بخط خرد ومعناه الخط الاصغر مكتوبا بتعريف الحاجب ومعناه أمر خوند عالم ان يعطى من الخزانة المرقومة كذا للفلان بتاريخه فلان أي تعريفه ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على تلك البراءة ثلاثة من الامراء وهم الخان الاعظم قطلوخان معلم السلطان والخربندة أرو هو صاحب خرد ة الكاغد والاقلام والامير كاية الدوادار صاحب الدوات فاذا كتب كل واحد منهم خطه سمر بالبراءة الى ديوان الوزارة ليسجلها كتاب الديوان عندهم ثم تثبت في ديوان الاشراف ثم تثبت في ديوان الدار ثم تكتب لبراءة وهي الحكم من الوزير للخازن بالعطاء ثم يدفعها الخازن في دبرانه ويكتب تحتها صافي كل يوم بمبلغ ما أمر به السلطان ذلك اليوم من المال ويعرضه عليه فمن أراد التعجيل بعد انه أمر بتعجيله ومن أراد التوقيف وقفه ولكن لابد من عطائه ذلك ولو طالت المدة فقد توقفت هذه الاثنا عشر ألفا ستة أشهر ثم أخذتها مع غيرها حسما أتى وعادتهم اذا أمر السلطان باحسان لاحد يحصرونه العشر في أمره مثلا ما ئة ألف أعطى تسعين ألف أو عشرة آلاف أعطى تسعة آلاف

(ذكر خلاف الغرماء ما لهم تملي ومدحي للسلطان أمر بخلاصي دبي وتوقف ذلك مدة)

وكنت حسما ذكرته قد استدنت من التجار مالا عدته في طريقي وما صحبت به الهدية للسلطان وما انفقته في اقامتي فما أرا د السفر الى بلادهم الا واغرمي في طلب ديونهم فمدحت السلطان بقصيدة طويلة أولها (طويل)

ألا يا أمير المؤمنين المهللا * أتيناك نجد السير محمولة على الفلا
فعشت محللا من علائك رائرا * ومقامك كهف للسريرة أهلا
فلولا ن فوق الشمس للحد رتبة * لكنت لاعلاها اماما مؤهلا
فأنت الامام الماجد الاوحد الذي * سجاياه حتم أن يقول ويفعلا
ولي حاجة من فيض جودك أرتجي * قضاها وقصدي عند مجدك سهلا
أأذكرها أم قد كفاني حياؤكم * فان حياكم ذكره كان أجملا

مثل

فجعل لمن وافى محلك زائرا * قصاديه ان العريم تحللا

فقدّم منها بين يديه وهو قاعد على كرسي تجعله على ركبته وامسك طرفها بيده وطرفها الثاني بيدي وكنت اذا أكلت منها أمول لقاضي القضاة كمال الدين الغرنوي بين معناه خوند عالم فيبتسم ويعجب السلطان وهم يحسون الشعر العربي فلما بلغت الى قولي فجعل لمن وافى سبيت قال مرحبة ومعناه رحمت عليك فأحدث الخجل حينئذ يدي ليد هبوا الى موقعهم واحدم على العادة فقال السلطان اتركوه حتى يكملها وما كملتها وخدمت وهم الى الناس سلك وأقمت مدة وكنت رفعا وهم يسمونه عرض داشت فدفعته الى قطب الملك صاحب السند فدفعه للسلطان فنظر له امض الى حواجه جهان فعمل له بعض ديباجة فمضى اليه وعلمه فقال نعم وايضا قال اياما وأمره السلطان في خلالها بالسفر الى دولة آباد وفي اثناء ذلك خرج السلطان الى الصيد وسافر انور يرو لم أحدث شيئا منها الا بعد مدة والسبب الذي توقف به عطوفها اذكره مستوفى وهو انه لما عزم الدين كان لهم على الدين الى السفر قلت لهم اذا أنا أتيت دار السلطان قد رهوني على العادة في تلك البلاد لعلي ان السلطان متى يعلم بذلك حلفهم وعادتهم انه متى كان لاحد دين على رجل من ذوي العناية وأعوزه حبسه وقف له ساس دار السلطان فاذا أراد الدخول قال له دروهي السلطان وحق رأس السلطان ما تدخل حتى تخلصني فلا يكنه أن يبرح من مكانه حتى يخلصه أو يرغب اليه في تأخيره فاتفق يوما ان خرج السلطان الى الدار فرأسه ورأى يقصر هناك فقلت لهم هذا وقتكم فلم أردد الدخول وقفوا لي ساس القصر فقلوا لي دروهي السلطان ما تدخل حتى تخلصنا وكتب كتاب الساس سلك الى السلطان فخرج صاحب قصة شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسألهم لاي شيء درشتموه فقلوا انما عليه الدين فرجع الى السلطان فاعلمه بذلك وقال له اسألهم كم مبلغ الدين فسألهم فقالوا له خمسة وخمسون ألف دينار فمضى اليه فاعلمه فأمر ان يعود اليهم ويقول لهم ان خوند عالم تقول لكم المال عندي وانا أضمنكم منه فلا تطلبوه به وأمر عماد الدين السمناني وحداوند زاده غياث الدين ان يقعدا بهرار اسطون ويأتي أهل الدين يعقودهم ويسطروا اليها ويتحققوها ففعلا ذلك وأتى الغرماء يعقودهم فدخلا الى السلطان واعلماه بثبوت العقود فضحك وقال عمار ما أعلم انه قاض جهر شعله فيها ثم أمر حداوند زاده ان يعطيني المال من الخزانة فامتنع في الرشوة على ذلك وامتنع ان يكتب حط خرد فبعثت اليه مائتي تنكة فردها ولم يأخذها وقال لي عمه بعض حذاقه انه طلب خمسمائة تنكة فامتنعت من ذلك واعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمناني بذلك فاعلم به اباه وعلمه الوزير وكانت بينه وبين حداوند زاده عداوة فاعلم السلطان بذلك وذكر له

كثيرا من افعال جداوندرا دفعه يرجاطر السلطان عليه فأمر بحبسه في المدينة وقال لاى شئ اعطاه فلان ما أعطاه ووصوا له حتى يعمل على جداوندرا دشيئا اذا منعته أو يمنعه اذا أعطيته فهذا السبب توقف عطاء دبني

(ذكر خروج السلطان الى الصيد وترويحه معه وما صنعت في ذلك)

ولما خرج السلطان الى الصيد حرجت معه من غير ترخص وكنت قد أعددت ما يحتاج اليه وعملت ترتيب أهل الهند فاشتريت سراجة وفي اقراح وحرجاها ثاثة اح ولا يتقدمها الكبار الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها حمراء وسواها بيضاء منقوشة بالزرق واشتريت الصيوان وهو الذي يضل به داخل السراجة ويرفع على عمودين كبيرين ويحمل ذلك الرجال على أعناقهم ويقال لهم الكيوابية وقد ذكرناهم ويكترى من يسوق له العشب لعلف الدواب لانهم لا يصعوبها الناس ويكترى الكهارين وهم الذين يحملون أوانى المطبخ ويكترى من يحمله في الدولة وقد ذكرناها ويحملها قارعة ويكترى امراشين وهم الذين يضربون السراجة ويرشومها ورفعون لاحمال على الجمال ويكترى الدواوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل فلما كثرت ان جميع من اخترت لخدمتهم واصهرت القوة والخدمة وحرجت يوم حروج السلطان وغيري اقام بعده اليومين والثلاثة فما كان بعد العشر من يوم حروجه ركب الميل وقصده ان يتطلع على أحوال الناس ويعرف من يسارع الى الروح ومن ابطأ وجلس خارج السراجة على كرسي فجئت وسلمت ووقفت في موقفي وما شعرت الا بالسلطان قد ركب قبولة سرجه مدار وهو الذي يشرد الدواب عنه فأمرني بالجلوس عن يمينه فجلست في ذلك اليوم سواى ثم أتى بالفيل والخلق بعلم فركب عليه ووقف السطرقون رأسه وركب معه الخواص وحان ساعة ثم عاد الى السراجة وعادة الدار كلها أن يركب الامراء أفواجا كل أمير عوجه وعلامته وطبوله وانباره وصرباياته ويسمون ذلك امراب ولا يركب أمام السلطان الا الخاص وأهل الطرب والطبلخانة الذين يتقدمون الاصبهان السلاح والذين يضربون الصرنايات ويكون عن يمين السلطان بخوجسة عشر رجلا وعن يساره مثل ذلك معهم قصاة الفضة والذهب يرونه على الامراء الكبار ويعطى الاعزة وكنت اذ ذاك من أهل حيمته ويكون بين يديه المشاؤون والادلاء ويكون خلفه علاماته وهي من الحرير المذهب والاغشال على الجمال وخلف ذلك حميع حليكه وأهل دخلته وحلفهم لامراء وجميع الناس ولا يعلم أحد أين يكون النزول هذا أمر السلطان فكان يحبه النزول به أمر بالنزول ولا تضرب سراجة أحد حتى تضرب سراجته ثم يأتي الموكلون بالنزول فينزلون كل أحد في منزله وفي خلال ذلك بين السلطان على نهر او بين شجر وتقدم بين

يديه

يديه لحوم الاغنام والدجاج المسمنة والاكراكي وغيرها من أنواع الصيد ويحضر اساء
المطبخ وفي يد كل واحد منهم سفود يوقدون النار ويشترون دلك ويؤتى بسراجة صغيرة
فتحضر للسلطان ويجلس من معه من الخواص حارجها ويؤتى بالطعام ويستدعى من شاء
فيأكل معه وكان في بعض تلك الايام وهو بداخل السراجة يسأل عمن بحارجها فقال له
السيد ناصر الدين مظهر الاوهري احد ندمائه ثم فلان المغربي وهو متغير فقال ما ذا فقال
يسب الدين الذي عليه وغرماؤه لحون في الطلب وكان خوند عالم وزير ناعصائه
فسافر قبل ذلك فان أمره ولانا ان يحضر أهل الدين حتى يتقدم الوزير وأمر بانصافهم
وحضر هذا الملك دولة شاه وكان السلطان يخاطبه بالعلم فقال ياخوند عالم كل يوم هو كلمني
بالعربية ولا أدري ما يقول يا سيدي ناصر الدين مدا وقصدان يكرر ذلك الكلام فقال
يتكلم لاجل الدين الذي عليه فقال السلطان اذا دخلت دار الملك حضرت ناأوصار ومعناه
يعني الى الخزانة فاعطه ذلك المال وكان حمدا وسراده حاضرا فقال ياخوند عالم انه كثير
الاخلاق وقد رأيته بلاد عبد السلام طرمشيرين وبعد هذا الكلام استحضرني السلطان
للصعام ولا عم عندي ما جرى لما خرجت قال لي السيد ناصر الدين اشكر للملك دولة شاه وقال
لي الملك دولة شاه اشكر لحمدا وسراده وفي بعض تلك الايام ونحن مع السلطان في الصيد ركب
في المحفة وكان طريقه على منزلي وانا معه في الميمنة وأصحابي في الساقة وكان لي حباء عند
السراجة فوقف أصحابي عندها وسلموا على السلطان فبعث عماد الملك وملك دولة شاه
ليسألا عن تلك الاجنبية والسراجة فقيل لهما اعلان فأخبراه بذلك فتبسم فلما كان بالغد
بعد الامران اعوداه وناصر الدين مظهر الاوهري وان فاضي مصر وملك صبح الى البلد
تطلع علينا وعدنا الى الحضرة

﴿ذكر الجمل الذي اهديته للسلطان﴾

وكان السلطان في تلك الايام سألني عن الجمل الذي ركب الجمل فقلت له نعم ركب
المهاري في أيام التي سيرت الى مكة من مصر في عشرة أيام ولكن تلك الجمال ليست كجمال
هذه البلاد واخبرته ان عندي جملا منها فلما عدت الى الحضرة بعثت عن بعض عرب
مصر فصور لي صورة الذكور الذي ركب المهاري به من الفيوم وأريتها بعض التجار فعمل
الذكور واتخذه وكسوته بالحلف وسمعت له ركابا وجعلت على أجمل عباءة حسنة وجعلت له خطام
حرير وكان عندي رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنع منها ما يشبه القمر وغيره
وبعثت الجمل والحلواء الى السلطان وأمرت الذي حملها ان يدفعها على يد ملك دولة شاه
وبعثت له بفرس وجمل فلما وصله ذلك دخل على السلطان وقال ياخوند عالم رأيت العجب

قال وماذلك قال فلان بعث حملا عليه سرج فقال انتوانه فادخل الجمل داخل السراجة واعجب به السلطان وقال لراحلي اركبه فركبه ومشا بين يديه وأمر له بمائتي دينار دراهم وخلعة وعاد الرجل الى قاعتي فسرني ذلك واهديت له جليين بعد عودته الى الحضرة

(ذكر الجليين اللذين اهديتهما اليه والحلواء وأمر مخلاص ديبي وما تعلق بذلك)

ولما عاد الى راحلي الذي بعثته راحل فاحضرني بما كان من شأنه صنعت كورين اثنين وجعلت مقدم كل واحد ومؤخره مكورا نصف ثم العصة المذهبة وكسوتهما بالملف وصنعت رسنا معه نحاس نصف ثم العصة وجعلت لهما حلقين من زبرجد منصبين بالكحل وجعلت للجملين الخلاخيل من الفضة المذهبة وصنعت احد عشر صيغورا وملأتها بالحلواء وغطيت كل طيغور بمنديل حرير الى ان قدم السلطان من الصيد وقعد ذات يوم بدومه بموضع جلوسه العام فغدوت عليه بالحال فأمر بها فحركت بين يديه وهرولت فصار يحدث احدهما فقال لبهاء الدين بن العلكي بايل ورداري معنى ذلك رفع الجمل فرجعه ثم سار الى لديه فيرفقال حداري (بجه داري) در آن صفها حلوا است معنى ذلك معلق في تبت الاطباق حلوا هي فقلت له نعم فقال للفقيه ناصر الدين البرمدي الواعظ ما كلت قط ولا رأيت مثل الحلواء التي يعثها الينا ونحن بالمعسكر ثم أمر بتلك الاطيار ان ترفع موضع جلوسه الخاص فرفعت وقام الى مجلسه واستدعاني وأمر بالطعام فأكلت ثم سألني عن نوع من الحلواء الذي بعثت له قبل فقلت له ياخوند عالم تبت الحلواء انواعها كثيرة ولا أدري عن أي نوع تسألون منها فقال انتوا تلك الاطباق وهم يسمون الصيغور طبقا فاتوا بها وقد موها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا سألتك وأخذ الجمل الذي هي فيه فقلت له هذه يقال لها المفرصة ثم أحضرت آخر فقال وما اسم هذه فقلت له هي لقيمات القاضي وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يعرف بالسامري وينتسب الى آل العباس رضي الله تعالى عنه وهو كثير المال ويقول له السلطان والدي فحسدني وأراد ان يجعلني فقال ليست هذه لقيمات القاضي بل هي هذه وأخذ قطعة من التي تسمى جلد العرس وكان ذلك عند الندماء ناصر الدين البكاتي الهروي وكان كثير المزح فضرح هذا الشيخ بين يدي السلطان فقال له يا خواجة ست تكذب والقاضي يقول الحق فقال له السلطان وكيف ذلك فقال ياخوند عالم هذا القاضي وهي لقيماته فلما أتى بها ضحك السلطان وقال صدقت فلما فرغ من الطعام أكل الحلواء ثم شرب الاقمع بعد ذلك وأخذ الرسول وانصرف فلم يكن غير هنيهة واتاني الخبر فقلت ابعث أصحابك يقبضون المال ويعتنهم وعدت الى داري بعد المغرب فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها ستة آلاف ومائتان وثلاثون وثلاثون تنكة وذلك صرف الخمسة والخمسين ألف التي هي دين على

وصرف

وصرف الاثنى عشر ألفا التى أمر لى بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم وصرف التنكة دينار ان ونصف دينار من ذهب المغرب

(ذكر خروج السلطان وأمره لى بالاقامة بالحضرة)

وفى تاسع جمادى الاولى خرج السلطان برسم قصد بلاد المغرب وقتال القائم بها وكنت قد حلست أصحاب الدين وعرضت على لسفر واعطيت مرتب تسعة أشهر للكهاربن والفراشين والكيوانية والدوادوية وقد تقدم ذكرهم فخرج الامر بالاقامة فى حاشيته وأحد الحاجب حط وطنابدلا لتكون حجة له وتبث عادتهم حوقاص ان يكرم المبلغ وأمر لى بستة آلاف دينار دراهم وأمر لابن قاضى مصر بعشرة آلاف وكذلك كل من أقام من الاعزة وأما البلديون فلم يعطوا شيئا وأمر فى السلطان ان اتولى النصر فى مقدمة السلطان قطب الدين الذى تقدم ذكره وكان السلطان يعظم ترتيبه تعظيما شديدا لانه كان خديما له ولقد رأيته مرة أتى تمرة يأخذ نواها فيغيبه و يحفر فوق رأسه وعادتهم ان يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متكأة وكان اذا وصل الى قبره يخدم له كما كان يخدم أيام حياته وكان يعظم زوجته ويدعوها بالاخت وجعلها مع حرمه ورتب لها بعد ذلك لما قاضى مصر واعتنى به من أجلها وكان يمضى لزيارتها فى كل جمعة ولما خرج السلطان بعث عنى للوداع فقام ابن قاضى مصر فقال أنا لا أودع ولا أفارق حوشى عالم فكان له فى ذلك الخير فقال له السلطان امض فتجهز للسفر وقدمت بعد ذلك للوداع وكنت أحب الاقامة ولم تكن عاقبتها محمودة فقال مالك من حاجة فأخرجت رقاعة فيها ست مسائل فقال لى تكلم بلسانك فقلت له ان خوند عالم أمر لى بالقضاء وقد قعدت لذلك بعد وليس مرادى من القضاء الا حرمته فأمرنى بالقعود للقضاء وقعود النائبين معى ثم قال لى ايه فقلت ووصية السلطان قطب الدين مدادا افعل فيها فانى رتبت فيها اربعمائة وستين شخصا ومحصول أوقافهم لا يبقى برتباتهم وطعامهم فقال للوزير نحاء هرار ومعناه خمسون ألفا ثم قال لا بد للناس من علوفة يعنى أعطه مائة ألف من من الغلة وهى القمح والارز ينفقها فى هذه السنة حتى تأتى غلة الوصية والمن عشرون رطلا مغربية ثم قال لى وداً أيضا فقلت ان أصحابى سجنوا بسبب القمرى التى اعطيتمونى فانى عوضتها بغيرها فطلب أهل الديوان ما وصلنى منها أو الاستظهار بأمر خوند عالم ان يرفع عنى ذلك فقال كم وصلك منها فقلت خمسة آلاف دينار فقال هى انعام عليك فقلت له وبارى التى أمر تم لى بها فنقرة الى البناء فقال للوزير عمارة كنيد أى معناه عمروها ثم قال لى ديكر عاسد فقلت له لا معناه هل بقى لك كلام فقال لى وصية بكر هست معناه أوصيك ان لا تأخذ الدين لئلا تطلب فلا تحمد من يبلغ خبرك الى انفق على قدر ما أعطيتك قال الله

تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فاردت ان أقيم قدمه فمضى وامسك رمحي سنة فعبثت واعرضت وعدت الى الحيرة فاشتغلت بعمارة داري وأنفقت فيها أربعة آلاف دينار عملت منها من الديوان سبعمائة دينار وردت عليه الباقي وبنيت بقاياها مسجدا واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان قطب الدين وكان السلطان قد امر ان تبنى عليه قبة يكون ارتفاعها في الهواء مساويا لارتفاع رمحه عشرين ذراعا على ارتفاع القبة المبنية على قبر ابيه بالعراق وأمر ان تشترى لاجل قربة تكون وقفا عليها وجعلها اسمى على ان يكون لي العشر من فائدتها على العادة

﴿ذكر ما فعلته في ترتيب المقبرة﴾

وعادة اهل الهند ان يرتبوا لاهاليهم تربة اكبر بيوتهم بقيد الحياة ويوقفون عليها الضياع والخيل فجعلت عمارات لم تكن قبلي وهي مرتبة ترتيبا حسنا مبنية على شكل مدرسة ورتبت لذلك ورتبت من قراء القرآن مائة وخمسين وهم مقسومون اثنين اثنين ورتبت من الصلحاء ثلثمائة ومن المعتقدين ويسمونهم الذكريين ثمانية ورتبت لهم مدرسا ورتبت من السوقية ثلثين ورتبت الامام والمؤذنين والقراء بالاصوات الحسان واخذا حسن ركاب لعبيه والمعرفين وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالارباب ورتبت صفا آخر يعرفون بالحشية وهم الفراشون والسائسون والدواوية والابدارية وهم السقاؤون والسرداريد الذين يسقون الشربة والتنبول داريا الذين يعطون التنبول والسلحداريا والسبرداريا والشطرداريا والخشت داريا والحجاب والقباء فكان جميعهم أربعمائة وستين وكان السلطان امر ان يكون الطعام لهم اثني عشر منا من الدقيق ومثلها من اللحم فرأيت ان ذلك قليل والزرع الذي أمامه كثير فكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين منا من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكر والبنات والسمن والتنبول وكنت أصنع المرتسين وغيرهم من صادر ووارد وكان اعلاء شديدا فاذا تفرق الناس بهذا الطعام وشبع حشره وسافر الملك صرف الى السلطان بدولة آباد فسأله عن حال الناس فقال له لو كان بدهلي انسان مثل فلان لما شكا الجهد فاعجب ذلك السلطان وبعث الى بخلعة من ثيابه وكنت اصنع في المواسم وهي العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائتين من الدقيق ومثلها لحما فيأكل منها الفقراء والمساكين وأما أهل الوظيفة فيجعل امام كل انسان منهم بحصته ولقد ذكر عادتهم في ذلك

﴿

﴿ذكر عادتهم في اطعام الناس في الولائم﴾

وعادتهم ببلاد الهند وبلاد العراق اذا فرغ من أكل الطعام في الوليمة يحضر امام كل انسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وغيرهم مهما كان عدده أربع أو خمس صحاف من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأس غنم مشوية وأربعة أقراص مخبوزة في سمن قد لطخت بالصفرة المصنوعة بالزعفران كالخبز الذي يعمل في الأعراس ويغطى ذلك الوعاء بثوب قطن جديد ومن كان دون من ذكرنا يحضر امامه نصف رأس غنم وعلى هذا المقدار بالنسبة ومن كان دون هؤلاء أيضا يجعل امامه مثل الربع من ذلك ويرفع جميع كل أحد بحضرة امامه وأول ما رأيتهم يصنعون هذه المدينة أمر احضرة السلطان أوربك فيما صنع ان يرفع رحمه الله لكل من له عهد وكذلك يعملون أيضا لذاكرنا انه من طعام الولائم

﴿ذكر خروجي الى هرار أمروها﴾

وكان الوزير قد أعطاني من العلوفة المأمور بها لكل واحد عشرة آلاف من وهذه لي لبقائي في هرار أمروها وكان والي الخمراء يهب عزرا احمار وأمرني نحس الدين البلدجي وبعث رجالي فأخذوا بعض الآلة وتشكوا من تعسف عزرا احمار فحرجت حتى لا أستعمل من ذلك وبين دهلي وهذه المملكة ثلاثة أيام وكان ذلك أوان نزول المطر فخرجت في نحو ثلاثين من أصحابي واستصحبت معي أحدا من المعينين المحسنين يعرف لي في الطريق فوصلنا الى بلدة تعرف بوصفه (بكسر الباء الموحدة وسكون الحاء وفتح الراء) فوجدت بها أيضا ثلاثة أحواض معينين فاستصحبتهم فكانوا يرعون لي نوبة ولآخران نوبة ثم وصلنا الى أمروها وهي مدينة صغيرة حسنة خرج أهلها بفقرائها وجاءوني بها الشريف أمير علي وشيخ راويها وأنشدوا معا صيغة حسنة وكان عزرا احمار بموضع يقال له افغان بور على نهر السرو ويسمى بهذا النهر ولا معدية فيه فاحتجنا الى افغان في نحو نصف ساعة من الخشب والقنات وحرق في اليوم لذلك وجاءني أحد الأحواض في جماعة من أصحابه وضربنا سراجة ثم جاء الحوض الى الوالي وكان معروفا بالكرم وكانت عزرا التي في محلته ألف أو خمسمائة قرية وتجبى هذه الستون بكاملها لنفقة فرس نصف العشر ومن تحت نظر الذي رأيناه عليه الله لا يشرب منه أحد في أيام نزول المطر ولا تسقى منه دابة ولا غيرها عليه لأنها عرف منه أحد عرفة ولا كذا بقرب منه لأنه يزيل من حمل قراطيس التي بها معادن الذهب ويمرض الخشاش المسمومة من شرب منه مات وهذا الحوض متصل بمسيرة ثلاثة أشهر ومنه الى بلاد بنت حيث عرلان الملك وقد ذكرنا ما اتفق على جيش المسلمين بهذا الجبل وبهذا

الموضع جاء الى جماعة من الفقراء الحيدرية وعملوا السماع وأوقدوا النيران وذبحوها ولم تضرهم وقد ذكر ذلك وكانت قد نشأت بين أمير هذه البلاد شمس الدين البدخشي وبين واليها عزيز الحمار مسارعة وجاء شمس الدين لقتله في متنزه بسبب ذلك وبعث شكاية احدهما الوزير بدهلي فبعث الى الوزير والى الملك شاد أمير الماليك بأمرهما وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان والى شهاب الدين الرومي ان سطرقي قصيتهما فمن كان على الباطل يعاقبه متفقا الى الحضرة فاجتمعوا جميعا عنده لي واذي عزيز على شمس الدين دعاوى منها ان خديجة له يعرف بالرضي المفتي برل مدار خدن عزيز المذكور فشربها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذي عند الخازن واستقومت الرضي عن ذلك فقال لي ما شربت الخمر منذ خرجت من ملتان وذلك ثلث بيسة أعوام فقلت له أو شربتها بعد ان قال نعم فأمرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى الموت ظهر عليه وانصرفت عن أمرهما فكانت غيبتي نحو شهرين وكنت في كل يوم ارسل لاصحابي بقرة وتركت أصحابي ليأتوا لزرع المعتمد على عزيز وحمد عليه فوزع على أهل القرى التي لسطره ثلاثين ألف من يحملونها على ثلاثة آلاف بقرة وأهل الهند لا يحملون الاعلى البقر وعليه يركبون انفة لهم في الاسفار وركوب الخيل عندهم عيب كبير وخيرهم صعبة الاحرام يسمونها الاشقة وربما أرادوا الشهار أحدهم ضربه اركبوه الحمار

●(ذكر مكرمة لبعض الاصحاب)●

وكان السيد ناصر الدين الاوهري قد ترك عندي لما سافر ألفا وستين تنكة فتصرفت فيها فلما عدت الى دهلي وجدته قد أحال في ذلك المال حداوبدراوه قوام الدين وكان قدم ماثبا عن الوزير فاستقبحت ان اقول له تصرفت في المال فأعطيته نحو ثلثه وانحت ساري اياما وشاع أني مرضت فأتى ناصر الدين الحوار رمي صدر الجهان لزيارتي فلما رآني قال ما أرى بك مرضا فقلت له اني مريض القلب فقال لي عرفني بمنك فقد له ابعث الى ما ثبك شيخ الاسلام اعرفه به فبعثه الى فاعلمته فعاد اليه فاعلمه فبعث الي بألف دينار دراهم وكان له عندي قبل ذلك ألفا ثانيا ثم طلب مني بقية المال فقلت في نفسي ما يخلصني منه لا صدر الجهان المذكور لانه كثير المال فبعث اليه بفرس مسرج محلته وقيمته سرجه ألف وستمائة دينار وهو رس ثمان قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وغلامين قيمتهما ألف وماتا دينار وبركاش فضة وبيسين عمدا هما معشيان بالفضة وقلت له انصر قيمة الجميع وابعث الي بالمال فأخذ ذلك وعمل لجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار فبعث الي ألفا واقتنع الالفين فتغير خاطري ومرضت بالحمى وقلت في نفسي ان شكوت به الى الوزير انصحت فأخذت خمسة أفراس وحمار يتسين ومملوكين

وعمو كبيرة وبعثت الجميع للملك معيث الدين محمد بن ملك الملوك عماد الدين السمناني وهو فتى السن فرد على ذلك وبعث الى سائق تكفه واعتذر وخلصت من ذلك المال وشتان بين فعل محمد ومحمد

(ذكر خروجي الى محلة السلطان)

وكان السلطان لما توجه الى بلاد معبر ووصل الى انتلك ووقع الوباء بعسكره فعاد الى دولة آباد ثم وصل الى بهر الكنك فنزل عليه وأمر الناس بالبناء وتحرمت في تلك الايام الى محلته واتفق ما سردناه من محالفة عبد الملك ولازمت السلطان في تلك الايام واعطاني من عناق الخيل لما قسمها على حواصه وحملني فيهم وحضرت معه الوقيعة على عبد الملك والقبض عليه وحرت معه عبر الكنك ونهر السرو لزيارة قبر الصالح الطواسي الاردبيلي (مسعود) وقد استوفيت ذلك كله وعدت معه الى حضرة دهلي لما عاد اليها

(ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى)

وكان سبب ذلك اني دهمت يوما لزيارة الشيخ شهاب الدين من الشيخ الحمام بالغار الذي احتفره خارج دهلي وكان قصدي رؤية ذلك الغار فما أحده السلطان سأل أولاده عمن كان يزوره فذكروا اناسا أنا من جملتهم فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور وعادته انه متى فعل ذلك مع أحد لم يخلص فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة فالحمد لله تعالى الى تلاوة قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فقرأتها ذلك اليوم ثلثة وثلاثين ألف مرة وتبت بالمشور وواصلت الى خمسة أيام في كل يوم منها ختم القرآن واقطر على الماء خاصة ثم افطرت بعد خمس وواصلت اربعا وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى

(ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي عن الدست)

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله العمراني وكان من الاولياء وله كرامات كثيرة وقد ذكرت منها ما شاهدته عند ذكر اسمه وانقطعت الى خدمة هذا الشيخ ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما واصل عشرين فكنت أحب ان اواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول لي ان المتعب لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى وظهر لي من همتي فكاسل بسبب شيء بقي معي فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير واعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر والسلطان اذ ذاك غائب ببلاد السند

(ذكر بعث السلطان عني وامتناعي عن الرجوع الى الخدمة واجتهادي في العبادة)

وما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسبوستان فدخلت عليه في زي الفقراء فكلمني أحسن كلام والطفه وأرادني الرجوع الى الخدمة فأبيت وطلبت منه الاذن في السفر الى المختار فاذن لي فيه وانصرفت عنه ونزلت براوية تعرف بالنسبة الى الملك بشير وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة ثنتين وأربعين فاعتكفت بها شهر رجب وعشرا من شعبان وانتهيت الى مواصلة جمعة أيام وافطرت بعدها على قليل ارز دون ادام وكنت أقرأ القرآن كل يوم وانهجد بما شاء الله وكنت اذا أكلت الطعام أدانى واذا طرحته وجدت الراحة وأقمت كذلك أربعين يوما ثم بعث عني ثانية

(ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين في الرسالة)

ولما كملت لي أربعون يوما بعث الي السلطان خيلا مسرجة وحوارى وعلمان وثيابا وبعثة فلبست ثيابه وتصدقت وكانت لي جبة قصر زرقاء ميدعة لبستها يام اعتكافي فما جردتها ولبست ثياب السلطان أنكرت نفسي وكنت متى نظرت الى ذيل الجبة أحسن نور الهي باطني ولم تزل عندي الى ان سلمني الكفار في البحر ولما وصلت الى السلطان رادني اكرامي على ما كنت أعهده وقال لي انما بعثت اليك لتتوجه عني رسولا الى ملك الصين فاني أعلم حبك في الاسفار والتجول فتهيأ لذلك بما احتاج له وعين للسفر معي من يذكر بعد

(ذكر سبب بعث الهدية الى الصين وذكر من بعث معي وذكر الهدية)

وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكمخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون ومائة من التي تصنع بمدينة الخنفا وخمسة امثالها من المسك وخمسة أثواب مرصعة بالجوهر وخمسة من التراكش مرصعة وخمسة سيوف وطلب من السلطان ان يأذن له في بناء بيت الاصنام الذي بأحد جبل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف الموضع الذي هو به سمهل (بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح الهاء) وليبعث أهل الصين وتعلب عليه جيش الاسلام بالحة فاخر ودوه فلما وصلت هذه الهدية الى السلطان كتب اليه بأن هذا الملك لا يجوز في ملة الاسلام اسعافه ولا بناء بيعة كنيسة بأرض المسلمين لا لمن يعتي الجزية فان رضيت باعطائها امتحالك بناءه والسلام على من اتبع الهدى وكافاه عن هديته بخير منها وذلك مائة فرس من الجياد مسرجة ملجمة ومائة مملوك ومائة جارية من كفار الهند معنيات وروا قص ومائة ثوب برمية وهي من القطن ولا نظير لها في الحسن قيمة الثوب منها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجر (بضم الجيم وراى) وهي التي يكون حرير احداهما مصبوغا بجمسة الوان وأربعة ومائة ثوب من الثياب المعروفة

بالصلاحية

بالصلاحية ومائة ثوب من الشيرين باف ومائة ثوب من الشان باف وخمسمائة ثوب من المرعز مائة منها سود ومائة بيض ومائة حمر ومائة خضر ومائة زرق ومائة شقه من الكتان الرومي ومائة فصلة من الملف وسراجة وست من القباب وأربع خلك من ذهب وست خلك من فضة منيلة وأربعة طسوت من الذهب ذات اباريق كتلها وستة طسوت من الفضة وعشر خلع من ثياب السلطان مركشة وعشر شواش من لباسه احداها مرصعة بالجوهر وعشرة تراكش مركشة وأحدها مرصع بالجوهر وعشرة من السيوف أحدها مرصع العمد بالجوهر ودشت باش (دستيان) وهو غاير مرصع بالجوهر وخمسة عشر من الغنيان وعين السلطان للسفر معي بهذه الهدية الامير ظهير الدين ارتجاني وهو من فضلاء اهل العلم والتقى كافور السرير دار واليه سلمت الهدية وبعث معنا الامير محمد الهروي في ألف فارس ليوصلنا الى الموضع الذي ركب منه البحر وتوجه بجهة ما ارسال ملك الصين وهم خمسة عشر رجلا يسمى كبيرهم ترسي وحدامهم نحو مائة رجل وانه صلنا في جمع كبير ومحلة عظيمة وأمر لنا السلطان بالضيافة مدة سفرنا بلاده وكان سفرنا في السابع عشر لشهر صفر سنة ثلاث وأربعين وهو اليوم الذي اختاروه للسفر لانهم يختارون للسفر من ايام الشهر ثانيه او سابعه او الثاني عشر او السابع عشر او الثاني والعشرين او السابع والعشرين فكان نزولنا في اول من حملة تمرل ثبت على مسافة فرسخين وثلث من حضره دهلي ورحلنا منها الى منزل او ورحلنا عنه الى منزل هيلو ورحلنا عنه الى مدينة سانه (وضبط اسمها بضم السين المهملة وفتح الباء آخر الحروف مع تحتيته ها وضم النون) مدينة كبيرة حسنة البناء ملبحة الاسواق ومسجدها جامع من أبدع المساجد وحيطانه وسقفه خشب والامير بها مقيم ان الدابة وامه هي دابة السلطان وكان بها قبل الملك محمد بن أبي الرجاء احد كبار الملوك وقد تقدم ذكره وهو ينتسب في قريش وفيه محمد وله علم كثير قتل من اهل هذه المدينة جملة ومثل بكثير منهم ولقد رأيت من أعضائهم بالاحس الهيئة قاعدا في أسواق منزله وهو مقطوع اليدين والرجلين وقدم السلطان مرة على هذه المدينة فشكى الناس من الملك محمد المذكور فامر السلطان بالقبض عليه وحملت في عنقه الجامعة وكان يقعد بالديوان بين يدي الوزير وأهل البلد يكلمون عليه المظالم فامره السلطان بارضائهم وارضاهم بالاموال ثم قتله بعد ذلك ومن كبار أهل هذه المدينة الامام العالم عز الدين الزبيري من ذرية الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد كبار الفقهاء الصلحاء الفضلاء بمكاليور عند الملك عز الدين البتناني المعروف بأعظم ملك ثم رحلنا من بيانة فوصلنا الى مدينة كول (وضبط اسمها بضم الكاف) مدينة حسنة ذات بساتين وأكثر أشجارها النبق ونزلنا بخارجها في بسيط أفيح ولقينا بها الشيخ الصالح العابد

شمس الدين المعروف بماس تاج العارفين وهو مكفوف البصر معمر وبعد ذلك سجنه السلطان ومات في سجنه وقد ذكرنا حديثه

(ذكر غزوة شهدناها بكول)

ولما ارتحلنا الى مدينة كول بلغنا ان بعض كفار الهمود حاصر البلدة الجلالي واحاطوا بها وهي على مسافة سبعة أميال من كول فقصدناها والكفار يقاتلون اهلها وقد أشرفوا على ائتلاف ولم يعلم الكفار بنا حتى صدمنا الجيوش عليهم وهم في نحو ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فقتلنا هم عن آخرهم واحتوينا على خيلهم وامتعتهم واستشهد من أصحابنا ثلاثة وعشرون فارسا وخمسة وخمسون راجلا واستشهد الفتى كافور الساقي الذي كانت الهدية مسلمة بيده فكتبنا الى السلطان بخبره واقمنا في انتظار الجواب وكان الكفار في اثناء ذلك ينزلون من جبل هنالك منيع فيغيرون على نواحي بلدة الجلالي وكان أصحابنا يركبون كل يوم مع أمير تلك الناحية ليعينوه على مدافعتهم

(ذكر محنتي بالاسر وخلاصي منه وخلاصي من شدة بعده على يد ولي من أولياء الله تعالى)

وفي بعض تلك الايام ركبت في جماعة من أصحابي ودخلنا دسكرة بالقرب فيه وذلك فصل القيظ فسمعنا الصياح فركبنا ولحقنا كفارا اغار واعلى قرية من قرى الجلالي فانهزمناهم فتفرقوا وتفرق أصحابي في طلبهم وانفردت في جملة من أصحابي فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك فمررنا منهم لكثرتهم واتبعني نحو عشرة منهم ثم انقطعوا عني الا ثلاثة منهم ولا طريق بين يدي وتلك الارض كثيرة الحجارة فضربت بفرسي بين الحجارة فنزلت عنه واقتلعت يده وعدت الى ركوبه والعادة في الهند ان يكون مع الانسان سيفان احدهما معلق بالسرج ويسمى الزكاني والآخر في التركش فسقط سيفي الزكاني من عنده وكانت حليته ذهبا فنزلت فأخذته وتقلدته وركبت وهم في أثري ثم وصلت الى حديقة عظيمة فنزلت ودخلت في خوفه فكان آخر عهدي بهم ثم خرجت الى واد في وسط شعراء ملتفة في وسطها طريق قد مشيت عليه ولا أعرف منتهاه وبينا أنا في ذلك خرج علي نحو اربعين رجلا من الكفار بايديهم القسي فاخذوا في وخفت ان يرموني رميتهم رجل واحد ان فررت منهم وكنت غير متدرع فألقيت بنفسي الى الارض واستأسرت وهم لا يفقهون من فعل ذلك فأخذوني وسلبوني جميع ما علي غير جبة وقميص وسروال ودخلوا بي الى تلك الغابة فانتهوا بي الى موضع جلوسهم منها على حوض ماء بين تلك الاشجار وأتوني بحسر ماشوه والطبان فأكلت منه وشربت من الماء وكان معهم مسلمان كلماني بالفارسية وسألاني عن شأني فأخبرتهما بعضه وكتمتهما الى من جهة السلطان فقالا لي لا بد ان يقتلك هؤلاء او غيرهم ولكن هذا مقدمهم

واشارا

واشاروا الى رجل منهم فكلمته بترجمة المسيو وتلصقت له فوكل بي ثلاثة منهم لحدهم شيخ ومعه
اثنان والآخر أسود حبيث وكلمني اولئك الثلاثة ففهمت منهم انهم أمروا بقتلي واختلفوا في عشي
الم ارالى كيف وسلط الله على الاسود منهم حتى مر عدة فوضع رجليه على وسام الشيخ واثنه
قد أصبح تكلموا فيما بينهم واشاروا الى بالنزول معهم الى الحوض وفهمت انهم يريدون قتلي
فكلمت الشيخ وتلصقت اليه فرق لي وقطعت كمي قميصي واعطيته اياها لكي لا يأخذه
أصحابه في ان فررت ولما كان عند الظهر سمعنا كلاما عند الحوض فظننا انهم اصحابهم
واشاروا الي بالنزول معهم فنزلنا ووجدت قوما آخرين واشار واعليهم ان يذهبوا في صحبتهم
فأبوا وجلس ثلاثتهم امامي وأدمواجههم ووضعوا حمل ذنب كان معهم بالارض وأنا انظر
اليهم وأقول في نفسي عهدا الجبل يربطونني عند القتل وأخذت كذلك ساعة ثم جاء ثلاثة
من أصحابهم الذين أحدوني فتكاموا معهم وفهمت انهم قالوا لهم لاي شيء ما قتلتموه فاشار
الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه وكان أحدهؤلاء الثلاثة شابا حسن الوجه فقال لي
اتريد ان اسرحك فقلت نعم فقال اذهب واحمد الجبة التي كانت علي فاعطيته اياها
واعطاني صبرة بالية عنده وار ني الطريق فذهبت وحمت ان يبدو لهم فيدركوني فدخلت
غيضة قصب واختفيت فيها الى أن غابت الشمس ثم خرجت وسلكت الطريق التي
ارانيها الشاب فاقصت بي الى ماء فشربت منه وسرت الى ثلث الليل فوصلت الى جبل فخفت
تحته فلما أصبحت سلكت الطريق فوصلت بعد الى جبل من الصخر عال فيه شجر أم
غيلان والسدر فكنت آخذ النبق فآكله حتى أثر الشوك في ذراعي انا را هي باقية به حتى
الآن ثم نزلت من ذلك الجبل الى أرض مزدرعة قطنا وبها أنجار الخروع وهنا للبابين
والبابين عندهم بمنزلة جداول مطوية بالحجارة لها مدرج ينزل عليها الى ورد الماء وبعضها
يكون في وسطه وحوانيته القباب من الحجر والدفائف والمجالس ويتفاخر ملوك البلاد
وأمراؤها بعمارتها في الطرقات التي لا ماء بها وسد كر بعد مار أيناه منها فيما بعد ولما وصلت
الى البابين شربت منه ووجدت عليه شيأ من عبالج الخردل فدسقطت لمن غسلها فأكلت
منها واذخرت باقيها وغبت تحت شجرة خروع فبينما انا كذلك اذ ورد البابين نحو أربعين فارسا
مدرعين فدخل بعضهم الى المزرعة ثم دهسوا وطمس الله أبصارهم دوني ثم جاء بعدهم
نحو خمسين في السلاح وبرلوا الى البابين واني أحدهم الى شجرة أراد الشجرة التي كنت تحتها
فلم يشعر بي ودخلت اذذاك في مزرعة القطن وأخذت بها بقية نهاري وأقاموا على البابين
يغسلون ثيابهم ويطعمون فلما كان الليل هدأت أصواتهم فعمت اهم قد مضوا وأوناموا فخرجت
حينئذ واتبعت أثر الخيل والليل مقمر وسرت حتى انتهيت الى بابين آخر عليه قبة فنزلت اليه

وشربت من مائه وأكلت من عسالج الخردل التي كانت عندي ودحلت القبة فوجدتها مملوة بالعشب مما يجمعه الطير فمت بها وكنت أحس حركة حيوان في تلك العشب أظنه حية فلا أبالي بها لما بي من الجهد فلما أصبحت سلكت طريقا واسعة تفضي الى قرية خربة وسلكت سواها فكانت كذلك أيضا وفي بعضها وصلت الى أشجار ملتفة بينها حوض ماء وداخلها شبه بيت وعلى حواف الحوض نبات الارض كالحميل وغيره فاردت ان أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلني الى العمارة ثم اني وجدت يسيرة مهيضة على طريق وجدت بها آثار البقر ووجدت ثورا عليه برذعة ومنجل فاذا ذلك الطريق تفضي الى قرى الكفار فاتبعت طريقا اخرى فافضت بي الى قرية خربة ورأيت بها أسودين عريانين خلفتهما وأنت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت دارا في بيت من بيوتها شبه غابة كبيرة يصنعونها لاحتراز الزرع وفي أسفلها ثقب يسع مسه الرجل فدخلتها ووجدت داخلها معروشا بالتبن وفيه جحر فجعلت رأسي عليه ونمت وكان فوقها طاير يرفرف بجناحيه أكثر الليل وأظنه كان يحاف فاجتمعت خائفين وأقمت على ذلك الحال سبعة أيام من يوم أسرت وهو يوم السبت وفي السابع منها وصلت الى قرية للكفار عامرة وفيها حوض ماء ومنابت حصرف أنهم المعام فأتوا أن يعطوني فوجدت حول بئر بها أوراق فجعلتها أكلته وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طبيعة فدعاني طبيعتهم فلم اجبه وقعدت الى الارض فأتى أحدهم بسيف مسلول ورفعه ليضربني به فلم التفت اليه لعظم ما بي من الجهد فتشني فلم يجد عندي شيأ فأخذ قميص الذي كنت اعطيت كيه للشيخ الموكل بي ولما كان في اليوم الثامن اشتد بي العطش وعدمت الماء ووصلت الى قرية خراب فلم اجد بها حوضا وعادتهم بتلك القرى ان يصنعوا أحواضا يجتمع به ماء المطر فيشربون منه جميع السنة فاتبعت طريقا فافضت بي الى بئر عبر مطوية عليها حبل مصنوع من سعف الارض وليس فيه آنية يستقى بها فربطت خرقه كانت على رأسي في الحبل وامتصصت ما تعلق بها من الماء فلم يروني فربطت حذائي واستقيت به فلم يروني فاستقيت به ثانيا فانقطع الحبل ووقع الخف في البئر فربطت الخف الاخر وشربت حتى رويت ثم قطعته فربطت اعلاه على رجلي بحبل البئر ونزلت وجلست هنالك قليلا أدار يطها وأفكر في حالي اذ لاح لي شخص فنظرت اليه فاذا رجل أسود اللون بيده اداريق وعكاز وعلى كاهله جراب فقال لي سلام عليكم فقلت له عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال لي بالفارسية حيكس (چه كسي) معناه من أنت فقلت له انا تائه فقال لي وأنا كذلك ثم ربط اداريقه بحبل كان معه واستقى ماء فأردت ان أشرب فقال لي اصبر ثم فتح جرابه فاخرج منه عرقة حمص اسود مقلو مع قليل

ارز

ار وما كلت منه وشربت وتوضأ وصلى ركعتين وتوضأت انا وصليت وسألني عن اسمي فقلت محمد وسألته عن اسمه فقال لي القلب الصارح فتفألت بملك وسررت به ثم قال لي بسم الله تراقفني فقلت ثم هشيت معه قليلا ثم وجدت فتورا في اعضائي ولم استطع النهوض فقعدت فقال ما شأنك فقلت له كنت قادرا على المشي قبل ان اللقائك فما لقيتك بحرت فقال سبحان الله اركب فوق عنقي فقلت له انك ضعيف ولا تستطيع ذلك فقال بقوتي الله لابد لك من ذلك فركبت على عنقه وقال لي اكثر من قراءة حسبنا الله ونعم الوكيل فاكثرت من ذلك وعلقتني عيني فنمت فوقع الاسقوطي على الارض فاستيقظت ولم أر الرجل فرأيت أني في قرية عامرة فدخلتها فوجدتها قرية العبيد الهود وما كان فيها من المسلمين واعلموني بشاء الى فقلت له ما اسم هذه القرية فقال لي نتح بورديها وبين مدينة كول حيث أصحابنا فرحمان وحملني ذلك الرجل الى بيته واطعمني طعاما سخنا واغتسلت وقال لي عندي ثوب وعمامة اودعهما عندي رجل عربي مصري من اهل المحلة التي يكول فقلت له هاتهما اليهما الى ان اصل الى المحلة فأتى بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدمنا كول فطال تعجبي من ذلك وافكرت في الرجل الذي حملني على عنقه فتذكرت ما اخبرني به ولي الله تعالى أبو عبد الله المرشدي حسما ذكرناه في السفر الاول اذ قال لي ستدخل ارض الهند وتلقى بها اخي ويخلصك من شدة تقع فيها وتذكرت قوله لما سألته عن اسمه فقال القلب الصارح وتفسيره بالفارسية دلشاد فعلمت انه هو الذي اخبرني بلقائه اياه من الاول، ولم يحصل لي من صحبته الا المقدار الذي ذكرت وانيت تلك الليلة الى أصحابي بكول معلمانهم بسلامتي فجاؤا الى فرس وثياب واستبشروا بي ووجدت حواب السلطان قد وصلهم وبعث يقتني يسمى يسبل الجامدار عوضا من كافور المستشهد وأمره ان يتمادى على سفرنا ووجدتهم أيضا قد كتبوا للسلطان بما كان من أمري وتشاوروا بهذه السفرة الاخرى فيما على وعلى كافور وهم يريدون ان يرجعوا فما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم وقوى عزمي فقالوا الا نرى ما اتفق في ذهابه هذه السفرة والسلطان بعد ذلك فلم يرجع اليه وتقيم حتى يصل جوابه فقلت لهم لا يمكن المقام وحيث ما كان الحواب فرحلنا من كول وسرنا حتى نزلنا دونة زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى محمد العريان لانه لا يلبس عليه الا ثوبا من سرته الى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقرافة مصر نفع الله به

(حكاية هذا الشيخ)

وكان من أولياء الله تعالى دائما على قدم التجرد يلبس دونه وهو ثوب يستر من سرته الى

أسعد ويذكر انه كان اذا صلى العشاء الآخرة اخرج كل ما بقى بالزاوية من طعام وادام وماء وفرق ذلك على المساكين ورمى بقنديله السراج واصبح على غير معلوم وكانت عادته ان يطعم اصحابه عند الصباح خبزا وفولا فكان الخبازون والفوالون يستفتون اى زاويته فيأخذ منهم مقدار ما يكفى الفقراء ويقول لمن اخذ منه ذلك أقعد حتى ياخذ أول ما يفتح به عليه فى ذلك اليوم قليلا أو كثيرا ومن حكاياته انه لما وصل فاران ملك التتر الى الشام بعساكره وملك دمشق ما عدا قلعتها وخرج الملك الناصر الى مدافعته ووقع اللقاء على ميرة يومين من دمشق بموضع يقال له قنصب والملك الناصر اذ ذاك حدث السن لم يعهد الوقائع وكان الشيخ العريان فى صحبته فنزل واحد فيدا فقيديه فرس الملك الناصر لئلا يترجح عند اللقاء حداثة سنه فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين فثبت الملك الناصر وهزم التتر هزيمة شنعاء قتل منهم فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليهم من المياه ولم يعد التتر الى قصد بلاد الاسلام بعدها وأخبرنى الشيخ محمد العريان المذكور تليد هذا الشيخ انه حضر هذه الوقيعة وهو حديث السن ورحلنا من برج بور ونزلنا على الماء المعروف بآب سياه ثم رحلنا الى مدينة فتوح (وضبط اسمها بكسر العاف وفتح النون وواو وساكن وجيم) مدينة كبيرة حسنة العمارة خصيبة رخيصة الاسعار كثيرة السكر ومنها يحمل الى دهلى وعليها سور عظيم وقد تقدم ذكرها وكان بها الشيخ معين الدين البحرى أصاف اليها وأميرها قمير واليد خشانى من ذرية بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى ويسكن بها جماعة من الصلحاء الفضلاء المعروفين بمكارم الاخلاق يعرفون بأولاد شرف جهان وكان جدهم قاضى القضاة بدولة آباد وهو من المحسبين المتصدقين وانتهت الرياسة بلاد الهند اليه

﴿حكاية له﴾

يذكر انه عزل مرة عن القضاء وكان له أعداء فادعى أحدهم عند القاضى الذى ولى بعده ان له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له بينة وكان قصد ان يحلفه فبعث القاضى عنه فقال لرسوله ما ادعى على شيء فقال بعشرة آلاف دينار فبعث الى مجلس القاضى عشرة آلاف وسمت للمدعى وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنده بطلان تلك الدعوى فاعاده الى القضاء وأعطاه عشرة آلاف وأقام بهذه المدينة ثلاثا ووصلنا فيها جواب السلطان فى شأنى بأنه ان لم يظهر لفلان أثر فيتوجه وجيه الملك قاضى دولة آباد عوضا منه ثم رحلنا من هذه المدينة فنزلنا بتهول ثم عمرل وريور ثم عمرل الصالصة ثم وصلنا الى مدينة موري (وضبط اسمها بفتح الميم وواو وراء) وهى صغيرة ولها أسواق حسنة ولقيت بها الشيخ الصالح المعمر قطب الدين المسمى بحيدر الفرعانى وكان بحال مرض فدعا لى ورودى برغيف شعير واخبرنى

ان

ان عمره سيف على مائة وخمسين وذكر لى أصحابه انه يصوم الدهر ويواصل كثيرا ويكثر الاعتكاف وربما أقام فى خلوته أربعين يوما يقتات فيها بأربعين تمرة فى كل يوم واحدة وقد رأيت بدهلى الشيخ المسمى برحب البرقعى دخل الخلوة بأربعين تمرة فأقام بها أربعين يوما ثم خرج وفضل معه منها ثلاث عشرة تمرة ثم رحلنا ووصلنا الى مدينة مرة وضبط اسمها (بفتح الميم وسكون الراء وهاء) وهى مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة وهى حصينة وبها القمح الطيب الذى ليس مثله بسواحل وبها يحمل الى دهلى وحبوبه طوال شديدة الصفرة ضخمة ولم أر قمحا مثله الا بأرض الصين وتنسب هذه المدينة الى المألونة (بفتح الهمزة) وهى قبيلة من قبائل الهنود ضخام الاجسام عظام الخلق حسان الصور لسانهم لسان الدنق وهن مشهورات بطيب الصورة وهو راجع الى الدم وكذلك نساء المرهمة ونساء جزيرة ديبة المهل ثم سافرنا الى مدينة علابور (وضبط اسمها بفتح العين ولام وألف وباء موحدة مضمومة وواو وراء) مدينة صغيرة أكثر سكانها الكفار تحت الذمة وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قم (بفتح القاف والنون المعدودة) وهو سلطان حنابل (بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء مد ولام) الذى حاصر مدينة كالير وقتل بعد ذلك

(حكايته)

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة رارى وهى على نهر اللحوب كثيرة القرى والمزارع وكان أميرها حصان الافغان وهو أحد الشجعان واتفق ان السلطان الكافر بسلطان كافر مثله يسمى رحو (بفتح الراء وضم الحيم) وبلده يسمى سلطان بور وحاصر مدينة رارى فبعث حصانا الى السلطان يطلب منه الاعانة فأبى أعليه المدد وهو على مسيرة أربعين من الحضرة فخاف أن يتغلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الافغان نحو ثلاثمائة ومنهم من الجمالين ونحو أربعمائة من سائر الناس وجعلوا النعم ثم فى أعناق جمالهم وهى عادة أهل الهند اذا أرادوا الموت وباعوه وسهم من الله تعالى وتقدم حصان وقبيلته وذعروا سائر الناس وفتحوا الباب عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفا فهزموهم باذن الله وقتلوا سلطانهم قم ورحو وبعثوا برأسيهما الى السلطان ولم ينج من الكفار الا اليسير

(ذكر أمير علابور واستشهاده)

وكان أمير علابور بدر الحبشى من عبيد السلطان وهو من الابطال الذين تضرب بهم الامثال وكان لا يزال يغير على الكفار منفردا بنفسه فيقتل ويسبى حتى شاع خبره واشتهر أمره وهابه الكفار وكان طول الاصحم يأكل الشاة عن آخرها فى أكلة وأخبرت انه كان يشرب نحو رطل ونصف من السمن بعد غدائه على عادة الحبشة ببلادهم وكان له ابن يدانيه فى الشجاعة

فاتفق ان أغار مرة فى جماعة من عبيده على قرية للكفار فوقع به الفرس فى مطمورة واجتمع عليه اهل القرية فضربه أحدهم بقنارة وانقنارة (بقاف معقود وتاء معلوة) حديدة شبيه سكة المحرث يدحل الرجل يده فيها فتكسر ذراعه ويعضل منها مقدار ذراعين وضربها الاتبقى فقتله تلك الضربة وما فيها وقاوة لوارجلها وسبواساءه وقتل عبيده أشد القتل فغلبوا على القرية واخرجوا الفرس من المطمورة سالما فاتوا به ولده فكان من الاتفاق الغريب انه ركب الفرس وتوجه الى دهلى فخرج عليه الكفار فقاتلهم حتى قتل وعاد الفرس الى اصحابه فعادوا الى اهله فركبه صهره فقتله الكفار عليه ايضا ثم سار وا الى مدينة كاليور (وضبط اسمها بفتح الكاف المعقود وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وواو وراء) ويقال فيه أيضا كالير وهى مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع فى رأس شاهق على بابه صورة فيل وفيال من الحجارة وقد مر ذكره فى اسم السلطان قطب الدين وامير هذه المدينة احد بن سيرحس وكان كان بكرمنى ايام اقامتى عنده قبل هذه السفرة ودخلت عليه يوما وهو يريد توسيط رجل من الكفار فقلت له بالله لا تفعل ذلك فانى ما رأيت احدا قط يقتل بمصرى وامر بتخليته وكان ذلك سبب خلاصه ثم رحلنا من مدينة كاليور الى مدينة برون (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الواو وآخره نون) مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار اميرها محمد بن بيرم اتركى الاصل والسياع بها كثيرة وذكر لى بعض أهلها ان السبع كان يدخل اليها الليلا وانها معلقة فيفترس الناس حتى قتل من اهلها كثيرا وكانوا يخبرون فى شأن دخوله واخبرنى محمد النوفيرى من اهلها وكان جارا لى بها انه دخل داره ليلا وافترس صبيا من فوق السرير وا خبرنى غيره انه كان مع جماعة فى دار عرس فخرج احدهم لحاجة فافترسه اسد فخرج اصحابه فى طلبه فوجدوه مطروحا بالسوق وقد شرب دمه ولم يأكل لحمه. ذكروا انه كذلك فعله بالناس ومن العجب ان بعض الناس اخبرنى ان الذى يفعل ذلك ليس بسبع وانما هو آدمى من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور فى صورة سبع وان احدث ذلك لسكرته واخبرنى به جماعة ولقد كر بعضا من اخبار هؤلاء السحرة

﴿ذكر السحرة الجوكية﴾

وهؤلاء الطائفة تصهر منهم عجائب منها ان احدهم يقيم الاشهر لا يأكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفرة تحت الارض وتبنى عليه فلا يدرك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة ورأيت بمدينة مصرور رجلا من المسلمين ممن يتعلم منهم قد دعت له طبيعة واقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما وتركته كذلك فلا ادرى كم اقام بعدى والناس يذكرون انهم يركبون حيوانا يأكلون الحية منه الايام

معلومة او اشهر فلا يحتاج في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون باموز مغيبة والسلطان يعظمهم ويحترمهم ومنهم من يعتصر في اكمامه على الاعقاب ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الاكثرون وانظاهر من حالهم انهم عبدوا انفسهم الرياضة ولا حظ لهم في الدنيا وزينتها ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظرته ويقول العامة انه اذا اقتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجدوا دون قلب ويقولون أكل قلبه وأكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

(حكاية)

لما وقعت المجاعة العظمى ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلنك بعث أمره ان يعطى لاهل دهلى ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الامراء والقضاة ليقوتوا أضعافهم فكان عندي منهم خمسة نفس فجرت لهم حقائف في داري واسكنتهم بها وكنت اعطيهم نفقة خمسة أيام في خمسة ايام فبينما كان في بعض الأيام انوفي بجرأة منهم وقالوا انها كفتار وقد اكلت قلب صبي كان الى جانبها وانوا بالصبي ميتا فامرتهم ان يدفنوها الى نائب السلطان فامر باحتبارها ودلك بأن ملوا اربع جرات بالماء وربطوها بديها ورجليها وطرحوها في نهر الجون فلم تغرق فعلموا انها كفتار ولو لم تطف على الماء لم تكن كفتارا فامر باحراقها بالنار وامر أهل البلد حالا ونساء فأحدوا رمادها وزعموا انه من تضربه أمن في تلك السنة من سحر كفتار

(حكاية)

بعث الى السلطان يوما وأنا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في حلوته وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكيه وهم يأكلون بلا خوف ويعتصرون رؤسهم لانهم يتقوتون بالرماد كما يقتات الناس آباطهم فأمرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيده فأريا ما عندكما فقام احدهما وارتفع عن الارض حتى صار في الهواء فوقنا متربعا فعجبت منه وادركني الوهم فسقطت الى الارض فأمر السلطان ان اسقى دواء عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع فأخذ صاحبه نعلا له من شكارة كانت معه فضرب بها الارض كالمغتاظ فصعدت الى ان علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتى جلس معنا فقال لي السلطان ان المتربع هو قتيل صاحب النعل ثم قال لولا اني احاف على عقلك لامرتهم ان يأتوا باعظم مما رأيت وانصرفت عنه واصابني الخفقان ومرضت حتى امر لي بشربة اذهبت ذلك عني ولبعد ما كابدته فنقول سافرنا من مدينة بروى الى منزل مواري ثم الى منزل بكرا وبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الاصنام

قد مثل بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الجر على ثلاث طباق وعلى اركانه الاربعة أربع قباب وسكن هناك جماعة من الملوكية وقلدوه واشعورهم وطالت حتى صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الالوان من الرياضة وكثير من المسلمين يقصدونهم ليتعلموا منهم ويذكرون ان من كانت به ناهقة من برص او حدام أوى اليهم مدة طويلة قبرأ بادن الله تعالى وأول ما رأيت هذه الطائفة بحضرة السلطان طرمشيرين ملك ترکستان وكانوا نحو الخمسين فحضرهم تارتحت الارض وكانوا مقيمين به لا يخرجون الا لقضاء حاجة ولهم شبه اقرب يضربونه اول النهار وآخره وبعد العتمة وشأنهم كله عجب ومعهم الرحل الذي يسمع للسلطان غياث الدين الدمغاني سلطان بلاد المعبر حسوباً كانها تقوية على الجماع وكان من احلاسها برادة الحديد فاعجبه فعلها اكل منها اربعين مقدار الحاجة فمات وولي من بعده ناصر الدين فاكرم هذا الملوكي ورفع قدره ثم سافر الى مدينة جندبري (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وسكون النون وكسر الدال المهملة وياء معدودة ثم راء) مدينة عظيمة لها اسواق حافلة يسكنها امير امراء تلك البلاد عز الدين البتدي (بالباء الموحدة ثم التاء المثناة فوقها مفتوحات ثم الف ودال) وهو المدعو باعظم ملك وكان خيراً فاضلاً يجالس اهل العلم ومن كان يحسن الفقه عز الدين الزبيري والفقيه العالم وجيه الدين البدي نسبة الى مدينة بدا التي تقدم ذكرها والفقيه العامي المعروف بعدني خصة واسمه شمس الدين وكان النائب عنه على أمور الحرب يسمى فخر الدين وبانيه على أمور العسكر سعادة التمكي من كبار الشجعان وبين يديه تعرض العساكر وأعظم ملك لا يطير الا في يوم الجمعة او في غيرها بادراهم سرياس جندبري الى مدينة دهار (وضبط اسمها بكسر الدال المهملة) وهي مدينة المأوى اكثر عمارة تلك البلاد وزرعها كثير خصوصاً القمح ومن هذه المدينة تحمل أوراق التبول الى دهلي وبينهما أربعة وعشرون يوماً وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الاميال فيما بين كل عمودين عاد أراد المسافر ان يعلم عدد ما قطع ومابقي له الى العبر او الى المدينة التي يقصدها قرأ النقش الذي في الاعمدة فعرفه ومدينة دهار اقطاع للشيخ ابراهيم الذي من اهل دينة المهل

﴿حكاية﴾

كان هذا الشيخ ابراهيم قدم على هذه المدينة ورأى بقفارها فاحيى ارضها وأماتها مالك وصار يزدرعها بطبخها فتأتي في الغاية من الحلاوة ليس تحت الارض مثلها ويزرع الناس طبخها فيما يجاوره فلا يكون مثله وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان الى بلاد لمعبر اهدى اليه هذا الشيخ بطيخاً فقبله واستطابه واقطعه مدينة دهار وأمره ان يعمر زاوية بزاوية تشرف عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر وأقام على ذلك اعواماً ثم قدم على

السلطان

السلطان وحمل اليه ثلاثة عشر لكا فقال هذا قليل مما كنت أطعمه الناس وبيت المال احق به فقبضه منه ولم يحب السلطان قهره لكونه جمع المال ولم ينفق جميعه في اصناف الطعام وبهذه المدينة أرسل ابن احت لوزير خواجه جهان ان يقتل خاله ويستولي على أمواله ويسير الى القائم بلاد المعبر فعمى خبره لى حاله فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء وبعثهم الى السلطان فقتل الامراء ورد ابن أخته اليه فقتله الوزير

﴿حكاية﴾

ولمارد بن أخت الوزير اليه أمر بان يقتل كما مثل اصحابه وكانت له جارية يحبها فاستصرخها واطعمها السبول واطعمته وسقته سودى ثم طرح السبيلة وسلخ جلده وملأه تبنا فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بعضها في نهر هناك تعرف من الموضع الذي قتل فيه فوجدت ميتة من الغد فاخرجت ودفن لحمه معها في قبر واحد وسمي ذلك قبور (كور) عاشقا وتفسير ذلك باسانهم قبر العاشقين ثم سافرا من مدينة ظهار الى مدينة أجين (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم وياء ونون) مدينة حسنة كبيرة العمارة وكان يسكنها الملك ناصر الدين بن عين الملك من الفضلاء الكرماء العلماء استشهد بحرب سيد ابو رحيم افتتاحها وقد زرت قبره هناك وسيذكر وبهذه المدينة كان سكنى الفقيه الصالح جمال الدين المغربي العرباطي الاصل ثم سافر من مدينة أجين الى مدينة دولة آباد وهي المدينة العظيمة الشان الموازية لحضرة دهلي في رفعة قدرها واتساع حظتها وهي منقسمة لثلاثة اقسام أحدها دولة آباد وهو مختص بسكنى السلطان وعساكره والقسم الثاني يسمى الكملة (بضم الكاف وبالتاء المعلوة التي بينهما) والقسم الثالث تعتهب التي لا سور لها ولا تصير في الحصانة وتسمى الدويقير (بضم الدال المهملة وفتح الواو وسكون الياء وقاف مفتوحة وكسر وياء مثنورا) وبهذه المدينة سكنى الحصان الاعظم قطلوخان معلم السلطان بها وبلاد عساكر وبلاد التلنك وما اضيف الى ذلك وعساكره ثلاثة أشهر عامرة كلها حكمه ونوابه فيها وقلعة الدويقير التي ذكرناها في قطعة حجر في بسيط من الارض قد نحتت وبني اعلاها قلعة يصعد اليها بسلم مصنوع من حلود ورفع ليلا ويسكن بها المقربون وهم الزماميون واولادهم وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جبوب بها وبها غيران عظام اعظم من القصور والعطوف تهرب منها ولا يضيق مدافعتها الا بها قلها ولا تصاد الا بحيل تدار عليها وقد رأيتها هناك فجمعت معها

﴿حكاية﴾

أخبرني الملك حطاب الافغاني انه سجن مرة في حب بهذه القلعة يسمى حب الغيران قال فكانت تجتمع علي ليلا لتأكلني فاقاتلها واوتى من ذلك جهدا ثم اني رأيت في النوم قائلا يقول

لى اقرأ صورة الاخلاص مائة الف مرة و يفرج الله عنك قال فقرأتها فلما اتممتها اخرجت وكان سبب خروجي ان ملك مل كان مسجونا في حب يجاورني هرص واكلت الفيران اصابعه وعينيه فمات فبلغ ذلك السلطان فقال اخرجوا حمايا الثلاثة الى مثل ذلك والى هذه القلعة لجأ ناصر الدين بن ملك مل المذكور والقاضي جلال حين هزمهما السلطان واهل بلاد دولة اباد هم قبيل المرهتة الذين خص الله نساءهم بالحسن وخصوصا في الانوف والحواجب والحسن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن وكفار هذه المدينة اصحاب تجارات واكثر تجاراتهم في الجوهر واموالهم طائلة وهم يسمون الساهة واحدهم ساه ياهمال السين وهم مثل الاكارم بديار مصر وبدولة آباد الغنى والزمان وبثراس مرتين في السنة وهي من اعظم البلاد تجبى واكبرها خراجا لكثرة عمارتها واتساع عمالتها واحسن ان بعض الهنود التزم مغارمها وعمالتها جميعا وهي كما ذكر بارة مسيرة ثلاثة اشهر بسبعة عشر كروا والكروة مائة ملك والملك مائة الف دينار ولكنه لم يف بذلك فبقي عليه بقية وأخذ ماله وسلخ جلده

(ذكر سوق المغنيين)

وبمدينة دولة آباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من اجل الاسواق واكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يفضي الى دار صاحبه وللدار باب سوى ذلك والحوانيت مزينة بالفرش وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية او تزفد وهي متزينة بانواع الحلى وجواريها يحركن مهدها وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها امير المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل جمعة وبين يديه خدامه ومماليكه وتأتي المغنيات طائفة بعد اخرى فيغنين بين يديه ويرقصن الى وقت المغرب ثم ينصرف وفي تلك السوق المساجد للصلاة ويصلي الائمة فيها التراويح في شهر رمضان وكان بعض سلاطين الكفار بالهند امر بهدم السوق بترك بقيتها ويعمى المغنيات بين يديه وقد فعل ذلك بعض سلاطين المسلمين ايضا ثم سافرنا الى مدينة بدر بيار (وضبط اسمها سون وبدال مجهم مفتوحتين وراء ساكن وباء موحدة مفتوحة والف وراء) مدينة صغيرة يسكنها المرهتة وهم غالب الاتقان في الصنائع والاطباء والمنجمون وشرفاء المرهتة هم البراهمة وهم الكثيرون أيضا وأكلهم الارز والحضر ودهن السمسم ولا يرون بتعذيب الحيوان ولا ذبحه ويغتسلون للاكل كغسل الجنابة ولا يتكحلون في اقاربهم الا من كان بينهم وبينه سبعة آحاد لا يشربون الخمر وهي عندهم أعظم المعائب وكذلك هي بلاد الهند عند المسلمين ومن شرب منهم مسلم حد ثمانين جلدة ومكث في مدينة ثلاثة أشهر لا تقبل عليه الاحين طعامه ثم سافرنا من هذه المدينة الى مدينة صاغر (وضبط اسمها بفتح الصاد المهملة وفتح العين المعجمة واخره راء) وهي مدينة كبيرة على نهر

كبير

كبير يسمى أيضا صاغر كاسمها وعليه النواعير والبساتين فيها العنب والموز وقصب السكر واهل هذه المدينة اهل صلاح ودين وأمانة واحوالهم كلها امر صية ولهم بساتين فيها الزوايا للوارد والصادر وكل من يبني زاوية يحبس البساتين عليها ويجعل النظر فيه لاولاده فان انقرضوا عاد النظر للقضاة واعمارة بها كثيرة والناس يقصدونها للتبرك باهلها ولكونها محورة من المغارم والوظائف ثم سافرنا من صاغر المذكورة الى مدينة كبابة (وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون السين وفتح الباء الموحدة والف وياء آخر الحروف مفتوحة) وهي على خور من البحر وهو شبه الوادي تدخله المراكب وبه المد والجزر وعاينت المراكب به من ساعة الوحل حين الجزر واذا كان المد عامت في الماء وهذه المدينة من أحسن المدن في اتقان البناء وعمارة المساجد وسبب ذلك ان أكثر سكانها التجار العرباء فهم انما يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون في ذلك ومن الديار العجيبة بها دار الشريف السامري الذي اتفقت لي معه قضية الحلواء وكذبه ملأ السماء ولم ار قط اضخم من الخشب الذي رأيته بهذه الدار وبابها كباب مدينة والى جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار ملك التجار الكارروني والى جانبها مسجده ومنها دار التاجر شمس الدين كلاموروه ومعناه خياط الشراشي

﴿حكاية﴾

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة العاصي جلال الاعمامي اراد شمس الدين المذكور والناخودة الياس وكان من كبار أهل هذه المدينة وملك الحكماء الذي تقدم ذكره على ان يمتنعوا منه بهذه المدينة وشرعوا في حفر خندق عليها لذلك وسوروها وطلب عليهم ودخلها واحتمى الثلاثة المذكورون في دار واحدة وعزموا ان يتطلع عليهم فاتفقوا على ان يقتلوا أنفسهم فضرب كل واحد منهم صاحبه بقارورة وقد ذكرنا صفتها لهات اثنان منهم ولم يمت ملك الحكماء وكان من كبار التجار اصابها نجم الدين الجيلاني وكان حسن الصورة كثير المال وبنى بها دارا عظيمة ومسجدا ثم نعت السلطان عنده وأمره عليها واعطاه المراتب فكان ذلك سبب تلف نفسه وماله وكان أمير كبابة حين وصلنا اليها مقبل التلكي وهو كبير المرزبة عند السلطان وكان في صحبته الشيخ زاده الاصبهاني نائبا عنه في جميع اموره وهذا الشيخ له اموال عظيمة وعنده معرفة بامور السلطنة ولا يزال يبعث الاموال الى بلاده و بتحيل في الفرار ويبلغ خبره الى السلطان وذكر عنه انه يروم الهروب فكتب الى مقبل ان يبعثه فبعثه على البريد وأحضر بين يدي السلطان ووكل به والعادة عنده انه متى وكل باحد ثقل يصوفاتفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه أياه وهربا جميعا وكنت لي أحد النقباء برآه في ركن مسجد بمدينة قلهات والله وصل بعد ذلك الى بلاده فحصل على أمواله وآمن مما كان يخافه

﴿حكاية﴾

واصاقا الملك مقبل يوما بدار فكان من الدران جلس قاضي المدينة وهو اعور العين اليمنى وفي مقابلته شريف بغدادي شديد الشيبة في صورته وعورة الاباد أعور اليسرى فجعل الشريف ينظر الى القاضي ويضحك فقال له الامير حرقي فاني أحس منك فقال كيف ذلك قال لانك أعور اليمنى وانا اعور اليسرى فضحك الامير والحاضرون وخجل القاضي ولم يستطع ان يرد عليه لان الشرفاء بلاد الهند معظمون أشد التعظيم وكان بهذه المدينة من الصالحين الحاج ناصر من اهل ديار بكر وكان يقيه من قباب الجامع دخله اليه واكل معه من طعامه واتفق له ما ذكر من القاضي خلال مدينة كنبايه حين حلاه اليها وذكر للسلطان ذلك فدعاه فهرب لئلا يقتل كما قتل الحيدري وكان بها ابصا من الصالحين التاجر وجيه اسحاق وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر وينفق على الفقراء والمساكين وماله على هذا يبقى ويزيد كثرة وسافر امن هذه المدينة الى بلدة كاوي وهي على حور فيه المد والجزر وهي من بلاد ترى جالسي الكافر وسنذكره وسافر امنها الى مدينة سندهار (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء ولف وراء) وهي مدينة كبيرة للكفار على حور من البحر

﴿ذكر سلطانها﴾

وسلطان قندهار كافر اسمه جالسي (بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهملة) وهو تحت حكم الاسلام ويعطي لملك الهند هدية كل عام ولما وصلت الى قندهار خرج الى استقبالنا وعظمنا أشد التعظيم وخرج عن قصره وبرا به وجاء اليتامى عنده من بكار المسلمين كالولد حواجه بهره ومنهم الماجود قاراهيم له سنة من المراكب مخصصة له ومن هذه المدينة تركبنا البحر

﴿ذكر ركوبنا البحر﴾

وركبنا في مركب لاراهيم المذكور تسمى الجاكر (بفتح الجيم والكاف المعقودة) وجعلت فيه من حيل الهدية تسعين فرسا وجعلت باقيها مع حيل أصحابنا في مركب لاخي اراهيم المذكور يسمى منورت (بضم الميم ونون وواو وراء مشددة مكسورة وبعدها معقودة) واعطاني جالسي مركبا جعلتها فيه خيل طهير الدين وسهيل وأصحابها وجهز لها الماء والزاد واعلف وبعث معنا ولدا في مركب يسمى العكيري (بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء) وهو شبيه العراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجدافا ويسعف حين القتال حتى لا ينال الجدافين شئ من السهم ولا الحجارة وكان ركوبنا في الجاكر وكان فيه جسوس راسا وجسوس من المقاتلة الحبشة وهم علماء هذا البحر واذا كان بالمركب أحد منهم تحامه لصوص الهنود وكسرهم ووصلنا بعد يومين الى جزيرة بيرم (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء) وهي حاجزة وبينها

وبين

وبين البر أربعة أميال فمررنا بها واستقينا الماء من حوض بها وسبب خرابها ان المسلمين دخلوها على الكفار فلم تعمر بعد وكان ملك النحارين الذى تقدم ذكره أراد عمارتها وبنى سورها وعمل بها المجانيق واسكن بها بعض المسلمين ثم سافر منها ووصلنا فى اليوم الثانى الى مدينة قونية وهى (بضم القاف الاولى وفتح الثانية) وهى مدينة كبيرة عظيمة الاسواق ارسينا على أربعة أميال منها بشاطئ البحر ونزلنا فى عشارى مع بعض أصحابى حتى الحر ولا دخل اليها فدخل العشارى فى الدين وبقى يماطلنى بالبيع نحو ميل فكنت ما نزلنا فى الوحل انوكا على رجلين من اصحابى وخوفنى الناس من وصول المد قبل وصولى اليها واما لا احس السباحة ثم وصلت اليها وطفت بها وراقها ورأيت بها مسجدا يسمى بالخضر والياس عليهما السلام صليت به المغرب ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية مع شيخ لهم ثم عدت الى المركب

﴿ذكر سلطانها﴾

وسلطانها كافر تسمى دركول (بضم الدال المهملة وسكون النون وضم الكاف وواو ولام) وكان ظهر الساعة لمدة الهند وهو فى الحقيقة عباس ولما قلعنا عن هذه المدينة وصلنا بعد ثلاثة أيام الى جزيرة سندابور (وضبطناه بفتح السين المهملة وسكون النون وفتح الدال المهملة والف وباء موحدة وواو ومدورا) وهى جزيرة فى وسطها ست وثلاثون قرية ويدور بها سور واذا كان الجزر رهو وذا عدب طيب واذا كان المد ففيه ملح اجاج وفى وسطها مدينتان احداهما قديمة من بناء الكفار والثانية لما ملكوا عندا استقتلناهم فهذه الجزيرة الفتح الاول وفيها مسجد جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمره الناخودة حسن والد السلطان جمال الدين محمد الجورى وسيأتى ذكره وذكر حضورى معه لفتح هذه الجزيرة الفتح الثانى ان شاء الله وتجاوزنا هذه الجزيرة فلما مررنا بها ورسينا على جزيرة صغيرة قريبة من العرقيها كنيسة وبستان وحوض ماء ووجدنا بها أحد الجوكية

﴿حكاية هذا الجوكى﴾

ولما مررنا بهذه الجزيرة الصغرى وجدنا بها جوكيا مستندا الى حائط بدحانة وهى بيت الاصنام وهو فيما بين صنمين منها وعليه اثر المحبة فكلمناه فلم يتكلم ونظرنا هل معه طعام فلم نر معه طعاما وفى حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه ودفع الينا عجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم فلم يقبلها واتيناه بمراد فرده وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلبتها بيدى فدفعها الى وكانت بيدى سبحة زبلع فقلبتها فى يدى فاعطيتها اياه فقبلها بيده ومسح بها وجهه ثم اشار الى السماء ثم الى سمت القبلة فلم يفهم

اصحابي اشارته وفهمت اباعمه انه اشار انه مسلم يحيى اسلامه من اهل بيت الحرية ويتعيش من تلك الجوز وما واد عما قليلت يده فانكر أصحابي ذلك فهم انكارهم فأخذ يدي وقبلها وتبسم واشار لنا بالانصراف فانصرفنا وكنت آخر أصحابي خروجا فخذف بثوبي فرددت رأسي اليه فأعطاني عشرة دنانير فبادرت اعمه قال لي اصحابي لم خذفك فقلت لهم اعطاني هذه الدنانير واعطيت لكبيرنا الذي ثلاثة منها ولسبيل ثلاثة وقلت لهما الرجل مسلم ألا ترون كيف اشار الى السماء يشير الى انه يعرف الله تعالى واشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه السلام وأحسنه السحنة يصدق ذلك فرجعنا ما قلت لهما ذلك اليه فاعجباه وسافرنا تلك الساعة وبالغد وصلنا الى مدينة هنور (وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء) وهي على نهر كبير تدخله المراكب الكبار والمدينة على نصف ميل من البحر وفي ايام الشكال وهو المعبر يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدة اربعة اشهر لا يستطيع احد ركوبه الا للتصيد فيه وفي يوم وصولنا اليها في احد المراكب من الجودي حلوة واعطاني ستة دنانير ودخل الى البرهمن بعنها البيت يعني الحوكي الذي أعطيته السحنة واعطاني الدنانير فاخذتها منه وأعطيته دينارا منها وانصرفت وجئت اعدو بالقصبة وقلت لهما ان شئتما اخذ القصبة كما سبق فاما وجعلا يضحكان من شأنه وقالا لي ان الدنانير الستة التي أعطيتك اياها اخذناها منك فانها لنا وترك دنانيرك لنا فخفين حيث وجدناها فقال عجبي من أمره واخذت بتلك الدنانير التي أعطيتها وأهل مدينة هنور شافعية المذهب لهم صلاح ودين وجهاد في البحر وقوة وبذلك عرفوا حتى ان لهم الرمي بعد فتهم لسد بور وسنذكر ذلك واقمت من اصعدين بهذه المدينة الشيخ محمد الباقوري اصافي بزاويته وكان يطعم الطعام بيده استقدار الحارية والغلام والقيت بها الفقيه احمد عيل معلم كتاب الله تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضي بها نور الدين عليا والخطيب بها ذكر اسمه وسماه هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبس المحيط احمد يلبس ثيابا غير محيطة تحترم احداهن باحد طرفي الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها ولهن حلي وعفاف وتجمل احداهن خرص ذهب في انفها ومن خصائص انهن حيضا يحطن القرآن العظيم ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الاولاد ولم أر ذلك في سواها ومعاش أهلها من التجارة في البحر ولا زرع لهم واهل بلاد الملبار يعطون السلطان جمال الدين في كل عام شيئا معلوما حوفا منه لقوته في البحر وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجالة

﴿ذكر سلطان هنور﴾

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وكبارهم وهو تحت حكم سلطان

كانور

كافر يسمى هريب سند كر دوالسلطان جمال الدين مواظب الصلاة فى الجماعة وعادته ان يأتى الى المسجد قبل الصبح فيتوضى المصحف حتى يطلع الفجر فيصلى أول الوقت ثم يركب الى خارج المدينة ويأتى عند الضحى فيدأ المسجد فيركع فيه ثم يدخل الى قصره وهو يصوم الايام البيض وكان أيام اقامتى عنده يدعونى الانصار معه فاحضر ذلك ويحضر الفقيه على والفقيه اسماعيل فتوضع أربع كراسى صغار على الارض فيقعد على احداها ويقعد كل واحد منا على كرسى

﴿ذكر ترتيب طعامه﴾

وترتيبه ان تؤتى بمائدة نحاس يسمونها خوجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم (بفتح الطاء المهملة وفتح اللام) وتأتى جارية حسنة ملتحفة ثوب حرير فتقدم قدور الطعام بين يديه ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتغرف بها من الارز معرفة واحدة وتجعلها فى الطالم وتصب فوقها السمن وتجعل مع ذلك عساقيد الفلفل المملوح والزعبل الاحمر والليمون المملوح والعنبا فيأكل الانسان لقمة واحدة بها شيئ من تلك المواضع فاذا تمت الغرفة التى جعلتها فى الطالم غرفت غرفة أخرى من الارز وافرغت فى صحفة مطموحة فى سكرجة ويؤكل بها الارز أيضا فاذا تمت المعرفة الثانية غرفت وافرغت لوبا أخر من الدجاج تؤكل به فاذا تمت ألوان الدجاج اتوا بألوان من السمك فيأكلون بها الارز أيضا فاذا فرغت ألوان السمك اتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والالبان فيأكلون بها الارز وهكذا فرغ ذلك كله اتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبه يختمون طعامهم فاذا وضع عن المائدة لم يبق شئ يؤكل بعده ثم يشربون على ذلك الماء البحر لان الماء البارد ضرر بهم فى فصل نزول المطر وقد أقمت عندهذا السلطان فى كرة أخرى احد عشر شهرا فلم آكل خبزا انما طعامهم الارز وبقيت أيضا حزائر المهل وسيلان وبلاد المعبر والمليبار ثلاث سنين لا آكل فيها الا الارز حتى كنت لا أستطيعه الا بالماء والملح

هذا السلطان ملابسه الحرير والكتان الرقاق يتمندق وسطه فوطة ويلتحف ملحفتين احداهما فوق الاخرى ويعقص شعره ويلف عليه عمامة صغيرة واداركب لبس قباء والتحف بملحفتين فوقه وتضرب بين يديه طبول وابواق يجعلها الرجل وكانت اقامتى عنده فى هذه المرة ثلاثة أيام ورودنا وسفرنا عنه بعد ثلاثة أيام ووصلنا الى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة والف وراء) وهى بلاد الفلفل وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور الى كولم والطريق فى جميعها بين تلال الاشجار وفى كل نصف ميل بيت من الخشب فيه ذكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم أو كافر وعند كل بيت منها بئر يشرب منها وارد وصادر من كافر وكل بها من كان كافرا سقاء فى الاوانى ومن

كان مسلما سقاه في به ولا يزال يصب له حتى يشبر له أو كلف وعادة الكفار بلاد المليبار
ان لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في آنيتهم فان طعم فيها كسروها أو أعطوه للمسلمين واذا
دخل المسلم موضعا منها لا يكون فيه دار للمسلمين صحوا له الطعام وصبوه له على اوراق الموز
وصبوا عليه الادام وما فضل عنه يأكلوه الكلاب والطير وفي جميع المنازل بهذا الطريق
دار المسلمين ينزل عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون اليه ويطعمون لهم الطعام
ولولاهم لما سافر فيه مسلم وهذا الطريق الذي ذكرناه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شر
فما فوقه دون عمارة وكل انسان بستانه على حده وداره في وسطه وعلى الجميع حائط حشب
والطريق بمر في البساتين فاذا انتهى الى حائط بستان كان هنالك مدرج حشب يصعد عليها
ويدرج اخر ينزل عليها الى البستان الاخر هكذا مسيرة الشهرين ولا يسير احد في تلك البلاد
بدابة ولا تكون الخيل الا عند السلطان واكثر ركوب أهلها في محفة على رقاب العبيد أو
المستأجرين ومن لم يركب في دولة مشى على قدميه كائنا من كان ومن كان له رحل او متاع من
تجارة وسواها اكترى رجالا يحملونه على ظهورهم فترى هنالك التاجر ومعه المائة حمل وما
فوقها يحملون امتعته وكل واحد منهم عود غليظ له رمح حديد وفي أعلاه شطاف حديد
فاذا اعيا ولم يجد كانة يستريح عليها ركز عوده بالارض وعلق حمله منه فاذا استراح اخذ
حمله من غير معين ومضى به ولم أر طريقا آمن من هذا الطريق وهم يقتلون السارق على الجورة
الواحدة فاذا سقط شئ من الثمار لم يلتقطه احد حتى يأخذه صاحبه واخبرت ان بعض الهنود
مروا على الطريق فالتقط احدهم جوزة ولم يخبر الى الحاكم فأمر بعود فركز في الارض
ويرى طرفه الاعلى وأدخل في لوح حشب حتى يرى رمحه ومد الرحل على اللوح وركز في العود
وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وزلك عبرة للناظرين ومن هذه العيدان على هذه
الصورة تلك الطرق كثيرة اليراها الناس فيتعبروا ولقد كان لقي الكفار بالليل في هذه الطريق
فاذا رأوا تحوا عن الطريق حتى تجوز والمسلمون أعرف الناس بها عبروا بهم كما ذكرناه
لا يواكلونهم ولا يدخلون دورهم وفي بلاد المليبار اثنا عشر سلطانا من الكفار منهم القوي
الذي يبلغ عسكره خمسين الفا ومنهم الضعيف الذي عسكره ثلاثة آلاف ولا خمسة بينهم البتة ولا
يجتمع القوي منهم في انتزاع ملك الضعيف ودس الى احدهم وصاحبه باب حشب مدقوش
فيه اسم الذي هو مدة أعمالته ويسمونه باب امان فلان واذا هرب مسلم أو كافر بسبب جناية
من بلاد أحدهم ووصل باب أمان الاخر أمن على نفسه ولم يستطع الذي هرب عنه أخذه
وان كان القوي صاحب العدد والجيوش وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم
دون اولادهم ولم أر من يعمل ذلك الا ممسوقة اهل الشام (الشام) وسنذكرهم فيما بعد فاذا

أراد

اراد السلطان من أهل بلاد الملیبار منع الناس من البیع والشراء أمر بعض عماله فعلق علی الحوانیت بعض اغصان الاشجار بأوراقها فلا یبیع احد ولا یشتری مادامت علیه تلك الاغصان

﴿ذکر الفلفل﴾

وشجرات الفلفل شبیهة بدوالی العنب وهم یقرسونها الراء السار حیل فتصعد فیها کصعود الدوالی الا انها لیس لها عروق وهو الغرض کالدوالی واوراقها کورق شجر مشبه آذان الخیل وبعضها یشبه أوراق الطیق وینبت عناقید صغار حبها کحب أی قریبه اذا کانت حضرا واذا کان أوان الخریف قطفوه وفرشوه علی الحصر فی الشمس کما یصنع بالعنب عند تزبیبه ولا یزالون یقلبونه حتی یستحکم یبسه ویسود ثم یبیعونه من التجار والعامة بلاد ما یزعمون انهم یقلونه بالنار ویسلب ذلك بعض ما فیه التکریش ولیس کذلك وانما یحدث ذلك فیه بالشمس ولقد رأیته بمدینة ق لقوط بصر للکیل کالقدر بلاد وأول مدینة دخلناها من بلاد الملیبار مدینة ابی سرور (بفتح السین) وهی صغیرة علی حور کبیر کثیر الشجار السار حیل وکثیر المسلمین بها الشیخ جمعة المعروف بابی سنة احد الکرماء انفق امواله علی الفقراء والمساکین حتی نفدت وبعد یومین منها وصلنا الی مدینة فاکنور (وضبط اسمها بفتح الفاء والکاف والنون وآخره راء) مدینة کبیرة علی حور بها قصب السکر الکثیر الطیب الذی لا مثل له بتلك البلاد وبها جماعة من المسلمین یسمی کبیرهم محیی السلاطین وبها قاض وخطیب وعمر بها حسن المذکور مسجد الاقامة الجمعة

﴿ذکر سلطانها﴾

وسلطان فاکنور کفراسمه باسدو (بفتح الباء الموحدة والسین المهملة والدال المهملة وسکون الواو) وله ثلاثین مرکبا حربیة فائدها مسلم یسمی لولا وکان من المفسدین یقطع بالبحر ویسلب التجار ولما أرسینا علی فاکنور بعث سلطانها الیه والده فأتی بالمرکب کالهدیة ورکب الیه فی صفاقنة ثلاثة أیام حسن ضیافة تعظیم السلطان الهند وقیامها بحقه ورعیة فیما یستفیده فی التجارة مع أهل مراکبها ومن عادتهم هناك ان کل مرکب یرسل فلا یمنع من ارسائه بها واعطائه هدیة لصاحب البلد یسمونها حق البندر ومن لم یفعل ذلك خرجوا فی اتباعه بمراکبهم وأدخلوه المرسی قهرا وصاعفوا علیه المغرم ومنعوه عن السفر ما شاؤوا وسافرنا منها فوصلنا بعد ثلاثة أیام الی مدینة منجرور (وضبط اسمها بفتح المیم وسکون النون وفتح الجیم وضم الراء وواو وراء ثانیة) مدینة کبیرة علی حور یسمی حور الدنب (بضم الدال المهملة وسکون النون وباء موحدة) وهو اکبر حور بلاد الملیبار وبهذه المدینة ینزل معظم تجار فارس والیمن والعلقل والزنجبیل بها کثیر جدا

﴿ذكر سلطانها﴾

وهو من اكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رام دو (بفتح الراء والميم والدال المهملة وسكون الواو) وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضا بناحية المدينة وربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصلح السلطان بينهم حاجته الى التجار وبها رجل من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب يسمى بدر الدين العمري وهو يقرئ العلم صعد اليه الى المركب ورغب منا في النزول الى بلده فقلنا حتى يبعث السلطان ولده يقيم بالمركب فقال انما فعل ذلك سلطان قاكنور لانه لا قوم للمسلمين في بلده وأما نحن فالسلطان يحاشاها فابى عليه الا ان يبعث السلطان ولده فبعث ولده كما فعل الآخرون لنا اليوم وأكرمونا اكراما عظيما وأضافوا عندهم ثلاثة ايام ثم سافرنا الى مدينة هيلي فوصلناها بعد يومين (وضبطت بهاء مكسورة وياء مدودة ولام مكسورة) وهي كبيرة حسنة العمارة على حوز عظيم تدخل المراكب الكبار وراء هذه المدينة تنتهي مراكب الصين ولا تدخل الا مراكبها ومرسى كولم وفاقوط ومدينة هيلي معصمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع فانه عظيم البركة مشرق النور وكل الصين يذرون له النذور الكثيرة وله حرانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين وحسن الوراق كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الصلحية يتعاونون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولا طعام الفقراء من المسلمين بها ولقيت بهذا المسجد فقيها صالحا من أهل مقدشو يسمى سعيدا حسن اللقاء والخلق يسرد الصوم وذكر انه جاور بمكة أربع عشرة سنة ومنها بالمدينة وأدرك الامير بمكة بامي والامير بالمدينة منصور بن جمار وسافر في بلاد الهند والصين ثم سافر بنا من هيلي الى مدينة جرفن (وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وفتح النون المعلوة وتشديدها وآخره نون) وبين هيلي وبين جرفن ثلاثة فراسخ ولقيت بها فقيها من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصري نسبة الى بلدة على مسافة عشر أميال من بغداد في طريق الكوفة واسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال له أولاد صغار اوصى اليهم وتركته آخذ الى حلبهم الى بغداد وعادة اهل الهند كعادة السودان لا يتعرضون لمال الميت ولو ترك الآلاف انما يبقى ماله مدة كبير المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعا

﴿ذكر سلطانها﴾

وهو يسمى بكويل (بضم الكاف) على لغة التصغير وهو من اكبر سلاطين الملبار وله مراكب كثيرة تسافر الى عمان وفارس واليمن ومن بلاد دهفتن وبدهتن وسنذكرهما وسرنا من جرفتن الى مدينة دهفتن (بفتح الدال المهملة وسكون الهاء) وقد ذكرنا ضبط فتن وهي

مدينة

مدينة كبيرة على حور كثيرة السمك وبها البارحيل والفلفس والفوفل والنبول وبها القلقاس الكبير ويصيحون به اللحم وأما الموز فلم أر في البلاد اكثر منه بها ولا أرخص ثمنا وفيها الباس الاعظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالحجارة الحر المنحوتة وعلى حوائطه ثمان وعشرون قبة من الحجر في كل قبة اربع محالس من الحجر وكل قبة يصعد اليها على درج حجارة وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات في كل طبقة اربع محالس وقد كرى ان واقد هذا السلطان كوس هو الذي عمر هذا البين وبناه مسجد جامع المسلمين وله ادراج يصعد اليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون وحدثني الفقيه حسين ان الذي عمر المسجد والباس أيضا شخص واحد اسمه كويل وانه كان مسلما ولا اسلامه خبر عجيب سنذكره

(ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بإزاء الجامع)

ورأيت ان بإزاء الجامع شجرة حمراء عامة تشبه اوراقها اوراق التين الا انها لينة وعليها حائط يطيف بها وعندها محراب صليت فيه ركعتين واسم هذه الشجرة عندهم درخت الشهادة ودرخت (بضم الدال المهملة والراء وسكون الخاء المعجمة وتاء معلوة) واخبرت هناك انه اذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعدان يستحيل لونها الى الصفرة ثم الى الحمرة ويكون فيها مكتوبا بخط القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وأخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرؤا المكتوب الذي فيها واخبرني انه اذا كانت ايام سقوطها قصدت الثقات من المسلمين والكفار فما اسقطت أحدا المسلمون نصفها وجعل نصفها في خزانة السلطان الكافر وهم يستشفون بها للمرضى وهذه الشجرة كانت سبب اسلام حد كويل الذي عمر المسجد والباس فانه كان يقرأ الخط العربي فلما قرأها وفهم ما فيها اسلم وحسن اسلامه وحكايته عندهم متواترة وحدثني الفقيه حسين ان أحد اولاده كفر بعد أبيه وطغى وأمر باقتلاع الشجرة من اصلها فاقتلعت ولم يترك لها اثر ثم انها نبتت بعد ذلك وعادت كاحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سريعا ثم سافر انا الى مدينة سدقن وهي مدينة كبيرة على حور كبير ونجارجه مسجد بقرب من البحر يأوي اليه غرباء المسلمين لانه لا مسلم بهذه المدينة ومرساها من أحسن المراسي ومرفأها عذب والغوص بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معصومون عند الكفار منه صون في المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم

(حكاية)

اخبرت ان سبب تركهم هذا المسجد غير مهدوم ان أحد البراهمة ضرب سقفه ليصنع منه سقفا لبيته واستعلت النار في بيته واحترق هو وأولاده ومتاعه فاحترموا هذا المسجد ولم يعرضوا

له بسوء بعدها وحدموه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الصبيان ثم سافر ماس مدينة بدفس الى مدينة قنذرينا (وضبط اسمها بفاء مفتوح ونون ساكن وذال مهملة وراء مفتوحين وياء آخر الحروف) مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين واسواق وبها للمسلمين ثلاث محلات فى كل محلة مسجد والجامع بها على الساحل وهو مجمع لها مناظر ومجالس على البحر وقاضيها وخطيبها رجل من أهل عمان وله أخ فاضل وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين ثم سافر ماس الى مدينة قالقوط (وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وسكون القاف الثانى وآخرها طاء مهملة) وهى احدى البنادر العظام ببلاد الملبار يقصدها اهل الصين والجاوة وسيلان والمقل واهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق وهى عندها من اعظم مراسى الدنيا

﴿ذكر سلطانها﴾

وسلطانها كما قيل يعرف بالسامرى شيخ السن يحترق لحيته كما تفعل طائفة من الروم رأيته بها وسنذكره ان شاء الله وامير التجار بها ابراهيم شاه صدر من أهل البحرين فاضل ومكارم يجتمع اليه التجار ويأكلون فى بسطه وقاضيها فخر الدين عثمان فاضل كريم وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين البكار روى وله تعلق بالبدور التى يدرجها اهل الهند والصين للذهاب الى اسحاق البكار روى نفع الله به وبهذه المدينة المحدود منقال الشهير الاسم صاحب الاموال الطائلة والمراكب الكثيرة للتجارة بالهند والصين واليمن وفارس ولما وصلنا الى هذه المدينة خرج اليها ابراهيم شاه صدر والقاضى والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب السلطان الكافر المسمى بقلاح (بضم القاف وآخره حاء) ومعهم الاطبال والانفار والاوراق والاعلام فى مراكبهم ودخلها المرسى فى سرور عظيم ما رأيت مثله لاحد فكانت هرجة تسمعها ترجة واقمنا بمراسها يوم عند ثلاثة عشر من مراكب الصين ورأينا المدينة وجعل كل واحد منا فى دار وأقمنا بها من السفر الى الصين ثلاثة أشهر ونحن فى ضيافة الكافر وبحر الصين لا يسافر فيه الا بمراكب الصين ولنذكر ترتيبها

﴿ذكر مراكب الصين﴾

ومراكب الصين ثلاثة أصناف الكبار منها تسمى الجنوك واحدها جنك (بجيم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة تسمى الزو (بضم الزاى وواو) والصغار يسمى احدها الكم (بكافين مفتوحين) وتكون فى المركب الكبير منها اثنى عشر قلعا شراعا وربما الى ثلاثة وقلعها من قصب سان الخيزران منسوجة كالحصر لا تخط أبدا وبير وبها بحسب دوران الريح وادا ارسوا ركزوها واقفة فى جنب الريح ويخدم فى المركب منها الف رجل منهم البحرية ستمائة

ومنهم

ومنهم ارنعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق والحرخية وهم الذين يرمون بالسهام ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة الصغير والثلثي والربعي ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين او بصين كلان وهي صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب صحام حدادا موصولة بالعرض والطول بمسامير صحام طول المسمار منها ثلاث اذرع فاذا التأم الحائطان بهذا الخشب صنعوا على اعلاها فرش المركب الاسفل ودفعوها الى البحر واذا عملوا في تلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيعملون ويقضون حاجتهم على حواشي تلك الخشب يكون محاديهم وهي كبار كالصواري يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويحدقون وقوفا على اقدامهم ويجعلون المركب اربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصارى والغرف للتجار والمصرية منها يكون فيها البيوت والمداس وعليها المفتاح يسد فاصاحبها ويحمل معه الجواري والنساء وربما كان الرجل في مصر بلده فلا يعرف به غيره حتى يكون بالمركب حتى يلاقيه فاذا وصلا الى بعض البلاد والبحر يتيسر كون فيها اولادهم ويدرعون الخضر والبقول والرحيل في احواض خشب ويكل المركب كاد امير كبير واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب والسيوف والاطبار والاتواق والاعلام امامه واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم عن جانبي الباب ولا يزالون كذلك مدة اقامته ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاء الى البلاد وليس في الدنيا اكثر اموالا من أهل الصين

﴿ ذكر أخذنا في السفر الى الصين ومنتهى ذلك ﴾

ولما حان وقت السفر الى الصين حضر بين السلطان السامري حكام الجزائر الثلاثين عشر التي تعرف بالقموط وكان وكيل الجنك يسمى سليمان الصعدي الشافعي وبينه معرفة فقلت له اريد مصرية لا يشاركني فيها أحد لاجل الجواري ومن عادتي ان لا أسافر الا بهن فقال لي ان تجار الصين قد اكثروا المصاري ذاهبين وراجعين ولصهري مصرية اعطيكها لكنها لا تساوي فيها وعسى ان تمكن معاودتها فامرت اصحابي فاوسقوا ما عندي من المتاع وصعد العبيد والجواري الى الجنك وذلك في يوم الخميس واقمت لاصلي الجمعة والحق بهم وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية ثم ان فتى لي يسمى هلال اتاني غدوة الجمعة فقال ان المصرية التي أحدها بالجنك ضيقة لا تصلح قد كرت ذلك للناخودة فقال ليست في ذلك حيلة فان أحببت ان تكون في الكمكم فيه المصاري على اختيارك فقلت نعم وامرت اصحابي فنقلوا الجواري والمتاع الى الكمكم واستقر وا به قبل صلاة الجمعة وعادة هذا البحر ان يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر فلا يستطيع أحد ركوبه وكانت الجنوك قد سافرت ولم يبق منها الا الذي فيه الهدية

وحنك عزم اصحابه على ان يشتوا بمدريا والحكم المذكور فيقتاليلة الست على الساحل لاستطيع الصعود الى الحكم ولا يستطيع من فيه النزول اليه ولم يكن بقى معى لابساط افترشه وأصبح الحبك والحكم يوم الست على بعد من المرسى وبرى البحر بالخليج الذى كان اهله يريدون قدريس فتكسرت بعض أهبه وسلم بعضهم وكانت فيه جارية بعض الصحابة عزيزة عليه فرغب فى اعطاء عشرة دنانير على تحريرها وكانت قد انترمت حشبة فى مؤخر الجبك فانتدب لذلك بعض البحرية الهرمزيين فاخرجها وأبى أن يأخذ الدنانير وقال انما فعلت ذلك لله تعالى ولما كان الليل رمى البحر بالجبك الذى كانت فيه الهدية فغرق جميع ما فيه ونصرنا عند الصباح الى مصارعهم ورأيت صهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك سعد قد صرعه مسمار فى احد صدغيه وبقايا من الآخر وصلينا عليهما وقبرناهما ورأيت الكافر سلطان قاله وطوقه وعليه نفقة حسناء كبيرة وقد لفها من سرته الى ركبته وفى رأسه عمامة صغيرة وهو حافى القدمين والشعر سد غلام فوق رأسه والسيف توقد بين يديه فى الساحل وزينته يصيرون الناس لئلا يتهيأ لهم رمى البحر وعادة ملوك البحار ان كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للحرب الا فى عدا المحاصة فان ذلك لمن أخذه أو باعه ولملاء مرت وكثر تردد الناس اليها ولما رأى اهل الحكم مجتمعين على الجبك رفعوا قلاعهم وذهبوا ومعهم جميع متاعى وعمائى وحوائجى وبقيت منفردا على الساحل ليس معى الا فتى كنت اعتقته فلما رأى ما حل بى ذهب عنى ولم يبق عندى الا العشرة دنانير التى اعددتها للحوائج والابساط التى كنت أفترشه واحترق الناس ان يبيعهم الحكم لانه لم يحسن مرسى كولم فعزمت على السفر اليها ولم يكن معى سوى عشرة دراهم فاشتريت بها زادا لذلك فصاروا فى النهر وأكريت رجلا من المسلمين يحمل لى ابساطى وزادتهم اداما سافروا فى ذلك النهر ان يبرلوا العشى فيبيتوا بالقرى التى على حافتيه ثم يعودوا الى المركب بالغداة ففعل ذلك ولم يكن بالمركب مسلم الا الذى اكريته وكان يشرب الخمر عند الكفر اذا برلنا ويعربد على قبره تعبيرا خاطرى ووصلنا فى اليوم الخامس من سفرنا الى كهنى كرى (وصفته اسمها بكاف مضمومة وبين ساكنين وحيم وياء ممدودة كاف مفتوحة وراء مكسورة ياء) وهى ناحية جبل هنالك يسكنها اليهود ولهم أمير منهم ويؤدون الجزية للسلطان كولم

(ذكر الغرفة واليقم)

وجميع الانجار التى على هذا النهر انما تحمل الغرفة واليقم وهى خشبهم هنالك ومنها يتخذ النار لطبخ طعامنا فى ذلك الطريق وفى اليوم العاشر وصلنا الى مدينة كولم (وصفة اسمها بضم الكاف واللام وبينهما واو) وهى من احسن بلاد الملبار واسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصوليين

بالصوليين (بضم الصاد) لهم أموال عريضة يشترى احدهم المركب بما فيه ويوسقه من داره بالسلع وهم امر التجار المسلمين جماعة كبيرهم علاء الدين الاوحى من أهل آوه من بلاد العراق وهو رافضي ومعه أصحابه على مذهبه وهم يسمون تلك وما ضيها فاضل من أهل قزوين وكبير المسلمين بها محمد شاه سدر وله اخ فاضل كريم اسمه تقي الدين والمسجد الجامع بها عجيب عمره لناجر واحد مهرب وهذه المدينة اول مدينة لي الصين من بلاد الملبار واليها يسافر اكثرهم والمسلمون بها أعزة محترمون

﴿ذكر سلطانها﴾

وهو كافر يعرف بالشروري (بكسر الشين المعجمة وبالراء مفتوحين وراء مكسورة وياء) وهو معظم للمسلمين ولهم احكام شديدة على السراق والدعار

﴿حكاية﴾

ومما شاهدت بكولم ان بعض الزمنة العراقيين قتل آخر منهم وهرب الى دار الاوحى وكان له مال كثير واراد المسلمون دفن المقتول منعهم نواب السلطان من ذلك وقالوا لا يدفن حتى يدفعوا لهم قاتله فيقتص منه وتركوه ثلاثة ايام على باب الاوحى حتى ابس وتغير فحكم الاوحى من القاتل ورغب منهم ان يعطيهم امواله ويتركوه حيا فرضوا بقتله وحينئذ دفن المقتول

﴿حكاية﴾

اخبرت ان سلطان كولم ركب يوما الى حارة جهة وكان طريقه فيما بين الساتين ومعه صهره زوج بنته وهو من أعيان الملوك فأخذ حبة واحدة من العنبة سقطت من بعض الساتين وكان السلطان ينظر اليه فامر به عند ذلك فوسط وقسم نصفين وصلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر عن يساره وقسمت حبة العنبة نصفين فوضع عن كل نصف منه نصف منها وزيادة هنالك عبرة للناظرين

﴿حكاية﴾

ومما اتفق نحو ذلك بقنقوط ان اخا الملك عن سلطانها غصب صبيا لبعض تجار المسلمين فشكا ذلك الى عمه فوعده بالنصر في امره وقعد على باب داره عامدا اخا اخيه متقلدا ذلك السيف فدعاه فقال هذا سيف المسلم قال نعم قال اشتريته منه قال لا قال لاعوانه امسكوه ثم امر به فضربت عنقه بذلك السيف واقت بكولم مدة رواية الشيخ فخر الدين ابن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ رواية القوط فلم أعرف لهم خبرا وفي اثناء مقامي بها دخل اليها ارسال من ملك الصين الذين كانوا معنا وكانوا معه احدث الجنوك فاكثر ابصر فكساهم تجار الصين وعادوا الى بلادهم ولقيتهم بها بعد وأردت ان اعود من كولم الى السلطان لاعلمه بما

انفق على الهدية ثم خفت ان تعقب فعلى ويقول لم ورقت الهدية فعزمت على العودة الى السلطان جمال الدين الهندوري واقيم عنده حتى أتعرف خبر الحكم فعدت الى قلقوط ووجدت بها بعض مراكب السلطان فبعث فيها أمير امن العرب يعرف بالسيد أبي الحسن وهو من البرددارية وهم خواص النواب بعثه السلطان باموال يستصحب بها من قدر عليه من العرب من أرض هورمر والقصيف لمحبته في العرب فتوجهت الى هذا الامير ورأيته عازما على ان يشتو بقلقوط وحينئذ سافر الى بلاد العرب فشاورته في العودة الى السلطان فلم يوافق على ذلك فسافرت بالبحر من قلقوط وذلك آخر فصل السفر فيه فكانت سير نصف النهار الاول ثم رسوا الى الغد وفيما بين طريقنا اربعة احجار عروبة فحاذيناها ثم لم يعرضوا لنا بشر ووصلنا الى مدينة هورفرلت الى السلطان وسلمت عليه فاراني دارا ولم يكن لي حديم وطلب مني ان أصلي معه الصلوات فكان أكثر جلوسي في مسجده وكنت أختم القرآن كل يوم ثم كنت أختم مرتين في اليوم ابتدي القراءة بعد صلاة الصبح فاختم عند الزوال واحدد الوضوء وابتدي القراءة فاختم الختمة الثانية عند المغرب ولم ازل كذلك مدة ثلاثة اشهر واعتكفت فيها اربعين يوما

﴿ذكر توجهنا الى العرو وفتح سندابور﴾

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركبا وسيره برسم عرو سندابور وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف فكتب ولده الى السلطان جمال الدين ان يتوجه لفتح سندابور ويسلم الولد المذكور وروجه السلطان اخته فلما جهزت المراكب طلب لي ان أتوجه فيها الى الجهاد فقلت انا اتوجه فيه فكان في أول الصبح يذكر فيها اسم الله كثيرا وليتصرن الله من ينصره واستبشرت بذلك واتى السلطان الى صلاة العصر فقلت له اني أريد السفر فقال وانت اذا تكون امير هم فاحببته بما خرج لي في أول المصحف فاعجبه ذلك وعزم على السفر بنفسه ولم يكن طهر له ذلك قبل فركب من كامنها واركب معه وذلك في يوم السبت فوصلنا عشي الاثنين الى سندابور ودخلنا حورها فوجدنا اهلها مستعدين بضرب وقد نصبوا المجانيق فيها عليه اتلك الليلة فلما اصبح ضربت الطبول والانفار والابواق ورحفت المراكب ورمت عليها المجانيق فتقدرأيت حجرا أصاب بعض الواقفين بقربه من السلطان ورمى أهل المراكب انفسهم في الماء وبايديهم الرسة والسيوف ونزل السلطان الى الكبرى وهو شاهد الشلير ورميت سهمي في الماء في جملة الناس وكان عندنا طريقتان مفتوحتان لدواخر فيها الخيل وهي بحيث يركب الفارس فرسه في حوقها ويتدرع ويخرج فتعلم ان ذلك واين الله في فتحوا وانزل لنصر على المسلمين قد حلنا بالسيف ودخل معظم الكفار في قصر سلطانها فرمينا النار فيه فخرجوا

وقبضنا

وقبضا عليهم ثم ان السلطان أمنهم وردلهم نساءهم واولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف واسكنهم بربض المدينة وسكن السلطان القصر وأعطى الديار بقربه منه لاهل دولته وأعطى جارية من تسمى لمكى فحبلها مباركه وأراد وجهها فداءها فابيت وكساني فرجية مصرية وجدت في جراب الكافر وأقمت عنده بستانور من يوم فتحها وهو الثالث عشر لجمادى الاولى الى منتصف شعبان وطلبت منه الاذن في السفر فأجاب على العهد في العودة اليه وسافرت في البحر الى هنور ثم الى فاكنور ثم الى منجرور ثم الى هيلى ثم الى حرفتن ودهفس وبدفتن وفندريا وقالفوط وقد تقدم ذكر جميعها ثم الى مدينة الثالبات (وهي بالثين المثلثة والف ولام وباء آخر الحروف والف وباء موحدة) مدينة من حسان المدن تصنع بها الثياب المنسوبة لها وافقت بها فصل مقامي بعدت الى قالفوط ووصل اليها علامات كاذي الكلم فاخبراني ان الجارية التي كانت حاملا وبها كان تغير حضري توفيت واحد صاحب الجاوة وسائر الجواري والسراري وقعت الايدي على المتاع وصرف اصحابي الى الصين والجاوة وبحالة فقدت لما تعرفت هذا الى هنور ثم الى سندابور فوصلتها في آخر المحرم وافقت بها الى الثاني من شهر ربيع الآخر وقدم سلطانها الكافر الذي دخلت عليه برسم أحدها وهرب اليه الكفار كلهم وكانت عساكر السلطان متفرقة في القرى فاقدموا عليها وحصروا الكفار وضيقوا عليهما ولما اشتد الحال خرجت عنها وتركتها كصورة وعدت الى قالفوط وعزمت على السفر الى مدينة المهل وكنت اسمع باخبارها فبعد عشرة أيام من ركوب البحر انتهوا قالفوط ووصلنا جزائر دبية المهل ودبية على لفظ موبث الديب والمهل (بضم الميم والهاء) وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا وهي نحو الفي جزيرة ويكون منها سائلة تعاد وبها مجتمعات مقدرة كالخلقة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الا منه وداوصل المركب الى احداها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر وهي من التقارب بحيث تظهر رؤس النخل التي باحداها عند الخروج من الاخرى فان احتاج المركب سيتها لم يمكنه دخولها وحملته الريح الى المغير اوسيلان وهذه الجزائر اهلها كلهم مسلمون ذو ود يانة وصلاح وهي منقسمة الى اقاليم على كل اقليم وال يسمونه الكردوبي ومن اقاليمها اقليم دلبور (وهو بثنين معقودتين وكسر اللام وآخره راء) ومنها كنلوس (بضم الكاف والنون مع تشديدها وضم اللام وواو وسين مهملة) ومنها الميم المهل وبه تصرف الجزائر كلها وهو يسكن سلاديبها ومنها اقليم تلاديب (بضم التاء المعلوة واللام والف ودال مهملة وباء مثناة تحت وباء موحدة) ومنها اقليم كراو (بضم الكاف والراء وسكون الياء المعلولة وضم الدال المهملة وواو) ومنها اقليم التبي (بضم التاء المعلوة وسكون الياء المنقوطة) ومنها اقليم تلدمتي (بضم التاء المعلوة الاولى واللام وضم الدال المهملة وضم الميم وتشديدها وكسر التاء

الاخرى و ياء) ومنهم اقليم هلدمتي وهو مثل اسم الذي قبله الا ان الهاء اوله ومنهم اقليم بريدو (بفتح الباء الموحدة والراء وسكون الياء ودال مهملة وواو) ومنهم اقليم كندكل (بفتح الكاف بين والدال المهملة وواو) ومنهم اقليم مرتك (بضم الميم) ومنهم اقليم السويد (بكسر المهملة) وهو أقصاها وهذه الجزائر كلها الارزع مباحة للناس في اقليم السويد منها رزع يشبه البلى ويحلب منه كالحليب واما أكل أهلها السمك يشبه البربرون يعمونه طعام الناس (بضم القاف) ولحمه أحمر ولا رفرف له اصلا يحمله كرحم الانعام وهو الاصح وقد عدوا السمكة منه أربع قطع ويطبخونه بسير ثم يجعلونه في مكاتيل من سعف النخل وعلى وجه المكتل فاتحة السمك منه اكلوه ويحمل منها الى الهند والصين واليمن ويسمونه لحم الناس (بضم القاف)

﴿ذكر اشجارها﴾

ومعظم اشجار هذه الجزائر النارجيل وهو من قرابة جوز الهند وقد تقدم ذكره واشجار النارجيل شأنها تحمل وتثمر النخل مدة اثني عشر عذقا في السنة يجني في كل شهر عذق فيكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابسا وبعضها اخضر هكذا ابدا ويصنعون منه الحليب والزيت والعسل حسبما ذكرنا ذلك في الجزائر الاول ويصنعون من عسله الحمراء فيأكلونها مع الحوت اليابس منه ولذلك كله وللسمك الذي يقتاتون به فوة تحبيبة في الباه لا نظير لها ولاهل هذه الجزائر محبة في ذلك ولقد كان لي مع امرأة وجوار سواهن فكنت اطوف على جميعهن كل يوم وليلة عندهن يكون بدئتها وأختمها بسابعة وبصف اخرى على ذلك ومن أشجارها الجوز والاترج والليمون والقلقاس وهم يصنعون من أصوله دقيقا يعجنون منه شبه الاطرية ويطبخونها بحليب النارجيل وهي من طيب طعام كنت أستحسنها كثيرا وآكلها

﴿ذكر اهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم﴾

واهل هذه الجزائر اهل صلاح وديانة وايمان صحيحة وسيرة صادقة اكلهم حلال ودعاؤهم مجاب وادا رأى الانسان أحدهم وقال له الله ربي ومحمد نبيي وأنا أعلى مذهبك وانهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة وملاحمهم اندحاء ولقد أمرت مرة فتية بسرقة بعض ما لعشي على جماعة منهم كانوا بالمجلس ولا قدرة لهم لصوص الهند ولا غيرهم لانهم يحرزوا ان من اخذ لهم شيئا اصابته مصيبة عاجلة واذا اتت احمال العدو الى باحتهم احرزوا من غيرهم ولم يعرضوا لاحد منهم بسوء وان أحد أحد انكسار ولو ابيوته على ظهر الكفار وضربه بالسيف لم يرح خوفا من عاقبة ذلك ولولا هذا لكانوا اهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة وا كثر عمارتهم بالخشب وهم اهل نظافة وتنزه عن

الاقدار واكثرهم يقتصرون مرتين فى اليوم لشدة الحر وكثرة العرق ويكثرون من الاذهن العطرية كالصندلية وغيرها ويتلذذون بالمحاورة من مقدشو ومن عادتهم انهم اذا اصلوا الصبح انتضت كل امرأة الى روحها او سيدها بمكعة وماء ورد وذهن الغالية فيكحل عينيه ويدهن ماء الورد وذهن الغالية فتصقل بشرته وتزين النحور عن وجهه ولباسهم فوط تشد فوق العورة منها على أوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم ثياب الويبان (بكسر الواو وسكون الياء وباء آخر الحروف) وهى شبه الاحارم وبعضهم يجعل عمامة بعضهم مديلا عن هذا وهذا وقى احدهم القاضى او الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضى هكذا حتى يصل الى منزله ومن عوائدهم انه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته يبعث له ثياب القدس من بيت داره الى بيت الزوجة ويجعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره فاذا وصل اليها رمت على رجليه ثوبا ديباجا جديدا ما دام وان كانت المرأة هى التى تأتى الى منزل الرجل بعثت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول اليه الثوب على رجليه وكذلك عادتهم فى الاسلام على السلطان عندهم لا تلمس ثوب رجل عند ذلك وسيذكره وبيانهم بالحشب وبعضهم يسقوح البيوت من سعفة عن الارض توقيا من الرطوبات لان ارضهم رملية وكيفية ذلك ان يجمعوا حجارة يكون بين الحجر مقدار اصبعين او ثلاثة ويجعلونها صفوفا ويعرضون عليها خشب مارجيل ثم يصعدون اعمدة من الخشب ولهم صناعة عجيبة فى ذلك ويدورون فى اسطوان الدار بيتا بيتا ثم (بضم اللام) محل الرجل يجمع أصحابه ويكون له بيان احدهما الى جهة الباب والبيت الذى من جهة الباب والآخر الى جهة الدار يدخل منه صاحبه ويكون عند هذا البيت حنية مجوفة وظاهرها مسقى بسعوه لوح (بضم الواو واللام وسكون النون وحاء) هو من قشور اشجار جوز لها نصب طوله ذراعان ويدقون الماء من الآبار لقربها وجميعهم حفاة الاقدام من رئيسهم ووضيعهم وفارقتهم مكرمة نعيمة تطلبها الاشجار فى الماشى بها كانه فى بستان ومع ذلك لا يدخل داخل الى الدار الا بعد غسل رجليه بالماء الذى فى الجرة بالماء ويمضمض بحضرة عينه من اسفل ويكون هناك ثم يدخل بيته وكذلك يفعل كل داخل الى المسجد ومن عوائدهم اذا قدم عليهم مركب ان تخرج اليه الكدرو وهى اصغر من الصغار واحدها كندرة (بضم الكاف والدال) وفيها من الجرة معهم التدول والكرسة وهى حور اخضر حين الاخضر فيعطى الانسان منهم ذلك لمن شاء من اهل المركب ويكون نزيله ويحمل امتعته الى داره كلها بعض اقربائه ومن اراد التزوج من القادمين عليهم تزوج فاذا حان سفره طلق المرأة لانه لا يخرج عن بلادهن ومن لم يتزوج فالمرأة التى ينزل

بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر وترضى منه في مقابلة ذلك بايسر شئ من الاحسان وفائدة المحرز وسمونه البندر ان يشترى من كل سلعة بالمركب حصابسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوى ذلك او اكثر منه ويسمونه شرع البندر وكون البندر بيت في كل جزيرة من الخشب يسمونه المحصار (بفتح الباء الموحدة والحاء وسكون التون وفتح الصاد المهملة وآخره راء) يجمع به الوالى وهو الكدورى جمع سلعة ويبيع بها ويشترى وهم يشترون المحرز اذا حضر اليهم بالدجاج وتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وسمن وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمن الذى يذكر باه وجوز الماريين والقوط والوان والعمائم وهى من القطن ويجعلون منها الوانى الملاحس فانها عندهم كثيرة ويحملون الودع ويحملون القمر (بفتح القاف وسكون الميم وفتح الباء الموحدة والراء) وهو ليف جوز الماريل وتدم يدعونه في حفرة على الساحل ثم يصرونه بالمراريب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتحمل الى الصين والهند واليمن وهو خير من القنب ويعهد الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة فان كان المركب مسمرا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر واذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم يكسر وصرف اهل هذه الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويصهرونه في حفر هنالك ويذهب دمه ويبقى عظمه أبيض ويسمون المائة منه سياه (بسين مهملة وياء آخر الحروف) ويسمون الف مائة منه الحمال (بالهاء) ويسمون الاثنى عشر الفا منه الكتى (بضم الكاف وتشديد التاء المعلوة) ويسمون المائة ألف منه بيتو (بضم الباء الموحدة والتاء المعلوة وبينهما سين مهملة) ويباع لهم بقية اربعة بسانى بدينار من الذهب وربما رخص حتى يباع عشر بسانى منه بدينار ويبيعونه من أهل بحاله بالارز وهو أيضا صرف اهل بلاد بحاله ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض الرمن في مراكبهم وهذا النوع ايضا هو صرف السودان في بلادهم رأيته يباع عمالى وحوجو بحساب الف ومائة وخمسين للدينار الذهبى

(ذكر نسائها)

ونساؤها لا يعطين رؤسهن ولا سائر اجسادهن شعورهن ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى جهة واحدة ولا يلبس اكثرهن الا فوطة واحدة تستر ما من السرة الى اسفل وسائر اجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الاسواق وغيرها ولقد جهدت ما وليت القضاء بها ان اقطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم استطع ذلك وكنت لا اتحمل الى منهن امرأة في خصومة الا مستترة الجسد وما عدا ذلك لم تمكن لى عليه قدرة ولباس بعضهن قمص رائد على الفوطة وقصهن قصار الاكمام عراها وكان لى حوارك وتهن لباس اهل هذه يعطين رؤسهن فعاهن ذلك أكثر مما رأيتهن اذا لم يتعودنه وحليهن الاساور ويجعل المرأة منهن جملة في ذراعيها بحيث تملا

مابين

مابين الكوع والمرفق وهى من الفضة ولا يجعل اساور الذهب الا نساء السلطان وأقاربه ولهن الحلاخيل ويسمونها الباليل (سماء موحدة ثم ياء آخر الحروف مكسورة) ولا يلبسن ذهبا يجعلنها على صدورهن ويسمونه البسدرد (بالباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الدال المهملة وراء) ومن عجيب افعالهن انهن يؤجرن انفسهن للخدمة بالدينار على عدد معلوم من جملته يرهنونها على مستأجرهن بقدرهن ولا يرين ذلك عيبا ويفعلن أكثر بناتهم فتجد فى دار الانسان التى فيها عشرة وعشرين وكل ما تكسره من الاوانى يحسب عليها قيمته واذا أرادت الخروج من دار الى دار أعطاها أهل الدار التى تخرج اليها العدد الذى هى مرتهنة فيه فتدفعه لاهل الدار التى خرجت منها وتبقى عليها لاخرين وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القطن والنزوح بهذه الجزائر يسهل بها ذلك وحسن معاشرة النساء وأكثر الناس لا يسمى صداق الا تقع الشهادة وبعضهن صداق مثلها واذا قدمت المراكب تروح اهلها النساء فاذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا ولم أر فى النساء احسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة روحها الى سواها بل هى تأتيه بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء وتقوم بخدمته عند النوم ومن عوائدهن أن لا تأكل المرأة مع روحها ولا يعلم الرجل متى أكلت المرأة واقد تزوجت بها نسوة فأكل معى بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تأكل معى ولا استطعت ان اراها تأكل ولا نفعتنى حيلة فى ذلك

(ذكر السبب فى اسلام أهل هذه الجزائر)

(وذكر ما فارت من الجن التى تصرعهم فى كل شهر)

حدثنى الثقاة من أهلها كالفقيه عيسى اليمنى والفقيه المعلم على والقاضى عبد الله وجماعة سواهم ان هذه الجزائر كانوا كفارا وكان يصرعهم فى كل شهر عفريت من الجن يأتى من ناحية البحر كالمركب مملوء بالقناديل وكانت عادتهم اذا رأوه اخذوا جارية بكرا فربطوها واخذوها الى بيت هناك وهى بيت الاصنام وكان مبنيا على صفة البحر وله طاق ينظر اليه منه ويتركونها هناك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها معتصبة ميتة ولا يزالون فى كل شهر يقترعون بينهم فى أى ناحية القرعة أعطى بنته ثم انه قدم عليهم معرفى يعنى ماى البركات المدنى وكان حافظ القرآن العظيم فنزل دار بحور منهم بحرة الهل فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن فى مأتم فاستفهم عن شأنهن فلم يفهمنه فأتى ترجمان فاخبره ان العجوز كانت القرعة عليها وليس لها الا بنت واحدة يقتلها العفريت فقال لها ابو البركات انا أتوجه عوضا من بنتك الليلة وكان سنباط الاخية له فاحتملوه تلك الليلة وادخلوه

الى مدخنة وهو منوصئ واقام يتلو القرآن ثم ظهر له العمرت من الصدق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع انقراءة عاص فى البحر وأصبح المغربى وهو يتلو على حاله فخرت البحور وأهلها وأهل الجزيرة ليسحروا السفن على عاتقهم فجرتوا هوجه والمغربى يتلو فصوا به الى ملكهم وكان يسمى شورارة (معجم اسمائهم ودم انسون وواورا والعدورث وهده) واعلموه بخبره فحضر منه وعرض المغربى عليه الاسلام وزعم فيه فعان له فم عنده الى الشهر الآخر فعات كذلك ونحوت من العمرت اسلمت فأسلم عند هم وشرح الله صدر الملك للاسلام فأسلم قبل تمام الشهر واسلم أهله وأولاده وأهل دولته ثم حمل المغربى لما دخل الشهر الى مدخنة ولم يأت العمرت فحعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة فكسروا الاصنام وعدموا مدخنة وأسلم أهل الجزيرة وانقلوا الى سائر الجزائر فأسلم أهلها واقام المغربى عندهم معلما ومعلموا عندهم مذهب الامام مالك رضى الله عنه وهم الى هذا العهد يعظمون المغاربة ويسمى صحدا هو معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع مسفوشا فى احدب اسلم السلطان أحمد شورارة على يد أبى التركات البربرى المغربى وجعل ذلك السلطان ملك صحاى الجزائر صدقة على أبنائه السبيل ان كان اسلامه بيدهم فجرى على ذلك حتى الآن وبسبب هذه العمرت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الاسلام ولما دخلتها هالنى كثرة ما بها من الخراب فى بعض شأنى اذ سمعت الناس يهرولون بالتهليل والتكبير ورأيت الاولاد وعلى رؤسهم المصاحف والدواة يهرولون (بصرين) فى الصوت واوانى النحاس فعجبت من فعلهم وقلت ما شأنكم وعلوا الا مدرا الى قصره فطرت فاذا من المركب الكبير وكان عسكره حاوه شاعين فقلوا ان العمرت وعدته ان يصير فى الشهر فاذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ويسره

﴿ذكر سلطانة هذه الجزائر﴾

ومن عجائبها ان سلطانها امرأة وهى خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح السحالى وكان الملك عندها ثم لابيها الملك بعد أبوها وفى أحوال شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحسرى امه وعلب عليه وهو الذى تزوج أيضا هذه السلطانة خديجة بعد وفاة زوجه الوزير جان الدين كما سنذكره فيما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال اخرج له الوزير عبد الله وفاده الى جزائر لسوبه واستقل بالملك واستوزر أحد موالية ويسمى على كلكى ثم عزله بعد ثلاثة أعوام وعاد الى لسوبه وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور انه يختلف الى حرم أهل دولته وحواصه بالليل فخلعوه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتى ويقولون قتله بها ولم يكن فى بيت الملك الا اخوته

خديجة

خديجة الكبرى ومريم وفاطمة قعدوا حتى سألته وكانت متزوجة لخليفهم جمال الدين فصار وزيرا وعاش على الامر وقدم ولده محمد اللحياني عوضه ولكل الامر اما تبعد سم حديثة وهم يكسون الامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون في الكاغد الا المصاحف وكتب العلم وذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها وقول امام انصرافك التي اخبرتها على علم على العالمين وجعلها رحمة لكافة المسلمين الاوهي السلطانة خديجة بنت السلطان حلاب الدين بن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم رمضي الى المشور وهم سموه لدار ولا يدخلان يستحب ثوبين فيقدم لجهة هذه السلطانة وترى باحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو وجميع اهل الدين ويرمي بالثاني وعندها نحو ألف انسان من الغرباء ومعلمهم يعلمون ويأتون كل يوم الى الدار فيصدمون ويصرفون ومرتبهم لا زيادة لهم من النذر في كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وحمدوا ولوا الوزير رفع عنك الخدمة واعلم بأن يجيء طلب من تبت ويؤمر لهم بها عند ذلك ويأتي أيضا الى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان ويصرفون

(ذكر أرباب الخطط وسيرهم)

وهم يسمون الوزير لاكبر الذي عن السلطانة كلكي (بضم الكاف لاولى واللام) ويسمون القاضي هندبرقالوا (وضم الدال وسكون الهاء وفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح القاف والالف ولام مضموم) واحكامهم كالبراجعة الى القاضي وهو أعظم عندهم من الناس اجمعين وأمره ممتثل كامر السلطان والمد ويجلس على بساط في الدار وله ثلاث حراثر أحد مجلسها لخدمة عادة قديمة اجراها السلطان أحمد شنورارة ويسمون الخطيب هندبجري (وضبط ذلك بضم الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مد وجيم مفتوح وراء وياء) ويسمون صاحب الديوان العام لدار (بفتح الفاء والميم والدال المهملة) ويسمون صاحب الاشغال ماي كاوا (بضم الميم والكاف وضم اللام) ويسمون الحاكم فنديك (بكسر الفاء وسكون النون المعلوة وفتح النون ولف وياء آخر الحروف مفتوحة أيضا وكاف) ويسمون قائد الجيوش ديك (بضم الميم والنون والياء) وكل هؤلاء يسمى وزيرا ولا يجلس عندهم تلك الحراثر انما يجلس ارباب الحرائم في يوم حشب هي معدة لامتعة الصبار ويجعل أحدهم في حشبة كما يفعل عندنا بالروم

(ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل حالي بها)

ولما وصلت اليها نزلت منها بجزيرة كنبوس وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة وبرات بدار

رجل من صلحائها وأصافني بها الفقيه علي وكان واصلا له أولاد من طائفة العلم ولقيت بها رجلا اسمه محمد من أهل نهار الجوص فأصافني وقال لي ان دخلت جزيرة المهل امكنك الورود بها فانهم لا وافي عندهم وكان غرضي أن اسافر منها الى المعبر وسرنديب وبحالة ثم الى الصين وكان قد وفى عليها في مركب النا خودة عز الهنوري وهو من الخيار الفضلاء ولما وصلنا كلوس اقام بها عشرا ثم اكترى كندرة يسافر فيها الى المهل بهدية السلطانة تور وجها فاردت السفر معه فقال لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك فان شئت السفر منفردا معهم فذلك فابيت ذلك وسافرت فلعبت بنا الريح وعادت بنا بعد أربعة أيام وقد لقي شدائدها عتد لي وعزم علي في السفر معه ما صحابي فكان رحل عدو فحمل في وسط النهار لبعض الجزائر نرحل صبيت باخرى ووصلنا بعد أربعة أيام الى اقليم التم وكان الكردوي يسمى بها هلالا فسلم علي وأصافني وجاء الي ومعه أربعة رجال وقد حمل اثنان عليهم عودا على أكتافهما وعلقا منه أربع دجاجات وجعل الآخران عودا مثله وعلقا منه نحو عشرين حوت النار جيل فعجبت من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير فاخبرت انهم صنعوه على جهة الكرامة والاجلال ورحلنا عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزيرة عثمن وهو رجل واصل من جزائر الناس فاكرمنا واضافنا وفي اليوم الثامن نزلنا بجزيرة تور يقال له التندي وفي اليوم العاشر وصلنا الى جزيرة المهل حيث السلطانة تور وجها وسيدها وعادتهم ان لا يمر أحد عن ارضي الا بادنهم فأذنوا لنا بالنزول وأردت التوجه الى بعض المساجد فمنعني الخدام الذين بالساحل وقالوا لا يقدم الدخول الى الور وكنت أوصيت النا خودة ان يقول اذا سئل عني لا اعرفه حوفا من امتاكم يا ولم اعلم ان بعض أهل الفضول قد كتب اليهم معرفا بخبري وانى كنت قاضيا بدهلي فلما وصلنا الى الدار وهو المشور بر لنا في سقائف على الباب الثالث منه وجاء القاضي عيسى اليمني فسلم علي وسلمت على الوزير وجاء الناخودة ابراهيم بعشرة أثواب فقدم لجهة السلطانة تور ثوبا منها ثم قدم للوزير ورمى بثوب آخر كذلك ورمى بحزمها وسئل عني فقال لا أعرفه ثم اخرجوا لنا البيت التبول وماء الورد وذلك هو اكرامة عندهم وأنزلنا بدار وبعث الينا الطعام وهو قصعة كبيرة فيها الارز وتدور بها صحاف فيها اللحم المطبوخ والدجاج والسمن والسمك ولما كان الغد مضيت مع الناخودة والقاضي عيسى الى بيتي لزيارة راوية في طرف الجزيرة عرف الشيخ الصالح بحبيب وعدت ليلا وبعث الوزير الى صبيحة تلك الليلة كسوة وصافة فيها الارز والسمن والخليع وجوز النارجيل والعسل المصنوع منها وهم يسمونه القرماذ (بضم القاف وسكون الراء وفتح الميم الموحدة ولف وتوزياء) ومعي ذلك ماء السكر وانواع عدة الف ودعة للسفر وبعد عشرة أيام قدم مركب من سيلان فيه فقراء من

العرب

العرب والعجم بعرفون فعرفوا حذام الوزير بامرى فزاد اعتباطا على وبعث عنى عند استهلال رمضان فوجدت الامراء والوزراء واحضر الطعام فى دواة يجتمع على الثمانية طائفة فاجلسنى الوزير الى جنبه ومعه القاضى عيسى والوزير الحاجب الدارى والوزير عمر دهرى ومعناه مقدم العسكر وطعامهم الارز واللحم والسمن والسمك والجبن والخبز المنبوح ويشربون بعده عسل النارجيل محلوطا بالافاويه وهو يوم الصعم وفى التاسع من شهر رمضان مات صهر الوزير روى بنته وكانت قبيحة عند السلطان شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منهما الصغرها فزفها أبوها الدار واعطى دارها وهى من أجل الدور واشتد فى حيفة الفقراء القادمين من زيارة القدم فأذن فى ذلك وبعث الى حمام النعم وهى عزيزة عندهم لانها محلوطة من المعز والمليبار ومقدشو وبعث الارز والدجاج والسمن والامراء فبعثت ذلك كله الى دار الوزير سليمان بن بيت وطبخ لى بها حسن فى بيته وارفيه وبعث العرش واوانى الصاس واقعد على العادة بدار السلطنة مع الوزير واستأنسه فى حضور بعض الوزراء تحت الصيافة فقال لى وأنا أحضر أيضا فشكرته وانصرفت الى دارى وقد بعث وعنه الوزراء وأرباب الدولة فجلس فى قبة خشب مرتفعة وكان كل من يأتى من الامراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمى ثوب عتبر تحيط حتى اجتمع مائة ثوب او نحوها فاحضرها للامراء وقدم لهم طعاما فاكلوا ثم قرأ القرآن بالاصوات الحسان ثم أنشد وانى اسماع والرقص وأعدت السكر فكان الفقراء يحملونها ويصبونها بالاقداح ومنهم من أكلها كما هو وكل الحاضرين الى ان حدث

﴿ذكر بعض احسان الوزير الى﴾

ولما تمت الليلة انصرف الوزير وصحبت معه هو ربستان للحرس فقال لى الوزير هذا البستان لك وساعمرلك فيه دارا لسكناك فشكرت وعدت وعوت له ثم بعث لى من العد جارية وقال لى خديه يقول لك الوزير ان اعجبتك فهى لك والا بعثت لك جارية مرهية وكانت الجوارى المرهيات يعجبنى فقلت له انما أريد المرهية وبعثها لى وكان اسمها فى البستان ومعناه مرهر البستان وكانت تعرف اللسان الفارسى فاعجبتنى وأهل تلك الجزائر لهم لسان لا اكاد أعرفه ثم بعث الى فى غد ذلك بجارية معربية تسمى عنترى وكانت الليلة بعدها جاء الوزير الى بعد العشاء الاخيرة فى نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران فسلمت عليه وسألنى عن حالى فدعوت له وشكرته فالقى أحد الغلامين بين يديه لقشة (بقشة) وهى شبه السبنية وأخرج من ثياب حرير وحقه فيه جوهر وحلى فاعطانى ذلك وقال لى لو تعتنيك مع الجارية لقالت هو مالى جئت به من داره ولاى والآن هو لك فأعطاها يدها فدعوت له وشكرته وكان اهلا للشكر رحمه الله

(ذكر تغيره وما أردت من الخروج ومقامي بعد ذلك)

وكان الوزير سليمان مانايك قد بعث الى ان اتزوج منه فبعثت الى الوزير رسول الدين مستأذنة في ذلك فعاد الى الرسول وقال لم يحبه ذلك وهو يحب ان يروجك منه اذا انقضت عدتك فابيت اما ذلك وخفت من شؤمها الا يتسنى لي التزوج قبل الدخول واصابني شيء من ذلك حتى مرضت بها ولا يدخل كل من يدخل تحت الحرير دار يحم فنوى عزمي على الرحلة عنها فبعثت بعض خدمي بالوديع واكتريت مركبا لأسافر فيه لبحر فلما دخلت لوداع الوزير خرج الى القاضي فقال الوزير يقول لك ان شئت السفر فاعلمنا اعطيك ما تسافر فيه لان بعض الحلي اشتريت به الوديع شأنكم وايانه فعاد الي فقال يقول لك اعطيك الذهب ولم يعطك الوديع فقلت له انا ابيعه وآتيكم بالذهب فعاد الى البحر ليشتري ومضى فامر هم الوزير ان لا يبيعوه وقصده بذلك كله ان لا أسافر عنه ثم بعث الي احد خواصه وقال لي الوزير يقول لك أقم عندنا ولك كل ما أحببت فقلت في نفسي ابحث حكمهم وان لم أقم محترما فلا مقصد لي في اقامة ما جئت لاجله اولى وقلت لرسوله نعم اقيم معه فعاد اليه فخرج بذلك واحد من اهل دولته فاقام الي وعاتبني وقال نحن نريد قربك وانت تريد البعد عنا فاعتذرت له فقبل عذري وقلت له ان رددتم مقامي فأنا اشترط عليكم شروطا فان تقبلوها فاشترط فقلت له ان لا استطيع المشي على قدمي ومن عادتهم ان لا يركب أحد هنا الا الوزير ولتركبت لما أعدوني لعرس فركبته فتبعني الناس رجالا وصبيانا يحيون مني حتى شكوت له فصرت بقرية يقال لها (بنقرة) وهي (بضم الدال المهملة وسكون النون وضم القاف وفتح الراء) شبيهة بالمدينة من العمارة تصرف بحديده فيها مع لها صوت على البعد وهي كثيرة الخير يمر في الناس بما يراد فعاد الي الوزير ان أراد أن تركب الدولة وان فعندنا حصان ومكنة فاختر أيهما شئت فاخترت الركوب على المكنة فنوى بها في بيت الساعة وأتوني بكسوة فقلت له وكيف اصنع بوديع الذي اشتريته فقال ابعث أحدا يجيء به ليبيعه فيما له فقلت له على ان تبعث انت من يعينه على ذلك ففعل ثم قمت حينئذ رفيق ابو محمد بن فرحون وبعثوا معه رجلا يسمى الحاج عليا ففرق ان هال البحر فراكل من عندهم حتى الزوادة وانصارى وانقربا وأقاموا ستة عشر ليلة لا نقلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا الى حريرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد وقدم علي صحبي ابو محمد بعد سبعة وقرار القدم وزارهم من ثانية معي

(ذكر العيد الذي شاهدته معهم)

ولما تم شهر رمضان بعث الوزير الى بكسوة فخرجت الى المصلى وقد زينت الطرق التي يمر الوزير عليها من داره الى المصلى وفرشت الثياب فيها وجعلت قبات الوديع عنه ويمنة وكل من

له

له على طريقه درهم الاحمرا والبكر قد عرس عندها النحل الصغار من البارحيل والبحار
الدوفل والمور ومدمن شحر الى آخرى شرائط وعلق منها الحور الاحمر ويقف صاحب الدار
عندها فاذا مر الوزير على رحليه فوقها من الحرير أو القطن فيأخذها عبيده مع الودع
الذى يجعل على طريقه ايضا والوزير ماش على قدميه وعليه فرجية مصرية من الحرير وعمامة
كبيرة وهو متقلد فوطة حرير وفوق رأسه أربعة شقوق وفى رحليه النعل وجميع الناس سواء
حضاة والاوباق والانصار والاطفال من بين يديه الاكراد امامه وخلفه وجميعهم يكبرون حتى
اتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتى فحفه فركب فيها الوزير وخدم له الامراء والوزراء
ورموا الثياب على العادة وهم كل ركب فى الخدمة قيل ذلك لان ذلك لا يفعله الا الملوك ثم رفعه
الرجال وركبت فرسه وخلف القصر فجلس بموضع من تعبيه وعند الوزير والامراء ووقف
العبيد بالترسة والسيوف والعصى ثم أتى الطعام ثم الحوائج والفيلون ثم أتى بصحفة صغيرة فيها
الصندل المقاصرى بادا أكل جماعة من جلوس طعموا الصندل وراحت على بعض طعامهم
يوم يدخلون الموردين بموضع عبر مدوح أحدى لهم من كولم وهو بلاد الملبار كثير فاخذ
الوزير سردينة وحمص بأكلها وقال لى كل منه فليس بلادنا فقلت كيف أكله وهو غير
مطبوخ فقال انه مطبوخ فقلت أنا أعرف بلادى كثير

(ذكر زواجه وولايته القضاء)

وفى الثانى من شوال اتفقت مع الوزير لسليمان بالزواج على تزوجه بنته فمضت الى الوزير حسان
الدين ان يكون عقد النكاح بين يديه بقصر فاعجبه ذلك واحضر التسول حسب العادة
والصندل وحضر الناس وجاء الوزير سليمان فاستدعى فلم يأت ثم استدعى ثانيه فاعتذر
بمرض البنت فقال الوزير ما ان بعد امتنعت وهى مالكة أمر نفسها والناس قد اجتمعوا
فقيل له ان زوجته لسلطان مدحة اسمها وهى بنت ولد متزوج بنت فقلت له تم فاستدعى
القاضى والشهود ووقعت الشهادة ودفع الوزير الصداق ورجعت الى بعد أيام فكانت من
خيار النساء ولها حسن معاشرة لها كانت اذا تزوجت عليها تبنى وتحرا ثوابى وهى
صاحكة لا يظهر عليها غير وما رأيت وجهها الا كوجه القمر على ما وصفت وصفت اعتراضى
على القاضى لكونه كان يأخذ العشر من التركات فاقتضى على أرباها فقلت له انما لك اجره
تتفق به مع ورثة ولم يكن يحسن سبب فى ولايتى أحد مدت جدى فى اقامة رسوم الشرع
وليست هذه الخصومات كما فى بلادنا فاول ما تغيرت من عوائد السوء مكثت اياما فى دار
المتفقين وكانت احداهن لا تزال فى دار الصداق حتى تروح عنه فحضرت عليه فلما رأى الى
بحو خمسة وعشرين رجلا من فعل ذلك فضربتهم وشهرتهم بالاسواق وأخرجت النساء عنهم

ثم اشتددت فى اقامة الصلوات وأمرت الرجال بالمبادرة الى الارقة والاسواق اثر صلاة الجمعة فمن وجدوه لم يصل ضربته وشهرته والزمت الائمة والمؤذنين اصحاب المرتبات المواظبة على ما هم به وكتبت الى جميع الاقاليم بذلك وجهدت ان أكسو النساء فلم أقدر على ذلك

﴿ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الحضرمى لدى بعده السلطان شهاب الدين (الى السويد وما وقع بينى وبينه)﴾

وكنت قد تزوجت بنت عمه بنت زوجته واحببتها حبا شديدا وبعث الوزير عبده ورده الى جزيرة المهل بعثت له التحف ولقيته ومضيت معه الى القصر وسلم على الوزير وأنزله فى دار جيدة وكنت أزوره بها واتفق ان اعتكفت فى رمضان فزارنى جميع الناس الا هو وزارنى الوزير جمال الدين فدخل هو معه بحكم الموافقة فوقعت بينى وبينه وحشة فما خرجت من الاعتكاف شكا الى احوال وحشى زوجته ولما الوزير جمال الدين السحرى فان أباهم اوصى عليهم الوزير عبد الله وان ما لهم باق بيده وقد خرجوا عن حجره بحكم الشرع وطلبوا احضاره مجلس الحكم وكانت عادتى اذا بعثت عن احد منهم من الخصوم ابعث له قصعة كاغد مكتوبة فعند ما يقف عليها يدرى انى بعثت عن احد منهم الى مجلس الحكم الشرعى ولا عافيته فبعثت اليه على العادة فاغضبه ذلك وحقد على واصبح عداوتى وكل من تكلم عنه وتكلمى عنه كلام قبيح وكانت عادة الناس من صغير وكبير ان يحدوه له كما يحدون للوزير جمال الدين وحدتهم ان يوصلوا السبابة الى الارض ثم يقبلوها ويضعونها على رؤسهم فامرت المنادى فنادى بدار السلطان على رؤس الاشهاد انه من حد للوزير عبد الله كما يحد للوزير الكبير لزمه العذاب الشديد واحدث عليه ان لا يترك الناس لذلك فزادت عداوته وتزوجت بنت وزوجة اخرى بنت وزير معظم عندهم كان جد السلطان داود حميد السلطان احمد شور اره ثم تزوجت زوجة كانت تحت السلطان شهاب الدين وعمرت ثلاث دور بلستان الذى عمله الوزير وكانت الرابعة وهى زوجة الوزير عبد الله تسكن فى دارها وهى احسن ان فما اضمرت من ذكرته هابى الوزير وأهل الجزيرة وتحوفوا منى لاحسن صنعهم وسعوا بينى وبين الوزير فانتظم وتولى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تكلمت الوحشة

﴿ذكر اعصابى عنهم وسبب ذلك﴾

واتفق فى بعض الايام ان عبد السلطان جلال الدين شكى زوجته الى الوزير واعلمته انه عند سريته من سرارى السلطان يرى بها فبعث الوزير اليهم ودخل دار السرية فوجدوا الغلام نائما معها فى فراش واحد وحبسوهما فلما أصبحت وعلمت الخبر توجهت

الى

الى المشور وجلست فى موضع جلوسى وأنكرت فى شئ من امرها فخرج الى بعض الخواص فقال لهم لك الوزير ألك حاجة فقلت لا وكان قصدها ان تكلمنى فى سأن السرية والغلام اذ كانت عادتى ان لا اتكلم قبل قصتها فلما حكيت لهم ما وقع للبعير والوحشة قصرت فى ذلك وانصرفت الى دارى بعد ذلك وجلست موضع الاحتشام فجاء من الوزراء فقال لى الوزير يقول لك انه وقع المسرحة كيت وكيت لقصة السرية والغلام فحكمهم بالشرع فقلت له هذه قضية لا تنفى ان يكون الحكم فيها انه ان السلطان فعلت ليها واجتمع الناس واحضرت السرية والغلام فامرت بضرب اعناقهما فاخذت سراج الدولة وجلست الغلام وانصرفت الى دارى فبعث الوزير الى جماعة من كبراء الدولة فى شأن تسريح البعير فقلت لهم انتشع فى غلام يحمى بهتك حرمة مولانا والله ما انا بالامس حضر السلطان شهاب الدين وطلبوه بسبب دخوله الدار علام له وأمرت بالغلام عند ذلك فضربت عنقه بالسيف وكان اشد وقعا من السياط وشهرته بالحرية وفى غد ذلك اليوم ركب الوزير وحضر الديوان وجلس واستناط غضبا وجمع الوزراء والحجاب والعسكر وقعد على كرسى الوزارة وكانت عادتى ان أسلم اذا دخلت عليهم وقلت سلام عليكم ثم قمت بين ايديهم واخذت بيد الوزير فعزلت به عن صدر الكرسى عن يساره وكان هو الوزير فصعد وجلست موضع الوزير بين يديه وجاء الحاجب وأذن مؤذن المغرب فدخل الى داره وهو يقول والله لاولين ابن سلطان ولا ادخل طاعته لاعتبن عليه وعلى والده كان اعتراضى عليهم بسبب سلطان الهند لانهم تحققوا مكانتى عنده وانى كنت اعز عليه بعد منه فخوفوه فى امرهم فتفكر فيما دخل الى داره بعث الى القاضى المعزول وكان جرئ اللسان فقال لى ان مولانا يقول لك كيف هتكت حرمته على رؤس الاشهاد ولم تحترمه فقلت له انما كنت احترمه حين كان ولى عهد عليه فلما وقع التعزير كنت ذلك وقصة المسلمين انما هى السلام وقد سلمت قبضته الى ثانية فقال انما عزلك البعير عن صدر المجلس وديوان الناس وانصرف اذا شئت فقلت له على هذا القول ورهينة انى دارى خلصت محمد على من الدين وكان قد اعطانى فى تلك الايام فرش دار وجهازها من أوانى نحاس وسواها وكان يعطينى كل ما أطلبه ويحمى ويكرمنى ولكنه عبرت نظره وخوفنى فلما عرفت ان قد تخلصت من الدين وعزمت على السفر بدم على ما له وتمكنت فى الامن لى فى السفر حلفت بالايمان المغلظة لا اقدم سفرى وبقيت ما عندى الى صعيد عدنى العمر وعلقت احدى الروحات وكانت احداهن حاملا فجعلت لها اجل تسعة شهور عسى فيها ولادة مرهابد هو حملت معى روحتى التى كانت امرأة سلطان شهاب الدين لانها لم تلد لانها بحر زير مولاها وروحتى الاولى التى بنتها تحت السلطانة وتوافقت مع الوزير عمر دهرد و لوزير حسن فاد النحر على

ان أمضي الى بلاد المغرب وكان ملكها سلفي فاتى عنها بالعساكر لترجع الجزائر الى حكمه وانوب انا عنه فيها وجعلت بيني وبينهم علامة رفع أعلام حمر في المراكب فان رأوها ثاروا في البحر ولم أكن حدثت نفسي بهذا قط حتى وقع بي ووقع من المغرب وكان الوزير حاشف مني يقول للناس لا تذهبوا الى يأجوج الوزارة في حياتي ويعدد موتي ويكثر السؤال عن حالي ويقول سمعت ان ملك الهند بعث اليه الاموال ليشتري بها علي وكان يخاف من سفري لئلا آتي بسطول من بلاد المغرب فبعث الى ان أقيم حتى يحضري من كانت له حاجة الى السفر فيها معي فاذا رأت منعها فيصدر على ذلك فلما رأى عزمي على السفر قال لي ان جميع ما عندنا من الحلي هو من مال الاسطفان كان لك شهود بذلك خلاف الدين وهم هلك ولا فرد وكان حليها له حصر فردته اليهم واتى الوزير والوجوه وأدباء المسجد وصبوا مني الرجوع فقلت لهم لولا اني حلفت لعدت فقالوا ذهب اثمي من الحنث اثر الرجوع ونعود وقلت لهم نعم ارضاء لهم فلما كانت الليلة التي سافرت فيها اتيت لوداع الوزير وهو يبكي حتى قصرت دموعه على قدمي وبات ذلك الليلة يحترس الجزيرة بنفسه حوله يشورعلي اصحابي واصحابي ثم سافرت ووصلت الى جزيرة الوزير على فاحت روحي الجوع عدوا ومت ارجوع فاقمتها وتركتها هلك وكنت ظن الوزير يرسل لانهب ثم وجدته وصدقت التي كنت ضربت لها الامثال وعشت عن جارية كنت أحبها وسرت الى تلمسان الجزائر من اقليم الى اقليم

(ذكر السعدوان الندي الوحيد)

وفي بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدي واحد في صدرها ولها لسان احداهما كذلها ذات ثدي واحد والاخرى ذات ثديين الا ان احدهما كبير فيه لبن والآخر صغير لا لبن فيه فعجبت من شأنهن ووصلنا الى جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليس بها الا رجل واحد وبه وجه رجل حائك لهم وبه واولاد ونحو ثلاث رجال وقارب صغير يصيدون فيه السمك و[illegible] اي حيث اراد من الجزائر وفي جزيرته ايضا شجيرات مور وبرقوق من مير الزرع فاقمنا ثلاثة ايام نخرجا اليها ونصلب الجزيرة ونصلي ثم ركبنا فاقمت واياه الثلاثة ايام حتى وردت الى لوكت تلك الجزيرة التي انقطعت فيها الى ان يأتيني اليمن ثم وصلت الى جزيرة مغرك حيث المركب الذي لي حمولة ابراهيم وعمر الذي عزمت على السفر فيه الى المغرب اقي ومعه صحابه وأصافوني صيفة حسنة وكان الوزير قد كتب لي أعني بهذه الجزيرة ثلاثة وعشرين ستة واس الكوده وهي لودع وعشرين قنطارا من الصوان وهو عشرون انسارا جميل وعدد معدود من التمول والعوقل يأسمك في كل يوم واقمت بهذه الجزيرة تسعين يوما وروحت بها امرأتين وهي من أحسن الجزائر جسرة كثيرة رأيت من نخل تمرها ان بعض تقطع من تمرها ويركز

في الارض او احائط فيورق ويصير مخضرا ورأيت ارمان جالا يقطع لاشجاره في السنة وخاف
اهل هذه الامارة من السجود واراهم ان يسجدوا عند سفره فاردوا ان يمسكوا من تركته من
السلاح حتى يوم سفره فوقعت المناجزة بينهم عند ذلك ولم يدخلها وكتبت الى
الوزير معجما بذلك فكتب ان لا تسيبن لاحد السلاح وعدد اي مدوت وسافرنا معها في نصف
ربيع الاول عام خمسة واربعين وثمانمائة من هذه السنة توفي الوزير جمال الدين رحمه الله
وكان [illegible] ملازمه وولد اثر وفاته وزر وحيه الوزير عبد الله وسافرنا ولم يكن معنا
رئيس عارف ومسافة ما بين الحرائر واربعين ثلاثة ايام فسرنا فيها ثمانية ايام وفي التاسع منها
خرجنا الى مرتفع [illegible] وبات الجمال بها واشتد البرد فيها حتى عمت الثلوج وما
وصلناها قال البحرية ان هذا المرتفع اذا [illegible] في بلاد السلطان الذي يحكم الحبارا ان بلاده بين
اثنتين شتاء مرتفع في بلاد لا يدان ارض سكروف وهو بعد المسافرين ولهذا مراكب تقطع
في بحر خمسة ايام ثم استدبرنا ريح شديد اغرق قطعة من المراكب وانا آخذ لك الامان من هذا السلطان فنعم ما قال والله لئن ساحل فانا ان كفارهما لوما ايتم
فاحسنتم الى سلف سلطان المغرب وبعد حتى [illegible] وان الذي في المركب شديد له
فذهبوا الى سلطانهم فاعلموه بذلك فاستدعى هذا [illegible] وسبب اسمه نصر
الله الواحد والصمد الهمص وشد [illegible] وفي [illegible] حسنة عظيم الصور
حشم وارباح حسن وجميع ما حولها [illegible] الليمون [illegible] ساحل
كلامهم الزواي ويحملون الى [illegible] الى [illegible] في مقدمه بلاد
الشوب وحدودهم بلاد [illegible] وبها [illegible] وليس بها أيضا من حشم البقم كبير
ومن العود الهندي المعروف بالكلي [illegible] ونقافي وسنذكره

(ذكر [illegible])

واسم [illegible] سكروف (هذا الهمزة وضم الكاف وبعدها واو ساكنة ثم راء ثم واو ثم فاء ثم
واو ساكنة وفاء ومفتوح وبعد المثلثة ساكنة ثم واو) وهو سلطان قوي في البحر رأيت مراكبه
بالمعبر ثلثمائة مركب من مراكبه بين صغير وكبار وصلت في هجائن وكانت مراكبه ثمانية
مراكب للسلطان برسم السفر الى اليمن فامر السلطان بالاستعداد وحشد الناس لحماية
الحجاج فجمع الناس انتهى [illegible] وبها [illegible] حشد في حماية مراكب التجار الى
اليمن وما حشد على هذا السلطان اركافرهم اخذ وجلسني في جانبه وكلمني باحسن كلام
وهو يريد ان يحثني على الاقامة ويكونون في صيانتي او أن يسافر واني سلطان المغرب
ويبعث [illegible] فاقمت عنده ثلاثة ايام في اكرام عظيم متزايد في كل يوم وكان

بعهد الملك الفارسي و عجبه ما احدثه بعض الملوك و البلاد و حملت عليه يوما وعنده
جواهر كثيرة أتى بها من معادن الجوهر الذي ببلاده وأحضر له بعض البرابرة من عنده
فقال لي هل رأيت معادن الجوهر في البلاد التي جئت منها فقلت له نعم رأيته بحر برد تيس
وجزيرة كش التي لا ن السواحلي فقال صف لي ما تحت حيات منه فقلت أيكون في ذلك
الحر برد مثل هذه فقلت له رأيت منها ما يجسه ذلك بدل هي تلك وقال لي لا تستحي
واصدقني في مشاهدتك فقلت له ليس مرادي منه وصفت هذا الحر برد الا ما قدم الكرة
قدم آدم عليه السلام وهم يسمون (باما) يسمون حوا (ماما) فقال هذا شيء بعث معدن
يوصف فقلت ذلك أيضا ثم قلت له وهذا المركب الذي جئت فيه ما فراسخ المعمور فقال
عندنا ما نعلم في مراكبك هذه من يعلم ذلك غير صاحب المركب فقال لي لا أسعر
حتى تعود ولو أخذت سنة سيبك وحيرت السلطان بما قلت فبقيت في حيا فتي حتى تعود
فاعتذرت له بحملها عبد عليه وقوم وبعث معي أربعة من الخوكية يدين عددهم السعر
كل يوم الى دينار الف مرة من الدراهم وعشرين من مائة وخمسة عشر رجلا يحملون
لزادي وزاد الماء فهو يتبعني سرقي كبير وبرت سنا يوم عيني وخرجت في معية هذه جماعة
من تجار البحر من جملة من صار معي وهو ذلك الرجل الذي علم والدون ولف
وراءه مكة وهم مشوحون مسكن وبان عيص معروف بالام دكسور ويه) مدينة خمسة
هي جزء الله السلطان الذي له شاب حياة خمسة وهي قوم يأكلون الحوامل يصطادونها
بفلاة هذه المالك ويأتون بها أحياء و أكلون الاربع والسمن والحوت والسمك ولا يزرعون
المدينة مسلما غير رجل خراساني اسمه عبد الله قدم عليه وهو رحلت الى مدرسلوات
(وسطه هضبة الموحدون كون الحون و الدان الميص وسكون راء وفي السين المهملة
والام والواو والف ون مدينة) مدينة معمورة وبها قرابة أو عمارة الا وبها الزيد
الكثيرة الا انها تؤدي الزوار والغرباء وبها ركذلك حين عبد الله بن حفيف رحمه الله وهو
أول من فتح هذا الطريق الى زيارة القدس وكان هو وأكثر متعوني المسلمين من ذلك
وتوهموا ولا يؤاكلونهم ولا يبايعونهم فلما أتى ابن عبد الله من ذكره في السعر
الاول من فتح الطريق لأصحابه وسلامتهم من يومهم وحمل الذليل له على ظهره صار الكفار من
ذلك العهد يعظمون المسلمين و يحلونهم دورهم و يطعمونهم معهم و يخصون لهم أطفالهم
وأولادهم وهم الى الآن يعظمون لهم جدا كثيرا شديدا تعظيم و يسمون الشيخ الكبير ثم وصلنا بعد
ذلك الى مدينة كنكار (وضبطه الحرف الاول و النون و لكاف الثانية وآخر راء)
وهي حضرة السلطان الكبير تتبع البلد و ساوش في حدود بين جبلين على نهر كبير

يسمى

يسمى خور الياقوت لان اليا قوت يوجد وتخرج هذه البلدة مسجد الشيخ عثمان الشيرازى المعروف بشاوش (بشين معجمة بينهما واو مضموم) وبلدة هذه البلدة وأهلها ورونه ويعقوب وهو كان الدليل الى التسلم فلما قبضت يده رحل صار الادلاء اولاده وعلمائه وسلب قبضته بدمع غزيرة وحكم كفر الهود ان دمع غزيرة دمع كئيب او معن فى حلقها وحرق وكان الشيخ عثمان معظما فقصوره ودوره واعظوه محى نصر الاسواق

(ذكر سنه)

وهو يعرف بادكار (بضم الكاف وفتح الواو والراء) وعنده الفيل الاسفل لم أرى الدنيا فيه أحسن سوارا كبيرا فى وعاء وهو يحمل على حبته أحمر الياقوت العظيم وتفق لاهل هذه البلدة أهل دولته وسيراء بيده وولوا بلده وهو شاب أعمى

(ذكر ياقوت)

والياقوت أكثر ما يكون بهذه البلدة ما يخرج من الحور وهو عزيز عندهم ومنه ما يخرج عنه وحوله تسعون ياقوتا فى جميع مواضعها وهى مملكة فيشترى الياقوت الذى يخرج من الحور ويخرج الياقوت فى الحجارة الصماء منه وهى التى تكون الياقوت فى أحواضها فيعصيه الماء كما يعصى الحجر حتى يسلق عن الحجر الياقوت منه الاحمر ومنه الاحمر الورد ومنه الزرق والصفر (بضم الصاد وسكون الفاء آخر الحروف) وما تسمى ما يلمع منه من أحجار الحور الى مدينة قم (بضم القاف والنون) وهو للسلطان يعطى ثمنه وأخذوا عنى ثمن ياقوتة وهو لا يعلم وصرف مائة قم ستة دنانير من الذهب وجميع الياقوت يرد سيلان من تلك البلدة من الياقوت الحور ويجعلونه فى أيدى وارجلهم عوض الاساور والخلخيل وسوار الساعد يصنع منه شبكة يجعلها على رؤوسهم وعدت على جماعة منهم لا يبيعون ياقوتة كبيرة الا بخمسة دنانير ورأيت عند السلطان ياقوتة شكل شكرة على مقدار الكف من الياقوت فيها دهش العود فجعلت أتأمل منها فقال ان عندنا ما هو أعظم من ذلك ثم مد فرمان كبكار فلما حضر تعرف بسم سلطان محمود الغازى (بضم الغين) وكان من الصالحين واحترمت المعارف فى سفح جبل عند حور وصعدت ذلك ثم رحلنا عنها ونزلنا بالحور المعروف بحور بور به (بباء موحدة وراء وواو وراء وواو وشين) وبوربه هى القرود

(ذكر القرود)

والقرود بهذه البلاد كثير جدا وهى سود الالوان لها ذنابات طوال وذكورها لحى كلحى الآدميين واحبرنى الشيخ عثمان وولده وسواهما ان هذه القرود لها مقدم تتبعه كأنه سلطان

يشد على رأسه عمامة من اوراق الاشجار ويتوكأ على عصى ويكون عن يمينه وشماله اربعة من الغربان فاذا عصى طيرا من هذه الغربان قعد على القرود الاربعة التي على رأسه وتأكل اولاده فتقعد بين يديه كل يوم مائتي قرد فتقعد على بعضها ثم تأكل بعضها الاخر القرود الاربعة فتنصرف القرود كلها ثم يأتي كل قرد منها بمثل اولاده وشبيه ذلك فيأكل القرد المقدم واولاد القرود الاربعة واحدى بعد الاخرى يعني الحوكة ما يرى القرود الاربعة بين يدي معدمها وهي تشرب عصارة العرو بالعصى ثم تمشي وبعد ذلك تأكل شعث اذا ظفر قرد من هذه القرود بصيبة لا تشبع يجتمع على نفسها جامعها واخبرني بعض أهل هذه الجزيرة انه كان بهذه قرد مقدم فحاربه بعض الميوت وبعض عبيده فقتلت سيدها قال وخلسا عليها وهو نائم بحلب فتلتقمه ثم تأكل رجليه الى حوالي الخاصرتين ومن هذه الجزيرة خرج أبو عبد الله بن حوقل الى مدينة الخزر وقد ذكرناه في السفر الاول ثم رحلنا الى موضع يعرف بنات الحور وهو آخر العمارة ثم رحلنا الى مغارة بالماء عاشر وكان من الصالحين ثم رحلنا الى معدن الزيبق (بالسين المهملة وكسر الباء الموحدة وياء معجمة ثم قاف) وبان السفر من هذين المكانين منقطع للعبادة هنالك

(ذكر العلق الصيار)

وهذا الموضع رأيت العلق الصيار وسمعت الزلو (بالزاي واللام) ويكون بالاهوار والحشائش التي تعرف من الماء فاذا قرب الانسان منه وقع من حينه فخرج منه الدم الكثير والناس يعرفون له ذلك فيقعون عليه ويسقط عنهم ويجردون الموضع الذي يقع عليه بيده كيلا يحس به وذكر ان بعض الزوار مر بذلك الموضع فتعلق به العلق فاظهر الجلد ولم يعلم عنه اللعين فعرف ذلك منه وقت وكل اسمه ماء ورق (بالقاف المعجم المضموم والراي) وهناك معدن يعرف بالصابون ثم رحلت الى مدينة معدن ثم الى عقبة اسكندر وثم مغارة الاصبهاني وعين ماء وقنعة عين عامر وتحتها حور يعرف بحور كاه عارفان وهنالك مغارة النار نجي ومعدن السلطان وعنده نزور ياقوت الذي يبيه

(ذكر جبل سرسيب)

وهو من أعلى جبال الدنيا رأيته من البحر وبينه وبينه مسيرة تسع وعشرين فرسخا وهو كثير السحاب أعلى منه فلا يفتأ ويمطر وعليه ثلج كثير من الانهار التي لا يبصر لها ورق والاشجار المثمرة ولورد الاحمر على قدر الكف وزعموا ان في ذلك الورد ما يقرأ منها اسم الله تعالى وسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفي اعلى سريان الى القمم احدهما

يعرف

يعرف بطريق (ده) والآخر بطريق (مما) بعون آدم وحواء عليهما السلام فاما طريق ماما فصعب يحمل عليه رحم الزوار اذا رجعوا ومن مشى عليه فيوعده دم كل يوم يمر وأما طريق ده فصعب وعر المرتقى وفي أسفل الجبل حيث دورانه معارة تنسب أيضا للاسكندر وعين ماء وبعض الأولون في حمل شيء رجع صعد عليها وعر وامهات أوتاد الحديد وعلقوا فيها السلاسل ليتعلق بها من يصعد وهي عشر سلاسل بدرجات في أسفل الجبل حيث الدوار وسع متوالية بعدهن ولم تر هي مثلهن لان الانسان اذا وصل اليهن وجد في أسفل الجبل اركد الوهم فتتوهم وقوف الصعود ثم اذا جاوزت هذه السلاسل وجدت بعدها بيوتا ومن بعد بالغ ثم ترى معارة الخضر بسعة ميدان وهي في موضع مرتفع عن يمين الصاعد في السلاسل وفي أعلاها حوض واسع جدا تقرب منها حوضان محفوران في الصخرة عن يمين الطريق ومعارة الخضر يمر بها الزوار عند قدم ويصعد من هناك الى اعلى الجبل حيث القدم

(ذكر القدم)

واثر القدم الكريمة قدم أبينا آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة عن موضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضع مخصوص وطولها نحو عشر شبرا وان الهل الصين قديما قلعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه وحملوه في كنيسة بمدينة الزيتون معدودة من اقصى البلاد وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر محفوفة يجعل الزوار من الكافور بدل الذهب والزيت وحواء في قرى العراق أوصلوا معارة الخضر بتلك الحفر ولا أحسبها بعد ولم يحضرني بها الآن بيقين وقد أعينا هذا الدليل والعادة ان يقيم الزوار بمعارة الخضر ثلاثة أيام يذبحون فيها الى تمام عدة وعشيا وكذلك فعلنا وبلغت الأيام الثلاثة عدد عشر ثم مضينا على طريق ماما فمررنا بمعارة شيث وهو شيث بن آدم عليهما السلام ثم الى حوراسمك ثم الى قرية كرمك (بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم) ثم الى قرية حمركوان (بضم الحاء والميم وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون) ثم الى قرية دلديبو (بدالين مهملتين مكسورتين بينهما لام ساكنة وباء موحدة مفتوحة وواو مفتوحة وباء تحتية ثانية) ثم الى قرية آت فيضة (بهمزة مفتوحة وتاء مثناة ساكنة وفاء ولام مفتوحتين وياء مسكن وحيم مفتوحة وهاء ساكنة) يلقى السبع أبو عبد الله بن حفيف وكل هذه القرى والمنازل هي في جبل وعند أصل الجبل في الطريق درست روان ودرجة هي (بضم الدال المهملة وراء وسكون الجيم وتاء معجمة) وروان (بضم الراء والواو والف ونون) وهي شجرة عديدة لا يعدلها ورق ولم أر من رآها ورقها ويعرفونها أيضا بالماشية لان الناظر

البهامى أعلى الجبل وراءها بعيدة منه قرية من أسفل الجبل والساطر البهامى أسفل الجبل
وراءها مكس بلاد ورأيت هناك حجرة من الحوكين ملازمين أسفل الجبل تتصرون سقوط
ورقها وهى بحيث لا يمكن الوصول اليها لعلوها كما ذكرت فى شأنها من حماتهم ان من اكل
من اوراقها غذاه له لسان لا يكن شيا ولا يتكلم ويحت هذا الجبل الحور العظيم الذى
يخرج منه الياقوت وهو وعر يرقى اعلى شديد الوعورة وحساس هناك يومين الى
مدينة بنور (وضبطه اسمها بدل ميم مكسورة وواو ساكنة وراء مفتوحة وراء) مدينة
عظيمة على البحر بكم الحبر وبها الصنم المعروف بنورق كنيسة عظيمة وبها نحو ثلاثمائة
من الراهبة والحوكيسة ونحو خمسمائة من الرجال ساكنات الجبل وبها من كل ما يعبد الصنم
ورقاص والمدينة وشاطئ البحر على الصنم وكل من الكنيسة ومن يردد عليها يأكلون من
ذلك والصنم من ذهب على قدر الآدمى وفى موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أخبرت
انهما تضيئان بالليل كالقنديلين ثم رحلنا من مدينة فوه (بضم الفاء وكسر اللام) وهى صغيرة
على شاطئ البحر وبها من التجار ومن يعرف بالحوكيين كثير ثم أقمنا بها يوما واحدا
ورحلنا الى مدينة كلبو (وضبطه بضم الكاف واللام وسكون الباء وضم الميم وبعدها
واو) وهى من أحسن بلاد سريبيب وأكثرها وبها يكون الوز الحمر الذى يعرف بها
جسيما نحو خمس الحبشة ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى مدينة قد تقدم ذكرها ونزلنا
سلطانها الذى تقدم ذكره ووجدت الناخودة ابراهيم النصارى قد قدم بمركبه وقد كسر
وقويت الريح وكان الماء يدخل فى المركب ولم يكن لنا رأس عرف ثم وصلنا الى جزيرة كاد
المركب يكسر فيها ثم دخلنا بحرا قصيرا فخلص المركب وراسا وت عيبا وهى لساس بما
معهم وزادوا وقطعنا صارى المركب فرميناه وصنع آخر بدله معدنه من الخشب وكان
بيننا وبين البر فرسخان فاردت ان أنزل فى المعدية وكان فى صحبتنا رجلان من أصحابى
فقالا لى لا تنزل وتترك أثرتهما على نفسى وقلت لهما لا بد لى من النزول فنزلت بقرية
الى أحسن النساء حتى تعلق بجبل من جبال المعدية وعوم معهم فنزل رجلان أحدهما
محمد بن فرحان النورى والآخر رجل مغربى وأخذا معهما سكينا والآخر تسبح وربط الحرير
فى المعدية حبالا وسحبوها وجعلت معهم يدى على من يتبع واحدا واحدا والعدية وصلوا الى البر
سالمين لان الريح كانت تساعدهم وأخذ المركب ورجل صاحبه الى البر على لوح وشرع المجرية
فى عمل أربع من المعادى فى هذا المكان فبين تمامها ودخل معنا الماء فصعدت الى المؤخر وأقمت به
حتى الصباح وجيش جاء الينا من الكفار فى نحو ألف فارس ورجالة معهم الى البحر من بلاد المعبر
فاعلمناهم انا من أصحاب سلطانهم وهم تحت دعته فكتبوا اليه بذلك وهو على مسيرة يومين فى

العرو وكتبت أنا اليه أعلمه انى قد عزمت على دخول الهند فكتب الى كثير من غيضة عصية فاتوبها فاكهة تشبه السفرجل يقرها شجر المقل وفى داخلها حب شبه الفول فيه حلاوة يسيرة يجرحونها ويصنعون منها حلواء يسمونها التل وهى تشبه السكر وتوصلت صيب واحد ثلاثة أيام ثم وصل من جهة السلطان امير يعرف بقمار الدين معه جماعة فرسان ورجل وحوالى مائة وعشرة أفراس فركبت وركب أصحابى وصاحب المركب واحدى الحاريتين وحملت الاخرى فى المركب ووصلنا الى حصن هركند (وضبطه بضم الهاء وسكون الراء وفتح الكاف والف وتاء معلوة مضمومة وواو) ويقال له وتركت فيه الجوارى وبعض اصحابى والاحمال ووصلت فى اليوم الثانى الى محلة السلطان

(ذكر سلطان بلاد المعبر)

هو غياث الدين الدامغانى وكان فى أول أمره صاحب فرسان المظلة بشير بن أبى الرجا احد خدام السلطان محمد ثم خدم الامير حاجى بن الامير سلطان حمل الدين تولى الملك وكان يدعى سير بالدين فلما ولى تسمى غياث الدين وكانت مدة حكم السلطان محمد ملك دهلى ثم تاريها صهرى اسم صاحب سلار الدين احسن شاه وملك بعده أعوام ثم قتل وولى احداث الله وهو علاء الدين (بضم العين وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم) فالاسة ثم جاء الى عرو الكبار احد ملوكهم والاكثرة وعدتهم وسعة وعادا الى بلاده وغزاهم فى البحر فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واتفق يوم قتلهم ان رفع الله عن رأسه اليشرب فاصابه سهم عرب وهب من جيبه فولوا مدبرة فقتلهم الدين ثم لم يجدوا سبيلا فقتلوا بعضهم بعضا من يومئذ وولى بعده السلطان غياث الدين وتوفى سنة السلطان الشريف جلال الدين التى كنت متوجها حتى دهلى

(ذكر وصولى الى السلطان غياث الدين)

ولما وصلنا الى قرب من منزله بعث بعض الحجاب الخصيان وكان عدائى ريح خشب وتمادتهم بالهند كلها ان لا يدخل أحد على السلطان من حجب ومن كان عدوى حجب فاعطاه بعض الكفار خفا وكان هنالك من المسلمين جماعة فحجبت من كون الكافر كان أهم مروءة منهم ودخلت على السلطان فامر لى بحوض ودقيق صنى الحاج صدر الزمان بهاء الدين وارانى فى حواره فى ثلاثة من الاحمسة وهم حبوها الحيام ونعت العرش وبعثه معهم وهو الارز واللحم وعدتهم هنالك ان يسقوا الذى لرائب على الطعام كما يعمل بلادنا ثم احتجت به بعد ذلك والقيت له أمر جزائر ذيبة لمين وان بعث حبش ايب فاحد فى ذلك بالعرم وعن المراكب لذلك وعين الهدية للسلطان والجميع للوزراء والامراء والعطايا لهم وفوض الى فى عقد نكاحه

مع أحد السلطانة وأمر بوسق ثلاثة مراكب بالتمر وقال لى يكون رجوعك بعد خمسة أيام فقال له فانا أحضر حواجة وأرجع كل سفر لى اجرتا لا بعد ثلاثة أشهر من الآن فقال له السلطان اما اذا كان الامر هكذا فامض انى وس حتى تقضى هذه الحركة وتعود الى حضرة ناصرة ومهما تكون الحركة فانت معه بحلال ما بعثت عن الحوارى والاصحاب

(ذكر ترتيب رحيله وشروعه فعله فى قتل النصارى والوثنيين)

وكانت الارض التى يسلكها عيشه واحد من الاشجار والغصب بحيث لا يستطيع أحد فامر السلطان أن يكون مع كل واحد من فى الجيش من كبير وصغير قادوم لقطع ذلك فاذا رأت المحلة تركت الى النهاية والناس معه فى هواء ثمانية لاشجار من عدو النهار الى الزوال ثم يوقف للطعام فيأكل جميع الناس طبقة بعد أخرى ثم يعودون الى قطع الاشجار الى العشى وكل من وجدوه من الكفار فى الغيضة أسروه وصنعوا حشبة مثل الصلبان وصلبوهم على كتفيه يحملهم ومعه امرأته واولاده ويوقفهم الى المحل الذى يصنعون فيه المجانيق حتى يكون له أربعة ألوية وتسمى تلك الحشبة (صليبا كافيين ويكون معه الصليب وهو مرفوع) ويصنعون على دور السلطان تلك الحشبة وهم يصرخون صراخا كبيرا لا يكاد يسمع صوت أحدهما لصوت الآخر ويقفون على تلك الحشبة الى الليل ويبيت عندها العبيد والمشاؤن ومع كل واحد منهم حزمة من رقيق القصب فاذا أحد من الكفار ليصبر واعلى الحشبة ليلا وقد كل واحد منهم حزمته التى بيده فعند ذلك تشعل النار فى الحزم ليكثر لهيبها وخرجت الفرسان فى اتباع الكفار فاما كان عند الصباح قسم الكفار المأسورون فى خمس أربعة أيام وأتى الى كل بيت من ألوية الكفار وهم مهيئون مركبت الحشبة التى كانوا يصلبون عليها فى الخمس عنده شركوا فيها حتى تتعدد هم ثم يضع سيوفهم ويبرون شعورهم فى تلك الحشبات ويضع الأولاد الصغار فى حجورهن ويتركون هنالك وتنزل المحلة ويتقدمون بقطع غيضة أخرى ويصنعون عن أمره كذلك وذلك أمر شنيع عظيم لا يحسن من الملوك وقد سمعته يحمد الله حيث وقد رأيته يوما واقفا عن يمينه وهو عن شماله وهو يأكل معه وهو أى كافر معه أمر أنه وولده سمع سمع فاشار الى لسانه فى فمه يريد بذلك أنه تقول لهم ورسوله معناه واسمعوا وحتى فقصت رقابهم وصرفت نصرى عنهم فماتت وحدت رؤسهم مطروحة بالارض وحضرت عند يوم وقد أتى برجل من الكفرة فلم يعلم فيه فاذا جماعة من الرعية قد استغاثوا سكانهم فبادرت القيام فقال لى أين فعلت أصلى العصر فعلمهم على وحلف أمر بقطع يديه ورجليه فلما عدت وجدته متشحطا فى دمائه

ذكر

﴿ذكر هزيمة الكفار وهي من أعظم فتوحات الاسلام﴾

وكان فيما حاور بلاده سلطان كافر يسمى بلال ديو (بفتح الباء الموحدة ولام مؤلف ولام ثانية ودال مهملة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وواو مكسورة) وهو من كبار ملاعين الكفار يريد عسكره على مائة ألف ومعه نحو عشرين ألفا من الخيل اهل الدعارة وذوي الحمايات والعبيد الفارين فطمع في الاستيلاء على بلاد المعبر وكان عسكر المسلمين ثمانية آلاف منهم النصف من الجياد والنصف الباقي لا خبر فيه ولا عند عندهم فقوه . اهر مدينة كان فيها فجمعوا وحضروا الى حضرة مترعوز نزل الكافر على كنار وهي من اكبر مدنهم واحصنها وحاصرها عشرة أشهر ولم يبق لهم من الطعام الا قوت ثمانية عشر يوما فعند ذلك طلب الكافران يخرجوا على الامان ويركبوا الفاشد قالوا له لا نخرج من هذه المدينة التي ملكها آباؤنا وأجدادنا فوعدهم الى تمام أربعة عشر يوما فكتب الى السلطان علاء الدين يعرفه أن كتابهم على انقضاء يوم الجمعة فيكونوا وقالوا نبيع أنفسنا من الله فان الكافر ان أحدق بمدينة نقش الى حضار فاموت تحت السيوف اولى من ان نقاتله واعلى الموت وخرجوا من العدوة وعزموا لهم عن رؤسهم وجعلوهم في أعناق الخيل وهي علامة من يريد الموت وجعلوا دون الحصن دولا بحال منهم في المقدمة وكانوا ثلاثمائة وجعلوا على مقدمة سيف الدين بهادر وكان فقيرا وعلى الميسرة الملك محمد السلحدار وركب السلطان في قلب ومعه مائة ألف وجعل لكل واحد من الثلاثة آلاف فارس ساقة لهم وعليهم اسد الدين كيخسرو والفارسي وقصدوا عسكر الكافر عند القنطرة واشتبكوا على غرة وحيدوم في المرعى فاغاروا عليها وظن الكفار انهم سراق فخرجوا اليهم على غير تعبية فوقع بهم فوصل السلطان عياث الدين فانهزم الكفار شر هزيمة وارتدسلطانها أن يركب وكان ابن ثمانين سنة فاركبه صغر الدين بن أخي السلطان الذي ولي الهند بعد فارادفه ولم يعرفه فقال له أحد غلمانه هو السلطان فاسرع وحمله الى عمه فكرمه في الظاهر حتى حمى منه الاموال والفيلة والخيل وكان بعده لسراج فما استصفى ما عنده ذبحه وسلخه وملأ جلده بالتبن فعلق على سور مترعوز يتهدد به من تعلق ولحق بالكافر المقهور ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة فتن (بفتح الفاء والتاء المشناة المشددة ونون) وهي كبيرة حسنة على الساحل ومرساها عجيب قد صنعت فيه تبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخام يصعد اليها على طريق خشب مسقف فاذا جاء العدو هجم اليها الاحمال التي تكون بها رمي وصعدها الرجال والرماة فلا يصيب العدو فرصة وبهذه المدينة مسجد حسن مبني بحجارة وبها العنب الكثير والرمان الطيب ولقيت الشيخ الصالح محمد النيسابوري أحد الفقراء الواصلين الذين يسدلون شعورهم على أكتافهم ومعه سبع زوايا يأكل مع الفقراء ويقعد معهم وكان معه نحو ثلاثين فقيرا لا حد لهم غير انه تكون

مع الاسد فى موضع واحد فلا يعرض لها وأتت بمدينة مرو وكان السلطان غياث الدين قد صنع له احد ابوكيه حوضا للقوة على الجماع وذكروا ان من جملة حدقه ما ذكر فأكل منها فوق الحاجة فمرض ووصل الى قتل فخرجت اليه بقدحه وأهديت له هديه فلما استقر بها بعث عن قارورة الحمر وحاجة سرور فقال له لا تستعمل سوى الفراكب المعتمة للصفرة واراد ان يعطى قيمة الهديه فابيت ثم اقمت لا اتعاطى شيأ وأقمت بمرو نحو نصف شهر ثم رحل الى حضرته وأقمت أنا بعده نصف شهر ثم رحلت الى حضرته وهى مدينة مرو (بضم الميم وسكون الراء بعدها واو وفتح الواو) مدينة كبيرة متسعة متنوع وصول من تحمدها حضرة صهرى السلطان الشريف حفار الدين احسن شاه وحفظها الله تعالى واحسن شاه هذا قد تقدمت وحدث بها وماتت بمرو لثمان من موتى هذه فى مرض مدته نحو ثلاثة ايام وأنشدنى ابن أمونة قال لما مرضت فكنت اداجر حسب الارض لاجل مرضها أومشيت واجريت ماجارية على بهيمة صحيحة فمات فى يوم آخر ولما وصلت الى مرو الى ان توفى الله تعالى ما أقمت بها من الايام اقمت بمنزل وجيه من وزراء السلطان أحسن شاه ومعها ابن لها اسمه [illegible] ست سنة أعزم بين كيس فمن فملكت ضعف حالها فاعطيتها نفقة وهى تحمل سوين [illegible] من العدحات تعد لولدها المذكور كما وادا قد توفى من حينه وست ارن عمارة السلطان حين مات امتين من الخدم البلاى أى بهن لدق الارز اسمهن مرجان وهن مريضات قد طرحن أنفسهن فى النعش ولما دخل السلطان منزله وجد أمه وامرأته وولده مرضى فاقام بالمدينة ثلاثة أيام ثم خرج اى سرعى فرسخ منها كرت عليه كتيبة للكفار وخرجت اليه فى يوم جيش فامر بارا ى الحاجب اقدمى فلما صرت فى الاخرية رأيت الناس يسرعون ويموج بعضهم فى بعض فقيل ان السلطان مات ومن قتل ان ولده هو المبيت ثم تحقق ذلك فكان الولد هو المبيت ودفن له سوء فكان موته بمارد فى مرضه وفى الجيش بعد توفيت أم السلطان

﴿ذكر وفاة السلطان وولاية ابن أخيه وعصيان عمه﴾

وفى الجيش الثالث توفى السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول الى المدينة خوف الفتنة ولقيت ناصر الدين ابن اخيه الوالى عند خروجه الى المحلة قد وجه عنه ابليس للسلطان وقد غلب فى الرجوع معه فابى وأشرت فى قلعه وكان بابن [illegible] حديما بدهلى قبل ان يملك عمه فلما ملك عمه هرب فى برى الهند فمكان من الهند ملكه تعبده والمابوع مدحته لشعرا فاجزل لهم العطاء وأول من قدم مشهد اقتضى صدر الدين فاعطاه خمسمائة دينار وخلعة ثم الوزير المسمى بالقاضى فاعطاه لسبى دينار راهم واعطى

أنا

الى ثلاثمائة دينار وجملة وبث الدقات فى الدرة والمساكين ولما خطب الخطيب أول خطبة خطبها باسمه نثرت عليه الدنانير والدراهم فى طبق الذهب والفضة وعمل عزاء السلطان عياث الدين فكانوا يجتمعون الفقراء على قبره كل يوم ثمانية عشر ألفا ويطعمون بالطعام فيأكل الناس ثلثين ألف درهم لكل انسان على قدره وأقاموا على ذلك أربعين يوما ثم يعملون ذلك فى مثل يوم وفاته من كل سنة واول ما بدأ به السلطان ناصر الدين ان عزل وزير عمه وطلبه بالاموال وولى الوزارة مكان بدر الدين الذى بعثه عمه الى وأمر بقتله ليتلقانى فتوفى سريعا وولى الوزارة خواجه سرور وأمره بالبحر وأمران يخاطب بخواجه جهان كما يخاطب الوزير بالهند ومن خاطبه بغير ذلك عزم دنانير معلومة ثم ان السلطان ناصر الدين قتل ابن عمه المتزوج بنت السلطان عياث الدين وتزوجها بعده وبلغه ان الملك سعد دار ارد فى محبسه فبعث موته فمات أيضا وقتل الملك بهادر وكان من الشجعان المكرمين الفضلاء وأمر لى بجميع ما كان عينه عمه من المركب برسم الجزائر ثم أصابنى الحمى القاتلة هناك فصدت لها لقاصية والمعى الدواء المرالهندى وهو هناك كبير فاخذ من لحوره طل منه وحلته فى الماء ثم شربته فاسهلنى ثلاثة ايام وعافانى الله من مرضى فكرهت المدينة وطلبت الادن فى السفر فقال لى السلطان كيف تسافر ولم يبق لايام السفر الى الجزائر غير شهر واحد اقم حتى يخلص لى جميع ما أمر لك به من عند عمه وكتب لى الى قفل لاسافر فى أى مركب أردت وصدق الى قفل فوجدت ثمانية من المراكب تسافر لى اليمن فاخترت فى احدها ولقيت أربعة اجهان فمكثنا يسيرا ثم انفصلت ووصلت الى كولم وكان فى نفسى مرض فاقمت بها ثلاثة أشهر ثم ركبت فى مركب يقصد السلطان جمال الدين الهنورى فخرج علينا الكفار بين هنور وفاكنور

﴿ذكر سلب الكفار لنا﴾

ولما وصلنا الى الجزيرة المعروفة بين هنور وفاكنور خرج علينا الكفار فى اثنى عشر مركبا حربية وقاتلونا قتالا شديدا وتغلبوا علينا فاخذوا جميع ما عندى مما كنت أدخره للشدائد وأخذوا الجواهر والياقوت التى اعطانيها ملك سيلان واخذوا ثيابى والزوادات التى كانت عندى مما اعطانيه الصالحون والاولياء ولم يتركوا لى سوى الحلاء السراويل وأخذوا ما كان لجميع الناس وتركونا بالساحل فرجعت الى قلقوط فدخلت بعض المساجد فبعث الى احد الفقهاء ثوبا وبعث بقاضى عجامة وبعث بعض التجار ثوبا آخر وتعرفت هناك بتزويج الوزير عبد الله بالسلطانة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين وبأمر وحتى التى تركتها حاملا ولدت ولدا ذكرا فحضر لى السفر الى الجزائر وتذكرت العداوة التى بينى وبين الوزير

عبد الله فتحت المصحف فخرج لي تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا فاستحرت الله وسافرت فوصلت بعد عشرة أيام الى جزيرة ديبة المهل ومن اراد منها بكلوس فاكرمني واليها عند العرض فقدمت وفي وجه برلي كدرة ووصلت بعد ذلك الى هالي وهي الجزيرة التي صرح السلطان واخواتها اليها برسم التفريج والسياحة وتسمى ذلك الفخر ويلعبون في المراكب ويبعث لهما الورواه والامراء بالهدايا والتحف متى كانت بها ووجدت بها احد السلطانه وروحها الخطيب محمد بن الورر جمال الدين وامه التي كانت روحتي فجاء الخطيب الى وانوا بالطعام ومر بعض أهل الجزيرة الى الورر عبد الله فاعلموه بقدومي فسأل عن حالي وعن قدم معي واخبرني جئت برسم حمل ولدي وكانت سنه نحو عامين واثنا عشر شهرا فتكوم من ذلك فقال لها أنا لا أمنعه من حمل ولده وصادرني في محمول الحرير وبرلي سارق من برج قصره ليتطلع على حالي وبعث اليه بكسوه كامله وبالقبول ومعه الورد على عادتهم وحشت شوقي حرير للرمي عبد السلام وحدوهما اولم يخرج الورر الى تلك اليوم واني الى ولدي فسهر لي ان اقامته معهم حيرله فردوته اليهم واقمت خمسة أيام وذكر لي ان تعيين السفر اولى فطلبت الاذن في ذلك فاستدعاني الوزير وحدثت عليه واتوني بالورر الذي احدوهما معي فرحبهما عند السلام على العادة وابلغني الى حسنه وسألني عن حالي وأكلت معه طعام وغسلت يدي معه في الدست وذلك شيء لا يعمل مع أحد واتوا بالتحول واصرفت وبعث اليه ثوابا وديناري من الودع وأحسن في أفعاله وأجمل وسافرت فاقمت على جزيرة الحجر ثلاثة واربعين ليلة ثم وصلت الى بلاد صفاله (وصفاله بفتح الفاء وحدة وسكون النون وجيم مفتوح وألف ولام مفتوح) وهي بلاد متسعة كثيرة الارز وهم أرخص الناس أسعارا مهب لكم مطلقة وأهل جراسان سموهب دورجست (دورج) نور (نر) تمة معناه عندهم ملائكي بالعم رأيت الارز يبيع في اسراقها خمسة وعشرين رطلا دهلية بدينار فضي والدينار الفضي هو ثمانية دراهم ودرهمهم كالدرهم النقره سواء وارطال دهلي عشرون رطلا مغربية وسمعتهم يقولون ان ذلك علاء عندهم وحدثني محمد المعمودي المغربي وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديما ومات عندي بدهلي انه كانت له زوجة وخدم فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم وانه كان يشتري الارز في شهر بحساب ثمانين رطلا دهلية بثمانية دراهم فاذا دقشرج منه خمسون رطلا صافيه وهي عشرة قناطير ورأيت البقرة تباع بها الجمل بثلاثة دنانير فضة والغنم بالدراهم الجوامين ورأيت الدجاج السمين يباع بحساب ثمان بدرهم واحد ومراح الحمام يباع جملة عشر منها بدرهم ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين ورطل السكر باربعة دراهم وهو رطل دهلي ورطل الجلاب بثمانية دراهم ورطل السمن باربعة

دراهم

دراهم وطول السمسم درهمين ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي ذرعه ثلاثون ذراعا يباع بدينارين ورأيت الجارية المليحة للحرائر تباع بدينار من الذهب واحد وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المعروف واشتريت بعضها لنفسي عاشورة وكان لها جمال بارع واشتري بعض أصحابي غلاما صغيرا السن حسن الصورة بسبعة دنانير من الذهب وأول مدينة دخلناها من بلاد نجحالة مدينة سركاوان (وضبط اسمها بضم السين وسكون الدال المهملتين وفتح الكاف والواو وآخر نون) وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الاعظم ويجتمع بها مراكب الكفار الذي يجيء اليه الهند وبها الهنود وهم صنفان في البحر والسم في النهر مراكب كثيرة وتجار وهي أنهى بلاد التكرور

﴿ذكر سلطان نجحالة﴾

وهو السلطان فخر الدين الملقب بكبره (بالفاء والخاء المعجمة والراء) سلطان فاضل محسن في الغرباء وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكان ملكه هذه البلاد للسلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بن وهو الذي ولد معز الدين امبت دهلي فوجه لقتاله والتقيا بالهر وهي لقاؤهم لقاء السعدين وقد ذكرنا ذلك عند ذكرنا لولده وعوده الى نجحالة فاقام بها الى أن توفي وولي ابنه شمس الدين الى أن توفي وولي ابنه شهاب الدين الى أن غلب عليه اخوه غياث الدين بهادور بوصية من شهاب الدين بالسلطان غياث الدين تعلق فنصره وأحسن اليه وورد أسيرا ثم أطلقه اسمه محمد لما ملك على ريق سلطنته فمكث عليه فقتله حتى قتل وولي على هذه البلاد بعد قهره الى فقده العسكر ابنه ولي على ملكها على شاه وهو اذ ذاك بلاد التكرور فلما رأى فخر الدين ان الملك قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو مولى لهم خالف بسركاوان وبلاد نجحالة واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه وبين على شاه واداك كانت أيام الشتاء والوحل فعجز فخر الدين على بلاد التكرور في البحر لقوته فيه واذا عادت الايام التي لا مطر فيها اغار على شاه على نجحالة في البر لقوته فيه

﴿حكاية﴾

واتفق حين انفصل السلطان فخر الدين الى ان حضر أحد هؤلاء الذين في الملك بسركاوان وكان يسمى شيدا (بضم الشين المعجمة وبدال مهملة بعدها ياء آخر الحروف) وخرج الى قتال عدوه فخالف عليه شيدا واراد الاستبداد بالملك وقبض ولد السلطان فخر الدين لم يكن له ولد غيره فعلم بذلك فكر عائدا الى حضرته فغر شيدا ومن اتبعه الى مدينة سركاوان وهي منيعة فبعث السلطان بالعساكر الى حصاره فحاف اهلها على أنفسهم فقبضوا على شيدا وبعثوه الى عسكر السلطان فكتبوا اليه بامره فامرهم ان يبعثوا له رأسه فبعثوه وقتل بسببه جماعة

كثيرة من الفقراء ولما دخلت سدكاوان لم أرسلطانها ولا لقيته لانه مخالف على مذهب الهند فخفت عاقبة ذلك وسرت من سدكاوان قاصد حيال كامروهي (بكسر الكاف والميم وسكون الراء) وبينها وبين سدكاوان مسيرة شهر وهي حيال متسعة متصلة بالصين وتتصل بضفا بلاد التبت حيث غرلان الملك وأهل هذا الجبل يشمون الترك ولهم فرة على الخدمة والغلام منهم يساوي أضعاف ما يساويه الغلام من غيرهم وهم مشهورون بمعاناة السحر والاشتغال به وكان قصدي بالمسير الى هذه الجبال لقاء ولي من الاولياء بها وهو الشيخ جلال الدين التبريزي

﴿ذكر الشيخ جلال الدين﴾

وهذا الشيخ من كبار الاولياء وافراد الرجال له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو المعمر بن أخبرني رحمه الله أدرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بينهما حين قتله وأخبرني انه بعد هذه المدة المذكورة نحو ستمائة وخمسين سنة وكان له نحو أربعين سنة يسرد الصوم ولا يفطر الا بعد مواصلة عشرة وكان له قرة يفطر على حليبها يوما ويوما لا وكان كامل الخلق نحيف الجسم طوالا خفيف العارضين وعلى رأسه أهرنات الجبل ولحيته أطول من ذلك

﴿كرامة له﴾

أخبرني بعض أصحابه انه استدعاهم قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم اني أسافر عنكم غدا ان شاء الله وخليفتي عندكم الله الذي لا إله الا هو فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا في جيب ثوبه الذي كان يكثر من التحدر عليه الكحل والخيوط فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه يرحمه الله

﴿كرامة له أيضا﴾

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه فأخبروني ان الشيخ قال للفقراء الذين معه تيمموا لكم شيخ المغرب فاستقبلوه وأتوا به الى أمر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمري وانما كوشف به وسرت معهم الى الشيخ فوصلت الى زاويته خارج العمارة ولا عمارة عندها وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل منها الفقراء والواردون وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يقدر على حليبها بعد عشر كما قدمناه ولما دخلت عليه قام الي وتلقاني وسألني عن بلادي واسمي فأخبرته فقال لي أنت مسافر العرب فقال له من حضر من أصحابه نعم يا سيدي فقال والله ما كرموه فاحتملوني الى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام

حكاية

﴿حكاية عجيبة فى ضمنها كرامات له﴾

ولما كان يوم دخولى الى الشيخ رأيت عليه فرجية مرعزا فاعجبتنى وقلت فى نفسى ليت الشيخ اعطانيها فلما دخلت عليه للوداع قام الى جانب الغار وخلع الفرجية ولبسها مع طاقية من رأسه ولبس مرقعة فاخبرنى الفقراء ان الشيخ لم تكن عادته ان يلبس تلك الفرجية وانما لبسها عند قدومى وانه قال لهم هذه الفرجية يطلبها المغربى ويأخذها منه سلطان كافر ويعطيها لاخينا برهان الدين الصاغرجى وهى له ورسمه كانت قبل اخبرنى الفقراء بذلك قلت لهم قد حصلت لى بركة الشيخ بان كسانى لباسه وانا لا أدخل هذه الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ فاتفق لى بعد مدة طويلة انى دخلت بلاد الصين واتيت الى مدينة لحسا فاقمت بها أشهرا لكثرة الرخاء وكانت الفرجية على قبيب أرى بها العرق اذا ما لوح برقى موكب عظيم فوقع بصرى عليه فاستدعانى واحضرنى وسألنى عن مقصدى ولم يفارقنى حتى وصلت الى دار السلطان معه فاردت الانفصال فمنعنى ودخل على السلطان فسألنى عن سلاطين الاسلام فاخبرته وذكر ان الفرجية فاستحسنها فقال لى الوزير خذها فلم يمكنى خلاف ذلك فاخذها وأمر لى بعشر خلع وعشر بدر ونفقة وتعبير خاصرى لذلك ثم تذكرت قول الشيخ تاخذها سلطان كافر فعظم ذلك على من ذلك ولما كان فى السنة الاخرى دخلت دار مملكة الصين خان بالق وقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجى فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها فعجبت من دلالة وقد نهايتى فقال لى لم تعلمها وأنت تعرفها فقلت له نعم هى اتى أخذتها من سلطان الحسا فقال لى هذه الفرجية صنعها أخى جلال الدين رسمى وكتب انى ان الفرجية خصت على يد فلان ثم أخرج لى الكتاب فعرفته وتحققت من صدق نبى الشيخ واعتقدت ان الحكاية فقال لى اخى جلال الدين أكبر من ذلك هو يتصرف فى الكون وقد انتقل الى رحمة الله ثم ذكر لى بلغنى انه كان يصلى الصبح كل يوم بمكة وانه يجمع كل عام لانه كان يغيب عن الناس يوم عرفة والعيد فلا يعرف أين ذهب ولما توفى الشيخ جلال الدين سافرت الى مدينة جينق (وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الهملة والياء الموحدة وسكون النون وقاف) وهى من أكبر المدن واحسنها يشقها النهر الذى ينزل من جبال كامرو ويسمى النهر الازرق وسافرت فيه الى بحالة وبلاد اللكوى وعليه المواعير والبساتين والقرى يمنة ويسرة كما هى على نيل مصر وأهلها كفار تحت ذمة يؤخذ منهم نصف ما يزرعون ووجد ألف سوى دلالة وسافرت فى هذا النهر خمسة عشر يوما بين القرى والبساتين فكانت تمشى فى سوق من الاسواق وفيه من المراكب ما لا يحصى كثرة وفى كل مركب منها طبل فاذا التقى المركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على

بعض وأمر السلطان فخر الدين المذكور أن لا يؤخذ من ذلك النهر من الصفر اء نول وان يعطى الزاد لمن لا زاد له منهم واذا وصل الفقير الى مدينة اعطى نصف دينار وبعد خمسة عشر يوما من سفره في النهر كما ذكرنا وصلنا الى مدينة سركاوان وسر (بضم السين المهملة والراء وسكون الراء) وهي المدينة التي قبض أهلها على الفقير شيدا عند ما لجأ اليها واوصلت هذا وجدنا بها جنكاريد السفر الى بلاد الجاوة ويبعدون يوما فركبنا فيه ووصلنا بعد خمسة عشر يوما الى بلاد البرهنكار الذين أفواههم كافواه الكلاب (وضبطه بفتح الباء الموحدة والراء والهاء والكاف وسكون الهاء) وعندهم لحافة من الصفح لا يرحلون الى غيره ولا الى الخنود وسكانهم في بيوت قصب مسقفه بحشيش الارض على شاطئ البحر وعندهم من أشجار الموز والفوفل والتنبول كثير ورجالهم على مثل صورنا الان أفواههم كافواه الكلاب وأما نساؤهم فلس كذلك ولهن جمال بارع ورجالهم عرايا لا يستترون الا الواحد منهم يحمل ذكره وأنثييه في خرقة من القصب منسوجة معقفة في ذنبه ويستر نساؤهم عوراتهن بشجر ومعهم جماعة من الهنادس من أهل بجاله واعدادهم ساكنون في جزاره على حدة لا يجاورون بهم بيتا لكونهم كالبهائم لا يستترون بشيء ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فما دون ذلك أو فوقه وانهم لا يرون واد أحدهم حتى يحمل ان يصلب حتى تموت أو تولد صاحبه أو عنده فيصلب عوضها ويفرح هو وجميع أهل بيته بذلك فاذا حملت جميع جداته فيجتمعون لها واحدا بعد واحد بحضرته حتى تموت ويرمون بها في البحر ومن ذلك لا يتركون أحدا من أهل المراكب ينزل بهم الا ان كان من المقيمين عندهم واذا جاء يعوم الناس ويشترونهم على الساحل ويسقون اليهم الماء على البعد لئلا يقربوا من الساحل ولا يتركونهم لاستيلائه خوفا على نسائهم لانهن يحملن من الرجل الحسان والجميل كثير عندهم ولا يبيعها أحد غير سلطانهم ثم يشترى منهم بالاثواب وهم كلام عرب لا يفقه الا من ساكنهم وأكثر التردد اليهم من ساحل تنوا البيبالي فوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة محفورة وجزائرهم كثيرة الموز والتنبول والفوفل والسمك

﴿ذكر سلطانهم﴾

وأتى الينا سلطانهم راكبا على فرس عليه شبه دراعة من الحرير وبات من الصنف نوب من جنود المغرى وقد جعل الوزير على رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات وفي يده حربة من القصب ومعه نحو عشرين من اذرعه على الخيل فبعثنا اليه هدية من العسل والزبيب والفرفة والحوت المدى يكون بجزائر ديبة امين واوان بجاليقة وهم لا يلبسون الا ما يكسوهم الفقير في أيام عيدهم وهذا السلطان على كل من ركب من بلاده بجاريه ومعلوك

وثياب

وثياب الكسوة الفيس وعلى ذهب تحمل ذره حتمه فى مخزنها واصابع رحليها ومن لم يعط هذه الوظيفة صعد الى سحرا بجبل القمر فمات أو يمارب الهلاك

﴿حكاية﴾

واتفق فى ليلة من ليالى اقامتنا برسا هم غلاما صاحب المركب عمن تردد الى هؤلاء الطائفة نزل من المركب ليلا وتوا عدمع امرأة أحد كبرائهم الى موضع شبه أنهار على الساحل وعلم بذلك وجماعة فى جمع من اصحابه الى العار فوجدهما يحملان الى سلطانهم فامر بالعلام فقطعت انثييه وصلب وأمر بالمرأة فشهرها الناس حتى ماتت ثم جاء السلطان الى الساحل فاعتذر عما جرى وقال انا لا نحمد بدا من امضاء احكامنا ووهب لصاحب المركب غلاما عوض الغلام المصلوب ثم سافرنا عن هؤلاء وبعد جمعة وعشرين يوما وصلنا الى جزيرة الجاوى (بالجيم) وهى التى يسميها البيان الجاوى رأينا فيها على مسيرة نصف يوم وهى جزيرة كثيرة الخير وأكثر أشجارها النارجيل والموز والقرنفل والعود الهندى والكبابة والعنبر والعاج والجوز والسارج الحلو وقصب السكر فور وبيع أهلها وشراؤهم بقطع قصدير والذهب الصينى الا بغير المدلول والكثير من أوانيه الصين التى بها انما هو بنقد الكفار بها وأما الاواني الصينى فهو أقل من ذلك ولما وصلت المرسى خرج الينا اهلها فى مراكب صغار ومعهم جوز النارجيل والموز والعنبة والسمك وعادتهم ان يهدوا ذلك للتجار فيكافيهم كل انسان على قدره وبعد الايام أيضا ركب صاحب البحر وشاهدت من محاسن البحار وأدب اهلها فى النزول الى البر فقرأت الى البندر وهى قرية كبيرة على ساحل البحر يهدور (بضم الهاء وسكون الدال المهملتين وضم الراء المهملة) وبينها وبين الملدار بعة اميال ثم كتب بهرور ائب صاحب البحر الى السلطان فعرفه بقدومى فامر الامير ولاية بلقاني والقاضى الشريف امير سيد الشيرازى وسراج الدين الاصبهانى وسواهم من الفقهاء فخرجوا لذلك وحاز اهرس من مراكب السلطان واقراس سواه فركبت وركب أصحابى وحملت الى حضرة السلطان وهى مدينة صغيرة (بضم السين المهملة والميم وسكون الدال وفتح الراء) مدينة حسنة كبيرة عليها سور خشب وابراج خشب

﴿ذكر سلطان الجاوة﴾

وهو السلطان المعظم الطاهر من فضلاء الملوك وكرمائهم شافعى المذهب محب فى الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع يأتى الى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون فى الجهاد يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على من يليهم من الكفار والكفار بعضهم الجزية على السلم

﴿ذكر دخولنا الى دار الوالي واحسانه الينا﴾

ولما قصدنا الى دار السلطان وجدنا الغرب منعه ما حاصر كورة عن جانبي الطريق هي علامة على نزول الناس فلا نجاورها من كان راكبا فترك عندها ودخلنا المشور فوجدنا نائب السلطان وهو يسمى عمدة الدين فقام لنا وسلم علينا وسلمنا عليه بالمصافحة وقعد معه وكتب بطاقة الى السلطان يعلمه بذلك وختمها ودفعها لبعض الفتيان فاخذ الجواب على ظهرها ثم جاء أحد الفتيان بعشية والبقية (بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجمة) هي السبيئة فاخذها النائب بيده واحد بيدي وادخلنا الى دور ويسمونها فردخانة على وزن ردخانة (الاان أولها فاء) وهي موضع راحته بالنهار وفي العشيات يأتي السلطان الى المشور بعد الصبح ولا ينصرف الا بعد العشاء الآخرة وكذلك الوزراء والامراء الكبار وخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن والاخرى حرير وكتان واخرج ثلاثة أثواب يسمونها اطلسات من حرير الفوط واخرج ثلاثة من الثياب مخملة الاحساس تسمى الوشيات واخرج ثلاثة ثياب من الاطلس احدهن أبيض وأخرج ثلاث عمائم فلبست فوطة منها وعوض السراويل على عاتقهم وثوبا من كل جنس واحدا أحمر الى ما يلي ركبتها ثم حزاه بالعمائم أكثر الاثر ثم ثوبا من القماش ثم ثوبا التنبون وهو علامة الانصراف فاحدثاه وقاما وقام النائب انتباما وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأوصلنا الى بستان علية محاط حائط وفي وسطه دار سماوها الخشب مغروشة بقطائف قصب يسمونها المحملات (بالميم والحاء المهملة) ومنها مصنوع وغير مصنوع وفي البيت أسرة من الخيزران فوقها مصربات من الحرير وحشو حشف ومخاد يسمونها الوشت فجلسنا بالدار ومعنا النائب ثم جاء الامير دولشة بحماريين وخادمين وقال لي يقول لك السلطان هذه على قدرك لا على قدر السلطان محمد ثم خرج النائب وبقي الامير دولشة عندي وكانت بيني وبينه معرفة لانه كان ورد رسولا على السلطان بدهلي فقلت له متى تكون رؤية السلطان فقال لي ان العادة عندنا ان لا يسلم القادم على السلطان الا بعد ثلاث ليذهب عنه تعب السفر ويثوب اليه ذهنه فاقمنا ثلاثة أيام بأتي لي الطعام ثلاث مرات في اليوم وتأتينا الفواكه والطرف مساء وصباحا فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة اتاني الامير دولشة فقال لي يكون سلامك على السلطان قصور الجامع بعد صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة وصليت ركعتين مع حاجبه قبران (بضم القاف وسكون الباء آخر الحروف وآخر الراء) ثم دخلت الى السلطان فوجدت القاضي أمير سيد والصلاة عن يمينه وتمت له قصة طويلة وسلمت عليه وجلست عن يساره وسألني عن السلطان محمد وعن أسفاري فاجبته وعاد الى المذاكرة في العقد على

مذهب

مذهب الشافعي ولم يزل كذلك الى صلاة العصر فلما صلاها دخل بيته واخذ منه ثياب الملك التي كانت عليه وهي ثياب الفقهاء وهي التي لبسها أول المسجد يوم الجمعة وهي ثياب الملك وهي الاقبية من الحرير والقصب

﴿ذكر انصرافه الى داره وترتيب السلام عليه﴾

وما خرج من المسجد وحد الطبل والخيل على بابه والعساكر عندهم فلما ركب السلطان الفيل ركب من معه الخيل والعساكر ركبوا الفرس وركبوا الفيل ويكون أمام العلم عن يمينه فركب ذلك اليوم على الفيل وركب الخليفة ومشى معه الى المشور فنزل حيث العادة ودخل السلطان راكبا وقد اصطف في المشور الوزراء والامراء والكتاب وأرباب الدولة ووجوه العسكر صفوفا فاول الصفوف صف الوزراء والكتاب ووزراؤه اربعة فما دونه وانصرفوا الى موضع وقوفهم ثم صف الامراء فساروا وصاروا الى مواقفهم وكذلك تعين كل طائفة ثم صف الشرفاء والفقهاء ثم صف الدعاة والحكماء والشعراء ثم صف وجوه العسكر ثم صف الصبيان والمماليك ووقف السلطان على فيله راكبا قبة العروس ورفع فوق رأسه شمسة مرصعة وحف عن يمينه جملون فيلان مزينة وعن شماله مثلها وعن يمينه أصاغر فرس وعن شماله مثلها وهي حيل النوبة ووقف بين يديه سواس الحراب ثم ان أدنى الفرس من الرجل فعه واخذ بيده وأدخل شكلة بالطبر لها حلاجيس ذهب وارسان حرير مرصعة فرمحت الخيل من بين يديه فحصت من شأنها وكنت رأيت مثل ذلك عند ملك الهند ولما كان عند العروج من السلطان الى داره وانصرف الناس الى منازلهم

﴿ذكر حلاف ابن أخيه وسبب ذلك﴾

وكان له ابن أخ متزوج بنته فولاه بعض البلاد وكان الذي تعلق به بعض الامراء ويريد تزويجها والعادة هناك انه اذا كانت لرجل من الناس امير أو موفى او سواه بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا يتأمر السلطان في شأنها ويبعث السلطان من النساء من تنظر اليها فان أعجبته صفتها تزوجها والا تركها بتزوجها ولي من شاء من بني اعمامها فكذلك يفعلون في تزويج السلطان بناتهم لما يحذرون به من الحقد والحسد فولاه السلطان وهذه البنت التي تعشقها ابن أخي السلطان يبعث السلطان من ينظر اليها وتزوجها وشد شعف اعتنى بها وليحد سبيلا اليها ثم ان السلطان خرج الى الغزو وبينه وبين ابن اخيه مسير شهر فخلف ابن أخيه الى سمنة وترحلها ولم يحكن عليها سور حينئذ وادعى الملك وتابعه بعض الناس وامتنع اخرون وعلم عمه ذلك فعمل عند اليها واحد ابن أخيه ما قدر عليه من الاموال والذخائر وأحد الجواري التي تعشقها وقصد بلاد الكفر على جاوة ولهذا بنى عمه السور على سمنة وكانت

افامتى عنده بسمطرة خمسة عشر يوما ثم حلبت منه السمراد كان أوانه ولا يتهيأ السمر الى الصين فى كل وقت شهر لما حكاوروده واوأحمر وأحمل جرا الله خير او بعد معتاص أصحابه من يأتى لنا بالصين فقال لجمله وسيقرب يصول بلاد الهند وعشرين ليلة وصلنا الى مملكة جاوة (بضم الميم) وهى بلاد الكفار وطعامهم قشور وبها الافاوية العطرة والعود الطيب الفاقلى والعمارى قليل وجد من بعض بلادها وليس عندهم اسلام الا اسم لحاوا الالمان والكافور وشئ من القرنفل وشئ من العود هندى وانا معهم ذلك حول ولقد كرمنا هذه منها ووقفنا على أعيانه وحققناه

﴿ذكر اللبان﴾

وشجر اللبان صغير تكون قدر قامة الانسان الى ما دون ذلك وأغصانه كاغصان الخرشف وأوراقها صغار رقاق ورب ما سقطت ومعيت لشجر مع ورق ولبان صمغية تتحات من أغصانها وهى فى بلاد المسلمين أكثر منها فى بلاد الكفار

﴿ذكر الكافور﴾

واما شجر الكافور وهى قصب كقصب بلادنا لان الانبوب منها طويل وأعلاه ويكون الكافور فى داخل الانبوب فاذا كسرت القصبة وجد فى داخل الانبوب مثل نكاه من الكافور وانما التعجب فيه انه لا يتكون فى تلك القصب حتى يموت عندأصولها شئ من الحيوان والالم يتكون شئ منه والطيب المتماشى فى البرود الذى قيل منه وزن الدرهم جميد اربع وهو المسمى عندهم بالبرد الله هو الذى يموت عند قصبه الآدمى ويقوم مقام الآدمى فى ذلك الفعل الصغار

﴿ذكر العود الهندى﴾

وأما العود الهندى شجره يشبه شجر البرقوق الذى شجر رقيق وورقه كورق الخلاط سواء ولا ثمر له وشجرته لا تعدم كل العدم وعروقه تطول وتمتد وطيب الرائحة بعيد وأجود عيدان شجرته وورقها فلا عصر بها وكل ما يدانيها من شجره قريب مثلك واما الذى فى بلاد الكفار فأكثر وغير مثمر والمثمر منه هو الذى كان بعد قلة وهو أطيب أنواع العود وبيعوده لاهل الجاوة للاثواب ومن العمرى صنف يطبع عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن فى التراب شهرا فتبقى فيه فونه وهو من أعجب أنواعه

﴿ذكر القرنفل﴾

وأما شجر القرنفل فهى عديدة صنعة وهى ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الاسلام وليست بمملكة لكثرتها والمجلوب الى بلادنا منها هو العيدان ولدى يسميه أهل بلادنا نوار القرنفل هو

الذى

الذي يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارنج وثمر الفرصل هو حمر يزرع المعروفة في بلادنا بالجورة الطيب والزهر المتكون فيها هو السبب فرأيت ذلك كله وشاهدته ووصلت الى مرسى قلعة فوجدنا به جمعا من الجنوك معدة للسفر به ولم يستطع عليهم من احتوائهم لهم على كل حيث وطيقة ثم رحلنا من الجبل الى مدينة قلهد وهي قاعدة اخرها مصوم ولا لها مفتوح وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة محصونة عرضه بحيث تسير فيه ثلاثة من الفيلة وأول مدرأيت بحار حتى الفيل عليم الاحمال من العود الهندي يوقدونه في سوقهم ويوقيه الحطب عندنا وارخص ثم عدد ان عوا بما يهم وأدخلوا فيه يبعوا احمل منه بثوب من ثياب القطن وهي أغلى عندهم من ثياب الحرير والفيلة هنا كثيرة جدا عليها راكبون ويحملون وكل انسان يربط فيله على بابه وكل صاحب حانوت يربط فيله عنده ركبه الى داره وتحمل وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب

﴿ذكر سلطان ملي جاوة﴾

وهو كافر رأيته متاريح قصره جالسا على قنطرة بين يديه وبين الارض بساط وعنده أرباب دولته والعسكر يعرضون عليه معاشهم ولا يحل لاحد من ذلك الا عند السلطان واما راكبون الفيله وعليها بقلاوين فعرف شأني واستدعاني فلما قربت وقف السلام على من اتبع الهدى وهو يقهقه الالفاظ السلام فرحب بي وأمرني ان اجلس بين يديه فجلست للترجمان كيف أجلس على الثوب والسلطان قاعد على الارض فقال هكذا عادتنا يقعد على الارض تواضعا وأنت ضيف وجئت من بلاد بعيدة فاجلس كيف اكرمت فجلست وسألني عن السلطان فاوجزت في سؤاله وقال لي تقيم عندنا في الضيافة ثلاثة أيام وبعدها تكون انصرافك

﴿ذكر تجهيزه قرابته لخدمته﴾

ورأيت في مجلس هذا السلطان رجلا سمعته يكنى شيخ يكنى المسمر فدوصعه على رقبة ابنه وتكلم كلاما كثيرا فيه ثم مسك الكبير يده معا ووضع عنق ابنه فوقع رأسه لجهة الكبير وشد دامه كله الارض فتعجبت من شأنه وقال لي السلطان أيعجبك أحد هذه عندكم فقلت له ما رأيت هذا قط فتحجب وقال هؤلاء عبيدنا يفعلون أنفسهم في محبتنا وأمرنا فرفع وأحرق وخرج لاحراقه الثواب وأرباب الدولة والعساكر والرعايا وأحرى الرقيق الواسع على أولاده وأهله واخوانه وعصبته لاحصى لهم وأحضرني من كان حاضرا ذلك المجلس ان الكلام الذي تكلم به كان تقرير المحبة في السلطان وانه يقتل نفسه في حبه كما قتل ابنه نفسه في حب ابيه وحد نفسه في حب جده ثم انصرفت عن المجلس وبعث لي بضيافة ثلاثة أيام وسافرنا في البحر فوصلنا بعد اربعة وثلاثين يوما الى البحر الكاهل وهو اول ما فيه جزيرة تعرف بالنهامي

تربة ارض تحاور ولا يرج فيه ولا موج ولا حركة مع اتساعه ولا حس هذا البحر تسع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب كما ذكر بأنه تحدث به فخر ويصنعون في الجنك مع ذلك نحو عشرين مجدافا كبارا كالصواري يجتمع على المجداف منها ثلاثون رجلا يحركونها ويقومون قياما صفين كل صف يقابل الآخر في المجداف جلان عصيين كالصواري فتحدث احدى الطائفتين الجبل ثم تتركه وتحدث الطائفة الاخرى وهم يعنون عند ذلك باصواتهم الحسان وأكثر ما يقولون لعلي لعلي والغلبة على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوما وتحت البحر يتم التسهيل فيه فانهم يقطعون فيه خمسين يوما الى اربعين وهي أنهى ما يكون من التيسير عليهم ثم وصلنا الى لاهوري وهي (بضم اللام المهملة والواو وكسر السين المهملة) ومعناه هو المسمى بطوالسي وهي بلاد عريضة وملكها يضاهي ملك الصين ولها الحنوك الكبيرة قتالة لها أهل الصين حتى يصادوه على شيء وأهل هذه البلاد عبدة أوثان حسن الصورة أشبه الناس بالترك في صورهم والغالب على ثيابهم الحرير ولهم صناعة وبحرية وسلوهم يركبون الخيل ويحسن الرماية وعائلتهم كالرحال سواء وأربعة أمم من اسمهم مدينة كبيرة كرسي صاحبها الكاف مفتوح وياء آخر الحروف ساكنة ولام مضمومة وواو مفتوح وراء مكسور) وهي من أحسن مدنهم وأكبرها وكان يسكن بها ابن ملكهم فلما أرسى بالمرسى جاءت عساكرهم ونزل الماحودة اليوم وجعله هدية لأنه لم يكن لهم عدو فحاربوه وان أباه ولا عدو اغير هم وولى ابنه تلك المدينة (واسمها أردنه بضم الهمزة وسكون الراء وضم الذال المهملة وحسن)

﴿ذكر هذه المملكة﴾

وهذا هو الذي لقوم الشاش من حولنا بمرسى كيلوكري اندفعت هذه المملكة الماحودة صاحبة المراكب والكواد وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتعديل وهو مقدم الرجال وسياه بالارو وهو مقدم الرماة قاصيا فسنتهم لهم على عادتهم أو عند الناس وذلك أنهم معهم غاية لانهم كانوا لا يحورا كل طعامهم فلما حضروا عندهم قالوا لهم هل في بلدكم يحصر فقالوا لهم الماحودة لم يبق الا رجل واحد تحتي وهو العاصي بلسانهم وتحتي (بفتح الهاء الموحدة وسكون الحاء وكسر التاء المثناة) وهو لغتهم كل طعامكم فقالوا أدعوه فحضر فرأوا أصحاب الماحودة فقالوا أحمد الملكة في بيتها وهي تحلبها الاعظم ويبر يديها اسوه بين يديها الارمة يعرض ذلك عليها وحولها النساء القواعد وهن وزراؤها وقد جلسها تحت السرير على كراسي الصندل ويبر يديها الرجال ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور حرير وحشيه من الصندل وعليه صفائح الذهب ومجلس حاشيتها مفروش عليها أوان ذهب كثيرة من كبار وصغار كالحواني والقلال والبواقيل أحيرى الماحودة انها مملوة بشراب

مصنوع

مصنوع من السكر مخلوط بالاعاوه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة حلو المطعم يفرح ويطيب النكهة ويهضم ويعين على الباه فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية حسن مسن يخشي مسن (حوشميس يخشه يسن) معناه كيف حالك كيف أنت وأجلستني على قرب منها وكانت تحسن الكلام العربي فقالت لبعض خدامها دوا دوشث كاتور (كاتور) معناه الدواة والكاغد فأتى بذلك فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ما هذا فقلت لها تنصري (تمكرى) نام وتصري (بضم التاء المعلوه وسكون النون وضم الصاد وراء ويا) وهو (سون واف وسم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت حسن (حوش) ومعناه جيد ثم سألتني من أي البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد العدل فقلت نعم فسألتني عن تلك البلاد واخبارها فاخبرتها فقالت لابد أن أغزوها وأحدها لسيدي فاني يجتمع لي كثرة من العساكر فقلت لها افعلي وامر لي بأربعين وحسن عليّ من الدرر وبخمسمائة دينار وعشر من الصأن وأربعة أرطال حلاب وأربعة من طباشير وهي صمغة مجلوبة من الجبل والفلفل والليمون والعنبر كل ذلك مما يستعذب بالبحر واخبرني انها هي وذات هذه الملكة لها في عسكرها ستة وثلاثون حوارا يقتلن الرجال وانها تخرج في العساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال واخبرني انها وقع بينها وبين بعض اعدائها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا يهزمونها فدهمت نفسها وحرقت الجيوش حتى وصلت الى الملك الذي كانت تقاتله فهزمته هزيمة كان فيها حتفه فمات وانهزم من عساكره وجاءت برأسه على رمح فتكنه أهله منها فمال كثير مما غادرت الى أبيها مدكها تلك المدينة التي كانت بيد أخيها وأخبرني ان أساورة الملوك يحطمونها فتقول لا تزوج الا من يبارزني فيغلبني ويحاصرونها حوف المعرة ان غلبتهم ثم سافرنا عن بلاد طوالسي فوصلنا بعد سبعة عشر يوما والريح مساعدة لنا ونحن نسير بها أشد السير وأحثه الى بلاد الصين واقليم الصين متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك اقليم من اقاليم الارض ويخترقه النهر المعروف بآب حياة معنى ذلك ماء الحياة ويسمى ايضا نهر السرو (السرو) كاسم النهر الذي بالهند ومنبعه من جبال مغرب مدينة خان بالق يسمى كوه نور ومعناه جبل النور وعرض وصب الصين مسيرة شهر الى ان ينتهي الى صين الصين وتكتنفه القرى والمزارع والمستنيات والاسواق كميل مصر الآن هذا أكثر عماره وعليه المتاجر الكثيرة وبمدن الصين السكر الكثير مما يصاغ بمصر لما يفضله والاعناب والاجاص والمشمش وكنت أظن ان الاجاص الشامي الذي بدمشق لا نظير له حتى رأيت الاجاص الذي بالصين وهو المطبخ

العجيب يشبه بطيخ حواريم واصفهان وكل ما سلادما من الفواكه فان عندهما ما هو مثله واحسن منه والقمح بها كثير جدا وهو أرقع أطيب منه وكذلك العدس والحمص

﴿ذكر الفخار الصيني﴾

وأما الفخار الصيني فلا يصنع منها الا بمدينة الزيتون وبصين كلان وهو من تراب حمال هنالك تقدم ذكره المبارك اسمهم وسنذكر ذلك ويصيرون اليه بحجارة عندهم ويوقدون النار عليه ثلاثة أيام ثم يصبون عليه الماء ويعود الجميع ترابا ثم يجمعونه فالجيد منه مجرشهرا كاملا ولا يراد على ذلك والدون ما حجر عشرة أيام وهو هنالك بقية الفخار بسلادما أو أرخص ثمنا ويحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتى يصل الى بلاد المغرب وهو أبدع أنواع الفخار

﴿ذكر دجاج الصين﴾

ودجاج الصين ودبوكها صحمة جدا أصخم من الاوز عندنا وسمن الدجاج عندهم أصخم من بيض الاوز عندنا وأما الاوز عندهم فلا صحامة لها ولقد اشتريت دجاجة فاردت طبخها فلم يسع لها في برمة واحدة فجعلتها في برمتين ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما انتف ريشها فيبقى بصفة جراد واول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كولم فظننته نعامة وتحدثت منه فقال لي صاحبه ان بلاد الصين ما هو أعظم منه فيها وصلت الى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك

﴿ذكر بعض من أحوال أهل الصين﴾

وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود وملك الصين تترى من ذرية تنكيزخان وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم وهم أهل رفاهية وسعة عيش الا انهم لا يختنون في مطعم ولا ملبس وترى التاجر الكبير منهم الذي لا يحصى أمواله كثرة وعليه جبة قطن خشنة وجميع أهل الصين انما يحتقدون في واني الذهب والفضة ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي ويقولون هو الرجل الثالثة والحرير عندهم كثير جدا الا ان الدود تتعلق بالثمار وتأكل منها فلا تحتاج الى كثير مؤنة ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين بها ولولا التجار لما كانت له قيمة ويباع الثوب الواحد من القطن عندهم بالالوف الكثيرة من الحرير وعادتهم ان يسك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعا تكون القطعة منها مقدار قنطار فما فوقه ويادونه ويجعل ذلك على باب داره ومن كان له خمس قطع منها جعل على أصبعه خاتما ومن كانت له عشر جعل خاتمين ومن كان له خمس عشرة سموه السني (بفتح السين المهملة وكسر

الشاه

التاء المعلوة) وهو معنى الكارمى عندهم وتسمى العصفة الواحدة منها باركالة (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف واللام)

﴿ذكر دراهم الكاغد التى بها يبيعون ويشترون﴾

وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع ما يحصل بلادهم من ذلك يسكونه قطعا كما ذكرناه وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها الشت (بشاء موحدة والف ولام مكسور وشين معجم مسكن وتاء معلوة) وهو معنى الدينار عندنا واذا تمزقت تلك الكواغد فى يد انسان حملها الى دار الضرب فاخذ عوضها جددا ولو قطع ذلك ولا يعطى على ذلك أجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها هم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الامراء واذا مشى الانسان الى السوق بدرهم فضة او دينار يريد شراء شئ لم يؤخذ منه ولا يلتفت عليه حتى يصرفه بمال الشت ويشترى به ما أراد

﴿ذكر التراب الذى يوقدونه مكان الفحم﴾

وجميع أهل الصين والختا ما فحمهم تراب عندهم معقد كالفحل عندنا ولونه لون الطفس تأتى القبيلة بالاحمال منه فيقطعونه قطعا على قدر قطع الفحم عندنا ويجعلون النار فيه فيقد كالفحم وهو أشد حرارة من نار الفحم واذا اصابه رماد الفحم او بيض او وطئ عليه نابسة ولا يرابون به كذلك الى أن يتلاشى ومن عند التراب يصنعون أوانى فخارهم الصينى ويحملون اليه فخارهم سواه كما ذكرناه

﴿ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات﴾

وأهل الصين أعظم الامم احكاما للصناعات وأشدهم ارتفاقا فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس فى تصانيفهم فاطنبوا فيه واما التصوير فلا يجاريهم أحد فى احكامه من الروم ولا من سواهم فان لهم فيه اقتدارا عجيبا ومن يعجب مما شاهدت لهم من ذلك انى ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتى وصور أصحابى منقوشة فى الحيطان والكواغد موضوعة فى الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق القماشيين ووصلت الى قصر السلطان مع أصحابى ونحن على رسم العراقيين فما عدت من القصر عشيا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتى وصورة أصحابى منقوشة فى كاغد قد الصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطئ شيأ من شبهه وذكروا ان السلطان امرهم بذلك وانهم أتوا الى القصر ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم فى تصوير كل من يمر بهم وتنتهى حالهم فى ذلك الى ان الغريب اذا

فمن ما يوجب قراره عنهم بعموا صورته في البلاد ويحث عنه حيثما وجدوه تلك الصورة أحد قال اي جرى هذا مثل ما حكاه أهل التاريخ من قصة سابور ذي الاكتاف ملك الفرس حين دخل الى بلاد الروم متنكرا وحصر ولحقة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الاواني فمر بها بعض خدام قيصر فطبعت على صورة سابور فقال الملك ان هذه الصورة تخبرني ان كسرى معنا في هذا المجلس فكان الامر على ما قاله وجرى فيه ما هو مسطور في الكتب

﴿ذكر عادتهم في تقييد ما في المراكب﴾

وعادة أهل الصين اذا أراد حدث من جوكهم السفر صعد اليه صاحب الخبر وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والتجار وحينئذ يباح لهم السفر فاذا وصل الى الصين صعدوا اليه أيضا وقابلوا ما كتبوه ما فحص الناس فان فقدوا أحدا من قيدوه طلبوا صاحب الحدث به فاما ان يأتي ببرهان على موته أو فراره او غير ذلك مما يحدث عليه والا أحدث فيه فاذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب ان على عليهم تفسيرا بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم فان عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عادوا الحمل بجميع ما فيه ما الا للحرير وذلك نوع من السلع ما رأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين لان الصين اليوم الا به كان بالهند ما قرب منه وهو ان من عثر على سلعة له قد غاب على معرفتها غرم احد عشر معرما ثم رفع السلعة ذلك لما رفع المغارم

﴿ذكر عادتهم في منع التجار عن الفساد﴾

واذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين حيث ينزل عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين او في الفندق فان أحب النزول عند التاجر حضر ماله وضمنه التاجر المستوطن واتفق عليه منه بالمعروف وان اراد السفر بحث عن ماله فان وجد شيئا منه قد ضاع غرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه وان أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فان أراد التسري اشترى له جارية واسكنه بدار يكون بها في الفندق واتفق عليهما والجواري رخيصات والاثمان الا ان أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم ونساءهم وليس ذلك عيبا عندهم غير انهم لا يجبرون على البيع مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه ان اختاروه وكذلك ان أراد التزوج تزوج وأما التصرف في ماله في الفساد فشيء لا سبيل له اليه ويقولون لا نريد ان يسمع في بلاد المسلمين انهم يحصرون أموالهم في بلادنا فانها أرض فساد وحبس فائت

ذكر

﴿ذكر خصوصهم للمسافرين في الصرق﴾

وبلاد الصين من البلاد واحسنها حالا لانه متى وفق الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الاموال الطائلة فلا يخاف على نفسه وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل بلادهم صدقا عليه حاكم يسكن به في جماعة من العرسان والرجال فاذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم الى الصدق ومعه كاتبه فكتب اسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها واقفل باب الصدق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان باسمه وكتب بها تفسيرا ويبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني له ويأتيه براءة من حاكمه ان الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل عليه بهم وهكذا الحال في كل منزل بلادهم من صين الصين الى خان بالق وفي هذه الصادق جميع ما يحتاج اليه المسافرون الارواء وخصوصا الدجاج والاوز وأما اللحم فهي قليلة عندهم ولعدم ذكر سفرهم وسفرنا فذهب الخبر كانت اول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون وهذه مدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد اهل الصين والهند ولكنه اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا والاطلس وتعرف بالنسبة اليها وتحمل الى سائر الجهات وبها الحمامات العجيبة ومن بناها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها رأيت به نحو مائتي جنك كبار وأما الصغار فلا تحصى كثرة وهو خور كبير من البحر داخل في البر حتى يجتمع به العظيم وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض ودوره في وسطه كما هي بلاد مصر فاما بلاد وهذا عظمت بلادهم وسلموا ساكنون عديدة على حدة وفي يوم وصولي الى هذه البلاد أتيت بها الامير الذي توجه الى الهند رسولا لهدية ووصى في بحيرة ساوعرف به الجند فسلم علي وعرف صاحب الديوان بي فانزلني في منزل حسن وجاءني قاضي المسلمين بالصين الدين الاردوبلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كان لدين عبد الله الاصفهاني وهو من الصلحاء وجاءني كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند واحسنهم معاملة حافظ القرآن مكثرا للتلاوة وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وفي واحد من أرض الاسلام وهم يعدون ركوات أموالهم فيه عودة عنيب كواحد منهم وكان بها من المشايخ الصلحاء برهان الدين الكازروني له راوية تحرج البلد واليه يدفع النذور التي يندر وبها للشيخ اي اسحق الكازروني ولما عرف صاحب الديوان اخباري كتب الى القان وهو ملكهم الاعظم يخبره بقدومي من جهة ملك الهند فطلبت منه ان يبعث معي من يوصلني الى بلاد الصين (صين الصين) وهم يسمونها صين كلان لاشاهد تلك البلاد وهي في عمالته بحلال ما يعود جواب القان فاجاب الى ذلك وبعث معي من أصحابه

من يوصلني وركبت في نهر في مركب يشبه أحصان بلاد العروبة الا ان الحدادين يحدقون فيه قياما وجميعهم في وسط المركب والركاب في المقدم والمؤخر ويطلون على المركب بأيساب تصنع من نبات بلادهم يشبه الكتان وليس به وهو أرق من القنب وسافرنا في هذا النهر سبعة وعشرين يوما وفي كل يوم نرسو عند الزوال بقرية نشتري بها ما نحتاج اليه ونصلي الظهر ثم نتزل للعشي الى أخرى هكذا الى أن وصلنا الى مدينة صين كلان (بفتح الكاف) وهي مدينة صين الصين وبها يصنع الفخار ودار السكوك أيضا وهنالك يصب نهر آب حياة في البحر ويسمونه مجمع البحرين وهي من اكبر المدن وأحسنها اسواقا ومن أعظم أسواقها سوق العطارين ومنها يحمل الى سائر بلاد الصين والهند واليمن وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب اسطوان ومصاطب يقعد عليه الساكنون بها بين الباب الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الابواب كلها وفي داخلها المارستان للمرضى والمطبخ لطبخ الاغذية وفيها الاطباء والخدام وذكروا ان الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم من هذه الكنيسة وكذلك الايتام والارامل ممن لا حال لهم وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وما وليها من القرى والبساتين وقفا عليها وصورة ذلك مثبت مسطور في الكنيسة المذكورة وهم يعيدون بها وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ ولا تذفي كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة اليه وقاضي يقضي بينهم وكان نزولي عند أحد الدين الصحاري وهو أحد الفضلاء الاكابر ذوي الاموال الطائلة ومكثت عنده أربعة عشر يوما وتحف القاضي وسائر المسلمين تتوالى علي وكل يوم يصنعون دعوة جديدة ويأتون اليها بالعشاء الحسان والمعين وليس وراء هذه المدينة مدينة لا للكفار ولا للمسلمين وبينها وبين سد يأجوج ومأجوج ستون يوما قيل ذكر لي بعض من رآه يأكلون بني آدم اذا ظفروا بهم ولذلك لا تسكن بلادهم ولا يسافر اليها وهم أرذل تلك البلاد من رأى السد ولا من رأى من رآه

﴿حكاية عجيبة﴾

ولما كنت بصين كلان سمعت ان بها شجاعا كبير قد أتى على مائتي سنة وانه لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث ولا يباشر النساء مع قوته التامة وانه ساكن في غار بخارجها يتعبد فيه فتوجهت الى الغار فرأيته على بابه وهو يحرك شديد الحركة عليه آسر لعباده ولا لحية له فسلمت عليه فامسك يدي وشمها وقال لترجمان هذا من طرف الدنيا كما شم من طرفها الآخر ثم

قال

قال لى لقد رأيت عجبا أنه كر يوم قد وملك الجزيرة التى فيها الكنيسة والرجل الذى كان بالساباين الاصنام واعطاك عشرة دنانير من الذهب فقلت نعم فقال أنا هو فعجبت منه وفكر ساعة ثم دخل المغارة ثم يخرج الينا وكأنه ظهر منه الندم على ما تكلم به فتبعناه ودخلنا المغار عليه فلم نجده ووجد بعض أصحابه ومعه جلة والشت من الكاعد فقال هذه ضيافتكم فانصرفوا فقلت له تصور الرجل فقال لو أقمتم عشرين لم تروه فان عادته اذا اطلع أحدا على سر من أسراره لا يراه بعده ولا تحسب انه غاب عنك بل هو حاضر معك فتعجبت من ذلك وانصرفت فاعجبت القاضى وشيخ الاسلام وحدالدين السحارى قصته فقالوا كذلك عادته مع من يأتى اليه من العرب ولا يعرف أحدا يتحدث من الاديان والذى طمنوه أحد أصحابه هو هو وأخبرونى انه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمس سنة ثم قدم عليها منذ سنة وكان السلاطين والامراء والكبراء يأتونه زائرين فيعتذرون له عن أقدارهم ويأتونه بالفقراء كل يوم فيعطى كل أحد على قدره ولا يرى فى العمار الذى هو به مع عيه البصر وانه يحدث عن السنين الماضية ويذكر النبى صلى الله عليه وسلم ويقول لو كنت معه لنصرته ويذكر الخليفتين عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهما ويذكر يزيد معاوية ويقع فى معاوية وحدثونى عنه بامور كثيرة واخبرنى أو حامد الدين السحارى قال دخلت عليه بالعمار فاحسبنى خيل لى انى فى قصر عظيم وانه قاعد فيه على سرير وفوق رأسه تاج وهو على حالته الوصف الحسن والهواء كذلك فى أنهار هذا الملك وتحيلت انى أحدث نفسى لا آكلها فاذا أنا بالعمار وبين يديه وهو يخاطبنى وأصابنى مرض شديد لا يرجى شهورا فلم أعد اليه وأهل تلك البلاد يعتقدون انه مسلم لكن لم يره أحد يصلى وأما الصيام فهو صائم أبدا وقال لى القاضى ذكرت له الصلاة فى بعض الايام فقال لى اتدرى أنت ما أصنع ان صلاتى غير صلاتك واحمارة كلها عربية وفى اليوم الثانى من لقائه سافرت راجعا الى مدينة الربتون وبعد وصولى اليها بايام جاء أمر الفقان بوصولى الى حضرته على البر والكرامة فان شئت فى البر والا فى البحر فاخترت البحر فجهزونى مركبا حسنا من المراكب المعدة لركوب الامراء وبعث الامير معى أصحابه ووجه لنا الامير والقاضى وكبار المسلمين أرودا كثيرة وسرنا فى الصيافة تتعدى بقرية وتتعشى بأخرى فوصلنا بعد سبعة عشرة أيام الى مدينة قمجمغر (وصيغة اسمها فى القاف وسكون الميم وفتح الجيم وسكون النون الآخر وضم الغاء وواو) مدينة كبيرة حسنة فى بسيط واسع ولبستين محدقة بها فكانها عوصة دمشق وعند وصولنا خرج الينا القاضى وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الاعلام والطبول والابواق والاعمار وأهل العرب والتواتية الخيل

فركبنا ومشوا بين أيدينا لم يركب معنا غير القاضي والشيخ وخرج امير البلد وخدامه وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم ودخلنا المدينة ولها أربعة أسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسماره ويسمون الصواس (اي اسواس) (بضم الصاد الموحدة وسكون الصاد المهملة وواو والف ونون والف وسين) ويسكن ما بين السور الثاني والثالث اعنوة المركبون والامير الحاكم على البلد ويسكن داخل السور الثالث المسمون وهما الذين نزلت عند شيخهم صهير الدين القرلاني (بضم الصاد وسكون الراء) ويسكن داخل السور الرابع الصبيون وهو أعظم المدن الاربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة اميال وأربعة وامكل انسان كما ذكرته بستانه ودارة وأرضه

﴿حكاية﴾

وبينما أنا يوما في دار ظهير الدين القرلاني اذ ابتدر كب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين عندهم فاستأذن له علي وقالوا مولانا قوام الدين السدني (نسبت من اسمه ودخل الى منزله فلما حصلت المؤانسة بعد السلام سألني اي أعرفه فاطلت النظر اليه فقال لي انظر الى بصرك من يعرفني فقلت له من أي البلاد أنت فقال من سنة فقلت له وأنا من طنجة بلد السلام على وبكى حتى بكيت لبكائه فقلت له هل دخلت بلاد الهند فقال لي نعم دخلت حضرة دهلي فلما قال لي ذلك سكرت له وقلت أأنت البشري قال نعم وكان وصل الى دهلي مع حماة أبي قاسم المرسي وهو يومئذ شاب لا نبات بعارضيه من حداق لطلبة يحفظ الموطأ وكنت أعجب سلطان الهند منه فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وطلب حبسه الاقامة عنده فابى وكان قصده في بلاد الصين فعظم شأنه بها واكتسب الاموال الطائلة أخبرني ان له نحو خمسين غلاما وصلهم من الجواري واهدى الى منهم غلامين وجاريتين وتحفا كثيرة ولقيت أنا بعد ذلك ببلاد السودان قرب بعد ما بينهما وكنت اذ ذاك بمدينة موجنة عشرين يوما وسافرت منها ببلاد الصين على ما فيها من الحبس لم أكن تحتني بل كان حاضري شديد التغير يسبب عليه لكثرة عيبها حتى خرجت عن منزلي رأيت المساكين الكثيرة فاقلقني ذلك حتى كنت ألازم المنزل فلا أخرج الا لضرورة وكنت اذا رأيت المسلمين بها فكأني لقيت أهلي وأقاربي ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشري ان سافر معي لما رحلت عن قمحمو أربعة أيام حتى وصلت الى مدينة يقال لها قنبلو (وهي سادة وحدة مفتوحة وباء آخر الحروف ساكنة وواو مضمومة وميم وقاف مضمومة وطاء مسكنة ولام مضمومة وواو) مدينة صغيرة فيها الصينيون من حذق وسوقه وليس بها للمسلمين الا أربعة من الدور أحدها من جهة الفقيه المذكور رأسا بدار أحدهم وأقمنا عنده ثلاثة أيام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت البر على العادة متعديا بقرية ومتعشى

بأخرى

باخرى الى ان وصلنا بعد سبعة عشر يوما منها الى مدينة الخضراء واسمها على نحو اسم الخضراء الشاعرة ولا أدرى أعربى هو أم وافق لعربى وهذه المدينة أكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة أيام برحى لمسافر فيها ونزول وهى على ما ذكرناه من ترتيب عمارة نصيبين كل أحد له بستانه ودارة وهى مقدمة الى ست مدن سنذكرها وعند وصولنا اليها خرج اليها فى فرائد وشيخ الاسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى وهم كبراء المسلمين بها ومعهم عالم كثير والاطباء والاشراف والاتباع وخرج أميرها فى موكبه ودخلنا المدينة وهى ست مدن على كل مدينة سور ومحدق بالجميع سور واحد فاول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم حدثنى الفاضى وسوادهم اثنا عشر ألفا فى زمام العسكرية وثانية حول فى دار أميرهم وفى اليوم الثانى دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الصنم وهم كثير وأميرهذه المدينة من أهل الصين وتحت يده الى ثلاثمائة وفى اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون وهم أحسنهم حسنة وأسواقهم مرتبة كما ينبغى بلا الاسلام وبها الجامع والموذنون وعليهم تؤدن والامير عندهم محمود وبها دار أولاد عثمان بن عفان المصرى وكان أحد الاكابر وسكن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالمدينة اليه وأورثها هذه الجاه والحرمة وهم على ما كان عليه أبوهم من الايثار على الفقراء والاطعام لمحتاجين وفيهم راوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة فيها أوقاف كثيرة وبها الشيخ الصوفية وهو عثمان المذكور المتصف الجامع بهذه المدينة ووقفت عنده وهو فى الرواية وفى عصره وعدد الناس بهذه المدينة كثير وكانت ابنتاه أدخلتهم خمسة عشر يوما فكان كل يوم يدعونى دعوة جديدة ولا يزالون يختلفون فى أصنافهم ويركبون معنا كل يوم الى نزهة فى انحاء المدينة وركبوا معى يوما فدخلنا الى المدينة الرابعة وهى دار الامارة وبها سكنى الامير الكبير قرطى ولما دخلنا من بابها ذهب عنى أصحابى ولقينى الوزير وذهب بى الى دار الامير الكبير قرطى فكان من أخذه الفرجية التى أعطانيها ولى الله حدان الدين الشيرازى ما قد ذكرته وهذه المدينة منفردة لسكنى عبيد السلطان وخدامه وهى حسن المدن الست وينصب بها الى الزنبرة أحد شاطئ يخرج من النهر الاعظم وتأتى فيه المراكب الصغار الى هذه المدينة بالمرافق من الطعام وسائر الوقود وهو السفن للنزهة والمشور فى وسط هذه المدينة وهو كبير حذاء دار الامارة فى وسطه وهو يحف بها من جميع الجهات وفيه مقاتل فيها الصناع يصنعون الثياب النفيسة ولان آخر أخبرنى الامير قرطى ان عددهم ألف وستمائة نعم كل واحد منهم يتبعه ثلاثة والاربعة من المتعلمين وهم أجمعون عبيد الخان وفى أرجلهم القيود وساكنهم خارج القصر ويباح لهم

الخروج الى أسواق المدينة دورا الخارجون عن سبيلها وعرضون كل يوم على الامير مائة مائة فان نقص أحدهم طلب به أميره وبدلهم عن احدهم أحدهم عشرين فلا عمه قيده وكان يخير في النظارين اما ان يقيم في الخدمة عبرة لغيره واما ان يسير حيث شاء من بلاد الافرنج ولا يخرج عنها واذا بلغ سنه خمسين عاما أعتق من الاشغال وأنفق عليه وكذلك ينفق على من بلغ هذه السن أو نحوها من سواهم ومن بلغ ستين سنة عد وكالصبي فلم تجر عليه الاحكام والشيوخ بالصين يعدمون تعظيما كثيرا ويسمى أحدهم آطا ومعناه الوالد

﴿ذكر الامير الكبير قرطى﴾

وضبط اسمه (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وسكون الياء) وهو أمير أمراء الصين اصاحب ادارة وصنع الدعوة وسماه الطوبى (بضم الطاء المهملة وفتح الواو) وحضرها كبار المدينة وأتى بالصاحبين المسيرين فحياهما وأجلسهما أمامه وكان هذا الامير على عظمته بنا ولما الطعام بيده ويقسم اللحم بيده وأقام في ضيافته ثلاثة أيام وبعث ولده معنا الى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحراقة وركب ان الامير في أخرى ومعه من الضرب وأهل الموسيقى وكانوا يغنون بالصيني وبالافرنجي وبالفارسي وكان من الامير محبا لهذا الفارسي فعمدوا شعرا منه وأمرهم بتكريره مرارا حتى حفظته من افواههم وله لحن عجيب وهو (رمل)

تأمل بحسنات رياض * درت حسن وفكر اوادي

حسن (حسون) درعمر استديم * قوى كحراب اسدى (اسدم)

واجتمعت بتلك الخليج من السفن طائفة كبيرة لهم اقلاع الحرير وسطوح الحرير وسقوفهم صقوشة أبدع نقش وجعلوا الخيامات ونثروا عليها بالبنادق والليمون وعدنا لعشي الى دار الامير فبتنا بها وحضر أهل الدور وهو نوع من الغناء العجيب

﴿حكاية المشعوذ﴾

وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوذ وهو من عبيد النصارى فقال له الامير أرنا من عجائبك فاحضر كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال فرمى بها الى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الابصار ونحن في وسط المشور أيام الحر الشديد فما الريق من الفم في هذا الامر متعلق به وعلق بدوصه في الهواء الى ان غاب عن أبصارنا فقذف بحبة ثم أخرى كبيرة كالمعاط وتعلق بالسير الى ان غاب أيضا ثم رمى بيد الصبي الى الارض ثم رمى برجله ثم بيده الاخرى ثم برجله الاخرى ثم بجسده ثم برأسه ثم هبط وهو يصيح وثيابه ملطخة بالدم فقبل الارض بين يدي الامير وكلمه بالصيني وأمره الامير شيئا ثم انه أخذ عصاء الصبي فلصق بعضها ببعض وركبه برجله فقام سويا فجعلت أصيح حتى ان القلب كمثل ما كان أصابني عند

ملك الهند حين رأيت منه ذلك فقلت له عاد هذا عني مرة وحدث وكان الفاضي أخر الدين ابن جهبي فقال لي والله كان هذا معدودا لا نزل ولا قطع عضوا وانما ذلك شعوذة وفي عند تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي أكبر المدن بكثرة عامة الناس وأسواقها حسان وبها الحذاق بالصنائع وبها صنف من الناس احمر وهي عجيبة يصنعون بها الديباقا يسمونها السنة وهي من القصب وهذا أصنعت قطعة أدع الصاق وهي بصبغ أحمر مشرق وتكون هذه الاصباغ عشرة واحدا في جوف آخر له ورقتها تصير لونها كلها طبق واحد ويصنعون عطنا يعني جميعها ويصنعون من هذا القصب حصرا ومن بخاتها ان تقع من العلو فترتكسر ويجعل فيها لسعام السمن فلا تغير صباغها ولا تحول وتحلب من هذه الى الهند وخراسان وسواها ولما دخلنا هذه المدينة عدنا الى صياغة أميرها ولعدد خلناه باب يسمى كنتي وابن في المدينة الرياسة ويسكنها التجار والصيارفون والخلاعة والمجانون ويسمون دودكران (دوركران) والاصيابية وهم رماة والبادة وهم الرجال وجميعهم عبيد السلطان ولا يسكن معهم سواهم وعددهم كثير وهذه المدينة على ساحل البحر الاعظم تنتهي اليها في صياغة أميرها وحضرنا الامير قرطي مركبا مع حاجبه اليه من راد وسواد ودخلت معه أصحابه رسم الضيف وسافرنا من هذه المدينة وهي آخر اعمال الصين ودخلنا اوبلاد الخاء (بكسر الخاء المعجمة وبعدها موحدة) وهي أحسن بلاد الله عمارة ولا يكون في جميعها موضع غير معمور وهي ان في موضع غير معمور طلب عمله أو من يواليهم تجارة والمستغلون والمزارع متصلة بجميع هذا البحر من مدينة الخنسا الى مدينة خانقو وذلك مسيرة أربعة وستين يوما وليس بها أحد من المسلمين الا من كان طارقا غير مقيم لانها ليست بدار مقام وليس بها مدينة مجتمعة انما هي قرى وبسائط فيها الزرع والفواكه والسكر ولم أر في الدنيا مثلها غير مسيرة أربعة أيام من لاساري عدنة وكما كل ليلة تنزل بالقرى لاجل الضيافة حتى وصلنا الى مدينة خانقو (وتضبط عندنا بخاء معجمة وألف ونون مسكن وباء معقودة وألف ولام مكسور وقاف) وتسمى أيضا خانقو (بخاء معجمة ونون مكسور وقاف وواو) وهي حضرة القان وتقال هو ملكهم الاعظم الذي يملك كثيرا من الصين واخضعها ولما وصلنا اليها رسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم وكتب الى أمراء البحر بخبرنا فأدبوا بنا في حصون مرسى قد حلناه ثم رحلنا الى المدينة وهي من أعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين في كون الساتين داخلها انما هي كسائر البلاد والساتين خارجها ومدينة السلطان في وسطها كالقصبة حسبما تذكر ونزلت عند الشيخ برهان الدين الصاغرجي وهو الذي بعث اليه ملك الهند بربعين ألف دينار واستدعاه فاحد الدنيا وقضى بها دينه

وأبى ان يسير اليه وقدم على بلاد الصين فقدمه القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وجعله مقدم الجهات

﴿ذكر سلطان الصين والخطا المعروف بالقان﴾

والصين عندهم سم لكل من بلى الملك منها الا قدر وكش ما يسمى كل من ملوك بلاد الكور باتات واسمه باشاى (بفتح الباء المعقودة والشين المعجمة وسكون الياء) وليس للكفار على وجه الارض مملكة أعظم من مملكته

﴿ذكر قصره﴾

وقصره فى وسط المدينة المختصة بسكناه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش وله ترتيب عجيب وعليه سبعة أبواب فالباب الاول منه يجلس به الكوال وهو أمير البوابين وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره فهم الى بيت البرددارية وهم حفاظ باب القصر وعددهم خمسمائة رجل وأخبرت انهم كانوا فيما تقدم ألف رجل والباب الثانى يجلس عليه الاصباهية وهم الرماة وعددهم خمسمائة والباب الثالث يجلس عليه امير اربة (بالنون والراى) وهم أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة والباب الرابع يجلس عليه لتعدارية (بالتاء المثناة من فوق والعين المعجمة) وهم أصحاب السيوف والترسة والباب الخامس فيه ديوان الوزراء وبه مصاطب كثيرة والسقيفة العظمى بقعدها الوزير على مرتبة مثنية مرتفعة وتسمى ذلك الموضع المعدوين يدى الوزير ردوة عظيمة من الذهب وعلى هذه السقيفة سقيفة كاتب السر وعن يمينها سقيفة كاتب الرسائل وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كاتب الاشغال وبقابل هذه السقائف سقائف أربع احداها تسمى ديوان الاشراف يقعد بها المشرف والثانية سقيفة ديوان المستخرج وأميرها من كبار الامراء والمستخرج هو ما يتبقى قبض المحاسبين وقبض الامراء من اقطاعاتهم والثالثة ديوان العرب ويجلس فيها أحد الامراء الكبار ومعه الفقهاء والكتاب فى حلقة معدة لاستماعهم والرابعة ديوان البريد يجلس فيها أمير الاخباريين والباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه احدارية وأميرهم الاعظم والباب السابع يجلس عليه بقيان ولهم ثلاث سقائف احداها سقيفة الحشمدين منهم والثانية سقيفة الهنود والثالثة سقيفة السيفيين ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين

﴿ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله﴾

ولما وصلنا حضرة خان بالق وجدنا القان عائما عنها إذ ذاك وخرج للقاء ابن عمه فيروز القائم عليه بناحية قراقرم وبينه وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر بالمراحل وأخبرنى صدر الجهان برهان الدين الصاغرجى ان القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود

اجتمع

اجتمع عليه من الفرسان مائة فوق كل فوج منهم من عشرة آلاف فارس وامير هم يسمى امير صوبان وكان خواص السلطان وأهل دولته نحو من الف رائد الى ذلك وكانت الرحالة جميعهم ثلثمائة الف ولما خرج خالف عليه أكثر الامراء واتفقوا على خلعه لانه كان قد غير احكام الياسق وهي الاحكام التي وضعها الكبير جان جده الذي خرب بلاد الاسلام فصاروا الى ابن عمه القائم وكتبوا الى القان ان يخلع عمه ويكون مدينة الخنسا اقطاعا له فابى ذلك وهاتاهم فهزم وقتل وبعد أيام من وصولنا الى حضرته ورد الخبر بذلك فزينت المدينة وضربت الطبول والانواق والاعلام واستمر ذلك اللعب والطرب مدة شهر ثم جيء بالقان المقتول وبنحو مائة من المقتولين بين عمه وأقاربه وخواصه فحفر بفناء داره حفرة عظيم وهويت تحت الارض وفرش باحسن الفرش وجعل فيه القان بملاحه وجعل معه ما كان في داره من أواني الذهب والفضة وجعل معه أربع من الجواري وستة من خواص المماليك معهم أواني شراب وبنى باب البيت وجعل فوقه انسان حتى صار كالتل العظيم ثم حاذا اربعة أفراس فاجروها عليه فمرته حتى وقعت وتصوا حشبا على القبر وعلوها عليه بعد ان ادخلوا في دبر كل فرس خشبة حتى خرجت من فمه وجعل أقارب القان المذكورون في نواويس ومعهم سلاحهم وفي قبورهم وصلبوا على قبور كبارهم وكبروا عشرة ثلاثة من الخيل على كل تابر وعلى قبور البقية فرسا فرسا وكان هذا اليوم يوما مشهودا لم يتخلف عنه أحد من الرجال ولا النساء المسلمين والكفار وقد لبسوا جميعهم ثياب العزاء وهي الثياب البيض للكفار والثياب البيض للمسلمين واقاموا حوانيت القان وخواصه في الاحمية على قبره أربعين يوما ويعضهم يزيد على ذلك الى ستة وصنعت هناك سوق يباع فيها ما يحتاجون اليه من طعام وسواه وهذه الاقفان لا أدري أمة تعلم سواهم في هذا العصر ما لكفارهم من الخنود واهل الصين فيحرقون موتاهم وسواهم من الامم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحدا لكن أخبرني الثقاة ببلاد السودان ان الكفار منهم اذا مات ملكهم صحبوه ماء ووسادا وادخلوا معه بعض خواصه وخدامه وثلاثين من أمهات كبارهم وستهم بعد ان يكسروا أيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني الشراب وأخبرني بعض كبار مسوفة ممن يسكن بردكو برسم السودان واختصه سلطانهم انه كان له ولد فمات سلطانهم فاراد ان يدخل ولده مع من أدخله من أولادهم قال فقلت لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولد كو فديته عندهم بمال عريض ولما قتل القان كما ذكرته واستولى ابن عمه فيروز على الملك اختار ان تكون حضرته مدينة قراقرم (وضبطها بفتح القاف الاولى والراء وضم الثانية وضم الراء الثانية) لقربها من بلاد بني عمه ملوك

تركستان وما وراء النهر ثم خلفت عليه الامراء ممن لم يحضر لقتل القان وقطعوا الطرق وعظمت الفتن

﴿ذكر رجوعي الى الصين ثم الى الهند﴾

ولما وقع الخلاف وتعذرت الغرائر على الشيخ برهان الدين وسواه ان أعود الى الصين قال تمكن الفتن ووقعوا معي الى نائب السلطان فيروز فمنعت معي ثلاثة من أصحابه وكتب لي بالضيافة وسرت مجدين في السير الى الخنسا ثم الى قنجنور ثم الى الزيتون فلما وصلتها وجدت الجنوك على السفر الى الهند وفي جملتها جنك لابن الطاهر صاحب الجاوة اهله مسلمون وعمره بني وكيله وسير بعدوي وصف دقت الريح الليلة عشرة أيام فلما قاربنا بلاد طوالسي تغيرت الريح واظلم الجو وكثر المطر واقمنا عشرة أيام لا نرى الشمس ثم خفت بحر الانعرفه وخاف أهل الجنك فاراد والرجوع الى الصين فلم يمكن لان وقتنا شمس وأربعين يوما لا نعرف في أي البحار نحن

﴿ذكر الريح﴾

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا والريح تجذبنا الى صوبه فخفت الضربة وقلوا الشراع قوت من الريح ولا يعهد في البحر مثل ذلك واضطرتنا الريح اليه فهلك فيه الناس الى التضرع والاخلاص وجددوا التوبة وابتهلنا الى الله بالدعاء وتوسلنا اليه صلى الله عليه وسلم وسر النصارى بالصدقات الكثيرة وكثفوا لهم في رمام مخطى وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فتعجبنا من ذلك وراث الضربة تسكن ويودع بعضهم بعضا فقلت ما شأنكم فقالوا ان الذي تعتقدونه جبلا هو الريح وانا رأينا اهل كنا وبيننا وبينه دون عشرة أميال ثم ان الله تعالى من علينا بسلامة صيرفتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته وبعد شهور من ذلك اليوم وصلت الى الجاوة ورأيت الى جهته فوجدته سلطانها الملك الطاهر قد قدم من غزاته وجاءه سبي كثير فوهبت لي جاريتين وعدلين وارتاني على العادة وحضرت اعراس ولده مع بنت أخيه

﴿ذكر اعراس ولد الملك الطاهر﴾

وشاهدت يوم الجلوة فرأيتهم قد نصبوا في وسط المشور مقعدا كبيرا وكسوه ثياب الحرير وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها ديبة الوجه ومعها نحو اربعين من الخواتين يرفعن اذيالها من ساقها لسلطنتها وامرتها ورزانتها وكانهن بادبات الوجوه يسترن اليوم كل من حضر من رفيع أو وضيع وليست تلك بعادة لهن الا في الاعراس خاصة وصعدت العروس المنبر

وبين

وبين يديه اهل الطرب رجالا ونساء يلعبون ويغنون ثم يدار روح على فيل مزين على صفوه سرير وفوقه قبة شبيه البوحة والتاج على رأس العروس المذكور عن يمينه ويساره مجموعة من نساء الملوك والامراء قد لبسوا الديباج وركبوا الخيل المزينة وعلى رؤسهم الشواشي المرصعة وهم اقرباء العروس ليس منهم دخلية وتنثر الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله وبعد السلطان بمدة قليلة يدخل وزير السلطان وبعده بمدة يسيرة يدار الى العروس فتقدمت اليه وقبلت يده وجلس الى جانبها والخواتين يزغردن عندها وحاربالفوفل والتبول فاخذه الزوج بيده ووجعل منه في فمها ثم أخذت هي بيدها وجعلت في فمه ثم أخذ الزوج منه ورقة تبول وجعلها في فمها وذلك كله على أعين الناس ثم فعلت هي كفعله ثم وضع عليها الستر ورفع المنبر وهما فيه الى داخل القصر وانصرف الناس وانصرفوا اثنان من بعد جمع الناس وجرى له أمر ولا يعيد ويعمل الناس طعام العرس من الثياب والذهب وأقاموا على الجزيرة شهرين ثم ركبت في بعض الحمولة واعد السلطان كثيرا من العود والكافور والعنبر والصندل وردت وسافرت عنه فوصلت بعد أربعة عشر يوما الى كولم فمررنا بها في حوار القرويني قاضي المسلمين وذلك في رمضان وحضرنا صلاة العيد في مسجدها الجامع وعادتهم ان يأتوا المسجد بالفجر ويكون اقدامهم الى المصلى ثم يرجعون الى حين صلاة العيد ثم يصلون ويخطب الخطيب وينصرفون ثم سافرنا من كولم الى فاقنور وهي ثغرها الا يلم واردت العودة الى دهلي ثم حققت من ذلك فركبت البحر فوصلت بعد ثمان وعشرين ليلة الى ظفار وذلك في محرم سنة ثمان واربعين وسبعمائة عجيبة من طأطأ

(ذكر سلطانها)

ووجدت سلطانها في هذه الكرة ابنة الناصر بن الملك المغيث الذي كان ملكا بها حين وصولي اليها فيما تقدم وتلقبه سيف الدين عمر امير سندر التركي الاصل وارتقى هذا السلطان واكرمني ثم ركبت البحر ووصلت الى مسقط (بفتح الميم) وهي بلدة صغيرة فيها السمك الكثير المعروف بقلب الملح ثم سافرنا الى مرسى القريات (وضبطها بفتح القاف وفتح الراء والياء آخر الحروف والف وباء مثناة) ثم سافرنا الى مرسى ثبة (وضبطها بفتح الثاء المثلثة وفتح الباء الموحدة وتشديدها) ثم الى مرسى كلبة ولضبطها على لفظ مؤنثة الكلب ثم الى قلهات وقد تقدم ذكرها وهذه البلاد كلها من عمالة هرمز وهي محسوبة من بلاد عمان ثم سافرنا الى هرمز وأقمنا بها ثلاثا وسافرنا في البر الى كورستان ثم الى اللار ثم الى جصار وقد تقدم ذكر جميعها ثم سافرنا الى كارزي (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسر الزاي) وأقمنا بها ثلاثا ثم سافرنا الى جكان (وضبط اسمها بفتح الجيم واليم والكاف وآخره نون) ثم سافرنا منها الى ميبن (وضبط

اسمها بفتح الباءين وبينهما ياء آخر الحروف ساكنة وآخره نون) ثم سافرنا الى بسا (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة والسين المهملة مع تشديدها) ثم الى مدينة شبرا وهو حينئذ سلطانها ابا اسحاق على ملكه الاتابك كان غائبا عنها واقيت بها شيخ الصالح العالم محمد الدين قاضي القضاة وهو كفيف البصر متعه الله وانفع به ثم سافرت الى ماربن ثم الى يزدخاص ثم الى كليل ثم الى كشك زر ثم الى اصبهان ثم الى تستر ثم الى الحويزا ثم الى البصرة وقد تقدم ذكر جميعها وورد بالبصرة القصور الكريمة التي بها وهي قرار الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وحلية السعدية وابي بكرة وأنس بن مالك والحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن سيرين ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم سافرنا من البصرة فوصلنا الى مشهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزرناه ثم توجهنا الى الكوفة فزرنا مسجدها المبارك ثم الى الحلة حيث مشهد صاحب الزمان واتفق في بعض تلك الايام ان وليها بعض الامراء فمنع أهلها من التوجه على عادتهم الى مشهد صاحب الزمان واغتاظوا هنالك ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها كل ليلة من الامير فاصابت تلك الوالي علقمات مهاسريعا فرادت ذلك في فتنة الرافضة وقالوا انما أصابه ذلك لاجل منعه اياهم فلم يمتنع بعد ثم سافرت الى صرصر ثم الى مدينة بعد وصولها في شوال سنة ثمان وأربعين ولقيت بها بعض المغاربة فعرفني كائنة طريف واستيلاء الروم على الخضراء جبرها الله صدع الاسلام في ذلك

﴿ذكر سلطانها﴾

وكان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولي اليها الى انتزاعها من يد مكور الشيخ حسن بن عمة السلطان أبي سعيد رحمه الله ولما مات أبو سعيد استولى على ملكه بالعراق وتزوج زوجته دلشاد بنت دمشق خواجة بن الامير الجوبان حسبما كان فعله السلطان أبو سعيد من تزويج زوجة الشيخ حسن وكان السلطان حسن عائشا عن بغداد في هذه المدة وجرى القتال السلطان اتابك اقراسنباك صاحب بلاد الروم ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ثم الى هيت ثم الى الحديثة ثم الى عانة وهذه البلاد من أحسن البلاد وأحصنها والطريق فيها كثير العمارة كأن الماشي في سوق من الاسواق وقد ذكرنا ما لم نر ما شبه البلاد التي على نهر الفرات الا هذه البلاد ثم وصلت الى مدينة الرحبة وهي التي تنسب الى مالك بن طوق ومدينة الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام ثم سافرنا منها الى لبسحة وهي بلدة حسنة أكثر سكانها الكفار من النصارى وانما سميت البسحة حرارة مائها وفيها عيون للرجال وعيون للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلا ويحملونه في المطوح ليبرد ثم سافرنا الى تدمر مدينة نبي الله سليمان عليه السلام التي يقال انه الحس كما قال النابغة (بسيط) (يفنون تدمر بالصفاح والعمد)

ثم

ثم سافرنا منها الى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مقامي بها عشرين سنة كاملة وكنت تركت بها زوجة لي حاملا وتعرفت وأنا بلاد الهند انها ولدت ولدا ذكرا فبعثت حينئذ الى جده للام وكان من أهل مكناسة المغرب أربعين دينارا ذهبا هند يا لخبر وصولي الى دمشق في هذه الكرة لم يكن لي هم الا السؤال عن ولدي فدخلت المسجد فوقع لي نور الدين السخاوي امام المالكية وكبيرهم فسلمت عليه فلم يعرفني فعرفته بنسبي وسألته عن الولد فقال مات منذ ثمني عشرة سنة وأخبرني ان فقيها من أهل صفد يسكن بالمدرسة الصاهرية فسرت اليه لاسأله عن والدي وأهلي فوجدته شيخا كبيرا فسلمت عليه وانتسبت له فاخبرني ان ولدي توفي منذ خمس عشرة سنة وان الوالدة بعيد الحياة وأخبرته بمشقة الشام بقية السنة والغلاء شديد والخبز قد انتهى الى قيمة سبع أواقي بدرهم نقرة بأوقيتهم أربع أواقي معربة وكان قاضي قضاة المالكية اذ ذاك جمال الدين المسلمي وكان من أصحاب الشيخ عز الدين القونوي وقدم معه دمشق فعرف به ثم ولي القضاء وقاضي قضاة الشافعية تقي الدين ابن السبكي وأمير دمشق ملك الامراء ارغون شاه

﴿حكاية﴾

ومات في تلك الايام بعض كبراء دمشق واوصى بمال للمساكين فكان المتولي لانفاذ الوصية يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختصموا الخبز الذي يفرق عليهم فمد والايدي الى خبز الحمارين وباع ذلك الامير أرغون شاه فاخرج زبانيته فكابروا حيث ما لقوا أحدا من المساكين وحملوه تحت الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فحبسهم ثلاثة أيام وترك منهم العدد وأحضرهم تحت القبعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكان أكثرهم برآء عن ذلك وأخرج طائفة الحرافيش عن دمشق فانتقلوا الى حمص وحماه وحلب وذكر لي انه لم يعش بعد ذلك الا قليلا وانتقل ثم سافرت من دمشق الى حمص ثم حماه ثم المعرة ثم سرمين ثم الى حلب وكان أمير حاج في هذا العهد الحاج رعصى (بضم الراء وسكون العين المهملة وفتح الطاء المهملة وياء آخر الحروف مكسورة)

﴿حكاية﴾

واتفق في تلك الايام ان فقيرا يعرف بشيخ المشايخ وهو ساكن في جبل خارج مدينة عينتاب والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له وكان متجردا عريانا لا زوجة له قال في بعض كلامه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن فشهد عليه بذلك وثبت عند القاضي ورفع أمره الى ملك الامراء واتى به وبتلميذه الموافق له على قوله فاوقع القصاة الاربعة وهم شهاب الدين المالكي وناصر الدين العديم الحنفي وتقي الدين ابن الصائغ

الشافعي وعز الدين الدمشقي الحنبلي بقتلهما معا فصلا وفي أوائل شهر ربيع الاول عام تسعة وأربعين بلغنا الخبر في حلب ان الوباء وقع بغزة وانه انتهى عدد الموتى فيها الى زيادة على الالف في يوم واحد فسافرت الى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولي اليها نحو ثلاثمائة انسان ثم سافرت الى دمشق ووصلتها يوم الجمعة وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة الى مسجد الاقدام حسبما ذكرته في الشهر الاول فخفف الله الوباء عنهم فانتهى عدد الموتى عندهم الى الفين وأربع مائة في اليوم ثم سافرت الى بعلبك ثم الى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضي القضاة بمصر وهو من الفضلاء الكرماء ومن شأنه على الخصاصة انفد درهم في الشهر

﴿حكاية﴾

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة ودعاني فيمن دعاه اليها فسألته عن سبب ذلك فاخبرني انه بدر أيام الوباء انه ان ارتفع ذلك ومن عليه يوم لا يصلي فيه على ميت صنع الدعوة ثم قال لي ولد كان بالامس لم أصل على ميت فصنعت الدعوة التي بدرت ووجدت من كنت أعهده من جميع الاشياخ بالقدس قد انتقلوا الى جوار الله تعالى رحمهم الله ولم يبق منهم الا القليل منهم المحدث العالم الامام صلاح الدين خليل ابن كيكلدي العلائي ومثل الصالح شرف الدين الحنفي شيخ زاوية المسجد الاقصى ولقيت الشيخ سليمان الشيرازي الصافي ولم يبق بالشام ومصر من وصل الى قدم آدم عليه السلام سواه ثم سافرت عن القدس وراقني الواعظ المحدث شرف الدين سليمان المليباري وشيخ المعارية بالقدس الصوفي الفاضل طلحة العبد الوادي فوصلنا الى مدينة الخليل عليه السلام وزرناه ومن معه من الانبياء عليهم السلام ثم سرنا الى عزة فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها في الوباء وأخبرني صبيان العدول بها كانوا ثمانين فبقي منهم الربع وان عدد الموتى بها انتهى الى الف ومائة في اليوم ثم سافرت في البر فوصلت الى دمياط ولقيت بها قطب الدين الحنفي وهو صائم الدهر وراقني منها الى فارسكور وسمنود ثم الى أبي صير (بكسر الصاد المهملة وياء وراء) ورأيت في زاوية لبعض المصريين بها

﴿حكاية﴾

وبينما نحن بتلك الزاوية اذ دخل عليه أحد الفقراء فقدم وعرض عليه الطعام فابى وقال انما قصدت زيارتكم ولم يزل ليلته تلك ساجدا وراكعا نائما صحيحا واشتغلنا بالذكر والتفكير بركة الزاوية فلما أصبح الشيخ بالصلاة ودعاه فلم يجبه فمضى اليه فوجده ميتا فصلينا عليه ودفناه رحمة الله عليه ثم سافرت الى المحلة الكبيرة ثم الى نحرارية ثم الى أبيار ثم الى دمنهور ثم الى الاسكندرية فوجدت الوباء قد انخفض بها بعد ان بلغ عدد الموتى الى ألف وثمانين في اليوم ثم سافرت الى

القاهرة

القاهرة ويلغني ان عدد الموتى أيام الوباء انتهى فيها الى أحد وعشرين الفا في اليوم ووجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالى

﴿ذكر سلطانها﴾

وكان ملك ديار مصر في هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون وبعد ذلك خلع عن الملك وولي أخوه الملك الصالح ولما وصلت القاهرة وجدت قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة قد توجه الى مكة في ركب عظيم يسمونه الرحبي لسفرهم في شهر رجب وأخبروا ان الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا عقبة أيله فارتفع عنهم ثم سافرت من القاهرة على بلاد الصعيد وقد تقدم ذكرها الى عيذاب وركبت منها البحر فوصلت الى جدة ثم سافرت منها الى مكة شرفها الله تعالى وكرمها فوصلتها في الثاني والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين ونزلت في جوار امام المالكية للصالح الولي الفاضل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو خليل فصمت شهر رمضان بمكة وكنت أختم كل يوم على مذهب الشافعي ولقيت من أعهده من أشياخي وأصحابي الذين الخمني وشهاب الدين العبري وأما محمد اليافعي ونجم الدين الاصفوني والحرازي وحججت في تلك السنة ثم سافرت مع الركب الشامي الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت قبره الكريم المعظم اراده الله طيبا وتشريفا وصليت في المسجد الكريم طهره الله وزاده تعظيما وزرت من بالبقيع من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ولقيت من الاشياخ أبا محمد بن فرحون ثم سافرنا من المدينة الشريفة الى العلا وتبوك ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم ثم الى غزة ثم الى ممارل الرمل وقد تقدم ذكر ذلك كله ثم الى القاهرة وهنالك عرفنا ان مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين اباحسن أيده الله تعالى قد صم الله به نشر الدولة المرينية وتولى بركته بعد اشفائها البلاد المغربية وافاض الاحسان على الخاص والعام وعم جميع الناس بسابغ الانعام وتشوفت النفوس الى المثول بسائه وأملت لثم ركابه عند ذلك فصممت القدوم على حضرته العلية مع ما شاقني من تذكار الاوطان والحنين الى الاهل والخلان المحبة الى بلادي التي لها الفضل عندي على البلدان (طويل)

بلادي بها نيطت علي تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فركبت البحر في قرقور ذلعص التوسيين صغيرة وسلك في صقرسة جنين وسرت حتى نزلت بجربة وسافرت المركب المذكور الى تونس فاستولى العدو عليه ثم سافرت في مركب صغير الى قابس فنزلت في ضيافة الاخوين الفاضلين أبي مروان وأبي العباس ابني مكي أميري جربة وقابس وحضرت عندهما مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركبت في مركب الى سفاقس

ثم توجهت فى البحر الى طرابلس ومنها سرت فى الرمع العرب فوصلت بعد مشقات الى مدينة تونس والعرب محاصرون لها

﴿ذكر سلطانها﴾

وكانت تونس فى ايالة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد فى سبيل رب العالمين علم الاعلام وأوحد الملوك الكرام أسد الاسود وسيد الاجواد العائث الاواب الخاشع العادل أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ناصر الدين الاسلام الذى سارت الامثال بجوده وشاع فى الاقطار أثر كرمه وعهده فى المكارم والمفاخر والمآثر الملك العادل فاصل ابى سعيد ابن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد فى سبيل رب العالمين قاهر الكفار ومبيدها ومبدى آثار الحق ومعيدها ناصر الايمان الشديد الصولة فى ذات الرحمان العابد الزاهد الراكع الساجد خاشع الصالح أبى يوسف ابن عبد الحق رضى الله عنهم أجمعين وأبقى الملك فى عقبهم الى يوم الدين ولما وصلت تونس قصدت الجناح أبا الحسن الشامى لما بينى وبينه من موالات الغرابة والبلدية فاراني سروره وتوجه معى الى المشور فدخلت المشور الكريم وقبلت يد مولانا أبى الحسن رضى الله عنه وأمرنى بالقعود فقعدت وسألنى عن الحجاز الشريف وسلطانه مقررا لما علمه وسألنى عن ابن تيمرا حين واخبرته بما فعلت المعاربة معه وارادتهم قتله بالاسكندرية وما لقى من ادائهم انتصارا لهم مولانا ابى الحسن رضى الله عنه وكان فى مجلسه من الفقهاء الامام أبو عبد الله السطى والامام أبو عبد الله محمد ابن الصباغ ومن أهل تونس قاضيها أبو على عمر بن عبد الرفيع وأبو عبد الله بن هارون وانصرفت عن المجلس الكريم فلما كان بعد العصر استدعانى مولانا أبو الحسن وهو مشرف على موضع القتال ومعه الشيوخ ابو بكر عثمان بن عبد الواحد الشهير بالفتى وأبو حسون ريان بن أمريون العلوى وأبو زكريا يحيى بن سليمان العكرى والخياط أبو الحسن الشامى فسألنى عن ملك الهند فاخبرته عما سأل ولم أزل اتردد فى مجلسه الكريم أيام اقامتى بتونس وكانت ستة وثلاثين يوما ولقيت بتونس ابن امام الحرم الامام خاتمة العلماء وكبيرهم أبا عبد الله الابلى وكان فى قرائن المرض وباحثنى عن كثير من أمور رحلتى ثم سافرت من تونس فى البحر مع القطلانيين فوصلنا الى جزيرة سردانية من جزر الروم ولها مرسى عجيب عليه خشب كثير دائرة به وله مدخل كالباب لا يفتح الا بادن منهم وفيها حصون دخلنا أحدها وبه أسواق كثيرة ونذرت لله تعالى ان خلصنا الله منها صوم شهرين متتابعين لانا تعرفنا ان أهلها عازمون على اتباعنا اذا خرجنا عنها بالاسر وبالشر فخرجنا عنها فوصلنا بعد عشرة الى مدينة تنس ثم الى مازونة ثم الى مستغانم ثم الى تلمسان فقصدت العباد وزرت الشيخ أبا مدين رضى الله عنه ونفع به

ثم

ثم خرجت عنها على طريق سرومة وسلكت طريق أخندقان وبيت نزاوية الشيخ ابراهيم ثم سفر رباطها فيما نحن بقرب ارغغان اذ خرج علينا حسون راجلا وفارسان وكان معي الحاج ابن قريعات الصحي وأخوه محمد المستشهد بعد ذلك في الصرف فعرضنا على قتالهم ورفعنا علمنا ثم سلموا وسالمناهم والحمد لله ووصلت الى مدينة تاري وبها تعرفت بحرموت والدتي مأنوسة رحمها الله تعالى ثم سافرت عن تاري فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وستمائة الى حضرة فاس فحللت بين يدي مولانا الاعظم الامام الاكرم أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابن عنان وصين الله عليه وكبت عدوه فاستغنى هيبته ملك العراق وحسنه حسن ملك الهند وحسن اخلاقه حسن خلق ملك اليمن وشجاعته شجاعة ملك تركستان وحلمه حلم ملك الروم ودهاؤه دهاء ملك تركستان وعلمه علم ملك أجاوة وكان بين يديه وزيره الفاضل ذو المكارم الشهير وله مآثر كثيرة أبو بكر بن وردار فألفيت عن الديار المصرية اذ كان قد وصل اليها فجئته عما سأل وعرفت من احسان مولانا ايده الله تعالى ما أعجزني شكره والله ولي مكافاته والقيت عصى التسيار بحضرته الشريفة بعد ان تحققت بفضل الانصاف بها أحسن الاوطان لان الدواكه بها يسيره والميره والاقوات غير متعذره وقل أقليم يجمع ذلك كله ولقد احسن من قال (مجتث)

الغرب أحسن ارض ● ولي دليل عليه

البدر رقص منه ● والشمس تسعى اليه

ودراهم الغرب صغيره وفلوسها كثيره واذا أطلت اقامته مع أسعار دينار مصر والشام طهر لك الحق في ذلك ولاح فصل بلاد المغرب فاقول ان الحوم الاغنام بدينار مصر تباع بحساب ثمان عشرة أوقية بدرهم نقره والدرهم النقره ستة دراهم من دراهم المغرب وبالمغرب يباع اللحم اذا غلا سعره ثمان عشرة وقية بدرهم وهما لمث النقره وأما السمن فلا يوجد بمصر في اكثر الاوقات والذي يستعمله أهل مصر من أنواع الادام لا يلتفت اليه بالمغرب ولان أكثر ذلك العدس والحمص يطحنونه في قدور راسيات ويجعلون عليه السيرج والبسلا وهو وصف من الحلبان يطحنونه ويجعلون عليه الزيت والفرع يطحنونه ويحاقونه بالناس والبقول الخضراء يطحنونها كذلك وأعين أعصان الدور يطحنونها ويجعلون عليها النمس والملفاس يطحنونه وهذا كله متيسر بالمغرب لكن أغنى الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزيد والعسل وسوى ذلك وأما الخضره فهي أقل الاشياء بسلا مصر وأما الفواكه فاكثر ما يجلب منها من الشام وأما العنب فاذا كان رخيصا بيع عندهم ثلاثة ارطال من ارطالهم بدرهم نقره وربما بيع ثمانية عشرة أوقية وأما بلاد الشام فالفواكه بها كثيره الا انها بلاد المغرب أرخص منها ثمانون العنب يباع بها بحساب

رطل من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلهم ثلاثة ارطال معربية واذا رخص ثمنه بيع بحساب رطلين بدرهم نقرة والاحاص يباع بحساب عشر أواق بدرهم نقرة وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية فلوس وهي درهم من دراهم المغرب وأما الخضر فيباع بالدرهم النقرة منها اقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير وأما اللحم فيباع فيها الرطل منه من أرطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة فاذا تأملت ذلك كله تبين لك ان بلاد المغرب أرخص البلاد أسعارا وأكثرها خيرات واعظمها مرافق وفوائد ولقد اراد الله بلاد المغرب شرفا الى شرفها وفضلا الى فضلها بامامة مولانا أمير المؤمنين الذي مد ظلال الامن في أقطارها واطلع شمس العدل في ارجائها وأفاض سحاب الاحسان في باديتها وحاضرتها وطهرها من المفسدين وأقام بها رسوم الدين والدين وأنا اذكر ما عاينته وتحققته من عدله وحلمه وشجاعته واشتغاله بالعلم وتفقهه وصدقته الجارية ورفع المظالم

﴿ذكر بعض فضائل مولانا أيده الله﴾

أما عدله فاشهر من ان يستطرق كتاب فمن ذلك خصوصه للمتظلمين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للماكين منهم وتقديمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقدمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة الى العصر ومن وصلت يوتها ودى باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين يكلمها دون واسطة فان كانت مظلمة يحمل انصافها او مطالبة احسن وقع اسعفها ثم اذا صليت العصر قرئت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيهم ويحضر المجلس الفقهاء والقصة فيرد اليهم ما تعلق بالاحكام الشرعية وهذا شيء لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل فان ملك الهند عين بعض امرائه لاحد القصص من الناس وتخصيصها او فعها اليه دون حضور أربابها بين يديه وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فانه أيده الله عفى عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن جزائهم الامن وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى والعافين عن الناس قال ابن جزي من أعجب ما شاهدته من حلم مولانا ايده الله انى مند قدمت على بابه الكريم في آخر عام ثلاثة وخمسين الى هذا العهد وهو اوائل عام سبعة وخمسين لم أشاهد أحدا أمر بقتله الامن قتله الشرع في حد من حدود الله تعالى قصاص أو حرابة هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الاعصار ولا فيما تباعد من الاقطار وأما شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن الكريهة من الشاد والاقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادي وغيرهم ولقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم فقال هكذا والا فلا قال ابن جزي لم ينزل الملوك الاقدمون تتفاخر بقتل الاسد وهو أئم الاعادي

ومولانا

ومولانا أيده الله كان قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الأسد فانه لما خرج الأسد على الجيش بوادي الحجارين من المعمورة تحوز سلا وتحامته الأبطال وفرت أمامه الفرسان والرجال بروايته مولانا أيده الله غير محتفل به ولا منهب منه فصعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خرها صريعا يديه ولفم وأما هزيمة الأعدى فهب انفقت للملوك بثبوت جيوشهم واقدام فرسانهم فيكون حد الملوك الثبوت والتحريض على القتال وأما مولانا أيده الله فانه أقدم على عدوه مفردا شاهرا سيفه الكريمة يعد عليه بفرد الناس وتحققه انه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الأعداء وانهزموا امامه فكان من العجائب فرار الجم الغفير واحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وما هو لائق بمن يثق به أعلى مقامه من التوكل على الله والتفويض اليه وامتثاله بالعلم وما هو ايده الله تعالى عقد مجلس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك اعلام العلماء وبحساء الصبية بمجلسه فتحضر الكريمة فيقرأ بين يديه بقصير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة وفي كل علم من هذه العلوم القدح المعلى يحلو مشكلاته ويورقهمه ويلقي بكثه الرائقة من حفظه وهذا شأن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين ولم أر من ملوك الدنيا من لمعت عنايته بالعلم الى هذه النهاية فقد رأيت مولانا أيده الله يستاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ورأيته مولانا أيده الله يتناكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب مالك في خاصة وكنت أعجب من ملازمة مولانا أيده الله لمجلس العلم بعد صلاة العشاء الآخرة والصبح في الجماعة حتى رأيت ملازمة مولانا أيده الله في العلوم كما هي في الجماعة ولقيام رمضان والله يختص برحمته من يشاء قال ابن حزم لو أن عالما يدرس له شغل الناس بالعلم ليلا ونهارا لم يكن يصل الى أدنى مراتب مولانا أيده الله في العلوم مع اشتغاله بأمور الأمة وتدبير سياسة الأقاليم النائية وتباشرته من حال ملكه ما لا يباشره أحد من الملوك وظهر نفسه في شكاياب المظلومين ومع ذلك كله فلا تقع لمجلسه الكريم مسألة علم في أي علم كان الا جلامث كلها واحث في دقائقها واستخرج غوامضها واستدرك على عقد مجلسه معانيها ثم سما أيده الله الى العلم الشريف التصوفي فهم اشارات القوم وتخلق باخلاقهم وظهرت آثار ذلك في تواضعه مع رعيته وشفقته على رعيته ورفقه في أموره كلها واعتنى للأذان حصاحر بلا من نفسه فاستعمل أحسنهم نغما واعظمهم مرقعا وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة تلان بعثهما الى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة مروضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتم ما تحت يده الذي يحق الروض حسنا وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان انشاءه ولا رام ادراكه ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه أيده الله تعالى واسط عقدها تحصيل الاح

له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة التي قصره عليها وجمع له بين الصيغ والمكاتب منها
وأما صدقاته الجارية وما أمر به من عمارة الربط بجميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر
فذلك مما لم يتعوده أحد من الملوك غير السلطان أتبك أحمد وقدر الله عليه مولانا أيده الله بالتصدق
على المساكين بالطعام كل يوم والتصدق بالزيت على المستترين من أهل البيوت قال ابن جزي
اخترع مولانا أيده الله في الكرم والصدقات أمورا لم تخطر في الأوهام ولا تهدت اليها الأفكار
فمنها الصدقة على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام ومنها تعيين الصدقة الوافرة
للمحجورين في جميع البلاد أيضا ومنها كون تلك الصدقات خبزا محمورا متيسرا للانتفاع به
ومنها كسوة المساكين والضعفاء والفقراء والمشايخ والملازمين للمساجد بجميع بلاده ومنها
تعيين الضحايا لهؤلاء الاصناف في عيد الاضحى ومنها التصدق بما يجتمع في محابي أبواب
بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان اكراما لذلك اليوم الكريم وتيمنا بما تحفه ومنها اطعام
الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم وإطعامهم لاقامة ربعه ومنها اعداد ابتنائي من
الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء ومنها صدقته على الزمنى والضعفاء بارواحه يقيمون
بها أودهم ومنها صدقته على المساكين بحضرة بالمساقي الوثيرة والقطائف الجياد
يفترشونها عند رقادهم وتلك مكرمة لا يعلم لها خطير ومنها اجراء المرتبات في كل بلد من بلاده
وتعيين الاوقاف الكثيرة لمؤن المرضى وتعيين الاطباء لمعالجتهم والتصرف في طبهم الى غير
ذلك مما أبدع فيه من أنواع المكارم وصروف المآثر كافى الله بارئه وشكر نعمه وأمار فعه
للمظالم عن الرعية منها الرتب التي كانت تؤخذ بالطرقات اعزاه الله بحور منها وكان لها
مجبي عظيم فرياضت اليه وما عند الله خير وابقى وأما كفه أيده الله عن مشهور وقد
سمعته أيده الله يقول لعماله لا تطلبوا الرعية ويؤكد عليهم في ذلك الوصية قال ابن جزي ولو لم
يكن من رفق مولانا أيده الله برعيته لا رفعه التصييف الذي كانت تعمل الزكاة ولاه البلاد
تأخذ من الزعاية لكفى ذلك أثرا في العدل ماهرا وبرا في الرفق باهرا فكيف وقد رفع من
المظالم وبسط من المرافق ما لا يحيط به الحصر وقد صدر في أيام تصييف هذا من أمره الكريم
في الرفق بالمحجورين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ما هو اللائق بحسانهم
والمعهود من رأفته وشمل الامر بذلك جميع الاقطار وكذلك صدر من التنكيس عن نذت
حوزه من القضاة والحكام ما فيه رجز الظلمة وردع المعتدين وأما فعله في معاونة أهل الاندلس
على الجهاد ومحافظته على امداد الثغور بالاموال والاقوات والسلاح وفقته في عضد العدو
بأعداد العدد واظهار القوة فذلك أمر شهير لم يغب علمه عن أهل المغرب والمشرق ولا سبق
اليه أحد من الملوك قال ابن جزي حسب المتشوف الى علم ما عند مولانا أيده الله من سداد

القصر للمسلمين ودفاع العوام الكافر برمه فعلد في فداء مدينة طرابلس افرنقية فانها لما استولى العدو عليها ومنها العدوان اليها ورأى أبو ماسان بعث الجيوش الى نصرتها لا يتأتى لبعد الاقطار كتب الى حماده صاحب بلاد أفريقية ان يمدوها بالمال فعدت بخمسين ألف دينار من الذهب العين فلما بلغه خبر هلاك ولي الخدمة الذي استرجعها من أيدي الكفار بهذا الامر اليسير وأمر للجيش بعث ذلك العدد الى افرنقية ويمد بها المدينة الى الاسلام على يديه ولم يخطر في الاوهام ان أحدا تكون عنده جملة قناطير من الذهب تراق بيديه حتى جاء بها مولانا أيده الله بمكرمة بعيدة ومأثرة فائقة فاق في الملوك اسلافه وعرف عليهم مذاهبه ومما شاع من افعال مولانا أيده الله في الجهاد اشاعة الاحسان بجميع السواحل واستكثاره من عدد الحروب وهذا في زمان الصدور المهادنة اعداد لابد الغزاة واحداثا لحرم في قمع أصناع الكفار واكدادهم بوجوه أيده الله سعيه الى حسان جانبه في العام الماضي ليباشر قمع الخشب للانشاء ويظهر قدر ماله بذلك من الاعتناء ويتولى بنفسه اعمال الجهاد مستحيبا لوعد الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء

(رجع) ومن أعظم حسناته أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملكه العلي وهو الذي أمتع برياضه العين وانعش النفس وانراق النور وبديع الترتيب وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالعصريين بحاور قصبة فاس بلا صبر لها في المعمور اتساعا وحسنا وابداعا وكثرة وحسن وضع ولم ترى عيون الشام ومصر والعراق وخراسان ما يضعها وعمارة الزاوية العظمى على عدوة الخارج من مدينة البيضاء لم تمش لها أيضا في عجب وصنعها وبديع صنعها وما يعز ويدر انها بالمشرق وبديع نقوش (من رياقوس) التي بهذه الملك الصروح وأبدع منها ارشد احكاما وانقنا وايضا سعد بيديه مولانا أيده الله بمقاصد الشريعة ويكفي في فضائله المنيفة وسعيه لاسلام والمسلمين ايمه ونصر الوثيقة المطهرة واعلامه

ولنعد الى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت لي مشاهدة هذا المقام الكريم وعمني فضل احسانه العميم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت الى بلدي صحيحة وزرتها وتوجهت الى مدينة سبتة فاقمت بها أشهرا وأصابني بها المرض ثلاثة أشهر ثم عافاني الله فاردت ان يكون لي حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبتة في شطي لاهل اصيلا فوصلت الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى حيث لا جور ولا معاكس والثواب مذخور للصابر والصانع وكان ذلك أثر موت طاغية الروم الفونس وحصاره لجبل عشرة أشهر وطمه الله بسببه ولي على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين فاحمد الله من حيث لم يحتسب ومنح بالوباء الذي كان أشد الناس

خوفا منه واول بلد شاهدته من البلاد الاندلسية جبل الفتح فلقيت به مخطيه الفاضل
أبا زكريا يحيى بن السراج الرندي وفاتيه عيسى البيري وعنده نزلت وتطوفت معه على
الجبل فرايت عجائب مابني به مولانا أبو الحسن رضي الله عنه واعد فيه من العدد ومر دعلى
ذلك مولانا أيده الله ووددت أن لو كنت من رايته على مايه العمر فقال ابن جزي جبل الفتح
هو معقل الاسلام المعترض شرقي في حلق عبدة الاصنام حسنة مولانا ابي الحسن رضي الله
عنه المنسوبة اليه وقرينته التي قد مهاورايين يديه نحن عدد الجبال ومقر العدد الاجناد ولعمر
الذي افترعن تدمر الايام واداق أهل الاندلس بعد مرار الخوف حلاوة الامان ومنه كان
مبدأ الفتح الاكبر وهو نزل طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عند حواره فنسب اليه فيعرف له
جبل طارق وحبل الفتح لان هذا كان مبدأه وبقايا السور الذي بناه ومن معه باقية الى الآن
تسمى بسور العرب شاهدتها يا سيدي عند حصار الزيارة لله ثم فتحه مولانا
أبو الحسن رضوان الله عليه واخرجه من أيدي الروم عدد ايامه لاثني عشر سنة وبعدها وبعث
الى حصاره ولده الامير اسماعيل ايده الله بالاموال والعساكر الجرارة وكان فتحه
بعد حصار ستة أشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ويكن حينئذ على ما هو الآن
عليه فبنى به مولانا أبو الحسن رحمه الله أثره الاعلى من على الحصن وكانت قبل ذلك
برجا صغيرا ثم صغر المحاسن فيه بناء مكانه وبنى به دار الصنعة ولم يكن به دار صنعة وبنى
السور الاعظم المحيط بالربوة بجوار الدار الجديد من دار الصنعة الى القرمدة ثم جدد مولانا أمير
المؤمنين ابو عنان ايده الله عند تجديده وتحصينه وترميمه السور بدرب الفتح وهو اعظم
أسواره عند وأعمرها بعد وأحوجها اليه بعد الوافرة والاقوات والمرافق العامة وعامر الله
تعالى فيه بحسن النية وصدق الاخلاص وكان في الشهر الاخير من عام ثمانية وخمسين
وقع بحصن الفتح مصرعه أثر يمين مولانا ايده الله وثمرة توكله في أموره على الله وبان مصداق
ما أظهر له من السعادة الكافية وذلك ان عامر الجبل الحصن الذي حتم له بالشقاء عيسى بن
الحسن بن أبي مديل نزع يده المعيرة عن اتباعه وفارق عدة اجماعه واصور الشقاق وحمي
في الصدور لسعة فوتعطى مالايس من رحله وعمي عن مبدأ أحواله السيئ ومآله وتوهم الدنس
ان دلا مبدأ فتنه تتفق على اطفائها كرائم الاموال ويستعد لاتلافها بالفرسان والرجال
فحكمت سعادة مولانا أيده الله بصلال هذا التوهم وقضى صدق يمينه باختراق العادة في
هذه الفتنة ولم تكن الا ايام يسيرة ورد جميع أهل الحصن صاغرهم وناروا على الثائر وخالفوا الشقي
المخالف وقاموا بالواجب من الطاعة وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد له في شقاقه وافي بهما
مصفدين الى الحضرة العلية فقعد فيهما حكم الله في الكفار بين وارتاح الله من شرهما ولله الحمد

ر الفتنة ظهر مولانا أيده الله من العناية بلاد الاندلس ما لم يكن في حساب أهلها وبعث الى جبل الفتح ولده الاسعد الماجد الارشد أبكر المدعو من اسعده السعاية بالسعيد أسعده الله تعالى وبعث معه انجاد الفرسان ووجوه الفرسان وكفاة الرجال وادر عليهم الارزاق ووسع لهم الاقطاع وحرر بلادهم من المغارم ومن لهم حرين الاحسان وبلغ من اشفاقه بامور الجبل ان أمر أيده الله بيناء شكل بشكل الجبل المذكور فيه أشكال اسواره وابراجه وحصنه وابوابه ودار صنعته ومساجده ومحاربه عدده واهربه وزرعه وصورة الحصن وما اتصل به من التربة فجاء مسمى ذلك المشهود السعيد فكان شكلا عجيبا فيه الصناع اتقانا يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال وهذا ان لشوقه أيده الله الى استطلاع أحواله وتهممه بتحصينه وعداده والله تعالى يحصن بسر الاسم الاعظم بالحرز الغريب عليه يده ويحقق مأموله في ولاية الكفاية شاهد ذلك من عبد الملك وكرر حين هذا التقييد قول الادب البليغ المفلق أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الرصافي البلنسي رحمه الله في وصف عبد المؤمن المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أولها (بسيط)

لو جئت نار الهدى من جانب الصور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ومن بديع قوله في وصف الجبل وهو من البديع الذي لم يسبق اليه بعد وصفه السلف وحوازه،

حتى رمت جبل الفتح من جبل * معظم القدر في الاجبال مذكور
من شامخ الاصل في سحابه فلس * له من العيم جيب غير مزرور
تمسي النجوم على أكليل مفرقه * في أحوط حاسة مثل الدنانير
فربما مسحته من ذوائبها * تكل وصل على فوديه محرور
وادرد من ثنايا عاصم أحد * منه معاصم أعواد الدهاريز
محنك حلب الايام أشطرها * وساقها سوق حادي العير للعير
مقيد الصعب حوال الخواطر في * عجيب أمريه من ماض ومنصور
قد وسم الصمت والاطراق مفكرا * بادي السكينة معقور الاساريز
كأنه مكمد مما عهده * خوف الوعيدين من ذلك وتسيير
احلق بوحشان الارض راجفة * أن يطمئن غدا من كل محذور

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المؤمن بن علي قال ابن بشكوال بعد الى كلام الشيخ أبي عبد الله هذا ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رندة وهي من أمنع معاقل المسلمين واجلها وصفا وكان قاضيها اذ ذاك الشيخ أبو الربيع سليمان بن داود العسكري وقاضيه ابن عمي الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بشكوال وكتبت بها الفقيه القاضي الاديب أبو الحجاج يوسف بن

موسى المتشاقرى واصافنى نثره ولقيت بها أيضا صهره الصالح الصدر أبا اسحاق ابراهيم المعروف بالشندوخ المتوفى بعد ذلك بمدينة سلا من بلاد المغرب ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصفار وسواه وأقمت بها جمعة أيام ثم سافرت منها الى مدينة مربلة والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة ومربلة بليدة حسنة حصينة ووجدت بها جماعة من المغرسيين متوجهين الى مالقة فارتفت التوجه فى صحبتهم ثم ان الله تعالى عصمنى بعضله فتوجهوا قبلى فاسرا والى الطريق كما سبق ذكره ووجدت فى اثرهم فلحقونى جورس بلدة ودخلت فى جور سهيل مررت بقرس مررت فى بعض الطريق ثم مررت بقلعة جوت مطروحة بالارض فرايتى ذلك وكان امامى ريح الساطور وقفت فى نفسى لوظهر هاهنا عدو لاندريه صاحب الريح ثم تقدمت الى دار هناك فوجدت على بابها فرسا مقتولا فمررت بها ولم اسمع الصياح من خلفى وكنت قد تقدمنى أصحابى فعدت اليهم فوجدتهم قد وقفوا بحصن سهيل فاعلمنى ان أربعة اخوان للعدو ظهروا هناك ونزل بعض عساكرهم فى الدار ولم يكن الساطور بالبرج فهربهم لفرسان الخبارجون من مربلة وكانوا اثنى عشر فقتل النصارى احدهم وفر واحد وأسر العشرة وقتل معهم رجل حوات وهو الذى وجدت قتيلا مطروحة بالارض وأشار على ذلك القائد بالمبيت معه فى موضعه ليوصلنى منه الى مالقة فبت عنده بحصن الرابط المنسوبة الى سهيل والاخوان المذكورة مرتفعة عليه وركب معى بالغد فوصلنى الى مدينة مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع فى اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسى اليمانوى لا نظير له فى الدنيا وأما التين والموز فهو لبنان منها ومن أنواعها الى بلاد المشرق والمغرب قال ابن جزى والى ذلك أشار الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على المالقى فى قوله وهو من مليح التخميس (سريع)

مالقة حييت يا تينها ✽ والعنب من احلك يا تينها

حتى طبيبى عنك فى علة ✽ ما لطبيبى عن مجاراتها

وذيلها قاضى الجماعة أبو عبد الله بن عبد الملك بقوله فى قصد المجانسة (سريع)

وحص لا تنس لمالقتها ✽ وأكرم التبريز بانيها

(رجع) ومالقة مصنع البحار المذهب العجيب ويحلب منها الى اقاصى البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وبحنته لا نظير له فى الحسن فيه أشجار النارنج البعيدة ولما دخلت مالقة وجدت قاضيها الخطيب الفاضل أبا عبد الله ابن خطيبها الفاضل الى جهة ابن خطيبه ولى الله تعالى ابى عبد الله الضجانى قاعدا بالجامع الاعظم ومعه الفقهاء ووجوه الناس يخوضون فى الا

مرسم قد اه الاسارى الذين تقدم ذكرهم فقلت له الحمد لله الذى عافانى ولم يجعلنى منهم واحببته بما اتفق لى بعدهم فعجب من ذلك وبعث الى بقصيدة رحمه الله واصافنى أيضا حصيم أبو عبد الله الساحلى المعروف بالحمم خرجت منها فى مدينة باش وبينها وبين غرناطة أربعة وعشرون ميلا وهى مدينة حسنة بها مسجد عجيب وفيه الاعمدة والعواكه والتين كمثل ما عندنا سواء تقريبا منها الى اجة وهى لمدة صغيرة لها مسجد بديع الوضع عجيب البناء وبها العين الجارية على صفة وبينها وبين السلطيل أو نحوه وهما مرحلة لاستحمام الرحل وبيت لاستحمام النساء ثم سافرت منها الى مدينة غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها الانضر له فى بلاد الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو حمل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها يسواها قال ابن جزى لولا حشية ان انسب الى العصبية لاطلت القول فى وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كالشهر شمس لا معنى لاطالة القول فيه وقد رثى شيخنا أبى بكر محمد بن أحمد بن شبرين البستى بر ل غرناطة حيث يقول (طويل)

رعى الله من غرناطة متبوّا ✽ يسر حزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبى عند مرأى ✽ مسارحها المنع عدن حليدا
هى الفرض ان الله من أهلت به ✽ وما خير عمر لا يكون ورودا

﴿رجع ذكر سلطانها﴾

وكان ملك غرناطة فى عهد دخولى اليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن الناصر ابى الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ولم اشهده بسبب مرض كان به وبعثت الى والدته الحرة الصالحة العابدة بدينار ذهب اردفت بها ولقيت بغرناطة جلة من فضلائها منهم قاضى الجماعة بها الشريف البليغ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسينى السبتى ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العلم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البيانى ومنهم عالمها ومقرئها الخطيب أبو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب ومنهم قاضى الجماعة درة العصر وطرفة الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم البلفيقى البعيقى قدم عليها من المرية فى تلك الايام فوقع الاجتماع به فى بستان الفقيه أبى القاسم محمد بن الفقيه الكاتب الجليل ابى عبد الله بن عاصم واقمنا هنالك يومين وليلة قال ابن جزى كنت معهم فى ذلك البستان واستمعت لشيخ أبو عبد الله باخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الاعلام الذين لقيهم فيها وأسعدنى منه الفوائد العجيبة وكان معنا جملة من وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد العريب الشأن أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم

الجذامي وهذا النبتي أمرد عجيب حاله نشأ بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس العلمية ثم انه نبغ بالشعر الجيد الذي يتحير وقوعه من يكابر ببدعاه وصدوره عنه ومن قوله (رمل)

يا من احدر وادي مرلا * ما لك عيني التي ترمقه
في البيان سهادي بعدكم * فابعثوا ما فيكم يغلقه

(رجع) وانتقلت بقرطاطة شيوخ والمتصوفين منهم الفقيه علي بن عمر بن ابي صالح الولي ابي عبد الله محمد بن المحروق وافت أيامه زاويته التي بخارج عرطاطة واكرمني أشد الاكرام وتوجهت معه الى زيارة الزاوية الشهيرة المركدة بمروة راضة العقاب والعقاب جبل مطل على خارج عرطاطة وبينهما نحو ثمانية أميال وهو مجاور لمدينة التيرة الحربية وانتقلت ايضا الى أخيه الفقيه بالحسن علي بن أحمد بن المحروق بزاويته الماسونة باسمه باعلى ربض بجذو من خارج عرطاطة المتصل بجبل السيكة وهو شيخ المتسمين من الفقراء وعرطاطة جملة من فقراء النحم استوطنوها الشيخ بها بلادهم منهم الحاج أبو عبد الله السوقندي والحاج أحمد التبرري والحاج ابراهيم القوبري والحاج حسين الخراساني والحاج عمر ورشيد الهنديان وسواهم ثم رحلت من عرطاطة الى الحمة ثم الى بلش ثم الى مالقة ثم الى حصن ذكوان وهو حصن حسن كثير المياه والاشجار والفواكه ثم سافرت منه الى رندة ثم الى قرية بني رباح وهي رابي شيخها ابو الحسن علي سليمان الرياحي وهو أحد كرماء الرحل وفضلاء الاعيان يطعم الصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة ثم سافرت الى جبل الفتح وركبت البحر في الجفن الذي حرت فيه اولا وهو لاهل اصيلا فوصلت الى سبتة وكان قد بها اذ ذاك الشيخ أبو مهدي عيسى بن سليمان بن منصور وقاضيها الفقيه أبو محمد الزعندري ثم سافرت منها الى اصيلا واقمت بها شهورا ثم سافرت منها الى مدينة سلا ثم سافرت من سلا فوصلت الى مدينة مراكش وهي من أجل المدن فسيحة الارجاء متسعة الافنية كثيرة الخيرات بها المساجد الصحيحة كمسجدها الاعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعد تها وطهرني جميع البلد منها وقد استولى عليه الخراب فاشبه الاسقاد الان أسواق بغداد أحسن وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة وهي من بناء الامام مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه قال ابن حزي في مراكش يقول قاضيها لتاريخها أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الاوسي (بسيط)

لله مراكش العمراء من بلد * وحبذا الخلة السادات من سكن
ان حلها زاح الاوصاب مغترب * أنسو لانس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها او للعيان بها * يشفي الحاسد بين العين والاذن

رجع

(رجع) ثم سافرت من مراكش صحبة الركاب العلي ركاب مولانا ايده الله فوصلنا الى مدينة سلا ثم الى مدينة مكناسة الجديدة المعروفة بالبساتين والجنات المحيطة بها بجبل الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا الى حضرة فاس حرسها الله تعالى فوادعت بها مولانا أيده الله وتوجهت برسم السفر الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من احسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة اطيب وصنف ارزه لا يدانيه ارز في البلاد وبرلت منها عند الفقيه ابي محمد البشري وهو الذي اتيت الى مدينة قصطنطينة من بلاد الترك فيما تقدم فاكرمني غاية الاكرام واشتريت منه الجمال وعلفتها أربعة اشهر ثم سافرت في غرة محرم الحرام سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدمها أبو محمد يندكان المذكور وفي رحلته الله وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما الى قصر تاوز وهو اسم (على ما سمعت) للماء والعين المجتمع والفوارة مفتوح) أيضا وهي قرية لا خير فيها ومن عجائبها ان عين مائها ومعظم شاربها من تحت رمال الملح وقعرها من حجر ولا تحفر بها ما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الارض فيوجد منه الواح ضخام منراكبة بعضها فوق بعض تحت الارض يحمل الجمل منها لوحين ولا يسكنها الا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر ذرعة وسجلماسة ومن ما وراء ذلك ومن اوان المحرم من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيجدون هناك الملح ويباع الحمل منه بالاوقية بعشرة مثاقيل الى ثمانية فوق ذلك بمسافة ثلاثين مرحلة الى عشرين وما انتهى الى اربعين مرحلة لا يوجد بتصارف السودان كما يتصارف الذهب والفضة يعتمدونه قيمة ويزينون به وقرية تاوز عامرة على حجارتها تعامل فيها القناطير الى مقدم من التمر وافقنا بها عشرة ايام في جهد لان مسيرة عشر وهي اكثر المواضع ماء وبها رفع الماء من الصخور التي بعدها وهي مسيرة عشر لا ماء فيها الا في البئر ووجدنا نحن بها ماء كثيرا في غير ابانه المعروف وقد وجد في بعض الايام غدرانا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فتزودنا منه وغسلنا ثيابنا وانكا تمتد الصحراء كثيرة وبكثرة الرمل بها حتى يجعل الناس في اعلامهم حيوانا يقيهم الرمق فيقدمها وقت الايم يسمى امام القافلة فاذا وجد مكانا يصلح للمرعى رعيت الدواب به ولم تزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف بابن زيري فلم اتقدم بعد ذلك ولا تأخرت وكان ابن زيري وقعت بينه وبين ابن خاله ويعرف بابن عسكر منازعة ومشاتمة فتأخر عن الرفقة قصد ولما زال الناس لم يشعر له بخبر فاشرت على ابن خاله بان يكتري من مسوفة من يقفو أثره لعله يجده فابى وانتدب في اليوم الثاني رجل من مسوفة دون اجرة لعلمه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورا ويخرج عنها تارة ولم يقع له على خبر ولقد لقيه القافلة

فى طريقها فاخبروه ان بعض رجال القافلة انقطعوا عنهم فوجدوا أحدهم ميتا تحت شجرة من أشجار الرمل وعليه ثياب وفى يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه ثم وصفوا لى تلك الشجرة (بضم التاء المثناة والسين المهملة والراء وسكون الحاء) وهى اجساء ما تنزل الفول عليها ويقيمون ثلاثة أيام فيستريحون ويصلحون اسفيتهم ويملؤونها الماء ويحيطون عليها الثلاليس خوف الريح ومن هنالك يبعث التكشيف

﴿ذكر التكشيف﴾

والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم الى ابوالاتن كتب الناس الى أصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة يوم ومن لم يكن له صاحب بابوالاتن كتب الى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه فى ذلك ورعما غلا التكشيف فى هذه الصحراء فلا يعلم أهل ابوالاتن بالقافلة فيهلك اهلها واكثير منهم وتبث الصحراء كثيرة الشياطين فان كان التكشيف متفرد العبث به واستهوته حتى يضل عن قصد فيهلك ادلا طريق يظهر ولا اثر انما هى رمال تسفيها الريح عرى حبا الامر الرمل فى مكان ثم يراها قد انتقلت الى سواه والدليل هنالك من كثرة تردده وكان له قلب ذكى ورأيت من العجائب ان الدليل الذى كان له هو أعور العين الواحدة مريض السابة وهو أعرف الناس بالطريق واكثرهم تكشيفا فى هذه الصحراء ثمانية منفال من الذهب وهو من مسوفة وفى ليلة اليوم السابع رأيت ان الذين حولى القافلة ما تبشر بالماء وهذه الصحراء مبيرة مشرقة تشرح الصدر فيها وتطيب النفس وهى آهلة من السراق والبقر الوحشية بها كثيرا فى اقتنيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونها بالكلاب والنشاب لكل حى منهم اولدا كله العطش فيخف ماء كثير من الناس لذلك ومن العجائب ان هذه البقر اذا قتلت واحدة فى كرشها الماء واقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها ويشربون الماء الذى فيه والحيوانات أيضا بهذه الصحراء كثيرة

﴿حكاية﴾

وكان فى القافلة تكرتلسانى يعرف بالحاج ريان ومرت به ذات يوم ارنب فقبض على الحيوان وبعث بها وكنت انهاه عن ذلك فلا ينتهى فلما كان ذات يوم أدخل يده فى مخرص ليخرجه فوجد مكانه حية فاخذها بيده وأراد الركوب فلسعته فى سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فكوت يده وزاد له عشى النهار فحر حلا وأدخل يده فى كرشه وتركها كذلك ليلة ثم نشأ لحم إصبعه فقطعها من الاصل وأخبرنا أهل مسوفة ان تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل لسعه ولو لم تكن شربت لقتلته ولم يصل الى الدير استقبلونا بالماء شربت حيا ولو حلنا صحراء شديدة

الحر

الحر ليست كالتي عهدنا وكنا نرحل عند صلاة العصر ونسري الليل كله ونقيل عند الصباح وتأتي الرحال من مسوفة وبرادة وغيرهم فحال الماء تبيع ثم وصلنا الى مدينة أبوالاتن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر نحو شهرين كاملين من حمامة وهي أول عمالة السودان وبها نائب السلطان بها فرنا حسين وفرنا (بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الباء الموحدة) ومعناه النائب ولما وصلنا حمل البحر امتعتهم في رحبة وسكن السودان شطها وتوجهوا الى الفرنا وهو جالس على بساط في سقيفة واعوانه بين يديه بايديهم الرماح والقسي وكراسي مسوفة من ورائه ووقف القوارين بين يديه وهو يكلمهم ترجمان على قدرهم منه احتقارا لهم فعند ذلك بدت على قدومي بلادهم لسوء ادبهم واحتقارهم للاجنبي وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له من كتبرى في دار فعمل ذلك ثم ان مشرف ابوالاتن ويسمى مشاحو (بفتح الميم وسكون النون وفتح الشين المعجمة والف وحاء مضمومة وواو) ستدعى من حاشية القافلة الى صيد فتنسه فاوت من حضور ذلك فعزم الاصحاب على قصد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم اتى بالضيافة وهي حريش اذلي محلوط بايسير عسل ولبن قد وضعوه في نصف قرعة صبر وشبيه اجفنة فشرب الحاضرون واصبروا فاتت لهم الحداد عادة السودان ولونهم وهو الضيافة الكبيرة عندهم فابقت حينئذ ان لا خير يرجى منهم واردت ان أسافر مع نجح ابوالاتن ثم ظهر لي ان اتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم وكانت اقامتي بابوالاتن نحو خمسين يوما واكرمني اهلها واضافوني منهم فاصيها محمد بن عبد الله بن بنومر واخوه الفقيه المدرس يحيى وبلدة ابوالاتن شديدة الحر وفيها سيل محيلاب يدرعون في ظلال البطح وماؤهم من احساء بها وحمام الضأن كثير بها وثياب أهلها احسان مصرية واكثر السكان بها من مسوفة ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنا من الرجال

﴿ذكر مسوفة الساكنين بابوالاتن﴾

وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب فما مارجالهم فلا غيرة قط عندهم ولا يتنسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب لخاله ولا يرث الرجل ولا أبناء اخته دون بنيه وذلك شيء مارأيته في الدنيا الا عند كفار بلاد المليبار من الهنود وهؤلاء هم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن ومجالسهم فلا يختلطن من الرجال ولا يختلطن مع مواطنهن على الصلوات ومن اراد التزوج منهن تزوج بها لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو اراد احدا هن ذلك لمنعها اهلها والنساء هنالك يكون لهن الاصدقاء والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك الرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك

﴿حكاية﴾

دخلت يوما على القاضي ويولاس عدادته في المحول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فبادرتها بست واردت الرجوع فضحكت مني ولم تركها تخرج وقال لي القاضي لترجع انها صاحبتي فجئت من شأنها فاعلمته من الفقيهة الحاج وأخبرت انها استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبته لا أدري اعلى عدة ام لا ولم يأذن له

﴿حكاية نحوها﴾

دخلت يوما على ابي محمد سدكان المدوني الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعدا على بساط وفي وسط داره سرير معلق عليه امرأة معها رجل من عبيدهما اسمه ثلاث فقلت لها هذه امرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها فقال هو صاحبها فقلت له ارضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لي صاحبة النساء للرجل عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها وليس كنساء دكم فخجلت من رعونته وانصرفت عنه ولم اعد اليه بعدها واستدعى بي مرات فلم احبه ولما عزمت على السفر الى مالي وبينها وبين ابوالاتن مسيرة أربعة وعشرين يوما للجمال اكريت دليلا من موقفة ان لا صحبة الى السفر في رفقة الأمن ثلاث الطريق وسرت في ثلاثة من أصحابي وتلك الطريق كثيرة الاشجار والثمار عامرة بالضخمة تستظل القافلة بعدل الشجر منها وتعصبها الاغصان لها ولا ورق ولكن حمل حسن حيث يستحسن به الانسان وبعض تلك الاشجار قد اشتمل داخله واستنقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذي فيها ويكون في بعضها العسل والعسل فيشتاره الناس منها ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلا ميتا فكاقد حسبها امر منه وهو يسيح فجعلت منه قال ابن جزي بلاد الاندلس شجرتان من شجر القسطل في جوف كل واحدة منهما ثلاثة اشياب احداهما بسدواري تش والاخرى بشارة عرباطة رجع وفي أشجار هذه الطريق التي بين ابوالاتن ومالي ما ليشبه ثمره الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وليست بها وفيها انهار ثم شبه القفوص فاذا اصاب الفلق عن شيء شبه الدقيق فيه يحوبه ويأكلونه ويباع بالاسواق ويستخرجون من هذه الارض حيات كالفول فيطبخونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو ورعا طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفيذ وقلوبه يعرفي ولعرفي (بفتح العين المهملة وسكون الراء وكسر الشاء المثناة) وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة مصر بالميضان اذا اكلوه وفي عظمه فيخرج منه ريت لهم فيه منافع هنالك يصحون به ويمسحون به السرج ويقلون به هذا الاسفيذ ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسحقون به الدور كما تطلي الجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة من بلاد والقرع بلاد السودان يعظم

ومنه يصنعون جفان يقطعون الفرعه نصفين فيصنعون منها حفيرين ويقدرون نفشا حسنا واذا اراد احدهم يتخذ عيده وحواريه يحملون فرشه واوانيه التي يأكل ويشرب فيها وهي من الفرع وامثاله فهذه البلاد لا يجمع رادا ولا ادبارا ولا دراهم انما يجمع قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس الخرز وبعض السلع العصريه وأكثر ما يجلبهم صنف الفرنفل والمصطكى وتامرعنت وهو تحورهم فادا وصل قريه من قراهم السودان بالي واللبن والدجاج ودقيق السبق والارز والقوى وهو كحب الخردل يصنع من الكسكسو والعصيدة ودقيق اللوبيا يشترى منهن ما أحب من ذلك الاان الارز نصرا كله بالبيض والقوى حرمه وبعد مسيرة عشرة أيام من ابوالاس وصلنا الى قريه راغرى (وضبطها بفتح الراى والعين المعجم وكسر الراء) وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون وحرانة (بفتح الواو وسكون الزاى وفتح الحاء والراء والف ونون مشاددة وثاء مثلثة) ويسكن معهم جماعة من البرصان يدهنون مذهب الاباضية من الخوارج ويسمون صنعو (بفتح الصاد المهمل والعين المعجم الاول والنون وضم العين الثاني وواو) والسيون المالكيون من البربر يسمون عندهم توري (بضم التاء المثناه وواو وراء مكسوره) ومن هذه القريه بعثت الى ابى الاس ثم سرنا من راغرى فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل وعليه البلد كابر محو (بفتح الكاف وسكون الزاء وفتح الباء الموحدة والحاء المهمل وضم الحاء المعجم وواو) والنيل يخرج منها الى كابرة (بفتح الباء الموحدة والراء) ثم الى راعة (بفتح الراى والعين المعجم) ولكابرة وراعة سلطان يودى الطاعة لملك مالى وأهل راعة قد دخلوا فى الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ثم يخرج النيل من راعة الى تنبكتو ثم الى كوكو وسنذكرهن ان شاء الله تعالى (بضم الميم وكسر اللام) من بلاد التكرور وهي آخر بلاد السودان الغربية ثم الى يوفى (واسمها بضم الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسوره) وهي من أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم ولا يدخلها الا بعض من الناس لانهم يقاتلون دخول اليها ثم يخرج منها الى بلاد الموبة وهم على دين النصرانية ثم الى دغمدغ وهي أكبر بلادهم (وضبطها بضم الدال والقاف وسكون الغين المعجمة وفتح اللام) وسلطانها يحمي باس كبر الدين اسلم على ايام الملك الناصر ثم يخرج الى جادل وهي آخر عمالة السودان وأول عمالة اسوان من صعيد مصر ورأيت انتصاح بها الموضع من النيل بالقرب من الساحل كانه قارب صعيد ولقد نزلت يوما الى اميل لقضاء حاجة فاذا انا بحية من السودان قد جاءت ووقف فيما بيني وبين النهر فجئت من سوء ادبه وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال لي اما فعل ذلك حرفا عليك من انتصاح فخاف بينك وبينه ثم سرنا من كابر محو فوصلنا الى نهر صرة (بفتح الصادين المهملتين والراء وسكون الغين) وهو على نحو عشرة أميال من مدينة دغمدغ ويمنع الناس من دخولها الا بالاذن

وكنت كتبت قبل ذلك جماعة لبيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الحزولي وشمس الدين بن القويش المصري ليكتر والي دارا فيها وصلت الى الهر المذكور حررت في المعدية ولم يسعني أحد فوصلت الى مدينة تمبي حضرة ملك السودان فرلت عنده فبرتها ووصلت الى محلة البيضان وقصدت محمد ابن الفقيه فوجدته قد اكترى لي دار الراية داره فتوجهت اليها وصهره الفقيه المقرى عبد الواحد شمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه الى من العد وشمس الدين (ن) القويس وعلي الزودي المراكشي وهومن الطلبة ولقيت القاضي بمدينة عبد الرحمن حاجي وهومن السودان حاج فاضل له مكارم اخلاق بعث الى بقرة في ضيافته ولقيت ابن حمان دوغا (بضم الدال واو وغين معجم) وهومن أعيان السودان وكبارهم وبعث الى بثور وبعث لي الفقيه عبد الواحد عرابيين من القوى وقرعة من العرفي وبعث الي ابن الفقيه الارز والقوى وبعث الي شمس الدين ضيافة وفاء وابقى اليوم شكر الله حسن افعالهم وكان ابن الفقيه متروحا بيت عم السلطان فكانت تتقدم لنا الطعام وغيره واكلنا بعد عشرة ايام من وصولنا عصيدة تصنع من شئ شبه الفلفاس يسمى العافي (بفاء والف وفاء) وهي عندهم مقصد على سائر الطعام واصحنا جميعا مرضى وكنت فيهن احد وذهبت انا لصلاة الصبح فغشي علي فيها وطبيت من بعض المصريين دواء سمه لافاني بشئ يسمى بدر (بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء) آخر الحروف وفتح الدال المهمل وراء وهو عروق بيض وحلوه لا يبدون والسكر ولته بالماء فشربته وتقيأت ما كلته مع صفراء كثيرة وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضت شهرين

﴿ذكر سلطان مالي﴾

وهو السلطان منسى سليمان ومنسى (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهمل) ومعناه السلطان وسليمان اسمه وهو ملك عظيم لا يرى عليه كبر عظمة واتفق لي اقامة هذه المدة وأراه نصب مرضي ثم انه صنع طعاما برسم عراء مولانا ابي الحسن رضي الله عنه واستدعى الامراء والفقهاء والقاضي والخطيب وحضرت معهم فاتوا بالربعانات وختم القرآن ودعوا لمولانا ابي الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان وما فرغ من ذلك تقدمت فسميت على منسى سليمان واعده العاصي والخطيب وابن الفقيه تحالى قاعدهم بلسانهم فقالوا لي يقول لك السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر على كل حال

﴿ذكر ضيافتهم اياي وتعظيمهم لها﴾

ولما انصرفت بعث الي الضيافة فوجهت الى دار القاضي وبعث العاصي جامع رحله الى دار ابن الفقيه فخرج ابن الفقيه من داره مسرعا في القدمين فدخل بي وقوم قد حملوا غاشية السلطان وهديته فقمت وطعنت ابيه الخلع والاموال فاذا هي ثلاثة اقراص من الخبز وقطعة

لحم

لم يقرى معاونا للعرب ومرعبه فيه لم رأت فعندما رأت تحكمت وظل يعجبي من ضعف عقولهم وتعظيمهم للشئ الحقير

﴿ ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك واحسانه الي ﴾

ومكثت بعد بعض هذه الحوادث شهرين لم يصل الي فيهما شئ من قبل السلطان ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك أتردد الى المشور وأسلم عليه واقعد مع القاضي والخطيب فتكلمت مع دوعا الترجمان فقال تكلم عنده وأنا أعبر عنك بما يجب فجلس في اوائل رمضان وقمت بين يديه وقلت له اني سافرت بلادا كثيرة وغبت عن بلادك نحو اربعة أشهر ولم تصفني ولا أعطيتني شيأ فما الذي عندك عبد السوء حتى فعلت بي ما لم أر لك ولا علمت بك فقام القاضي وابن اخيه فردا عليه وقالا له قد سلم عليك ويعتذر اليه الصعلوك فامر لي عند ذلك بدار نزل بها وبنفقة تجري علي ثم فرق على القاضي والخطيب والفقهاء مالا الى سبع وعشرين من رمضان فجعلوا يركبون معي في يوم ثلاثة وثلاثين منالا وثلثا وأحس الي عند سفري بمائة منقال ذهبا

﴿ ذكر جلوسه بعينه ﴾

وله قبة مرتفعة بفناء حوش داره عند قدم أكمة ابنوس ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشى بصفائح الفضة وذهب ثلاثة معشاة بصفائح الذهب اوهي فضة مذهبة وعليها ستور مذهبة وداكان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم انه يجلس فاذا جلس أخرج من شباك احدى الطاقات ثم شباك آخر بيده مديل مصري من قوم فاذا رأى الناس امتلأت صرحة الاطسان والانواق ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد في ايدي بعضهم القسي وفي أيدي بعضهم رماح قصار وأسرق فيقف اصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ومجلس أصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كشتان يذكرون انهما يقصان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون بائبه فحاموسي وتأتي الفراريه (بفتح الفاء) بهذا الامر اويأتي الخطيب والفقهاء فيدعون امام السجادة يمنة ويسرة في المشور ويدعو الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانه وغيره وعلى رأسه عمامة دار حواشيها لهم في تعميمهم صنعة بديعة وهو متقلد سيفا محمده من الذهب وفي رجليه الخف وليس بمتزوج ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ويكون في يده مرجان صغيران احدهما من ذهب والآخر من فضة واستهما من الخشب ومجلس الاجناد والولاة والقتيبين وصوفة وعرهم حريم المشور في شارع هناك متسع فيه أشجار وكل فراري بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والاصبال والانواق ويقوم قوم من أبناء الفيلة وآلات

الطرب المصنوعة من الخشب والقصب وضرب بالصناجة وهي صوت عجيب وكل فرد له كيانه قد علقها بين كتفيه وفوسه يده وضوارب هرسا وصحابه بين مشاور كثار ويكون بداخل المشور تحت الضيقان رجل واقف فمن أراد أن يكلم السلطان كلم ذو عاو يكلم ذو عا الملك الواقف ويكلم الواقف السلطان

﴿ذكر جلوسه بالمشور﴾

ويجلس أيضا في بعض الأيام بالمشور وهو بناء مربع تحت ثلاث درجات يصعد اليه بسلم خشب (بفتح الدال المعقود الأولى وكسر الثانية وسكون الواو بينهما) وتفرش بالحرير وتجعل الحدأة عليها وترفع الشطر وهو شيء مدور من الحرير وعلاه من الزهر مذهب على قدر البارى ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وهو سيد وكيانه بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدود عليها عصابة ذهب لها أطراف من الكاكيرق وهو الذي يسمى من شعر وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المصمت ويخرج بين يديه المعنون بيديهم قصبة الذهب والفضة وحلقه بحوقرع من العنبر أصابه الملاح ويمشي مشيا رويدا ويكثر التأني ورعا وقف ينظر في الناس ثم يصعد رفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الدبول والأنواق والأبواق ويخرج بلاه من العبيد مصرعين فيدعون الناس والقرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتى بالفرسين والكبشين معهما ويقف دونا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الأشجار

﴿ذكر تذلل السودان لملكهم وتعريفهم به وغير ذلك من أحوالهم﴾

والسودان أعظم الناس تواضعا لملكهم وأشدهم تذللا له ويحلفون باسمه فيقولون مانسي سليمان كي فاراد عبد من عبيده الذي ذكرنا أنه نازع المدعو ثيابه وليس ثيابه وترع عمامته وجعل شاشيته وجعله ودخل راعيا ثيابه وسراويله الى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الأرض بمرفقيه ضربا شديدا ووقف قريبا حيث يسمع كلامه فاذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره وحثى بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وكلما أنجم منهم كرب لا تعني أعضاءهم واذا تكلم السلطان في مجلسه كلام وضع الحاضرون عمائمهم على رؤوسهم فتستوي كلام ورسولهم أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في حدمه ويقول فعلت كذا يوم كذا وقتلت كذا يوم كذا وصدقه من عرفه منهم ويكذبه من لم يعرفه ولا يتركه أحدهم في وترقوسه ثم يرسلها كما يعني اذا رمى وقال له السلطان صدقت أو شكره نزع ثيابه وترب ولا عدهم من الأدب قال ابن حوقل وأخبرني الصاحب العلامة ابو القاسم بن رضوان أعزه الله به لما قدم الحاج موسى أو نحراي رسولا عن منسى سليمان الى

مولاه

مولانا أبي الحسن رضي الله عنه كان اذا دخل المجلس الكريم حمل بعض بنيه معه قهوة تراب فيترب مهما قال له مولانا كلاما حسنا كما يفعل بلاده

﴿ذكر فعله في صلاة العيد وأيامه﴾

وحضرت معه لي عيدي الأضحى والفطر فخرج الى المصلى وهو قريب من قصر السلطان وعليهم لثياب البيض الحسان وركب السلطان وعن يمينه أخوه الأمير والسودان لابسون الملابس الفاخرة لهذين العيدين عند القاضي والخطيب وأصحابهم وهم يلبسونه في سائر الأيام وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم مسودون ومكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير وقصب عظيم طويل في حجم قصب السكر الذي يباع في الأسواق ثم خرج الى المصلى فصليت الصلاة والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان وتكلم كلاما كثيرا وهو لا يرجع ببين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير للسلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه ويجلس السلطان في أيام العيد بعد العصر على الميني وتأتي السلحدارية بالسلاح النفيس من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وأغمادها منه ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه أربعة من الأمراء يشردون الذباب وفي أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفراريه والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بساط الأرمني وهو ريش نحو مدة عليه الملابس الحسان وعلى رؤسهم عصائب الذهب والفضة فيها نقوش ذهب وفضة ويضعه لدوغا كرسي يجلس عليه ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها تريعات ويغني بشعر يمدح السلطان فيه ويذكر غزواته وافعاله ويغني الساعة والدوارق معه ويغني بالعربي ويكون معهن نحو ثلاثين من علمائه عليهم حباب الملف الحمر وفي رؤوسهم لشواشي البيض وكل واحد منهم متقلد طبلة يضربه ثم أتى أصحابه من السودان فيلعبون ويتقلبون في الهواء كما يفعل السندي ولهم في ذلك شراقة وخفة بديعة ويلعبون بالسيوف أجمل لعب ويلعب دوغا بالسيف لعبا بديعا وعند ذلك يأمر السلطان له بالاحسان فيأتي بصرة فيها ما يقارب من الدرهم فيرميها على رؤوس الناس وتقوم الفرارية فيتزعون في قدومهم شكر السلطان والعبد يعطي كل واحد منهم لدوغا عطاء على قدره وفي كل يوم جمعة بعد العصر يعمل دوغا هذا الترتيب الذي ذكرته

﴿ذكر الزمر وكيفية انشاد الشعراء للسلطان﴾

واذا كان يوم العيد وأتم دوغا بين يديه الشعراء وهم ثمانون رجلا (نصم الحيم) واحد منهم حامل وقد حمل كل واحد منهم في حوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الغلمان وجعل لها رأس من الخشب له مقدار أجرة كبير رأس الغلمان ويقفون بين يدي السلطان تلك الهيئة المحكمة

فينشدون أشعارهم وذكر لى ان شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان ان هذا البيت الذى عليه حبس فوقه من الملوك فلان وكان من حسن أفعاله كذا وفلان وكان من أفعاله كذا فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك ثم يصعد كبير الشعراء على درج البيت ويضع رأسه فى حجر السلطان ثم يصعد الى أعلى البيت فيضع رأسه على كتف السلطان الايمن ثم على كتفه الايسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل وأخبرت ان هذا النغم لم يزل قديما عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه

﴿حكاية﴾

وحضرت مجلس السلطان فى بعض الايام فاتى أحد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدى السلطان وتكلم كلاما كثيرا فقام القاضى فصدقه ثم صدقه الفقهاء فوضع كل واحد منهما عمامته عن رأسه وترب بين يديه وكان الى جانبى رجل من البيضان فقال لى اتعرف ما قالوه فقلت لا أعرف فقال ان الفقيه أخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخبر بأحد صلاحهم انه موضع الجراد فيه فأمرها فقتل شىء من الجراد كثير فجاءه جراد منها وقالت ان البلاد التى يكثر فيها الظلم يعاقبنا الله لصغار زرعها فصدقه القاضى والفقهاء وقال عند ذلك للامراء انى أرى من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بشىء ولم يعلمنى به فذنوب ذلك العالم فى عنقه والله حسيبه وسائله ولما قال هذا الكلام وضع الامراء عمائمهم عن رؤسهم وتمرغوا من الصلع

﴿حكاية﴾

وحضرت الجمعة يوما فقام أحد الخطباء من طلبة مسوفه ويسمى بدى حدص فقال يا أهل المسجد أشهدكم ان اسمى سليمان فى دعوتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال ذلك خرج اليه جماعة رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من طلبت من أحد لذلك شيأ فقال ما شاجوابوا الان يعنى بشرهها الحديدى ما قمنه سمائة مثقال وارادان يعطينى فى مقابلة مسئلة منقال حاصه فبعث السلطان عمه لحين حضر بعد أيام وصرفه للقاضى فثبت للتاجر حقه فأخذه وبعد ذلك عزل الشريف عن عمله

﴿حكاية﴾

واتفق فى أيام اقامتى عندهم ان السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بقاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهى شريكته فى الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر ويجلس عندها بعض الفرارية وولى فى مكانها زوجته الاخرى بجو ولم تكن من بنات الملوك فاكثر الناس الكلام فى ذلك وانكروا فعله ودخل بنات عمه على بعضهم الى الملكة فشكون الزمد على ادرعهن ولم يتترين وزوجهن ثم ان السلطان سرح قاسا من ثقافها

فدخل

فدخل عليها ابنا عمها فهجما عليها وقتلاها وقتلا ابنها وهرب الغلام وأخبر السلطان بذلك فغضب على بنات عمه فقتلهن وأمر بالجامع فهدم على من فيه من الناس وهدم دورهم ثم أمر بالنداء على السودان أن يخرجوا عن بلاده ومن وجد منهم بعد ثلاث قتل فخرجوا عنه وصاروا يأتون باب السلطان عراة وعشرة أيام وكان يعطي من كل واحد منهم السلطان وصار فاسا وركب كل يوم في حواريه وعبيده وعلى رؤوسهم التراب وتحف عنده المنور مشهرة لا يرى وجهه وأكثر الأمر الكلام في شأنها فجمعهم للصلاة في المنور وقال لهم ادعوا على لسانه الحكم فقد أكثرتم الكلام في أمره وأوهمتم أنه قد كبر فأتى بحواريه من حواريه ما قيمة معاونه فقيل له تكلمي بما عندك فقالت إن كنت إنما تعلم أن عم السلطان الهارب عنده فإني كنت في وقت عقد أنامل الملك على ما ملكه وقال لها ادعوا جميع بعسكر جميع أمرك فلم يسمع لأمرها ذلك فلما توالى عليه الخوف فاسا من ذلك الحارب بالعرب وبعدهم أن [illegible] والسلطان المحمدون يحكم فيدار محمد وكان الودن كبيرهن يسمى سلمان شرون فمنهم يسمى مغا وقبل يسمى مغا يسمى موسى وكان كريما ممدحا يحب الخير والمحسن إليهم وهو الذي أعطى لابن إسحاق الدخيلي في يوم واحد ثلاثين ألف مثقال وأخبرني من أثق به أنه أعطى لمدرك بن موسى ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد بالقاهرة فسلم على يدي خدم مدرك هذا

(ذكر)

وأخبرني السيد [illegible] أن [illegible] أن عرف من [illegible] كان قد أحس أن السلطان موسى مولى في نفسه [illegible] وثلاثين وستمائة وتوفي عن عمر معتبر ثم اتفق أن [illegible] في حسوة وأرسلت له [illegible] فلما [illegible] على لسانه بقوله [illegible] الأمر أما حراما من [illegible] فقالوا له الحسنة عشر أمثالها [illegible] وأحد عشر مثقالا في عباد [illegible] وأحد عشر مثقالا وأمر بأن لا [illegible] واخبرني بهذه الحكاية أحد من [illegible] المذكور وهو من الطلبة يعلم القرآن [illegible]

(ذكر ما استحدثه من قوانين وما استحدثه من)

[illegible] لهم خمسة أيام الصوم بعد أن [illegible] لا يمنع أحد في شيء مما هو [illegible] الأمن في بلادهم فلا يخاف [illegible] ولا يحتسب عليهم [illegible] لهم [illegible] من بيوت ملاهيهم من البلد ولو [illegible] ويتركونه يبدد [illegible] من البيضان حتى يأخذ [illegible] وهم [illegible] لهم في الجماعات

وصبرهم أولادهم عليه وإذا كان يوم الجمعة ولم يكن لأحد منهم إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام ومن عادتهم أن يسبغ كل انسان علامة يعرف بها ويسمون الله موضع سجوده حتى يذهب إلى المعبد وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا ثوب واحد حلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يعلمون لأولادهم إذا عودوا ذلك وهم في حقهم التقصير في حفظه فلا تغفل عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومن مروءتهم يوم يشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد نحيف فسألت عن معنى ما فعل هذا أقتل فقيل لي ما به قيد حتى يحفظ القرآن ومن مساوئ أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يطهرون للناس عن بادية العورات ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة فما عهدت القرار يتأنى بقعود وإبدار السلطان وتأتي كل واحدة منهم طعامها تحمله العشرون فما فوقهن من حواريه وهن عرايا ومن حول الساعة على السلطان عريانات مستترات وتعري بدنه ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان محمولة جارية خرجت الطعام من قصره عريانا ومعهن شمعدان ليس عليها ستر ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدبا ومنها ما ذكرته من الاحتكاك في الشعراء ومنها أن كثيرا منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير

﴿ذكر سفري عن مالي﴾

وكان دخولي إليها في الرابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخرجت عنها في الثاني والعشرين محرم سنة أربع وخمسين وهي تاجر يعرف بأبي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميه وكان لي حمل أركبه لأن الخيل عليه الأثمان فاوى أحدهما ثم انتقل فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل لا يجاز إلا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به إلا بالليل ووصلنا الخليج بثلث الليل والنيل معنا

﴿ذكر الخيل التي تكون بالنيل﴾

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته عشرة أبنية صغيرة خالية فحسبت منها وضعتها فيه لكثرتها هناك ثم إلى ربيثة دخلت في النهر فدلت لأبي بكر بن يعقوب بهذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر وهي أعلم من الخيل وأعراف وأدب وأشهر كروس الخيل وأرجلها كأنها حمر الغيل ورأيت هذه الخيل من مرة أخرى لما ركبنا النيل من تنيدكتواى كوكو وهي تعوم في الماء وترفع رؤوسها وتضع وخاف منها أهل المراكب فقربوا من البر لئلا

تغرقهم

عرقهم ولهم حيلة فى صيدهن حسنة وذلك ان لهم رماحا مشقوبة قد جعلن فى ثقب شرائط وثيقة فيدبرون الفرس منها فان صدمه الفرس برجله أو عضه انقبضت وجذبته الحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ويأكلون لحمه ومن عظامه يبنون الساحل كثير وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاجى حسن يسمى فرمامف (بفتح الميم والعين المعجم) وهو من جمع السلطان منسى موسى الخ

﴿حكاية﴾

أخبرنى فرمامف ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكنى بابى العباس ويعرف بالكاتى فاحسن اليه باربعة آلاف مثقال لنفسه فلما وصلوا الى مية شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت له من داره فاستحضر السلطان أمير مية وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرق او طلب الامير السارق فلم يجد أحدا ولا سارق، كون تلك البلاد فدخل دار القاضى واستدعى جماله وهو بدارهم فاخبرت له احدى جواريه ما صاع له شئ وانما دفنها بيده فى ذلك الموضع وعرفه الموضع الذى دفنها فيه فاخرجها الامير واتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضى وقيده الى بلاد الكفار الذين يأكلون بنى آدم فاقام عندهم اربع سنين ثم رده الى بلده وعالمهم يأكلهم لكفرهم واصنامهم لانهم يقولون ان أكل الانس مصر لاسلم دمه والاسود هو المتضمن بزعمهم

﴿حكاية﴾

قدمت على السلطان منسى موسى جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بنى آدم معهم أمرهم وعادتهم ان يجعلوا فى اداهم افراطا بكارا وكون قحة القرط منها نصف شبر وينتفون فى ملاحف الحرير وفى بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان واعطاهم فى الضيافة عادتهم فذبحوه وأكلوا لحمه وجلوده وشربوا دمه وسموه وأكلوا السلطان شاكرين وأخبروا ان عندهم منى ما وجدوا عليه ان يعبروا ذلك وذكروا عنهم انهم يقولون ان أطيب ما فى لحوم الادميات الكف والثدى ثم رحلنا من هذا الخليج الذى عند الخليج فوصلنا الى بلدة قرى مسا وقرى (بضم القاف وكسر الراء) وبات لى بها الجن الذى كنت أركبه فاخبرنى راعيه بذلك فخرجت لانظر اليه فوجد السودان قد اكلوه كعادتهم فى اكل الخلف فمكثت علامين كنت استأجرتهم على خدمتى ليشترى لى جملا راعوى وهى على مسيرة يومين وأقام معى بعض أصحاب ابن بكر بن يعقوب وتوجه هو وليلة تجرد عمة فى سنة أيام اصابنى فيها بعض الحجاج بهذا البلد حتى وصل الله الامان ناجى

﴿ حكاية ﴾

وفي ايام اقامتي بهذه البلدة رأيت ليلة فيما يرى النائم كأن انسانا يقول لي يا محمد بن بطوطة لماذا لا تقرأ سورة يس في كل يوم فقد بركت قراءتها كل يوم في سفر ولا حضر فرحلت في بلدة ميه (بكسر الميم الاولى وفتح الثانية) فمرضت عين اليسار حتى خفت ثم سافرت منها الى مدينة تنبكتو (وضبط اسمها بتاء معجمة بنقطتين من فوق وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعجمة الثانية وواو) وبينها وبين الايل ثمانية عشر يوما كلها سكك مسقوفة بالقش للظل وحاكمها يسمى فربا موسى حضرت عنده يوما وقد قدم حمص مسوقة امير اعلى جماعة فحمل عند نزوله عما معه وسيروه وكانوا مجموعة وأجلسه غير بعيد منه وأكرمه كما اكرم جلساءه على رؤسهم وبهذه البلدة قبر الشاعر المطوق ابي اسحاق الساحلي الغرناطي المعروف بالطويجن ولم يعرف سراج الدين بن الكويك أحد كان لجده من أهل الاندلس

﴿ حكاية ﴾

كان السلطان منسى موسى لما نزل بروص لسراج الدين هدايا كثيرة فاستشار وزراءه في نزل السلطان واحتاج الى مال فسلفه من سراج الدين وتسلف منه مرارا وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال فاقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له فلما وصل بتكتو اضافه أبو اسحاق الساحلي فكان من اكثر مواعيده ان قال له متكلم الناس في ذلك واتهموا انه سم فقال لهم ولده اني أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلني جميعا لكنه انقضى اجله ووصل اولاد الى مالي وقضى ماله وانصرف الى بلاده بروص تكتور كبت السين في مركب صغير محمول من حشمه وخدمه و ٥ من كل ديار فالقرى مشترى ما يحتاج اليه من الطعام وغيره ويمشي ساحلا وما عمر بات ونحلي برماح ثم وصلت الى بلد أسيت اسمه أميرها حسن حاج يسمى فربا مسلمين مشهور بالشجاعة والشدة لا يتعدى أحد النزع في نوبته ولم أر في السودان اطول منه ولا اضخم جسما وحضرت عنده بلدة الى شيء من الدرة فجئت اليه وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فاحضرت لوحا كان بين يديه وكتبت فيه ان لهذا الامير ابن يحتاج الى شيء من الدرة فاقرأوه السلام وردوا لفقيه اللوح عرامه فيه مرارا وتكلم الامير في ذلك بلسانه فقرأه جهرا وفهمه الامير فاحضر عندي وادخلني الى مشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيه ثم اتى بمشروب لهم يسمى امدقو (بفتح الدال المهملة وسكون القاف وضم النون وواو) وهو ماء فيه حريش الدرة محلوط بشيء عسل اولس وهذا شرابه عوض الماء لانهم ان شربوا الماء خالصا

أضر

صرم وان لم يجدوا لدرة حلوه والعصر ومن عاف حضر أحضر لي كلامتو دخل غلام
جمسي وعاود لي هذا الصباح وانا مرقاد فدخل وارد الانصراف فقال أقم
حتى يأتي الطعام وجاء الصاحب فتحدث معه عربية فكلمني العربي فسمعني في ذلك
اذ سمعت صراخا بداره فوجه الصاحب فعرف خبرها فاتي اليه فاخبره بانه قد توفيت
فقال لي لا تحدث لكم فاني ذاهب الى الحضرة فاني اليل وله على ساحله دارقان للعرس
فعجل وركب فقمت لاركبه وانتظرت فيه جميع ووصلت الى ديار على النيل واتى
بالطعام فاكلنا وودعته وانصرفت ولم ار في السودان أكرم منه ولا افضل والعلام الذي
اعطانيه باق عندي الى الآن ثم وردت مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل من
أحسن مدن السودان وأكثرها خيرا وسعة وبها الذرة الكبرى والدخن والسمسم والدجاج والسمك وبها
القرض العربي لا يستعمله وهو من الذهب في البيع والشراء والودع وكذلك أهل مالي
وقت بها نحو شهر واصافني بها محمد ابن عمر من أهل دكلة كان عريفا من الحاضلا وتوفي
بها عند رجوعي عنها واصافني بها الحاج محمد لوجدي التاجر وشوقي محمد ليبي واصافني محمد
الفيلالي امام مسجد الزيدان ثم سافرت معهم كما في البرنو وهي الرجعة الثانية
دليلهم ومقدمهم الحاج وجبن (بضم الواو وسكون الجيم المعقودة وفتح الباء الموحدة
السودان وكان لي معه ركوبي ودخل اراد ورجعنا من عنده وقت الظهر فاقام الحاج
وجبن ما كان عندهم وقسمه على اصحابه وركب في الرجعة معهم من أهل دلي فاني
ان رفع من دلا شيئا كثيرا من غيره وعدش علاقي بهم فسافرت معهم الى ان وصلنا
الى بلاد دامة وهي قبيلة من العرب (وضبطها الحاج بالتاء المثناة الموحدة وسكون الراء وفتح الدال
المهملة والف وميم مفتوحة وتاء مثناة من فوق) وهذه القبيلة لا في حدودهم وهم أشد
أعظم شأنا من الرجل وهم رحالة لا يتخلون عن سيوفهم غير منفكة يتقلدون أعوادا من الخشب
ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك عمائمهم وفوق الحصر أثياب القطن وسيوفهم امام
النساء لا يبدعهن صورا مع اياس لهن صنعة من ولم ار في البلاد من يليع مواشيهن في
السمن وطعامهن حليب البقر وحريش الذرة يسرعه مجمرا ماء غير مصبوغ عند المساء
والصبح ومن أراد منهم سفرا من في قرب البلاد التي ولا يخاورهن كوكو ولا
انولان وأصابني المرض في هذه البلاد لاستنشاق الحر وعدة الصفراء واجتهدنا في السير لان
وصلنا الى مدينة كنو (وضبطها فتح الكاف المعقودة والنون المشددة والواو المهملة مع تشديده)
وبرلت بها في حوانيت المعروفة بسعيد بن العربي واصافني في صيف أنوارهم الحاج
احاباتي وهو من الافاضل واصافني جعفر بن محمد المسوفي وديار كدا مسقط الحجارة الحمر
وهو يجري على معدن النحاس فيتخذ رلونه وعمله ولا زرع بها الا قليل من القمح يأكله

التجار والعرباء ويباع بحساب عشرين مثقالا من اعدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المذ ببلادنا ويباع الدرة عندهم بحساب تسعين مثقالا بمثقال ذهب وهي كثيرة الغلاء وعقوبتهم تقتل من كان صغير السن بالغ وأما الرجل فقتله بسيفه وقطع عنقه وكان الشيخ سعيد بن علي عند الفتح قد ترك له ممونة وحضر بجنازته ولا نعلم لأحد تكدا عبر الصحراء قبله مسافرون كل عام الى مصر ويحملون من كل ما يحتاج من حلل الثياب وسواها ولأهلها وجاهة وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك أهل مالي وتولان ولا يعبرون الى بلاد مصر الا بالذهب والمال الكثير

﴿حكاية﴾

اردت لما دخلت تكدا شراء خادم معينة فلم أجد فيها ما يعمل الى فاقاصي أو ابراهيم خادم لبعض أصحابنا فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالا ثم ان صاحبها ندم وعدى في الاوقات لان دللتي على سواها فالتمست فداي على خدمها لعلي اعيدها وهو المعروف عند الناس اني ان رفع شيأ من اسبابي حين وقعت بافتي وكان يبقى عندي فما خير عيشي فاشتريتها منه وكانت خيرا من الاولى وأقلت صاحبي الاول ندم فسخ المعروف على ما ندم ورغب في الاقالة فوافق في ذلك فاتيت الاماء احاربه فوجدته فكادا بعد أيام أو ثلاثة بعد

﴿ذكر معدن النحاس﴾

ومعدن النحاس بحارج تكدا يجلبون عليه في الارض وأنوني به الى البلد فيكونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا استكمل نحاسا أخرجه بعوامه قضبانا في طول شبر وصف بعضها رفاق وبعضها اعلاه فيبيع الاعلاه منها بحساب ثمانية عشر مثقالا ذهب وتباع الرفاق بحساب ستة وسبعة مثاقيل وهي صرفهم يشترون بها الحبوب والحطب ويشترون بها الاماء والخدم والدرة والسمن والقمح ويحملون النحاس منها الى مدينة كوبر من بلاد الكفار والى زغاي والى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين ليلة من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا امر له ولا نهي للناس ولا كلمة لهم الا من وراء حجاب ومن عادة البلاد يؤتى بالحوائج الحسان والفتيان وبنات الحسنة ويحمل النحاس أيضا منها الى حوجوة وبلاد دورتيبن وسواها

﴿ذكر سلطان تكدا﴾

وفي أيام اقامتي بها توجه القاضي أبو ابراهيم والخطيب محمد والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد ابن علي الى سلطان تكدا وهو يومئذ يسمى ايار (بكسر الهمزة وراء ساكنة وألف وراء) وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركري وشوموس سلاطين البربر أيضا منازعة فذهبوا الى الاصلاح بينهم فعاد دون ان التقوا فاكثرت دللا ونوحوت اليه واعدته الذكر وبقدومي جاء الى ايرا كافر سادون وتلك بلدته فجعل عوض السرج قصبة حمراء عنزة وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كما يلبسها الاماجد وهم لا يرتون ملكه فلما اليه

وصافحنا

وصاحفشاه وسأل عن حالي وعقدي فأعلمه بذلك وانزلني ببيت من بيوت الياطيين وهم كالوصفان عندنا وبعث برأس غنم مشوى في السفود وقعب من حليب البقر وكان في جوارنا بيت امه واخته فجاءتا الينا وسلمت علينا وكانت امه تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو واما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه وأقمت عندهم ستة أيام وفي كل يوم يبعث بكبشين مشويين عند الصباح والمساء وأحسن الي بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تكدا

﴿ذكر وصول الامر الكريم الي﴾

ولما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بامر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين آمرا الي بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامتثلته على الفور واشتريت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالا ونلت وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات انما يوجد اللحم واللبن والسمن يشترى بالانواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدا وفي الرفقة نحو ستمائة خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكركري وهي أرض كثيرة الاعشاب يشتري بها الناس من برابرها التمر ويقدمون لها ويحملها أهل توات الى بلادهم ودخلنا منها الى بريه لا عمارة بها ولا ماء وهي مسيرة ثلاثة أيام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما في بريه لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ الى ديار مصر وطريق توات وهنالك احساء ماء يجري على الجديد فاذا غسل به الثوب الابيض اسود لونه وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم ولقينا أحد كبرائهم فحبس القافلة حتى غرموا له أثرابا وسواها وكان وصولنا الى بلادهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يعترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعترضوا له وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر وسرنا في بلاد هكار شهرا وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعر ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد برابر أهل الشام كهؤلاء فاخبرونا باخبار بلادنا واعلمونا ان أولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسابيت من توات فخاف أهل القافلة من ذلك ثم وصلنا الى بودا (بضم الباء الموحدة) وهي من أكبر قرى توات وارضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسه ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزنون التمر ويقتاتون به ويخرجون الى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير اذ ذاك لاجل البرد واقمنا سودا الا ياما ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في اوسط ذي القعدة الى مدينة

بجباسة وخرجت منها فى ثانى ذى الحجة وذلك اوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخارى وسمرقند وخراسان وبلاد الاتراك فلم أر أصعب من طريق ام جنيبة ووصلنا ليلة عيد الاضحى الى دار الطمع فاقمت هنالك يوم الاضحى ثم خرجت فوصلت الى حضرة فاس حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة وتمتعت بمشاهدة وجهه المبارك وأقمت فى كنف احسانه بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما اولانيه من جزيل احسانه وسابغ امتنانه ويديم ايامه ويمتع المسلمين بطول بقائه وههنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكان الفراغ من تقييدها فى ثالث ذى الحجة عام ستة وخمسين وسبعمائة والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

﴿قال ابن جزى﴾

انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ ابى عبد الله محمد بن بطوطه أكرمه الله ولا يخفى على ذى عقل ان هذا الشيخ هو رحال العصر ومن قال رحال هذه المدة لم يبعد ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة واتخذ حضرة فاس قرارا ومستوطنا بعد طول جولانه الا لما تحقق ان مولانا أيده الله أعظم ملوكها شأنا واتمهم فضائل وأكثرهم احسانا وأشدهم بالواردين عليه عنايه وانهم من ينتمى الى طلب العلم حايه فيجب على مثلى ان يحمد الله تعالى لان وفقه فى اول حاله وترحاله لاستيطان هذه الحضرة التى اختارها هذا الشيخ بعد رحلة خمسة وعشرين عاما انها النعمة لا يقدر قدرها ولا يوفى شكرها والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا أمير المؤمنين ويبقى علينا ظل رحمته ورحمته ويجزيه عنا معشر الغرباء المنقطعين اليه أفضل جزاء المحسنين اللهم وكما فضلته على الملوك بفضايل العلم والدين وخصصته بالحلم والعقل الرصين فملكه أسباب التأييد والتمكين وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين واجعل الملك فى عقبه الى يوم الدين وارزقه قرة العين فى نفسه وبنيه وملكه ورعيته يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا ونبينا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ من كتبها فى صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة عرف الله من كتبها

تم الجزء الثانى من رحلة ابن بطوطه وبه تم طبع هذا الكتاب الجليل بمطبعة وادى النيل
بتصحيح الفقير أبى السعود أفندى فى منتصف جمادى الثانية سنة ١٢٨٨
هجريه على أصله المطبوع مع ترجمته بالفرانساويه بمدينة باريس
فى سنة ١٨٥٨ ميلاديه ولله الشكر التام
وبه حسن المبـــــدا
والختام

مكتبة
لسان العرب
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com